



مِصْبَاحُ الْبُلُغَاءِ وَسِجِّ الْإِسْلَامِ

مَنْعَة

أبي الحسن حازم القرطاجي

المتوفى بطنس في 24 رمضان 684

23 نوفمبر 1285

مَقْدِمَةٌ وَتَحْقِيقٌ

محمد راجح بن النخوجة



«قبل قراءة هذا الكتاب لا تنس الصلاة على
الحبيب صلى الله عليه وسلم

ثم

اسأل الله أن يغفر لأخيك
الفقير إلى رحمته

مِنْهَا الْبُلْغَاءُ وَسِرِّهَا الْأَرْبَاءُ

ولمّا وقفتُ على قوانين هذا الكتاب ووعيتها وإن كان
ترك التمثيل لها، صار كلّ ما أقرأه وأنظر فيه
من كلام بليغ أو بدیع، يصير كلّ لي أمثلة لتلك القوانين

ابن القسّوج

(رحمة ابن رشيد)

[1 - أ]

/ المناهج الأدبية

للإمام المحقق ذي (1) الفصاحة السائغة والبلاغة البالغة
أديب إفريقية أبي الحسن حازم بن محمد الأنصاري القوطاجني
قدس الله روحه وبرّد ضريحه

(1) بالأصل ذو مقطوع إلى الرفع .

المقاني

/ بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد . [1 - ب]

قال الإمام الحافظ البليغ الحجة في مقام الأدب ومضماره حازم بن محمد القرطاجني (1) .

* *

(.....)

5 أو منافرة لها (.....) إلى (.....) صحيح (.....) (2) .

المنهج الأول في الإبانة عن ماهيات المعاني وأنحاء وجودها ومواقعها ،
[وال] تعريف بضروب هيئاتها و[جهات] التصرف فيها وما تعتبر [به]
أحوالها في جميع ذلك ، من حيث تكون [ملائمة] للنفوس أو منافرة لها .

أ - معلم [دالّ] على طرق [العلم بالمعاني] وحقائقها وأنحاء [النظر] فيها
10 [وبما ينبغي] أن تعتبر به أحوالها ، من جهة ما يرجع إليها وما هو خارج
[عنها] (.....) (3) هنالك موجودات خارج الذهن عن أمثلة لها وجود
(.....) (4) وهي الهيئات النطقية .

لما كانت المعاني إنّما [تتحصّل] في الأذهان عن الأمور الموجودة في
الأعيان وكانت تلك [المعاني] إنّما تتحصّل في الذّهن بأعلام من العبارة

(1) الأسطر الثلاثة مكتوبة بخط مغاير هو أحدث من الخط الذي كتبت به النسخة .
(2) هذا كدل ما بقي من العنوان الأول المثبت بأعل الصفحة في الأصل . وهو ، حسبما تدل
عليه المقارنة بين أقسام الكتاب ، ترجمة لمحتوى القسم الثاني الباحث في المعاني وما
تعرف به أحوالها من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .
(3) بترفي الورقة بالأصل بمقدار ثلاث كلمات .
(4) بسر مثله .

توضع للدلالة عن (.....) (1) علم على صورة صورة منها، فتتمثل بحصول تلك الصورة في الـ (.....) (2) الموجودة في الأعيان التي تلك الصور الحاصلة في الذهن (.....) (3) كانت تلك الصور الذهنية إنما يتخيل بها ما هي صور (.....) (4) [خارجة] عن الذهن [بوجه] مخصوص وترتيب مخصوص (.....) (5) تلك الصور الذهنية في الألفاظ إنما تدلّ على (.....) (6) .

[2 - أ] / (.....) (7) عليها هو الذي ران على قلوب شعراء المشرق المتأخرين [وأعمى] بصائرهم عن حقيقة الشعر منذ مائتي سنة . فلم يوجد فيهم على طول هذه المدة من نحا نحو الفحول ولا من ذهب مذاهبهم في تأصيل مبادئ الكلام وإحكام وضعه وانتقاء مواده التي يجب نحتها منها . 10 فخرجوا بذلك عن مهبع الشعر ودخلوا في محض التكلم . هذا على كثرة المبدعين المتقدمين في الرّعيّل الأوّل من قدامتهم والحلبة السابقة زمانا وإحسانا منهم .

(1) بتر مثله .

(2) بتر مثله .

(3) بتر بمقدار أربع كلمات .

(4) بتر مثله .

(5) بتر بمقدار أربع كلمات .

(6) نقص أوراق ذهب فيها معظم المنهج الأول من القسم الثاني .

(7) طمس في أول الصحيفة بالأصل لمقدار كلمتين .

المنهج الثاني في الإبانة عن طرق اجتلاب المعاني وكيفيات التامها وبناء بعضها على بعض ، وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك ، من حيث لكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

أ - معلم دالّ على طرق العلم باقتباس المعاني وكيفية اجتلابها وتأليف بعضها إلى بعض . 5

يجب على من أراد جودة التصرف في المعاني وحسن المذهب في اجتلابها والحدق بتأليف بعضها إلى بعض أن يعرف أن للشعراء أغراضاً أوّلَ هي الباعثة على قول الشعر . وهي أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس ، لكون تلك الأمور ممّا يناسبها ويسطّرها أو ينافرها ويقبضها أو 10 لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين . فالأمر قد [يسطّ] النفس ويؤنّسها بالمسرة والرجاء ويقبضها بالكآبة والخوف . وقد يسطّها أيضاً بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع . وقد يقبضها ويوحشها بصيرورة الأمر من مبدأ سارّ إلى مآل غير سارّ . وإذا ارتبح للأمر من جهة واكثرث له من جهة على نحو ما / (.....) (1) [2 - ب] 15 جرى مجرى ذلك كانت أقوالاً شاجية .

1 - إضفاء : والارتياحُ للأمر السارّ إذا كان صادراً عن قاصد لذلك أرضى فحرّك إلى المدح . والارتماض للأمر الضارّ إذا كان صادراً عن قاصد لذلك أغضب فحرّك إلى الذمّ . وتحرّك الأمور غير المقصودة

(1) هذا محل سطر كامل مطبوس بالأصل .

أيضا ، من جهة ما تناسب النفس وتسرها ومن جهة ما تنافرها وتضرها ، إلى نزاع إليها أو نزوع عنها وحمد وذم أيضا . وإذا كان الارتياح لِسارٍ مستقبل فهو رجاء . وإذا كان الارتماض لضارٍّ مستقبل كانت تلك رهبة . وإذا كان الارتماض لانقطاع أمل في شيء كان يؤمل ، فلإن نُحْيِي في ذلك منحى التصبر والتجمل سمي تأسيا أو تسليا ، وإن نُحْيِي به 5 منحى الجزع والاكتراث سمي تأسفا أو تندما . ويُسمى استدفاع المخوف المستقبل استلطافا . وإذا استدفع المتكلم ذلك فأسعف به وضمّن وصف الحال في ذلك كلاما سمي إعتابا . والتعزير على الأمر المرتض منه والملامة فيه تسمى معاقبة . فإن كان الارتياح لأمر شأنه أن يسرَّ محضره 10 إلا أنه يكون بعيدا من المتكلم ، من جهة زمان ماض أو مستقبل أو مكان أو إمكان ، حرك ذلك إلى الاستراحة لذكره والتشوق إليه ، فتكون الأقوال في الأشياء التي علقتها بأغراض النفوس على هذا النحو متنوعة إلى فنون كثيرة نحو التشوقيات والإخوانيات وما جرى مجرى ذلك .

2- تنوير : فقد تبين بهذا أن أغراض الشعر أجناس وأنواع

تحتها أنواع . فأما الأجناس الأول فالارتياح والاكتراث وما تركب منهما 15 نحو إشراب الارتياح الاكتراث أو إشراب الاكتراث الارتياح ، وهي الطرق الشاجية . والأنواع التي تحت هذه الأجناس هي : الإستغراب والإعتبار والرضى والغضب والنزاع والتزوع والخوف والرجاء . والأنواع الأخر التي تحت تلك الأنواع هي : المدح والنسيب والرثاء

[3 - أ] / (.....) (1) 20

والتذكرات وأنواع المشاجرات وما جرى مجرى هذه الطرق من المقاصد

الشعرية . وسأتي تفصيل هذه الجملة في موضعها في القسم الرابع (1) إن شاء الله .

3 - إضاءة : فمعاني الشعر ، على هذا التقسيم ، ترجع إلى وصف أحوال الأمور المحركة إلى القول أو إلى وصف أحوال المتحركين لها أو إلى وصف أحوال المحركات والمحركين معا . وأحسن القول وأكمله ما اجتمع فيه وصف الحالمين . 5

4 - تنوير : ولا يخلو الشيء في جميع تلك الأحوال من أن ينسب إلى الشيء بإيجابه له أو تزال نسبته إليه بسلبه عنه أو ينسب إليه لا على جهة إيجاب ولا سلب ولكن على جهة الاحتمال والإمكان . وكل ذلك لا تخلو أن تكون النسبة الوجوبية أو السلبية أو المترددة بين الإيجاب والسلب فيه 10 من أن تكون راجعة إلى ما يرجع إلى الشيء ويخصه في ذاته أو يكون غير راجع إلى ما يخصه في ذاته بل لأمر عرض له من غيره أو لما تدركه منه القوى الحسية أو التصورية أو بحسب نسبته إلى شيء تأخر في زمان أو مكان أو بحسب موقعه من اعتقاد ما أو بحسب ما يجعل شرطه فيه أو بحسب مقايسته بشيء آخر أو بحسب الفرض . 15

5 - إضاءة : والمتصرف في هذه المعاني لا يخلو من أن يكون مثبتا لشيء ببعض تلك الاعتبارات أو مبطلا أو مُسَوِّياً بين شيئين أو مُبَيِّناً بينهما أو مرجحاً أو متشككاً ، ولا يخلو من أن يكون معمّماً أو خاصاً حاصراً أو غير حاصر آخذاً للشيء بجملة أو محاشياً بعضه . وللعبارة عن جميع ذلك أدوات وضعت للاختصار . وقد يعبر عن جميع ذلك بغير تلك 20

(1) انظر ق ٤ ، المنهج 2 ، المعلم أ .

الأدوات . فهذه وأشباهها من المعاني ، التي تدلّ على مقاصد المتكلم واعتقاداته وأحكامه في التصوّرات والتصديقات المتعلّقات بفرضه ، معانٍ ثوانٍ ينوطها بمعاني كلامه لتبيّن فيها أحكاما وشروطا .

6- **تنوير** : وهنا معانٍ أُخَرُّ ، وهي أنحاء المخاطبات مثل أن يكون المتكلم مخبرا أو مستخبرا آمرا أو ناهيا داعيا أو مجيبا .⁵

7- **إضاءة** : فقد تبيّن بهذا أن المعاني صنفان : وصف أحوال الأشياء التي فيها القول ، ووصف أحوال القائلين أو المقول على ألسنتهم ، وأنّ هذه المعاني تلتزم معاني أخرى تكون متعلّقة بها وملتبسة بها ، وهي كصفات ما أخذ المعاني ومواقعها من الوجود أو الفرض أو غير ذلك ونسب بعضها إلى بعض ، ومعطيات تحديدهاتها وتقديراتها ، ومعطيات الأحكام والاعتقادات فيها ، ومعطيات كصفات المخاطبة .¹⁰

8- **تنوير** : ويجب على من أراد حسن التصرف في المعاني ، بعد معرفة ضرورها التي أجملت ذكرها ، أن يعرف وجوه انتساب بعضها إلى بعض . فيقول : إنّه قد يوجد ليكلّ معنى من المعاني التي ذكرتها معنى أو معانٍ تناسبه وتقاربه ، ويوجد له أيضا معنى أو معانٍ تضادّه وتخالفه .¹⁵ وكذلك يوجد لمضادّه في أكثر الأمر معنى أو معانٍ تناسبه . ومن التناسبات ما يكون تناسبه بتجاور الشئيين واصطحابهما واتّفاق موقعيهما من النفس ، ومنه ما تكون المناسبة باشتراك الشئيين في كصفة ، ولا يشترط فيه التجاور ولا الاتّفاق في الموقع من هوى النفس . وما جعل فيه أحد المتناسبين على هذه الصفة مثالا للآخر ومحاكيا له فهو تشبيه .²⁰

9- **إضاءة** : فإذا أردت أن تقارن بين المعاني وتجعل بعضها بإزاء بعض وتناظر بينها فانظر مأخذا يمكنك معه أن تكون المعنى الواحد وتوقعه

في حيزين ، فيكون له في كليهما فائدة ، فتناظر بين موقع المعنى في هذا الحيز وموقعه في الحيز الآخر فيكون من اقتران التماثل ، أو مأخذا يصلح فيه اقتران المعنى بما يناسبه فيكون هذا من اقتران المناسبة ، أو مأخذا يصلح فيه اقتران المعنى بمضادة فيكون / [هذا مطابقة أو مقابلة ، أو مأخذا يصلح فيه اقتران الشيء بما يناسب] (1) مضادة فيكون هذا مخالفة ، أو مأخذا يصلح فيه اقتران الشيء بما يشبهه ويستعار اسم أحدهما للآخر فيكون هذا من تشافع الحقيقة والمجاز .

[4 - أ]

5

10 - تنوير : وقد يكون المأخذ في العبارة المقترن فيها معنياً بأحد هذه الاقترانات على أن يكون كلا المعنيين عمدة في الكلام وركنا يثلم الغرض إزالته . وقد يكون المأخذ فيها على أن يكون أحد المعنيين عمدة والآخر فضلة أو كالفضلة لضروب من التسميات والتعريضات وتحقيق صحة مفهوم أحدهما ببيان الصحة في مفهوم الآخر كمن يقول : العفاف فضيلة كما أن الفسوق رذيلة (2) .

10

11 - إضاءة : وإذا قد عرفنا كيفية التصرف في المعاني التي لها وجود خارج الذهن والتي جعلت بالفرض بمنزلة ما له وجود خارج الذهن فيجب أيضا أن [يشار] إلى المعاني التي ليس لها وجود خارج الذهن أصلا ، وإنما هي أمور ذهنية محصولها صور تقع في الكلام بتنوع طرق التأليف في المعاني والألفاظ الدالة عليها والتقاذف بها إلى جهات من الترتيب والإسناد ، وذلك مثل أن تنسب الشيء إلى الشيء على جهة وصفه به أو الإخبار به عنه أو تقديمه عليه في الصورة المصطلح على تسميتها فعلا أو نحو

20

(1) سطر مطبوس بالأصل أمكن الكشف عنه بمقابلة وجوه الاقتران المذكورة بعضها ببعض .

(2) راجع ارسطو ، (1) ، 172 .

ذلك . فالإتباع والجرّ وما جرى منجراهما معان ليس لها خارج الذهن وجود لأنّ الذي خارج الذهن هو ثبوت نسبة شيء إلى شيء أو كون الشيء لا نسبة له إلى الشيء . فأما أن يقدم عليه أو يؤخر عنه أو يتصرف في العبارة عنه نحوا من هذه التصارييف فأمر ليس وجودها إلّا في الذهن خاصة .

5

12 - **تنوير** : وإذ قد تبينّ هذا فيجب أن نشير إلى ما يحسن اعتماده في التصرف في هذه المعاني الذهنية . وإن تعدّدت في الشيء الواحد بحسب وضعه [و] ترتيبه فالواجب أن يعتمد من تلك الصور المتعدّدة وإن استوت دلالة / ومعنى به يليق (.....) (1) عبارة لا تسدّ مسدّ

[4 - ب]

عبارة في حسن وقع وإن كان مفهومهما واحدا ، لأنّ إحداهما أليق بالموضع 10 وأشدّهما مناسبة لما وقع في جنبتي الكلام المكتنفيتين له أو لما وقع (.....) (2) إحداهما . ويكون هذا التناسب يقع بين المفهومات أو بين المجموعات الدالة عليها .

13 - **إضاءة** : ويحسن أيضا أن يقصد تنويع الكلام من جهة الترتيبات الواقعة في عباراته وفي ما دلّت عليه بالوضع (3) في جميع ذلك 15 والبعد به عن التواطؤ والتشابه ، وأن يؤخذ الكلام من كلّ مأخذ حتى يكون كلّ مستجدّا بعيدا من التكرار ، فيكون أخفّ على النفس وأوقع منها بمحلّ القبول . ويقتدر على هذا بمعرفة كيفيات تصارييف العبارات وهيآت ترتيبها وترتيب ما دلّت عليه ، والبصيرة بضروب تركيباتها

(1) كلمتان مطموستان بالأصل .

(2) كلمة مطموسة .

(3) بالأصل الوضع بلا جر .

وشتى مآخذها ، وبقوة ملاحظات الخواطر لضروب تلك العبارات وأصناف هيئاتها وهيآت ما دلّت عليه ، وللحيل التي تنتظم بها تلك العبارات على الهيآت المختارة لمسلك الوزن باختصار أو حشو أو إبدال لفظة مكان لفظة أو تقديم أو تأخير ، وبسرعة التنبيه للموضع الذي تطابقه 5 العبارة من الوزن في ترتيب الحركات والسكنات فيطبعها في ذلك الموضع ويصلها بما قبلها بزيادة أو نقص أو إبدال أو غير ذلك . وإن اتفق ألا يحتاج في صلتها بما قبلها إلى شيء من ذلك فهو أحسن . ولما كان التصرف في ترتيب العبارات بإزاء التصرف في ترتيب المعاني جعلت هذه الإضاءة الموضحة عن الوجوه التي يجب اعتمادها في جميع ذلك .

10 14 - تسويسر : يشترط في النقلة من بعض هذه المعاني الذهنية إلى بعض أن يكون ذلك غير خارج عن الهيآت التي وقعت للعرب في النقلة من بعض ذلك إلى بعض . ويشترط في المعاني التي خارج الذهن أن ينتقل في أمثلتها الذهنية / (.....) (1) يكون النظر في صناعة البلاغة من جهة ما يكون عليه اللفظ الدال على الصور الذهنية في نفسه 15 ومن جهة ما يكون عليه بالنسبة إلى موقعه من النفوس من جهة هيأته ودلالته ، ومن جهة ما تكون عليه تلك الصور الذهنية في أنفسها ، ومن جهة مواقعها من النفوس من جهة هيئاتها ودلالاتها على ما خارج الذهن ، ومن جهة ما تكون عليه في أنفسها الأشياء التي تلك المعاني الذهنية صور لها وأمثلة دالة عليها ، ومن جهة مواقع تلك الأشياء من النفوس .

20 15 - إضاءة : وقد تقدّم الكلام (2) في ما تكون عليه الألفاظ في أنفسها وبالنظر إلى هيئاتها ودلالاتها وكيفية مواقع تلك الهيآت بدلالاتها

(1) محروطين مقدار ثلاث كلمات .

(2) إشارة إلى بعض موضوعات القسم الأول المفقود .

من النفوس . وبقي الآن أن نتكلّم في المعاني الذهنيّة وفي بعض ما يحتاج إليه في هذه الصناعة ممّا يتعلّق بالأشياء التي تلك المعاني الذهنيّة صور لها ممّا تكون عليه تلك الأشياء وما تكون عليه صورها ، ومن جهة مواقعها من النفوس . وكونها ممّا يستميل النفس أو ينفرّها لكونها ملائمة لها أو منافرة . أو بإيهام النفس ذلك فيها بتخييل شعريّ أو إقناع خطابيّ ٥ وما يكون فيه معونة على تقويّة ذلك .

16 - تنوير : وأنا أدرج تفاصيل هذه الجملة في ما أشرعه إثر هذا من المعالم والمعارف بحسب ما يتوجّه إليه النظر في معلم معلم ومعرف معرف من ذلك . لتعرف بذلك الطرق الصحيحة في اعتبار ما تكون عليه أحوال المعاني الذهنيّة وما هي أمثلة له بالنظر إلى ما يستحسن في كلّ 10 مذهب من مذاهب هذه الصناعة وما لا يستحسن من ذلك . وقد سلكت من التكلّم في جميع ذلك مسلكاً لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة لصعوبة مراعاة وتوعّر سبيل التوصل إليه . هذا على أنّه روح الصنعة وعمدة البلاغة . وعلى هذا جريت في أكثر ما تكلمت به فيما عدا هذا القسم من أقسام الكتاب . فإنّي رأيت الناس / لم يتكلموا إلّا في بعض ظواهر ما 15 اشتملت عليه تلك الصناعة ، [فتجاوزت أنا تلك الظواهر] بعد التكلّم في جمل مقنعة ممّا تعلّق بها إلى التكلّم في كثير من خفايا هذه الصنعة ودقائقها على حسب ما تقدّم وما يأتي إن شاء الله .

[5 - ب]

ب - معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء وجود المعاني .

20 إنّ المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان . فكلّ شيء له وجود خارج الذهن فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه ، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنيّة الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبّر به هيئة تلك الصورة الذهنيّة في

أفهام السامعين وأذهانهم . فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ . فإذا احتسب إلى وضع رسوم من الخطّ تدلّ على الألفاظ من لم يتهيأ له سماعها من المتلقّظ بها صارت رسوم الخطّ تقيم في الأفهام هيآت الألفاظ فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخطّ على الألفاظ الدالة عليها .

١ - إضاءة : قد تبين أن المعاني لها حقائق موجودة في الأعيان ولها صور موجودة في الأذهان ولها من جهة ما يدلّ على تلك الصور من الألفاظ وجود في الأفهام . ولها وجود من جهة ما يدلّ على تلك الألفاظ من الخطّ يقيم صور الألفاظ وصور ما دلت عليه في الأفهام والأذهان .

٢ - تنوير : وقد تقدّم الكلام في كثير ممّا يجب معرفته من المعاني من حيث توجد في الألفاظ (١) . وبقي أن نتكلّم الآن فيها من حيث توجد في الأذهان ، وأن نشفع ذلك بذكر بعض ما يتعلق بها من جهة وجودها خارج الذهن ممّا يتأكد معرفته في هذه الصناعة ، وأن نستدرك ما أعلنّا لم نذكره ممّا يتعلق بجهة وجودها في الألفاظ (٢) . فأما الوجود الذي لها من جهة الخط فليس نتكلّم فيه / من مبادئ هذه الصناعة .

[٦ - أ]

ج - نعلم دالّا على طرق العلم بكليات مواقع المعاني من النفوس من جهة ما تكون قويّة الانتساب إلى طرق الشعر المألوفة والأغراض المعروفة عند جمهور من له فهم بالطبع ، أو ضعيفة الانتساب إلى ذلك .

٢٠ لما كان (٣) علم البلاغة مشتملا على صناعتي الشعر والخطابة وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخيل والإقناع

(١) إشارة إلى بعض موضوعات القسم الأول المفقود من النهاج.

(٢) إشارة إلى موضوعات القسم الأول .

(٣) فعل لما وبعده المطفوات عليه .

وكان لسلطتهما أن تخيل وأن تقنع في شيء شيء من الموجودات الممكن أن يحيط بها علم إنساني وكان القصد في التخيل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده وكانت النفس إنما تتحرك لفعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن واحد واحد من الفعل وانطلب والاعتقاد بأن يخيّل لها أو يوقع في غالب ظنّها أنّه خير أو شرّ 5 بطريق من الطرق التي يقال بها في الأشياء إنّها خيرات أو شرور -

- ١ - إضاعة : والأشياء التي يقال فيها إنّها خيرات وشرور أو يتوهّم أنّها كذلك منها أمور يشترك في معرفتها وإدراكها الخاصة والجمهور ومنها أمور يتفرد بإدراكها ومعرفتها الخاصة دون الجمهور - وكانت علاقة جلّ أغراض الناس وآرائهم بالأشياء التي اشترك الخاصة والجمهور في 10 اعتقادهم أنّها خير أو شرّ . وكان أحقّ تلك الأشياء بأن يميل الناس إليها أو ينفروا عنها الأشياء التي فطرت النفوس على استلذاذها أو التألم منها أو حصل لها ذلك بالاعتقاد . وجب (١) أن تكون أعرق المعاني (2) في الصناعة الشعرية ما اشتدت علاقته بأغراض الإنسان وكانت دواعي آرائه متوفرة عليه . وكانت نفوس الخاصة والعامة قد اشتركت في الفطرة على 15 الميل / إليها أو النفور عنها أو من حصول ذلك إليها بالاعتقاد . ووجب أن يكون ما لم تتوفر دواعي أغراض الإنسان عليه وما انفرد بإدراكه المكتسب الخاصة دون الجمهور غير عريق في الصناعة الشعرية بالنسبة إلى المقاصد المألوفة والمدارك الجمهوريّة .
- [6 - ب]

(1) هذه الكلمة وما بعدها إلى آخر الإضاعة جواب لما في ما كان عدم البلاغة ، المفتوحة بها المعلم .

(2) بالأصل لا معاني .

2- **تنوير** : فأما بالنظر إلى حقيقة الشعر فلا فرق بين ما انفرد به الخاصة دون العامة وبين ما شاركوهم فيه ، ولا ميزة بين ما اشتدت علقته بالأغراض المألوفة وبين ما ليس له كبير علاقة إذا كان التخييل في جميع ذلك على حد واحد ، إذ المعتبر في حقيقة الشعر إنما هو التخييل والمحاكاة في أي معنى اتفق ذلك . 5

3- **إضاءة** : ولنبيّن الآن الطرق التي بها تكون علاقة المعاني بالأغراض المألوفة عند الجمهور أكيدة وكيف لا تكون علقته بذلك متأكدة .

فأقول : إن الأقاويل المخبلة لا تخلو من أن تكون المعاني المخبلة فيها مما يعرفه جمهور من يفهم لغتها ويتأثر له ، أو مما يعرفه ولا يتأثر له ، أو مما يتأثر له إذا عرفه ، أو مما لا يعرفه ولا يتأثر له لو عرفه . وأحق هذه الأشياء بأن يستعمل في الأغراض المألوفة من طرق الشعر ما عرف وتؤثر له ، أو كان مستعداً لأن يتأثر له إذا عرف وكان في قوة كل واحد من جمهور من جبلته في الفهم صالحة أن يتصور ذلك إذا عُرِف به وذلك كالأخبار التي يحيل عليها الشعراء . 15

4- **تنوير** : وأحسن الأشياء التي تُعرف ويُتأثر لها أو يتأثر لها إذا عرفت هي الأشياء التي فطرت النفوس على استلذاذها أو التآلم منها أو ما وجد فيه الحلال من اللذة والألم كالذكريات للعهود الحميدة المتصرمة التي توجد النفوس تلتذ بتخيّلها وذكرها وتتآلم من تقضيها وانصرامها . فإذن طرق الشعر إذا (.....) (1) في ثلاث جهات : إما أن تكون مفرحة محضة يذكر فيها لقاء الأحبة في حال 20

(1) بياض في الأصل مقدار كلمتين .

[7 - أ]

وحوده واجتلاء الرّوض والماء وما ناسبهما والتنعم بمواطن السرور ومجالس
الأنس . وإمّا أن تكون / [مفعلة] يذكر فيها التفرّق والتوحّش وما
ناسب ذلك وبالجملة أضداد المعاني المفرحة المنعمة ، وإمّا أن تذكر فيها
مستطابات قد انصرفت فيلتذّ لتخيّلها ويتألّم لفقدائها فتكون طريقة
شاجية . واستقصاء القول في هذا يجيء في القسم الرابع (1) ولعلّي أن
أدرج أيضا في هذا القسم فصل بيان لذلك .

5 - إضساءة : فما فطرت نفوس الجمهور على استشعار الفرح منه
والحزن أو الشجو أو حصل لها ذلك بالعادة هو المعتمد في الأغراض المألوفة
في الشعر والمبني عليه طرقها . وما لم توجد نفوسهم مفضورة عليه من ذلك
بما اعتادته فإنما تقع في الأغراض المألوفة بحسب التبعيّة لما كانت مفضورة
عليه أو معتادة له . وذلك بأن يستدرج ممّا وجد في النفس بحسب الجبلة
والعادة إلى ما وجد بالكسب والاستفادة . وتذكر هذه على أنّها أمثلة
لتلك إذا كان بينهما شبه فتحاكى بها ، وتكون المحاكاة إذ ذاك بعيدة عن
التأثير . فلذلك لا يحسن إيراد مثل هذه الأقاويل في الأغراض المألوفة من
الشعر ولا يحسن أن تحاكي الأشياء العريضة في الشعر التي اشترطنا فيها
الشروط المتقدّمة إلّا بمثلها ممّا توجد فيه تلك الشروط .

6 - تنوير : فالتصورات التي في فطرة النفوس ومعتقداتها العادية
أن تجد لها فرحا أو ترحا أو شجوا هي التي ينبغي أن نسمّيها التصورات
الأصليّة . وما لم يوجد ذلك لها في النفوس ولا معتقداتها العادية فهي
التصورات الدخيلة ، وهي المعاني التي إنّما يكون وجودها بتعلّم وتكسّب
كالأغراض التي لا تقع إلّا في العلوم والصناعات والمهن . فالمعاني المتعلقة

(1) انظر ٤ ، منهج 3 ، ف ب ج ، 356 - 360 .

- بهذه الطرق الخاصة ببعض الجماهير لا تحسن في المقاصد العامة المألوفة التي ينحى بها نحو ما يستطيعه الجمهور أو يتأثرون له بالجملة . فإذا استعملت فيها فإنها معيبة لكونها دخيلة في الكلام بحسب الغرض . وإتاما تكون أصيلة في الشعر إذا كان غرض الكلام مبنيا على محاكاتها وإيقاع / التخيل فيها بالقصد الأول . فإنّ للشاعر أن يبنى كلامه على تخيل شيء من الموجودات ليسط النفوس له أو يقبضها عنه . ولا يكون كلامه في ذلك معيبا إذا كان الغرض مبنيا على ذلك . فأما إذا لم يكن قصده بنية الكلام على تخيل ما لا يعرفه الجمهور ولا تتأكد علقته بالأغراض . ولكن يورد ذلك على سبيل التبعيّة على جهة من المحاكاة أو غير ذلك ، فإنّ ذلك غير أصيل في الشعر ، ويكون الكلام معيبا بذلك .

7- إضاعة : والمعاني الشعرية منها ما يكون مقصودا في نفسه بحسب غرض الشعر ومعتمدا لإيراده ومنها ما ليس بمعتمد لإيراده ولكن يورد على أن يحاكي به ما اعتمد من ذلك أو يحال به عليه أو غير ذلك . ولنسمّ المعاني التي تكون من متن الكلام ونفس غرض الشعر المعاني الأوّل ، ولنسمّ المعاني التي ليست من متن الكلام ونفس الغرض واسكنها أمثلة لتلك أو استدلالات عليها أو غير ذلك لا موجب لإيرادها في الكلام غير محاكاة المعاني الأوّل بها أو ملاحظة وجه يجمع بينهما على بعض الهيآت التي تتلاقى عليها المعاني ويصار من بعضها إلى بعض المعاني الثواني . فتكون معاني الشعر منقسمة إلى أوائل وثوان (1) .

8- تنوير : وحقّ الثواني أن تكون أشهر في معناها من الأوّل لتستوضح معاني الأوّل بمعانيها الممثّلة بها ، أو تكون مساوية لها لتفيد

(1) انظر محمد الطاهر ابن عاشور : 56 .

تأكيدا للمعنى . فإن كان المعنى فيها أخفى منه في الأول قَبَّحَ إيراد
الثواني لكونها زيادة في الكلام من غير فائدة ؛ فهي بمنزلة الحشو غير
المفيد في اللفظ ، ولتناقض المقصد الشعري في المحاكاة والتخييل يكون
إتباع المشتهر بالخفي حيث يقصد زيادة المشتهر شهرة أو تأكيد ما فيه
من الاشتهار مناقضا للمقصد من حيث كان الواجب في المحاكاة أن يتبع
الشيء بما يفضل في المعنى الذي قصد تمثيله به أو يساويه أو لا يبعد عن
مساواته ، وهي أدنى مراتب المحاكاة .

[8 - أ]

فالأوّل هي التي يكون مقصد الكلام / وأسلوب الشعر يقتضيان ذكرها
وبنية الكلام عليها . والثواني هي التي لا يقتضي مقصد الكلام وأسلوب
الشعر بنية الكلام عليها .

10

9 - إضاءة : ومن المتصورات ما يليق بحقيقة مقاصد الشعر
المألوفة وأغراضه المتداولة ، وتصلح أن تورد فيها أوائل وثواني ؛ ومنها
ما لا يليق بها ولا يصلح فيها أن تورد أوائل ولكن تورد ثواني على ما
تقدّم ذكره . فالتّي يصلح أن تورد أوائل وثواني هي ما تعلق المتصور فيه
بشيء معروف عند الجمهور من شأنهم أن يرتاحوا إليه أو يكثرثوا له ،
كان ذلك الشيء مدركا بالحوس أو بغيره .

15

والتي لا يصلح أن تورد أوائل وتورد ثواني هي ما تعلق التصور فيها
بحقيقة شيء لا تعم معرفته جميع الجمهور .

10 - تنوير : فالأصيل في الأغراض المألوفة في الشعر من هذين
الصنفين ما صلح أن يقع فيها أولا وثانيا متبوعا وتابعا ، لأنّ هذا يدلّ
على شدّة انتسابه إلى طرق الشعر وحسن موقعه منها على كلّ حال . وهي

20

المعاني الجمهوريّة . ولا يمكن أن يتألف كلام بديع عال في الفصاحة إلاّ منها .

والصنف الآخر وهو الذي سميّناه بالدخيل لا يتألف منه كلام عال في البلاغة أصلاً إذ من شروط البلاغة والفصاحة حسن الموقع من نفوس الجمهور⁵ ، وذلك غير موجود في هذا الصنف من المعاني . وأيضاً فإنه لا يقع في أغراض الشعر المألوفة إلاّ ثا [نيا وتابعا] . ومن تتبّع المعاني الواقعة في الشعر التي مرادها ما ذكرت ، وكان له أدنى حظّ من البلاغة ، واعتبر كلاماً منها بالقوانين الموضوعية في أصول البلاغة ، علم صحّة ما قلته . وأنا أقرب على من لم يشدّ شيئاً من علم البلاغة مرام التوصل إلى صحّة ما ذكرته ، بأن يتتبّع في كتب الآداب والبلاغة مذاهب العلماء بالشعر في أيّ بيت – قالته الشعراء من المتقدمين والمحدثين – أو شعر في كلّ طريق من طرق الشعر التي منها النسيب والمديح والرثاء والهجاء . فإنه لا يجد موادّ ما نصّ على فضله إلاّ من المعاني التي ذكرت أنها تقع أوّلاً / وثواني ، ولا يجد فيها من الموادّ التي ذكرت أنها لا تقع إلاّ ثواني شيئاً البتّة . ولو (1) لم يكن في ذلك إلاّ أنّ البصراء بهذه الصناعة ، كأبي الفرج قدامة وأضرابه (2) قد نصّ جميعهم على قبح إيراد المعاني العلميّة والصناعيّة والعبارات المصطلح عليها في جميع ذلك ، ونهوا عن إيراد جميع ذلك في الشعر .

[8 – ب]

(1) جواب لو يتصيد من بقية الكلام .

(2) مثل قدامة في هذا ابن سنان الخفاجي حيث قال : « ومن وضع الألفاظ موضعها : أن لا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنشور من الرسائل والخطب ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم والألفاظ التي تختص بها أهل المهن والعلوم » . انظر 159 ، س 5 – 7 .

وسياتي في ما أذكره بعد (1) ، في هذا القسم إن شاء الله ، ما يؤكد صدق القول وصحة المذهب في تقبيح تلك المعاني بالنسبة إلى الأغراض المألوفة في الشعر .

- 11 - **إضاعة** : وإنما احتجت إلى هذا لأنّ الطباع منذ اختلت ، والأفكار منذ قصّرت . والعناية بهذه الصناعة منذ قلت ، وتحسين كلّ 5 من المدّعين صناعة الشعر ظنّه بطبعه . وظنّه أنّه لا يحتاج في الشعر إلى أكثر من الطبع (2) . وبنيت على أنّ كلّ كلام مقفّى موزون شعر . جهالة منه : أنّ الطباع قد تداخلها من الاختلال والفساد أضعاف ما تداخل الألسنة من اللحن ؛ فهي تستجيد الغث وتستغثّ الجيّد من الكلام ما لم تقمع بردها إلى اعتبار الكلام بالقوانين البلاغية . فيعلم بذلك ما يحسن 10 وما لا يحسن .

- ولا شكّ أنّ الطباع أحوج إلى التقويم في تصحيح المعاني والعبارات عنها من الألسنة إلى ذلك في تصحيح مجاري أواخر الكلام ، إذ لم تكن العرب تستغني بصحة طباعها وجودة أفكارها عن تسديد طباعها وتقويمها باعتبار معاني الكلام بالقوانين المصحّحة لها ، وجعلها ذلك علما 15 تتدارسه في أنديتها ويستدرك به بعضهم على بعض وتبصير بعضهم بعضا في ذلك . وقد نقل الرواة من ذلك الشيء الكثير لكنّه مفرّق في الكتب (3) ، لو تبتّعه متتبّع متمكّن من الكتب الواقع فيها ذلك لاستخرج منه علما كثيرا موافقا للقوانين التي وضعها البلغاء في هذه الصناعة .

(1) انظر الفقر 17 ، 18 ، 19 من هذا الملمع .

(2) انظر ق. 3 ، منهج 1 ، ف . أ ، 199 ؛ محمد الطاهر ابن عاشور ، 82 .

(3) ابن عبد ربّه ، 99 ، وما بعدها ؛ المرزباني ، 29 ، 46 ، 59 ونحوها .

12 - تنوير : وكيف يظنّ ظانّ أن العرب ، على ما اختصّت به من جودة الطبع لنشئهم على الرياضة واستجداد المواضع وانتجاع / الرياض العواذب فضلا عن هذه الطباع التي داخلها الفساد منذ زمان واستولى عليها الخلل ، كانت تستغني في قولها الشعر الذي هو بالحقيقة شعر ونظمها القصائد التي كانت تسميها أسماط الدهور عن التعليم والإرشاد إلى كميّات المباني التي يجب أن يوضع عليها الكلام ، والتعريف بأنحاء التصرف المستحسن في جميع ذلك ، والتنبيه على الجهات التي منها يداخل الخلل المعاني ويقع الفساد في تأليف الألفاظ والمعاني .

[9 - أ]

وأنت لا تجد شاعرا مجيدا منهم إلاّ وقد لزم شاعرا آخر المدة الطويلة ، وتعلّم منه قوانين النظم ، واستفاد عنه الدربة في أنحاء التصارييف البلاغية . فقد كان كثير أخذ الشعر عن جميل ، وأخذه جميل عن هذبة ابن خشرم ، وأخذه هذبة عن بشر بن أبي خازم ؛ وكان الخطيئة قد أخذ علم الشعر عن زهير . وأخذه زهير عن أوس بن حجر ، وكذلك جميع شعراء العرب المجيدين المشهورين . فإذا كان أهل ذلك الزمان قد احتاجوا إلى التعلّم الطويل فما ظنّك بأهل هذا الزمان ، بل أية نسبة بين الفريقين في ذلك ؟ !

13 - إضاءة : وأنت تجد الآن الحريص على أن يكون من أهل الأدب المتصرفين في صوغ قافية أو فقرة من أهل زماننا يرى وصمة على نفسه أن يحتاج مع طبعه إلى تعليم معلّم أو تبصير مبصّر . فإذا تأتّى له تأليف كلام مقفّى موزون ، وله القليل الغث منه ، بالكثير من الصعوبة ، بأيّ وشمخ ، وظنّ أنّه قد سامى الفحول وشاركهم ، رعونة منه وجهلا ، من حيث ظنّ أن كلّ كلام مقفّى موزون شعر . وإنّ مثله في ذلك مثل أعمى أنس قوما يلقطون درا في موضع تشبه حصباؤه الدرّ في المقدار

20

[9 - ب]

والهيئة والملمس . فوقع بيده بعض ما يلقطون من ذلك فأدرك هيأته ومقداره وملمسه بحاسة لمسه . فجعل يعني نفسه في لقط الحصباء على أنها درّ . ولم يدر أن ميزة الجوهر وشرفه إنما هو بصفة أخرى غير التي أدرك . وكذلك ظنّ هذا أن الشعرية في / الشعر إنما هي نظم أي لفظ اتفق كيف اتفق نظمته وتضمينه أي غرض اتفق على أي صفة 5 اتفق ، لا يعتبر عنده في ذلك قانون ولا رسم موضوع . وإنما المعتبر عنده إجراء الكلام على الوزن والنفاذ به إلى قافية . فلا يزيد بما يصنعه من ذلك على أن يبدى عن عواره . ويعرب عن قبس مذهب في الكلام وسوء اختياره .

14 - تنوير : وإنما احتجت إلى الفرق بين المواد المستحسنة في 10 الشعر والمستقبحة وترديد القول في إيضاح الجهات التي تقبح وإلى ذكر غلط أكثر الناس في هذه الصناعة لأرشد من لعل كلامي يحلّ منه محلّ القبول من الناظرين في هذه الصناعة إلى اقتباس القوانين الصحيحة في هذه الصناعة ، وأزع كل ذي حجر عما يتعب به فكره ويصم شعره .

15 - إضاءة : واعلم أن من المعاني المعروفة عند الجمهور ما لا 15 يحسن إيرادها في الشعر . وذلك نحو المعاني المتعلقة بصنائع أهل المهن لضعفها . [فإن غالب] عباراتهم لا يحسن أن تستعار ويعبر بها عن معان تشبهها لأنها مزيلة لطلاوة الكلام وحسن موقعه من النفس .

16 - تنوير : ومن المعاني التي ليست بمعروفة عند الجمهور ما 20 يستحسن إيرادها في الشعر ، وذلك إذا كان مما فطرت النفوس على الحنين إليه أو التألم منه . وبالجمل على ما تتأثر له النفس تأثر ارتياح أو اكتراث بحسب ما يليق بغرض غرض من ذلك ، وكان من أوائلها الأميلة

أو ما يناسبها مما هو بها شديد التعلق ، ومن شأنه أن يستطرد منه إليها أبدا كأوصاف البروق . هذا إذا كان في قوة جميع الجمهور أن يعرف المعنى الذي بهذه الصفة إذا أُلقي إليه كيفية وقوعه في الوجود ويستحسنه بعد المعرفة ، وذلك كالأحالات على الأخبار القديمة المستحسنة وطرف التواريخ المستغربة . فإنها حسنة الموقع من النفوس وفي قوة جميع الناس أن يحصلها إذا أُلقيت إليه . فيحسن أن يورد في الشعر ما اشتهر من هذا / القبيل . ويعبر عنه بحسان العبارات حتى يعرف الخبر منه مفصلاً (.....) (١) . ومن قصر عن تفهم شيء من ذلك لم يعوزه وجدان من يفهمه إيتاه . كما أن اللفظ المستعذب وإن كان لا يعرفه جميع الجمهور مستحسن إيراد في الشعر لأنه مع استعذابه قد يفسر معناه ، لمن لا يفهمه . ما يتصل به من سائر العبارة . وإن لم يكن في الكلام ما يفسره لم يعوز أيضا وجدان مفسره لكونه مما يعرفه خاصة الجمهور أو كثير منهم . والإتيان بما يعرف أحسن .

[10 - أ]

17 - إضاعة : وليس الأمر في ما ذكرته كالأمر في المسائل العلمية .

15 فإن أكثر الجمهور لا يمكن تعريفهم إيتاها . مع أن أحدهم إذا أمكن تعريفه إيتاها لم يجد لها في نفسه ما يجد للمعاني التي ذكرنا أنها العريقة في طريقة الشعر . لكون تلك المعاني المتعلقة بإدراك الذهن ليس الحسن والقبح والغرابة واضحا فيها وضوحه في ما يتعلق بالحس . وأيضا فإن المعاني التي تتعلق بإدراك الحس هي التي تدور عليها مقاصد الشعر ، وتكون مذكورة فيه لأنفسها . والمعاني المتعلقة بإدراك الذهن ليس لمقاصد الشعر حولها مدار . وإنما تذكر بحسب التبعية للمتعلقة بإدراك الحس لتجعل

(١) كلمة مطبوعة بالأصل .

أمثلة لها ، أو ينظر حكم في تلك بحكم في هذه ، فيكون التمثيل والتنظير
فيهما من قبيل تمثيل الأشهر بالأخفى وتنظير الأظهر بالأخفى . وهذه الحال
في التمثيل والتنظير مناقضة للمقصود بهما ، إذ المقصود بهما محاكاة الشيء
بما النفوس له أشدّ انفعالا حيث يقصد بسطها نحو شيء أو قبضها عنه .
وأیضا فإنّ المسائل العلميّة يستبرّد إيرادها في الشعر أكثر الناس ولا
يستطيع وقوعها فيه إلاّ من صار من شدّة ولوعه بعلم ما ، بحيث يتشوّف
إلى ذكر مسائل ذلك العلم ، ويحبّ إجراءها ولو في المواطن التي لا تليق
بها ولا تقبلها البتّة لكون التفرّغ الكلّي لراحة والأنس والتفرّج أو ضدّه
ذلك قد حجّر ذكرها . وأكثر / الناس يستبرّدون ذكر الشيء من ذلك . [10 - ب]
حيث لا يليق : استبرادهم قول القائل (1) : «والله إن كانت إلاّ أُثَيَاباً»
في أُسَيْفَاط قبضها عشّاروك» في الوطن الذي قالها .

18 - تنوير : وإنّما يورد المعاني العلميّة في كلامه من يريد التمويه
بأنّه شاعر عالم (2) . وقد بينّا أنّه فعل تقيض ما يجب في الشعر . فلم
يثبت له أنّه قال شعرا إلاّ عند من لا علم له . وأمّا العلم فلا يثبت أيضاً
للشاعر بأن يودع شعره معاني منه (3) . فليس يبعد على الناظم إذا كان قد

(1) هو عيسى بن عمر ، قاله لابن هبيرة وهو يضرب بالسياط بين يديه . وردت قصة ذلك بالفاظ
مختلفة . انظر : اللسان ، مادة عشر ، ٦ ، 246 ، التاج ، ٣ ، 401 ، ابن
الانباري ، 12 ، الزبيدي ، 37 ، السيوطي : البغية ، 270 ، القفطي ، ٢ ، 374 .

(2) مما نحن بصدده قول الأرجاني :
أنا أشعر الفقهاء غير مدافع في العصر ، لا بل أفقه الشعراء
الصفدي : الفيت ، 1 ، 123 س 18 .

(3) إلى هذا يشير بعضهم بقوله :
هو في الفقه شاعر لا يسأري وهو في الشعر أوحّد الفقهاء
لا إلى هؤلاء إن طلبوه وجسّدوه ولا إلى هؤلاء
الصفدي : الفيت ، 1 ، 123 ، 20 - 21 .

تصوّر مسائل من علم وإن قلت أن يعلّقها ببعض معاني شعره ويناسب بينها وبين بعض مقاصد نظمه .

19 - إضاءة : ومن كان مقصده أيضا أن يظهر أنّه مقتدر على المناسبة بين المتباعدين وأن يغطّي بحسن تأليفه ووضعته على ما بينهما من التباين بعض التغطية ، فإنّه يكادّ خاطره في ما لا تظهر فيه صناعته ظهورها في غيره ، ولا يتوصّل بعد ذلك إلى الغرض المقصود بالشعر من تحريك النفوس . فأولى بمن هذه صفته أن يجعل موضوع صنعته ما يتضح فيه حسن صنعته ويكون له تأثير في النفوس وتحريك لها وحسن موقع منها من أن يجعل موضوع صنعته ما لا يدلّ ، مع كونه لا يحرك الجمهور ولا يتضح فيه إبداع الصنعة ، دلالة قاطعة . فقد يمكن أن يتدرّب إنسان في المناسبة بين بعض الأغراض المقولة في الشعر وبين بعض المعاني العلمية . وتحصل له بمزاولة ذلك والحنكة فيه درجة لا تكون له في تأليف معاني الشعر المحضة والمناسبة بين بعضها وبعض . وقد يمكن أيضا أن يقع ذلك له اتّفاقا في بعض المواضع من غير أن تكون له تلك قوّة مستمرة في غير ذلك من شعره . فقد بان أنّ مستعمل هذه المعاني العلمية في شعره يسيء الاختيار . مستهلك لصنعته ، مصرّف فكره في ما غيره أولى به وأجدى عليه . والولع بنظم هذه المسائل العلمية في الشعر (.....)

(1) (.....)

20 / (.....) (2) التي يتصوّر بها الغرض في تلك المعاني الخارجة عن الذهن على أكمل ما ينبغي وأشدّه مناسبة للنفس . [11 - أ]

(1) هنا نقص : مقدار ورقة ناقصة من الأصل بين 10 و 11 .

(2) كلمة مطبوعة بالأصل .

فهذه لمحة إجمالية ترشد إلى جهات اقتباس المعاني ، وإلى الأنحاء التي تستحسن في تأليفها واقتترانها والنقطة من بعضها إلى بعض . ومنع من تفصيل ذلك الاضطرارُ معه إلى الإطالة الكثيرة . فليستول الناظر تفصيل ذلك بنفسه ، فإنه مفيد في هذه الصناعة . وبالله الاستعانة على كلِّ محاول ، وبه التوفيق .

5

د - معرف دال على طرق المعرفة

بكيفيات تركيب المعاني وتضاعفها .

إنَّ المعاني قد تكون مفردة الأجزاء ومتضاعفتها . وقد يكون بعض أجزائها مفردا وبعضها مضاعفا . وذلك بحسب تعدد الأفعال الواقعة في المواطن التي يعبر عما وقع فيها أو اتحاده . وبحسب تعدد ما تستند إليه تلك الأفعال أو اتحاده ، وبحسب تعدد ما تتوجه لطلبه من المفعولات أو اتحاده .

وما يتركب من جهة التعدد والاتحاد في جميع ذلك ، واقتتران كل واحد من الأفعال وما تستند إليه ، وما تطلبه بالآخر على حال موافقة له في التعدد والاتحاد أو مخالفة ، تنقسم (1) ثمانية أقسام : 1 - متحد الفاعل ، متحد المفعول ، متعدد الفعل 2 - أو متعدد الفاعل والمفعول ، متحد الفعل 3 - أو متحد الفعل والفاعل ، متعدد المفعول 4 - أو متحد الفعل ، متعدد الفاعل والمفعول 5 - أو متحد المفعول ، متحد الفعل ، متعدد الفاعل 6 - أو متحد المفعول ، متعدد الفاعل والفعل 7 - أو متحد الجميع 8 - أو متعدد الجميع .

20

(1) المعاني التي تتركب من جهة التعدد والاتحاد الخ . وقد عبر عنها أول الجملة بما الموصولة .

ويحتاج الشاعر أن يكون متنبهاً لصور التقسيمات والتفصيلات والتقطيعات التي تدرج في هذه الجملة ، ويحسن صوغ الكلام عليها وتفصيله إليها ، ومتهدياً / إلى المآخذ المستحسنة في جميع ذلك . [11 - ب]

٥ ١ - إضاءة : وهذه الأفعال المشتركة فيها قد يكون وضعها على أن يصل من الشيء إلى غيره مثل ما وصل إليه من غيره ، وقد يتسلسل هذا . ولا ينبغي أن يتجاوز في ذلك المقدار الذي توجب مقاييس البلاغة الوقوف عنده . وقد تقدم ذلك في القسم الأول (١) . ويكون التسلسل أيضاً في الأفعال المتعددة للمرفوعات المتعددة على هذا النحو . ولا تحسن الإطالة في ذلك . بل يجب أن يحتال في تفصيل الكلام إلى مقادير لا تسلسل فيها .

١٠ ٢ - تنوير : وقد يشترك الشئان أيضاً في فعل ويكون كلاهما متوجهاً لفعل الآخر . وهذا إذا كان في قضية واحدة خففوا بعض ما يقع فيه من التكرار بالكناية والحذف . فإذا كان في قضايا كثيرة تضاعف المقدار الباقي من التكرار بعد الكناية والحذف ، فلم يحسن ذلك ، على أنه قد يقع فيعدل إذ ذاك عن العبارة التي وقع فيها التكرار - بكونها جملتين ١٥ يلزم في إحداها ذكر ما في الأخرى - إلى عبارة مفردة تفيد ما تفيده تلك . وهي صيغتا تفاعل وفاعل نحو تضارب وضارب . فحينئذ لا يثقل تضاعف المعاني التي بهذه الصفة .

٢٠ ٣ - إضاءة : وقد يكون الكلام المؤلف من معان كثيرة مما ذكر للأفعال فيه مفعولات ؛ وقد يكون مما لا ذكر فيه لذلك ؛ وقد يكون مؤلفاً من النوعين .

(١) الإحالة سبقت في ٢ ، ف . ١ ، ف . ١٥ .

فأما ما تعددت فيه الأفعال ومرفوعاتها ومنصوباتها وتباينت فيحتاج إلى أن يناسب بين المعاني الواقعة بهذه الصفة في وضع عباراتها وتفصيلها إلى مقادير وصور تكون متلائمة الوضع متناسبة التفصيل ليقع في الكلام بذلك خفة وتناسب .

- 4 - تنوير : فأما ما تلازمت فيه المعاني وارتبطت فطالت فلا يحسن 5
تضاعفها إلا بعد اقتضاب العبارات وتصييرها إلى صيغ مختصرة . وكلما
اختلفت جهات الصيغ ، في ما لم يذهب به / مذهب مناظرة أو تقسيم أو
ما ناسب ذلك ، كان أحسن . [12 - أ]

- 5 - إضاءة : وتحسن للكلام ، أيضا بحسب نسب بعض المعاني
الواقعة فيه من بعض . من جهة مواقعها في زمان أو مكان ووضع بعضها في 10
ذلك من بعض . ومن جهة التقاذف بالعبارات إلى تلك الأنحاء . صور آخر
ربما وجد مثلها في ما تقدم وربما لم يوجد ؛ لأن الشيء يقع مع الشيء
في زمان أو مكان أو يقع بناحية منه وفي زمان غير زمانه متقدم عليه أو
متأخر عنه . وقد تكتسب الشيء أشياء من جميع نواحيه . وكذلك تقع
مكتنفاته في الزمان سابقة له وتالية . وتترتب في القرب والبعد ، في الزمان 15
والمكان من أقرب ما يمكن إلى أقصى ما يمكن . وقد يقع الشيء في جميع
نواحي الشيء في مرار عدة ، أو بأن يكون شيئا يعم جهاته وكذلك في
الزمان . ويتركب من هذه الأحوال شتى صور من الكلام . وتكون المعاني
الواقعة بهذه الاعتبار بحسب ما قدمته من تعدد الأفعال وتعدد
مرفوعاتها ومنصوباتها أو اتحاد جميع ذلك أو اتحاد بعض من ذلك وتعدد 20
بعض (1) . فتضاعف صور المعاني بذلك . تضاعفا يعزّ إحصاؤه . والتركيبات

التي تتنوع بها هيآت العبارات وما تحتها من المعاني من جهة مواقع بعض المعاني من بعض في الأزمنة والأمكنة على ما تقدم راجعة إلى المعاني التي تقدم التعريف بأنها تقع تحدييدات في الأزمنة والأمكنة . وكثيرا ما يتأتى في هذه التركيبات تقسيم الكلام وتفصيله إلى مقادير متعادلة متناسبة .

- 5 6- تنوير : وتضاعف صور العبارات بما يوقع في معانيها من تحدييدات ترجع إلى ما تكون عليه في نفوسها . من كونها عامة أو خاصة . كلية أو جزئية . وتضاعف أيضا بحسب الأحكام الواقعة في المعاني بعد تحدييداتها ، من نفي وإثبات ومساواة أو ترجيح أو غير ذلك . ومن جهة كيميآت المخاطبات في المعاني / وكون ذلك يكون تأدية أو اقتضاء [12 - ب]
- 10 ونحو ذلك . وكل واحد من هذه (.....) (1) له صيغ شتى يعبر بها عنه ، فمع أن المعاني تتضاعف صورها بحسب ما تقدم فإن هذه الأشياء أيضا مما تتضاعف بها الصيغ والعبارات عن تلك المعاني فيؤدي تنوع صور المعاني والعبارات - بجميع ذلك وبما قد ذكر أيضا في غير هذا الموضع من هذا الكتاب مما تتكاثر به صور المعاني - إلى
- 15 وقوع المعاني على هيآت وصور يعز حصرها ولا يتأتى استقصاؤها لكثرتها . وإنما يعرف صحتها من خللها أو حسننها من قبها بالقوانين الكلية التي تنسحب أحكامها على صنف صنف منها ، ومن ضروب بيانها . ويعلم من تلك الجمل كيفية التفصيل . ولا بد مع ذلك من الذوق الصحيح والفكر المائز بين ما يناسب وما لا يناسب وما يصح وما لا يصح بالاستناد
- 20 إلى تلك القوانين على كل جهة من جهات الاعتبار في ضروب التناسب وغير ذلك مما يقصد تحسين الكلام به .

(1) قطع بالورقة ذهب بمقدار كلمة .

7- إضاءة : وللأفكار تفاوت في تصرفها في ضروب المعاني وضروب تركيبها من جميع هذه الجهات التي ذكرت . ويُنْتَقَى على ذلك بالطبع الفائق والفكر النافذ الناقد الرائق ، وبالمعرفة بجميع ما يحتاج إلى معرفته في هذه الصناعة من حفظ الكلام والقوانين البلاغية التي تَصْمَن هذا الكتاب جملة كبيرة منها .

5

8- تنوير : وصور المعاني ضربان : صور متكررة وصور غير متكررة . والتكرار لا يجب أن يقع في المعاني إلاّ بمراعاة اختلاف ما في الحيزين اللذين وقع فيهما التكرار من الكلام . فلا يخلو أن يكون ذلك إمّا لمخالفة في الوضع : بأن يقدم في أحد الحيزين ما أخر في الآخر ، أو بأن تختلف جهات التعلق في الحيزين ، أو بأن يفهم المعنى أولاً من جهة من جهات الإبهام ثمّ يورد مفسراً من الجهة التي وقع فيها الإبهام ، أو بأن يجعل ثمّ يفصل - وهذا يجتمع مع ما قبله من جهة ويفارقه من جهة - أو / بأن يفصل ثم يجعل الضرب من المقاصد ، أو بأن يورد على صورة من الجمع والتفريق كما يقال : أنت وزيد بحران لكن أنت للعدوبة وذلك للزعوفة (1) أو بأن تبان الجهتان اللتان توافي بهما الضدّان على الشيء 15 كقوله (2) : [الطويل - ق - المتدارك] يُخْشَى وَيُنْتَقَى بِرَجَى الْحَيَاةِ وَتُخْشَى الصَّوْاعِقُ (3)

[13 - أ]

(1) انظر أرسطو ، (1) ، 165 .

(2) المتنبي .

(3) البيت في النص غير تام . ومختلف الرواية عما هو عليه بالديوان وتام البيت :

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحياة منه وتخشى الصواعق

وهو من قصيدة مدح بها أبو الطيب الحسين بن اسحق التنوخي طالها :

هو البين حتى ما تآتى الخرائق ويا قلبي حتى أنت مما أفارق

كلمة الجون رواها أبو الفتح مضمومة الجيم وغيره رواها مفتوحة . وهي على الأول جميع وعلى الثاني مفزدة . واختار الثاني لأنه أشد مناسبة في الظاهر للمنموت وهو سحاب .

وآخر الصدر يرتجى لا ينتقى كما ورد في كلام حازم . وهو أملح وأدل على الاختلاف

أو الطباق . المكبري (1) ، 1 ، 454 . اورد ابن سينا نفس المقدار من البيت شاهداً على ما يأتي

من ضروب التفصيل البياني . انظر أرسطو (1) ، 165 .

فعلى هذه الأنحاء وما ناسبها يقع التكرار في المعاني فيستحسن . وكثيرا ما تقع التفصيلات والتفسيرات والتقسيمات في المعاني التي تكون من هذا القبيل .

9 - إضاءة : فمن أحكم التصرف في هذا الضرب من المعاني المتكررة والضرب الآخر . وتصرف فيهما من جهات أنواع التركيبات التي أشرنا إليها في ما تقدم من هذا المعرف . كان كلامه ممتعا من كل فن من فنون البلاغة ، وكان حسن الموقع من النفوس .

ومن كان له ذهن يتمكن به - له أن يفصل ما أجملت في هذا الباب ويفرّع ما أصلت - انتفع بهذا الباب نفعا كثيرا في هذه الصناعة ، إذ لم يمكننا نحن أن نتفرّع إلى تفريع ذلك وتفصيله وتمثيله . فإن ذلك محجوج إلى إطالة كثيرة . وإنما نتحرى أن نعدل بين الأبواب أو نقارب العدل في ما نذكره ، ليكون كل باب قد تضمن قسطا مقنعا مما يجب . فأما ما وراء الإقناع . فلا يمكن استقصاء ذلك في باب ، فإن ذلك يضاعف حجم الكتاب ، ويؤدي إلى إقطاع هذه الصناعة من عناية النفس فوق ما يجب لها إذ قدر العناية بالشيء إنما يجب أن يكون بإزاء قدر الاستفادة منه ، وفائدة هذه الصناعة بحسب ما سحب عليها الزمان من أذيال الإذالة والحفها من معرة الخمول قليلة نزره ، بل إنما غاية محكمها إذابة أهل القدامة له ممن يظن أن له قدما في الفصاحة ، وهو منها بمنزلة الحضيض من السماك . فلذلك كان خليقا أن تكون العناية بهذه الصناعة غير بالغة أو تُصرف عنها العناية بالجملة . ولا توفيق إلا بالله .

20 هـ - / معلم دال على طرق العلم باستثارة المعاني من مكانها واستنباطها [13 - ب] من معادنها .

لما كانت الموصوفات والأوصاف وجهات انتساب بعضها إلى بعض وجهات تعلق الأغراض بها من ذوي الأغراض لا تحصى كثرة وجب أن

تكون المعاني التي هي مركبة من تلك الأوصاف على حسب الأغراض أجدر بأن لا يستطاع إحصاؤها ، ولكن يمكن أن ينبت على الطرق التي بها تنطرق الخواطر إليها وتهدى منها إلى تأليفها .

فأقول : إن الأصل الذي به يتوصل إلى استثارة المعاني واستنباط تركيباتها هو التملؤ من العلم بأوصاف الأشياء وما يتعلق بها من أوصاف 5 غيرها ، والتنبيه للهيئات التي يكون عليها النام تلك الأوصاف وموصوفاتها ونسب بعضها إلى بعض أحسن موقعا من النفوس ، والتفطن إلى ما يليق بها من ذلك بحسب موضع موضع وغرض غرض .

1 - إضاءة : ولاقتباس المعاني واستثارتها طريقان : أحدهما تقتبس منه لمجرد الخيال وبحث الفكر ، والثاني تقتبس منه بسبب زائد على 10 الخيال والفكر .

فالأول يكون بالقوة الشاعرة بأنحاء اقتباس المعاني وملاحظة الوجوه التي منها تلتنم ، ويحصل لها ذلك بقوة التخيل والملاحظة لنسب بعض الأشياء من بعض ولما يمتاز به (1) بعضها من بعض ويشارك به بعضها بعضا . ولكون 15 خيالات ما في الحس منتظمة في الفكر على حسب ما هي عليه ، لا يتباين فيه ما تشابه في الحس ولا يتشابه فيه ما تباين في الحس . فإذا كانت صور الأشياء قد ارتسمت في الخيال على حسب ما وقعت عليه في الوجود وكانت للنفس قوة على معرفة / ما تماثل منها وما تناسب وما تخالف وما تضاد ، [14 - أ] وبالجملة ما انتسب منها إلى الآخر نسبة ذاتية أو عَرَضية ثابتة أو متقلبة 20 أمكنها أن تركب من انتساب بعضها إلى بعض تركيبات على حدّ القضايا

(1) بالأصل بها .

الواقعة في الوجود التي تقدم بها الحسّ والمشاهدة ، وبالجملة الإدراك من أيّ طريق كان أو التي لم تقع لكن النفس تتصوّر وقوعها لكون انتساب بعض أجزاء المعنى المؤلف على هذا الحدّ إلى بعض مقبولا في العقل ممكنا عنده وجوده ، وأنّ تنشئ على ذلك صوراً شتى من ضروب المعاني في ضروب الأغراض . 5

2- تنوير : والطريق الثاني الذي اقتباس المعاني منه بسبب زائد على الخيال هو ما استند فيه بحثُ الفكر إلى كلام جرى في نظم أو نثر أو تاريخ أو حديث أو مثل . فيبحث الخاطر فيما يستند إليه من ذلك على الظفر بما يسوغ له معه إيراد ذلك الكلام أو بعضه بنوع من التصرف والتغيير أو التضمن فيُحيل على ذلك أو يضمّنه أو يدمج الإشارة إليه أو يورد معناه في عبارة أخرى على جهة قلب أو نقل إلى مكان أحقّ به من المكان الذي هو فيه . أو ليزيد فيه فائدة فيتّمه أو يتمّ به أو يحسّن العبارة خاصّة أو يصيّر المنشور منظوماً أو المنظوم منشوراً خاصّة . فأما من لا يقصد في ذلك إلاّ الارتفاق بالمعنى خاصّة : من غير تأثير من هذه التأثيرات ، فإنه البكيّ الطبع في هذه الصناعة الحقيق بالإقلاع عنها وإراحة خاطره ممّا لا يجدي عليه غير المذمة والتعب . 10 15

3- إضاءة : وبحثه في ما استند إليه من تاريخ ، على أن يناسب بين بعض مقاصد كلامه وبينه ، فيحاكيه به أو يحيل به عليه أو يستشهد في ذلك على الحديث بالقديم ، ويتصرف فيه بالجملة نحواً من التصاريّف التي قدّمنا ذكرها . 20

4- تنوير : وبحثه فيما استند إليه من حكمة أو مثل على أن يردف معاني كلامه بها مضمّناً لها بالجملة أو مشيراً إليها / على جهة استدلال أو [14 - ب]

تعليل أو نحو ذلك . وقد يتصرف في المثل بإبرازه في عبارة جديدة لا تشبه عبارته الأولى . وقد تختصر العبارات عن الأمثال فيورد منها في البيت الواحد المثلان والثلاثة . وقد يتمثل بالمثل على غير ما تمثل به الأول . فربما حسن موقعه من الكلام الثاني أكثر من حسنه في الكلام الأول . فإن كان موقعه في الكلام الأول أحسنَ عدّه مُورده في الكلام الثاني مسيئاً مقصراً . وقد يتصرف في الأمثال والتواريخ والمنظوم والنثر أنحاء من التصرف غير هذه . وإنما ذكرت من ذلك ما تيسر .

و - معرف دالّ على طرق المعرفة بما توجد المعاني معه حاضرةً منتظمةً في الذهن على ما يجب أن يكون من بعضٍ عائد إلى بعضٍ ، وما به يكون كمالُ التصرف فيها وفي سائر أركان هذه الصناعة على المذهب المختار .¹⁰

لما كان (1) الشعر لا يتأتى نظمُه على أكمل ما يمكن فيه إلاّ بحصول ثلاثة أشياء . وهي : المهيئات والأدوات والبواعث ، وكانت هذه المهيئات تحصل من جهتين :

- 1 - النشءُ في بقعة معتدلةِ الهواء ، حسنةِ الوضع ، طيبةِ المطاعم ، أنيقةِ المناظر ، مُمتعةٍ من كل ما للأغراض الإنسانية به علقه .¹⁵
- 2 - والترعرع بين الفصحاءِ الألسنةِ المستعملين للأنشيدِ المقيمين للأوزانِ .

وكان المهيم الأول موجهًا طبعَ الناشئ إلى الكمال في صحة اعتبار الكلام وحسن الروية في تفصيله وتقديره ومطابقة ما خارجَ الذهن به

(1) فعل لما وبعده معطوفات كثيرة عليه ، يآثرها الجواب وهو وجب .

وإيقاع كل جزء منه في كل نحو ينحى به أحسن مواقع وأعدلها حتى يكون حسن نشء الكلام مُشَبِّها حسن نشء المتكلم به . وقد تكون النشأة حسنة على غير هذا النحو . وذلك بأن تُستجد الأهوية للناشئ وترتاد له مواقع المزن ومواقع الكلام والنبات الغض ، ولا يخيم به في الموضع إلا ريثما يصوح / كلاًه ويغيب ماؤه ، فإن الطباع الناشئة أيضاً على هذه 5 الجال ، وإن لم تكن في الأقاليم المعتدلة ، جارية مجرى تلك في سداد الخاطر والتنبيه لما يحسن في هيآت الألفاظ المؤلفة والمعاني وما لا يحسن . وعلى هذه الحال الثانية كان نشء شعراء العرب ، وبذلك تهادوا من تشقيق الكلام وتحسين هيآته اللفظية والمعنوية إلى ما تهادوا . ولو اتفق النشء على هذه الحال من استجداد الأهوية وارتداد الأماكن أزمنة شبابها لأمة 10 تكون أرضهم التي يترددون فيها أحسن الأرض بقعة وأمتعها وأعد لها هواء وكانت دواعيهم تتوفر على جعل الكلام عدة لما يراد من استشارة الأفعال الجمهوريّة أو كصفقتها بالإقناعات والتخايل المستعملة فيه نحو توفر دواعي العرب إلى ذلك لكانت هذه الأمة أجدر أمة أن تحوز 15 قصبات سبق في الفصاحة وأن تستولي على الأمر الأقصى في ذلك . وأفصح قبائل العرب من شارف هذه الحال التي وصفنا أو قاربها .

والمهييء الثاني موجه إتياء لحفظ الكلام الفصيح وتحصيل المواد اللفظية والمعرفة بإقامة الأوزان .

وكانت الأدوات تنقسم إلى العلوم المتعلقة بالألفاظ والعلوم المتعلقة بالمعاني . 20

وكانت البواعث تنقسم إلى أطراب وإلى آمال . وكان كثير من الأطراب إنما يعترى أهل الرحل بالحنين إلى ما عهدوه ومن فارقه ، والآمال إنما

تعلّق بخدّام الدول النافعة وجب (1) ألاّ تكمل تلك المهيّآت للشاعر إلاّ بطيب البقعة وفصاحة الأمتة وكرم الدّول ومعاودة التنقّل والرحلة . فقلّما برع في المعاني من لم تنشئه بقعة فاضلة ، ولا في الألفاظ من لم ينشأ بين أمتة فصيحة ، ولا في جودة النظم من لم يحمله على مصابرة الخواطر في إعمال الرويّة الثّقة بما يرجوه من تلقاء الدولة ، ولا في رقة أسلوب 5 النسيب من لم تبشّط به عن أحبابه رحلة ولا شاهد موقف فرقة .

[15 - ب] 1 - إضاعة : ولما كان القول / في الشعر لا يخلو من أن يكون وصفا أو تشبيها أو حكمة أو تاريخا احتاج الشاعر أن تكون له معرفة بنعوت الأشياء التي من شأن الشعر أن يتعرّض لوصفها ، ولمعرفة مجاري أمور الدنيا وأنحاء تصرف الأزمنة والأحوال ، وأن تكون له قوّة ملاحظة لما 10 يناسب الأشياء والقضايا الواقعة من أشياء أخر تشبهها ، وقضايا متقدّمة تشبه التي في الحال .

2 - تنوير : ولا يكمل لشاعر قول على الوجه المختار إلاّ بأن تكون له قوّة حافظه وقوّة مائزّة وقوّة صانعة .

فأمّا القوّة الحافظة فهي أن تكون خيالات الفكر منتظمة ، ممتازا بعضها 15 عن بعض ، محفوظا كلّها في نصابه . فإذا أراد مثلا أن يقول غرضا ما في نسيب أو مديح أو غير ذلك وجد خياله اللاتق به قد أهبطه له القوّة الحافظة بكون صور الأشياء مترتبة فيها على حدّ ما وقعت عليه في الوجود ؛ فإذا أجال خاطره في تصوّرها فكأنّه اجتلى حقائقها . وكثير من خواطر الشعراء تكون معتكرة الخيالات ، غير منتظمة التّصوّر ، فإذا أجال خاطره في 20

(1) جواب لما المذكورة في أول المعرف .

أوصاف الأشياء وخيالاتها اشتبهت عليه واختلطت وأخذ منها غير ما يليق بمقصده وبالموضع الذي يحتاج فيه إلى ذلك .

وكان المنتظم الخيالات كالناظم الذي تكون عنده أنماط الجواهر مجزأة محفوظة المواضع عنده . فإذا أراد أي حجر شاء على أي مقدار شاء عمد إلى 5 الموضع الذي يعلم أنه فيه فأخذه منه ونظمه . وكذلك من كانت خيالاته وتصوراته منتظمة متميزة فإنه يقصد بملاحظة الخاطر منها إلى ما شاء فلا يعدوه .

والمعتكر الخيالات كناظم تكون جواهره مختلطة ، فإذا أراد حجرا على صفة ما تعب في تفتيشه ، وربما لم يقع على البغية ، فنظم في الموضع 10 غير ما يليق به . والمعتكر الخيالات في هذه الحال أجدر بطول السدّر لكون الأشياء التي في الحسّ أوضح من التي في التصوّر / والذهن . [16 - أ]

3- إضاعة : والقوة المائزة هي التي بها يميز الإنسان ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب والغرض مما لا يلائم ذلك ، وما يصحّ مما لا يصحّ .

والقوى الصانعة هي القوى التي تتولّى العمل في ضمّ بعض أجزاء 15 الألفاظ والمعاني والتركيبات النظامية والمذاهب الأسلوبية إلى بعض والتدرّج من بعضها إلى بعض ؛ وبالجملّة التي تتولّى جميع ما تلثم به كليات هذه الصناعة .

وهذه القوى التي هي الحافظة والمميّزة والملاحظة والصانعة وما جرى مجراها ، في احتياج الشاعر أن تكون موجودة في طبعه على ما سنقصّه في 20 القسم الثالث (1) إن شاء الله ، هي المعبر عنها بالطبع الجيّد في هذه الصناعة

(1) انظر 199 ، وما بعدها .

ز - معلّم دالّ على طرق العلم بالمناسبة بين بعض المعاني وبعض المقارنة بين ما تناظر منها .

إنّ المعاني منها ما يتّطالّب بحسب الإسناد خاصّة ، ومنها ما يتطالّب بحسب الاسناد وبحسب انتساب بعض المعاني إلى بعض في أنفسها بكونها أمثالا أو أشباها أو أضدادا أو مقاربات من الأمثال أو الأضداد .

فالنسب الإسناديّة تلاحظ الأفكار فيها أربعة أشياء وهي : البيان والمبالغة 5 والمناسبة والمشكلة التي يكون سببها من الخفاء بحيث قد يتعذّر عرفان كنهه.

1 - إضاعة : فأما ما التّطالّب فيه بحسب انتساب بعض المعاني إلى بعض فلا تخلو النسبة فيه من أن تقع بين المعنيين بواسطة أو بغير واسطة ؛ فأما ما وقعت فيه بغير واسطة فيمكن حصر أنواعه وصوره ، وأما ما تقع فيه النسب بواسطة فعزّيز حصرها فيه لكون كلّ معنى يمكن أن يكون جهة 10 للتطالّب بين معنيين بتوسّطه ، وجهة التطالّب هي النسبة . ولقوى النفوس تفاضل في ملاحظة الجهة / النيهة في نسبة معنى إلى معنى والتنبّه إليها ، [16 - ب] ومبحثها في ذلك على الجهات التي تفيد معاني كالتشبيهات والتّميمات والمبالغات والتعليلات وغير ذلك من ضروب الوجوه التي تكسب الكلام حسنا وإبداعا .

15

2 - تنوير : واعلم أنّ النسب الفائقة إذا وقعت بين هذه المعاني المتطالبة بأنفسها على الصور المختارة التي تقدّم ذكرها في القسم الأوّل في الكلام على ما تناظر من الكلم (1) من حيث إنّ المعاني متناظرة كان ذلك من أحسن ما يقع في الشعر . فإنّ للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها

(1) إشارة إلى بعض أغراض القسم المفقود من منهاج .

والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكا وإيلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأن تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا من سنوح ذلك لها في شيء واحد . وكذلك حال القبيح . وما كان أملك للنفس وأمکن منها فهو أشد تحريكا لها . وكذلك أيضا مثول الحسن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخليتا 5 عن الآخر لتبين حال الضد بالمثل إزاء ضده . فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبا .

3- إضاءة : وإذا كان في كل صورة من هذه المتقابلات زيادة معنى على التقابل المفرد زادت الصيغة حسنا كالقلب الذي يعرض في المتماثلات 10 وذلك كقول بعضهم (1) : [البسيط - ق - المتواتر]

فَلْيَعْنَجِبِ النَّاسُ مُنِّي أَنْ لِي بَدَنًا لَا رُوحَ فِيهِ وَلِي رُوحٌ بِلَا بَدَنٍ
وكإيراد التشابهات بلفظ التماثل ، كقول حبيب (2) :

[الخفيف - ق - المترادف]

دِمَسْنٌ طَالَمَا التَّقَّتْ أَدْمُعُ الْمُسْرُ نِ عَلَيْنِهَا ، وَأَدْمُعُ الْعُشَّاقِ

4- تنوير : واعلم أن التماثل والتشابه والتخالف قد يقع في أشياء 15 كثيرة الوجود ، وقد لا تقع هذه النسب إلا في أشياء قليلة ، وقد لا توجد واقعة في أكثر من شيئين . فربما وجد متماثلان لا يوجد لهما / مماثل [17 - أ]

(1) لم أفق على نسبة البيت في كتب الأدب والدواوين ولعله من الفرائد المشهورة .

(2) البيت من قصيدة يمدح بها أبو تمام اسماعيل بن شهاب . وطالماها :

أيها البرق بت باعل البراق واغمد فيها بوابل غيصاد

التبريزي ، ٢ ، 447

ثالث بالجملة ، أو بالنسبة إلى مثل حالهما في الوجود ، وكذلك قد يوجد المتشابهان والمتخالفان على مثل هذه الحال .

5 — إضاءة : وكلّما كانت التماثلات أو المتشابهات أو المتخالفات قليلا وجودها وأمكن استيعابها مع ذلك أو استيعاب أشرفها وأشدّها تقدّمًا في الغرض الذي ذكرت من أجله كانت النفوس بذلك أشدّ إعجابا وأكثر له تحرّكا . فإن كانت الأمثال أو الأشباه عتيدة الوجود لم يحسن الاستيعاب . ووجب التخطّي فيها من الأشرف إلى الأشرف ، وكان جديرا ألاّ يناسب منها إلّا بين ذوات الشهرة والمناسبة لغرض الكلام . ولا تجد النفس للمناسبة بين ما كثر وجوده ما تجد لما قلّ ، من الهزّة وحسن الموقع ، لكونها لا تستغرب جلب العتيد استغرابها لجلب ما عزّ .

6 — تنوير : وإذا كان معنى التماثل أو التشابه منتسبا إلى شيئين أو أشياء مشتركة فيه كان الوجه ألاّ يعاد ذلك المعنى مع كلّ واحد من الشئيين أو الأشياء ، وأن يكتفى بذكره مرّة مع أحد تلك الأشياء على نحو من العبارة يَغْنى بها فيه عن التكرار لإيثار الاختصار ، فيقدّم محلّ التماثل أو التشابه على الأشياء المشتركة في ذلك أو يؤخّر عنها ، وتورد تلك الأشياء 15 متناسقة ، وتقديمه أحسن . ويتفق على هذا الوجه أن يكون الكلام مع كونه من هذا الباب معدودا في التقسيم كقول التهامي :

[الطويل — ق — المتدارك]

أَبَان لَنَا مِنْ دُرِّهِ يَوْمَ وَدَعَا عَقُودَا وَأَلْفَاظَا وَثَغْرَا وَأَدْمَعَا (1)

(1) البيت طالع قصيدة لأبي الحسن التهامي ، يمدح بها أبا غانم النابلي . الديوان ، 100 .

فاكتفى بذكر الدرّ مرة ، وأورد الأشياء المنتسبة إليه إيرادا تقسيمياً .
وقد يتفق أن ينضاف فيه إلى التقسيم التفسير . كقول الشاعر :
[البسيط - ق - المترالكب]

ثلاثة تُشرق الدنيا بيتهجّتهم
شمس الضحى ، وأبواسحق . والقمر (1)
وقد يعدّ من هذا النحو قول البحرى :

[الكامل - ق - المتواتر]

فِي حُلَّتِي حَبَرٍ وَرَوْضٍ فَالْتَقَى
وشبان : وشي رُبَيّ وَوَشْيُ بُرُودٍ . (2)

/ وقد يسوغ إجراء الشئين مجرى الأشياء في الاكتفاء بذكر محلّ [17 - ب]
10 التماثل والتشابه مرة وإجراء الأشياء مجرى الشئين في إعادة محلّ التماثل
مع كلّ واحد منهما .

7- إضاءة : وأمّا المتخالفات والمتضادات فقد تكون الصيغ
أيضاً فيها تقسيمية وتفسيرية . واستقصاء الكلام في ما أشرنا إليه بهذا
المعلم يُخْرِجُ عن غرض الاختصار والاقتصاد . وإنّما أوردت ما أوردت
15 من الكلام فيه كاللمحة الدالة ، ومن فهم أصول هذا الباب سهّل عليه
تتبّع فروعه واعتبار مواقع النسب فيها . وهو باب شريف .

(1) البيت لمحمد بن وهيب . وهو طالع قصيدة يمدح بها الشاعر الخليفة المعتصم . والبيت بلفظ
بهجتها مكان بهجتهم . العباسي ، (2) ، 1 ، 215 .

(2) البيت من قصيدة يمدح بها أبو عبادة الوليد الخليفة المتوكل ، طالعها :
شغلان من عدل ومن تنفيذ ورئيس حب طارف وتليد
الديوان ، 1 ، 8 .

ح - مأمّ من مذاهب البلاغة المستشرقة بهذا المعلم وما تقدّم في المعلم المفتتح به هذا المنهج الذي فيه القول ، وهو المذهب الذي تقصد فيه المطابقة.

وذلك بأن يوضع أحد المعنيين المتضادين أو المتخالفين من الآخر وضعاً متلائماً . وقدامة يخالف في هذه التسمية . فيجعل المطابقة تماثل المادّة في النظمين متغايري المعنى ، ويسمّي تضادّ المعنيين تكافؤاً (1) . ولا تشاح في الاصطلاح .
ولفظ المطابقة مشتقّ إمّا من قولك : هذا لهذا طَبَقَ أي مقدار لا يزيد عليه ولا ينقص . وإذا كان حقيقة الطباق مقابلة الشئ ، بما هو على قدره ومن وفقه سمّي المتضادان إذا تَقَابَلَا ولأعم أحدهما في الوضع الآخر متطابقين . قال الخليل : « يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حدّ واحد وألصقتهما . »

وإمّا من قولك : طابق الفرس إذا وقعت رجلاه في موضع يديه . قال الجعدي :

وَحَيْلٌ يُطَابِقْنَ بِالذَّارِعَيْنِ طِبَاقَ الْكَلَابِ، يَطْأَنَّ الْهَرَّاسَمَا (2)

1 - إضاءة : والمطابقة تنقسم إلى محضة وغير محضة .

[18 - أ] فالمحضة مفاجأة / اللفظ بما يضادّه من جهة المعنى كقول جرير :
[الطويل - ق - المتدارك]

وَبَاسِطٌ خَيْرٌ فَيْكُمُ بِيَمِينِهِ وَقَابِضٌ شَرٌّ عَنْكُمُ بِشِمَالِهَا (3)

(1) يراجع لتحرير التسمية فصل : ومن نعوت المعاني التكافؤ - قدامة ، (3) ، 78 ، 92 . وفي تفصيل الخلاف : الخفاجي ، 188 - 190 .

(2) البيت وارد بمفرده . اللسان ، ١٢ ، 80 .

(3) البيت من قصيدة واردة في النقائض ، نظمها جرير يخاطب بها الفرزدق ، وطالعه : ألا حي رهبي ثم حي انطليبا فقد كان مأنوساً فأصبح خاليساً ويقول أبو عبيدة : هي نقيضة لقصيدة الفرزدق :

الم تر أني يوم جو سويقة بكيت ، فنادتني هيدة ، مالبا الديوان ، 605 .

فقوله باسط وقابض وخير وشرّ من المطابقات المحضة . ومن ذلك قول
دِ عبل :

[الكامل - ق - المتراكب]

لا تعجّبي يا سلّمَ من رجُل ضحك المشيبُ برأسه فبكى (1)

وغير المحضة تنقسم إلى مقابلة الشيء بما يتنزّل منه منزلة الضدّ وإلى

5 مقابلة الشيء بما يخالفه .

فأمّا ما تنزّل منزلة الضدّ فمثل قول الشريف :

أبكى ويَسِمُ والدُجى ما بيننا حتّى أضاء بثغره . ودُموعي (2)

فتنزّل التسمّ منزلة الضحك في المطابقة .

وأمّا المخالف فهو مقارنة الشيء بما يقرب من مضاده كقول عمرو

10 ابن كلثوم :

بيأتنا نُورِدَ الرّايّاتِ بيضا ونُصدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدُ روينّا (3)

ومن أبدع ما ضوعفت فيه المطابقة وجاءت العبارة الدالة عليها في أحسن

ترتيب وأبدع تركيب قول أبي الطيّب المتنبي :

[البسيط - ق - المتواتر]

(1) البيت من قصيدة له طالعها :

أيسن الشاب وأية سلكها لا ، أين يطلب ؟ ضل ، بل هلكا
قدامة ، (1) ، 53 ، العباسي ، (2) ، ٢ ، 184 ، 202 .

(2) البيت من قصيدة له في الغزل طالعها :

يا صاحب القلب الصحيح اما اشتقي ألم الجوى من قلبي المصدوع
الديوان ، 1 ، 496 .

(3) البيت من المعلقة وطالعها :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا
العباسي ، (2) ، ٢ ، 180 .

أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وأنثني وبباص الصبح يغري بي (1)
وقد اجتمع في هذا البيت صنفاً المطابقة : المحضة وغير المحضة .

2 - تنوير : وقد تكون المطابقة بالإيجاب والسلب كقول السموءل :
[الطويل - ق - المتواتر]

وننكير إن شئنا على الناس قولهم
ولا ينكرون القول ، حين نقول (2)
وقول البحري :
[الطويل - ق - المتدارك]

تقبض لي من حيث لا أعلم النوى
ويسري إلي الشوق ، من حيث أعلم (3) 10
وقد تقع المطابقة بغير اللفظ الصريح فيها ، كقول بعضهم :
[الطويل - ق - المتدارك]

فإن تقتلونني في الحديد فلأنثني
قتلت أخاكم ، مطلقاً لم يكبل (4)

(1) هذا البيت أمير شعر المتنبي ، وهو من مفاخره وذوادره الغالية . وهو من القصيدة المشهورة جداً ، الغريبة المنزع البديعة المشرع ، التي مدح بها أبو الطيب كافور الإخشيدي صاحب مصر ، وهي التي طالعها :
من الجساد في ذي الأعاريب حمر الحل . والمطايا والجلابيب
العكبري ، (1) ، 1 ، 104 .

(2) البيت من قصيدة له طالعها :
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
المرزوقي ، 1 ، 120 .

(3) البيت من قصيدة له في مدح الوزير الفتح بن خاقان طالعها :
خيال ملم أو حبيب ملم وبرق نجل أو حريق مضم
الديوان ، 1 ، 96 .

(4) روي البيت بـ « لم يقيد » ، بدل لم يكبل كما في النص . وهو منسوب لهدبة بن خشرم العذري ، قاله عند الإقتصاص منه ، كما هو وارد في القصة التي ذكرها المبرد في كامله .
المرصفي ، 8 ، 243 .

وقد يوجد في الكلام ما صورته صورة الطباق وليس بمطابقة من جهة
المعنى كقول قيس بن الخطيم :

وَأَنِّي لِأَغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ

يرى الناس ضلّالاً وليس بمُتهد (1)

5 3- إضاءة : ويجري مجرى المطابقة تخالف وضع الألفاظ

لتخالف في / وضع المعاني ، ولنسبة بعضها من بعض ، فيقع بذلك بين [18 - ب]
جزئين من أجزاء الكلام نسبتان متخالفتان ، فيجري ذلك مجرى المطابقة
في الألفاظ المفردة كقول بعضهم :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَصْلَحْتَهُ فَلَمَّا أَنْفَقْتَهُ فَاَلْمَالُ لَكَ (2)

10 ومن هذا النحو قول بعضهم : « إِنَّ مِنْ خَوْفِكَ حَتَّى تَلْقَى الْأَمْنَ
خَيْرٌ مِمَّنْ أَمَّنَكَ حَتَّى تَلْقَى الْخَوْفَ » (3) . ويسمى هذا النوع من
الكلام التبديل .

وقد تكلم الناس في ضروب المطابقات وبسطوا القول فيها فلا معنى
للإطالة إذ قصدنا أن نخطي ظواهر هذه الصناعة وما فرغ الناس منه إلى
15 ما وراء ذلك مما لم يفرغ منه .

(1) البيت من قطعة له أولها :

تراءت لنا يوم الرحيل بمقلتي
غريير بملثف من الدر مفرد
الجمعي ، 192 .

(2) روي الصدر بغير الوجه الذي هو عليه في هذا النص ، فجاء بإذا أمكته بدل إذا أصلحته ،
وهو أصوب لتحقيق المطابقة فيما يظهر . ابن رشيق ، ٢ ، 8 .

(3) هو قول الحسن البصري . انظر الخفاجي ، 192 .

ط - مأمّ من المذاهب المستشرقة بالمعلم المتقدم أيضا وهو مذهب المقابلة .

وإنما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضا والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب ، على صفة من الوضع تلائم بها عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر كما لاءم كلا المعنيين⁵ في ذلك صاحبه .

1- إضاءة : وأنواع المقابلات تشعب . وقلّ من تجده يفطن لمواقع كثير منها في الكلام . كما أن كثيرا من الناس يعدّ من المقابلة ما ليس منها . وأكثر ما يشعر به منها مقابلة التضاد والتخالف ، كقول الجعدي :

فَتَنَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا (1)

2- تنوير : فإذا وضع أحد المعنيين / (.....) (2) هذه الصفة بإزاء الآخر ومقابلا له كان الكلام بذلك (.....) (3) بعضه بعضا ، ومتسبا أو اخره إلى أوله . فكان للكلام بذلك حسن موقع من النفس .

3- إضاءة : وليس يشترط تحاذي عبارتي المعنيين المتقابلين في⁵ طرفي الكلام في الرتبة . وإذا أمكن تقابلها فهو أحسن . وأنشد قدامة في ما تحاذت فيه العبارة :

(1) البيت في الديوان بلفظ كان بدل تم . وهو من مقطوع مزدوج ، يليه بيت ثان . انظر

المرزوقي ، ٢ ، 969 .

(2) قطع بأعل الصفة مقدار كلمة .

(3) قطع مثله .

فَيَا عَجَبًا ، كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَصَاحُ
وَفِيَّ ، وَمَطْنُوِيٌّ عَلَى الْغِيْشِ غَادِرُ (1)

فقابل النصح والوفاء بالغش والغدر .

وأنشد أيضا فيما لم تتخاذ فيه عبارتا المعنيين المتقابلين :

[الوافر - ق - المتواتر]

5

أَسْرَنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ وَسَقَيْنَا دِمَاءَهُمْ التَّرَابِ
فَمَا صَبَرُوا لِضَرْبٍ عِنْدَ حَرْبٍ وَلَا أَدَوْا لِحُسْنٍ يَدٍ ثَوَابِ (2)

فقابل ما في صدر البيت الأول بما في عجز الثاني ، وما في عجز الأول بما في صدر الثاني .

[الطويل - ق - المتواتر]

وَأَنْشَدَ الْخَفَاجِي :

10

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا ذَاتَ بَعْلٍ تَصَدَّقَتْ
عَلَى عَزَبٍ حَتَّى يَكُونَ لَهُ أَهْلُ
فَإِنَّا سَنَجْزِيهَا بِحُسْنٍ فِعَالِهَا إِذَا مَا تَزَوَّجْنَا وَلَيْسَ لَهَا بَعْلُ (3)

(1) ورد البيت غير منسوب . وهو شاهد المقابلات . قال ابن رشيق : « مثال ذلك ما أنشده قدامة لبعض الشعراء . » وهذا يؤكد ما ورد في النص من نسبة إنشاد البيت لصاحب نقد الشعر ، وقد ذكره قدامة ، (3) ، 72 ، عدد 400 في باب المقابلات ؛ والشاهد موجود كما ذكرنا في العمدة . انظر ابن رشيق ، ٢ ، 14 .

(2) ورد ذكر البيتين ونسبتهما للطرماح . والبيت الثاني بلفظ بأس بدل ضرب . انظر قدامة ، (1) ، 48 ؛ الخفاجي ، 252 .

(3) أنشد هذين البيتين قدامة والخفاجي في كتابيهما مع عدم التصريح باسم صاحبهما والاكتفاء بقولهما : ومن ذلك قول الآخر أو لآخر . وتختلف رواية صدر البيت الثاني عما ها هنا عند قدامة إذ يقول : فإنه سنجزئها كما فعلت بنا ، بدل فإننا سنجزئها بحسن فعالها . قدامة ، (1) ، 48 ؛ الخفاجي ، 252 .

فجعل في مقابلة أن تكون المرأة ذات بعل وهو لا زوج له أن يكون هو ذا زوج وهي لا بعل لها ، وحاجته وهو عزب بحاجتها وهي كذلك ؛ وهذه مقابلة صحيحة .

4- تنوير : ومن ضروب المقابلة أيضا قول تأبط شرا :

5 [الطويل - ق - المتدارك]

أهز بها في ندوة الحسي عطفه
كما هز عطفني بالهجان الأوارك (1)
فقابل هز عطفه بالمنحة بهز عطف ممدوحه بالمدحة .

ومن المقابلة الصحيحة قول الفرزدق :

10 [الطويل - ق - المتدارك] وإننا لتمضي بالأكف رماحنا إذا أرعشت أيديكم بالمعاليق (2)

ومن صحيح المقابلة في النثر قول هند بنت النعمان : « شكرتك يد نالتها خصاصة بعد نعمة ، ولا ملكتك يد نالت ثروة بعد فاقة » (3) . وكتب بعضهم : « ولو أن [الأقدار إذ] رمت بك من [19 - ب]

(1) البيت من قصيدته التي طالعها :

إنني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عم الصدوق شمس بن مالك
المرزوقي ، 1 ، 94 .

(2) يروي البيت في الديوان بلفظ لتروى بدل لتمضي ، والروايتان صحيحتان . والبيت من قصيدة له في النقائص طالعها :

إن تك كلبا من كليب فإنني من الدارمين الطوال الشقاشق
وهي نقيضة قصيدة جرير التي هجاه بها ، وطالعها :
ألا حي أهل الجوف قبل العوائق ومن قبل روعات الحبيب المفارق
الديوان ، 2 ، 594 .

(3) وردت هذه الجملة بلفظ قريب مما رواه حازم . قالت الحرقة هند بنت النعمان بن المنذر : « شكرتك يد أفقرتك بعد غنى ، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر . وأصاب الله بمروءتك مواضعه ، ولا أزال عن كريم نعمة إلا جعلك سببا لردّها إليه ، ولا جعل لك إلى لثيم حاجة . وعقد لك المنن في أعناق الكرام » شيخو ، 26 .

المراتب في أعلاها بلغت في أفعال السؤدد إلى [ما وازاها] ، فوازيت بمساعيك مراقبك وعادلت النعمة عليك بالنعمة فيك ، ولكنتك قابلت سؤو الدرجة بدؤو الهمة ورفيع الرتبة بوضيع الشيمة ، فعاد علوك بالاتفاق إلى حال دنوك بالاستحقاق وصار جناحك في الانهياض إلى ما عليه قدرك في الانخفاض . فلا لوم على القدر إذ أذنب فيك فأناوب وغلط بك فعاد إلى الصواب « (1) .

وهذه مقابلات صحيحة كلها .

5 - إضاعة : ومن فساد المقابلة قول أبي عدى :

[الخفيف - ق - المتواتر]

10 يا ابن خير الأخيار من عبد شمس أنت زين الدنيا وغيث الجود (2)
لأن غيث الجود ليس مقابلا لزين الدنيا من طريق المقاربة ولا التضاد .

ي - مأمّ من المذاهب المستشرقة بالمعلم المتقدم أيضا وهو مذهب التقسيم .

والتقسيم ضروري . فمن ذلك تعديد أشياء ينقسم إليها شيء لا يمكن انقسامه إلى أكثر منها ؛ ومنها تعديد أشياء تكون لازمة عن شيء على سبيل الاجتماع أو التعاقب ؛ ومنها تعديد أشياء تنقسمها أشياء لا يصلح أن ينسب منها شيء إلاّ إلى ما نسب إليه من الأشياء المتقاسمة ؛ ومنها تعديد أجزاء من شيء تنقسمها أشياء أو أجزاء من شيء وتكون الأجزاء المحدودة إمّا جملة أجزاء الشيء أو أشهر أجزائه وألبقها بفرض الكلام ، ويكون كلّ

(1) ورد هذا النص مع خلاف قليل في لفظه . انظر الخفاجي ، 252 .

(2) البيت مفرد ، وبهذا الوجه أورده قدامة ، (1) ، 77 ؛ الخفاجي ، 252 .

جزء منها لا يصلح أن ينسب إلى غير ما نسب إليه بالنظر إلى صحة
[20 - أ] المعنى : ومنها تعديد أشياء محمودة أو مذمومة من شيء متفقة في الشهرة /
والتناسب .

1 - إضاءة : فما ركب من هذا القسم (1) الأخير وما قبله مما
ليس انقسامه إلى ما قسم إليه ضرورياً لا تمكن الزيادة عليه ولا النقص
5 منه ، فإنه يسمى تقسيماً على التسامح ، ويسمى أيضاً تقطيعاً . وما ركب
من الأقسام المتقدمة فإنه التقسيم الصحيح .

2 - تنوير : وينبغي أن يتحرز في القسمة من وقوع النقص فيها أو
التداخل أو وقوع الأمرين فيها معاً . فإن ذلك مما يعيب المعاني ويسلب
10 بهجتها ويزيل طلاوتها . كما أن القسمة إذا تمت وسلمت من الخلل
الداخل فيها من حيث ذكر وطابق حسن تركيب العبارة فيها حسن ترتيب
المعاني كان الكلام بذلك أنيق الديباجة قسيم الرواء والهيئة .

واستقصاء الكلام في ما أشرت إليه من أنحاء القسمة وتفصيل القول في
تمثيل ما رسمناه في ذلك مُحجَّج إلى إطالة تُخرج عن الغرض المقصود
في هذا الكتاب . وقد تقدّم التعريف بذلك ، ولكنني سألمع بأمثلة يسيرة
15 من القسمة الصحيحة وما وقع فيه الخلل من ذلك عند التكلّم في ما تكون
عليه المعاني من كمال أو نقص . فليتصفح ذلك في المنهج الرابع (2) ، من
هذا القسم ، إن شاء الله تعالى .

(1) بالأصل الاسم .

(2) انظر 154 - 157 .

يا - مأمّ من المذاهب المستشرقة بما تقدّم أيضا ، وهو مذهب التفسير .

والتفسير أيضا أنواع . فمنه تفسير الإيضاح وهو إرداف معنى فيه إبهام
مّا بمعنى مماثل له إلاّ أنّه أوضح منه . ومن ذلك قول أبي الطيب :
[الطويل - ق - المتدارك]

5 ذَكِيٌّ تَظَنِّيَّتُهُ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ
بَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا (1)

ومنه تفسير التعليل نحو قول أبي الحسن مهيار ابن مرزويه :
[الطويل - ق - المتدارك]

بَكَيَّتْ عَلَى الْوَادِي فَحَرَمْتُ مَاءَهُ
10 وَكَيْفَ يَحِلُّ الْمَاءُ أَكْثَرُهُ دَمٌ (2)

/ ومنه تفسير السبب نحو قوله : [الطويل - ق - المتدارك] [20 - ب]

..... يُرْجَى وَيُتَّقَى
يُرْجَى الْحَيَا مِنْهُ وَتُخْشَى الصَّوْاعِقُ (3)

ومنه تفسير الغاية ، ومنه تفسير التضمن نحو قول ابن الرومي :
[البسيط - ق - المتواتر] 15

(1) البيت من القصيدة التي مدح بها أبو الطيب سيف الدولة ، وهناك فيها بعيد الإضحى ،
وطالهما :

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
المكبري ، (1) ، 1 ، 175 .

(2) البيت من قصيدة له في عتاب الكافي الأوحى ، طالها :
أجيراننا بالغور والركب متهم أيعلم خال كيف بات
الديوان ، 3 ، 344 .

(3) انظر ما قدمناه فيما يتعلق بهذا البيت 29 تم 2 .

خَبْرُهُ بِالْإِدَاءِ ، وَاسْأَلَهُ بِحِيلَتِهِ
تُخْبِرُ وَتَسْأَلُ أَخَا فَهْمٍ وَإِفْهَامٍ (1)

ومنه تفسير الإجمال والتفصيل كقول بعضهم :

[الكامل - ق - المترائر]

أَذْكَى وَأَخْمَدَ لِلْعَدَاوَةِ وَالْقِرَى
نَارَيْنِ : نَارَ وَغَمٍّ ، وَنَارَ زِنَادٍ (2)

1 - إضاءة : ويجب أن يُتَحَرَّى في التفسير مطابقة المفسر المفسر
وأن يُتَحَرَّزَ في ذلك من نقص المفسر عما يحتاج إليه في إيضاح المعنى
المفسر ، أو أن تكون في ذلك زيادة لا تليق بالغرض ، أو أن يكون في
المفسر زيغ عن سنن المعنى المفسر وعدول عن طريقه حتى يكون غير
10 مناسب له ولو من بعض أنحائه ، بل يجهد في أن يكون وفقه من جميع
الأنحاء .

2 - تنوير : ومما جاء من التفسير غير وفق للمعنى المفسر قول
بعضهم :

فَيَا أَيُّهَا الْخَيْرَانُ فِي ظُلُمِ الدُّجَى
وَمِنْ خَافَ أَنْ يَلْقَاهُ بَغْيٌ مِنَ الْعِيسَى

(1) البيت من الفرائد التي لم نقت عليها في القسم المطبوع من ديوان ابن الرومي ، ولا في كتب الأدب المتداولة ولا في كتب النقد .

(2) البيت لبكر بن الطاح الحنفي ، وروايته : أَذْكَى وَأَوْقَدَ . وهو أصح لأن هذا وإن فاته حسن الطباق لا يفوته تمام المناسبة للزناد وهو في الإيقاد لا في الإخماد . ابن رشيق ، ٢ .

تعالَإِليه تَلَقَّ مِنْ نُورٍ وَجَنَهِهِ
ضِيَاءً ، وَمِنْ كَفَيْهِ بَحْرًا مِنَ النَّدَى (1)

فمقابلة ما في عجز البيت الأول بما في عجز الثاني غير صحيحة . والتسامح في إيراد التفسير على مثل هذا مُخِلّ بوضع المعاني ومُذْهِب لطلاوة الكلام ، فينبغي أن يُتحرَّز منه وألاّ يتسامح في مثله . 5

يب - مأمّ من المذاهب المستشرقة بالمعلم المتقدم أيضا وهو مذهب التفريع .

وهو أن يصف الشاعر شيئا بوصف مآ . ثمّ يلتفت إلى شيء آخر يوصف بصفة مماثلة ، أو مشابهة ، أو مخالفة لما وُصف به الأول ، فيستدرج / من أحدهما إلى الآخر ، ويستطرد به إليه على جهة تشبيه أو مفاضلة أو التفات أو غير ذلك مما يناسب به بين بعض المعاني وبعض ، فيكون ذكر الثاني كالفرع عن ذكر الأول . ومن ذلك قول الكميت :
[البسيط - ق - المتراكب]

أحلامُكم لسيّام الجهل شافية
كَمَا دِمَاؤُكُمْ يُشْفَى بِهَا الْكَلْبُ (2)

15

(1) أورد البيهقي قدامة مصرحا أن صاحبهما من معاصريه وتلاميذه ولم يسمه . وقال الخفاجي : « وأما فساد التفسير فكقول بعضهم » وذكرهما المرزباني في عيوب التفسير كما فعل قدامة ، وفي نسبتهما قال : « مثل قول بعض المحدثين » . قدامة ، (1) ، 78 ، الخفاجي ، 255 ، المرزباني ، 235

(2) البيت روايتان . إحداهما رواية حازم ، وقد جرى عليها صاحب العمدة . انظر ابن رشيّق ، ٢ ، 34 .
والرواية الثانية رواها مجرور وهي من الكلب ، لا بها الكلب . والبيت من قصيدة أولها :

هل للشباب الذي قد فات من طلب
أم ليس غابره الماضي بمنقلب
دع البكاء على ما فات من طلبه
فالدهر يأتي بألوان من العجب
انظر الباسي ، (2) ، ٣ ، 88 .

وقول ابن المعتز :

وَكَاَنَّ حُمْرَةَ لَوْنِهَا مِنْ خَدِّهِ وَكَأَنَّ طَيْبَ نَسِيمِهَا مِنْ نَشْرِهِ
حَتَّى إِذَا صَبَّ الْمِزَاجُ تَبَسَّمت عَنْ ثَغْرِهَا فَحَسْبَتْهُ مِنْ ثَغْرِهِ
مَا زَالَ يُنْجِزُ لِي مَوَاعِدَ عَيْنِهِ

فَمَهُ ، وَأَحْسَبُ رَيْقَهُ مِنْ خَمْرِهِ (1) 5

وقول الصنوبري :

مَا أَخْطَأَتْ نُونَاتُهُ مِنْ صُدْغِهِ شَبَّهَا ، وَلَا أَلْفَاتُهُ مِنْ قَدِّهِ
فَكَأَنَّمَا أَنْفَاسُهُ مِنْ شَعْرِهِ وَكَأَنَّمَا قِرْطَاسُهُ مِنْ جِلْدِهِ (2)

1- إضاعة : وكل معنى فرّع عن معنى فقد يكون واقعا معه في

حيز واحد ، وقد يكون بينهما تباين في ذلك ، وقد يكون المأخذ فيهما 10
واحدا ، وقد يكون متخالفا ، وقد يكون أحدهما موجّها من بعض جهات
التوجيه نحو النسب الإسنادية إلى ما وجه إليه الآخر ، وقد يكون أحدهما
موجّها إلى غير ما وجه إليه الآخر ، ومن ذلك قول محمد بن وهيب :
[الكامل - ق - المتراكب]

(1) وردت الأبيات مع تغيير قليل ، غير موصول بعضها ببعض ضمن قطعة صغيرة :

قد حشني بالكاس أو في نحره ساق علامة دينه في خصره
وكان حمرة خده في لونها وكان طيب ريأضها من نشره
حتى إذا صب المزاج تبسمت عن ثغرها فحسبته عن ثغره
يا ليلة شغل الرقاد غيورها عن عاشق في الحب هتكة ستره
إن لم تعودني للمقيم مرة أخرى فإنك غلطة من دهره
ما زال ينجز لي مواعد عينه فمه وأحسب ريقه من خمره
وإذا تحرك دعره في قلبه قطع الشفاء على ضنى لم يبره

الديوان ، 222 .

(2) ورد البيتان بغير الوجه المذكور في الأصل والرواية الثانية :

ما أخطأت نوناته من صدغه شيئا ولا ألفاته من قدّه
وكانما أعلامه من شعره وكانما قرطاسه من جلده

العباسي ، (2) ، 30 ، 90 .

طَلَّلَان طَالَ عَلَيْهِمَا الْأَمَدُ دَرَسَا فَلَا عَلَمٌ وَلَا نَضَدٌ
لَبِيسًا بَلِيًّا ، فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحْبَسَةِ مِثْلَ مَا أُجِدُّ (1)

2 - **قنوير** : وينبغي أن تكون الثقلة من أحد المعنيين إلى الآخر فيما قصد فيه التفريع متناسبة ، وأن يكون المعنى الثاني مما يحسن اقترانه بالأول 5 ويفيد الكلام حسن موقع من النفس . وما وقع من التفريع غير متناسب الوضع ولا متشاكل الإقتران لم يحسن ، وكان من قبيل التذليل والحشو الذي لا يحسن .

3 - **إضاءة** : ولا ينبغي أن / يُذهب بالمعاني مذهب التفريع في [21 - ب] قصيدة بجملتها ، ولا أن يتابع ذلك في جملة فصول من القصيد ، بل يلمع بذلك في بيت أو فصل غير طويل . وإن وقع ذلك في فصول أو أبيات 10 غير متصلة ، بحيث تقع المراوحة بينه وبين غيره من الصناعات ، لم يكن مكروها ، إذ المذهب المستحسن في الكلام أن يفتن في ضروب الإبداعات الموقعة فيه ، وأن يتوخى في جميع ذلك تناسب الانتقالات وحسن الإقترانات . وكلما كان الكلام مقتصرا به على فن واحد من الإبداعات ، 15 وإن كان حسنا في نفسه ، لم يحسن لأن ذلك مؤدّ إلى سآمة النفس ، فإن شيمتها الضجر مما يتردد والولع بما يتجدّد .

(1) لم نقت إلا على صدر البيت الاول . العباسي ، (2) ، ٣ ، 227 .

المنهج الثالث ، في الإبانة عما به تقوم صنعتا الشعر والخطابة من التخييل والإقناع ، والتعريف بأنحاء النظر في كلتا الصنعتين ، من جهة ما به تقوم ، وما به تعتبر أحوال المعاني في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

أ — معلم دالّ على طرق العلم بما تقوم به صناعة الشعر من التخييل ، وما به تقوم صناعة الخطابة من الإقناع ، والفرق بين الصنعتين في ذلك .

لما كان (1) كلّ كلام يحتمل الصدق والكذب إما أن يردّ على جهة الإخبار والاقتصاص وإما أن يردّ على جهة الاحتجاج والاستدلال ، وكان اعتماد الصناعة الخطابية في أقاويلها على تقوية الظنّ لا على إيقاع / اليقين — اللّهمّ إلاّ أن يعدل الخطيب بأقوايله عن الإقناع إلى التصديق ، فإنّ للخطيب أن يلمّ بذلك في الحال بين الأحوال من كلامه — واعتماد الصناعة الشعرية على تخييل الأشياء التي يعبر عنها بالأقاويل وبإقامة صورها في الذهن بحسن المحاكاة ، وكان التخييل لا ينافي اليقين كما نافاه الظنّ ، لأنّ الشيء قد يخيّل على ما هو عليه وقد يخيّل على غير ما هو عليه ، وجب (2) أن تكون الأقاويل الخطيبة — اقتصادية كانت أو احتجاجية — غير صادقة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق ، لأنّ ما يقوم به وهو الظنّ مناف لليقين ، وأن تكون الأقاويل الشعرية اقتصادية كانت أو استدلالية غير واقعة أبدا في طرف واحد من

[22 — أ]

(1) فلّ لما والجواب هو وجب الذي يقع التنبيه عليه بعد .

(2) هذا جواب « لما في لما كان كلام » في أول المعلم .

النقيضين اللذين هما الصدق والكذب ، ولكن تقع تارة صادقة وتارة كاذبة . إذ ما تقوم به الصناعة الشعرية وهو التخيل غير مناقض لواحد من الطرفين . فلذلك كان الرأي الصحيح في الشعر (1) أن مقدّماته تكون صادقة وتكون كاذبة ، وليس يعدّ شعرا من حيث هو صدق ولا من حيث هو كذب بل من حيث هو كلام مخيل . 5

١ - إضاعة : ولما كانت الأقاويل الصادقة لا تقع في الخطابة بما هي خطابة إلاّ بأن يعدل بها عن طريققتها الأصلية وكان ما وقع منها في الشعر غير مقصود من حيث هو صدق كما لا تكون الأقاويل الكاذبة فيها مقصودة من حيث هي كذب بل من حيث هي أقاويل مخيلة رأيت ألاّ أشغل بحصر الطرق التي بها يماز القول الصادق من غيره وتفصيل القول في ذلك . 10
فإنّ ذلك مخرج إلى محض صناعة المنطق . وإن كنت قد أشرت إلى الأنحاء التي يتعرف منها ذلك إشارة إجمالية لأرشد الناظر في هذه الصناعة إلى جهات الفحص عن ذلك ، وأدّله على مظانّ التماسه ، فإنّ الخطيب واجب عليه والشاعر متأكد في حقّه أن يعرف / الوجوه التي تصير بها الأقاويل [22 - ب] 15
الكاذبة موهمة أنّها صدق .

2 - تنوير : وإنّما يصير القول الكاذب مقنعا وموهما أنّه حقّ بتمويهات واستدراجات ترجع إلى القول أو المقول له . وتلك التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتبار المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنّه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرّب في احتذائها . 20

(1) هذا خروج من الاختلافات والآراء المتباينة فيه، الواردة في ترجمات كتاب الشعر لأرسطو وفي كتب النقد العربية .

3- **إضاعة** : والتمويهات تكون في ما يرجع إلى الأقوال .
والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله . أو باستمالته
المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريضه . أو باطباته إتياء لنفسه وإحراجه
على خصمه حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم . وكلام خصمه
غير مقبول .

5

4- **تنوير** : والتمويهات تكون بطي محل الكذب من القياس عن
السامع . أو باغتراره إتياء ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة
لاشتباهها بما يكون صدقا ، أو بترتيبه على وضع يوهم أنه صحيح
لاشتباهه بالصحيح . أو بوجود الأمرين معا في القياس أعني أن يقع فيه
الخلل من جهتي المادة والترتيب معا ، أو بإلهاء السامع عن تفقد موضع
الكذب وإن كان إلى حيز الوضوح أقرب منه إلى حيز الخفاء بضروب
من الإبداعات والتعجيبات تشغل النفس عن ملاحظة محل الكذب والخلل
الواقع في القياس من جهة مادة أو من جهة ترتيب أو من جهة المادة
والترتيب معا .

5- **إضاعة** : فلمّا كان كثير من التمويهات التي تكون من غير
جهة اشتغال النفوس بالتعجيبات والإبداعات البلاغية عن تفقد محل
الكذب يقصدها كثير من الناس بطباعهم ويتهدّون إليها بأفكارهم
- وإن كان تحصيل القوانين في حصر طرق تلك التمويهات أنفع شيء
للخطيب / في التوصل إلى الملكة الخطابية - رأيت ألاّ أشتغل بحصر تلك

[23 - أ]

الطرق عمّا هو أنسب إلى هذه الصناعة من ذلك عن إبانة وجوه النظر
البلاغي في الأقاويل الخطابية والشعرية من جهة ما يخصّ كلتا الصناعتين
ويعمّهما ، وأن نشير في ما أشرنا إليه من ذكر طرق التمويهات الخطابية
على ما أصله أهل صناعة المنطق كابن سينا وغيره .

20

6- **تنوير** : وليس ترد المقاييس في الأقاويل الشعرية والخطابية المقصود بها البلاغة إلاّ محذوفة إحدى المقدماتين أو النتيجة في الحملات ، ومحذوفة الاستثناءات والنتائج في الشرطيات المتصلات ، لأنّ القياس كلام تلازمت فيه القضايا فصار مستثما بطوله مع ما يقع فيه من تكرار الأسوار والحدّ الأوسط وأجزاء النتيجة . وكذلك المقدمات والتوالي في الشرطيات المتصلات يقع فيهما وفيما يتصل بهما التكرار أيضا بما يعاد من أجزائهما في الاستثناء والنتيجة . فلمّا كان القول القياسي قد لزمه الطول والتكرار لم يكن لهم بدّ ، فيما قصدوا به البلاغة من كلامهم ، من أن يعدلوا مقداره ويميطوا تكراره . فإنّ الكلام إذا خفّ واعتدل حسن موقعه من النفس ، وإذا طال وثقل اشتدّت كراهة النفس له . 10

7- **إضساءة** : وليس يحمد في الكلام أيضا أن يكون من الخفة بحيث يوجد فيه طيش ، ولا من القصر بحيث يوجد فيه انبتار ؛ لكنّ المحمود من ذلك ما له حظّ من الرصانة لا تبلغ به إلى الاستثقال ، وقسط من الكمال لا يبلغ به إلى الإسّام والإضجار . فإنّ الكلام المتقطع الأجزاء المنبتر التراكيب غير ملذوذ ولا مستحلى ، وهو شبه الرشقات المتقطعة التي لا تروي غليلا . والكلام المتناهي في الطول يشبه استقصاء الجرّع المؤدّي إلى الغصص ، فلا شفاء مع التقطيع المخلّ ولا راحة مع التطويل / المملّ ، [23 - ب] ولكنّ خير الأمور أوساطها . 15

8- **تنوير** : ولا يحذف من المقاييس إلاّ ما يكون في قوّة الكلام دليل عليه من مقدّمة أو نتيجة أو قضية مستثناة . وهذا المحذوف قد يكون القصد به طيّ المقدّمة التي يظهر فيها الكذب ، وقد تكون مقدّمات القياس كلّها صادقة وتطوى إحداها لما ذكرته من قصد التخفيف خاصة . 20

9- إضفاء : وقد يكون اقتضاء ما أبقى من القياس لما أميط عنه اقتضاء صحيحا . وقد يكون غير مقتض له في الحقيقة ويظهر في بادىء الرأي أنه مقتض له على الصحة . وأكثر ما يكون هذا في الاستثناءات الشرطية نحو قول امرئ القيس : [الطويل - ق - المتدارك]

وَأِنْ كُنْتُ قَدْ سَاءَ تَكْ مِنْي خَلِيقَةٌ⁵
فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِ (1)

ففي قوة هذا الكلام ، على ما يترامى إليه غرض القول ، أن يكون الاستثناء نقيض المقدّم والنتيجة نقيض التالي ، أي لكتك لم نسوك مني خليفة فيوهم أنه منتج : فلا تسلي ثيابي من ثيابك . وهذا استثناء وإنتاج غير صحيحين ، وإنما يستعمل هذا في الخطابة على جهة الإقناع . وإنما تصحّ نتيجة الشرطية المتصلة إذا استثنى فيها عين المقدّم فأنّج عين التالي ، أو استثنى نقيض التالي فأنّج نقيض المقدّم . والمقدّم هي القضية التي تلي حرف الشرط ، والتالي هي القضية التي تكون جوابا للشرط .

10- تنوير : فإذا كان الاستثناء والإنتاج على هذا النحو الذي ذكرته آخرا وكانت القضايا صحيحة مسلمة كان القياس صحيحا وكان لزوم النتيجة لما تقدّمها من أجزاء القياس واجبا ، لأنّ القياس قول مؤلف من مقدّمات وقضايا إذا كانت مسلمة ورتبت الترتيب الذي يجب في القياس الصحيح لزم عن ذلك القول المرتب لذاته قول آخر يسمى نتيجة .

(1) البيت من معلقته الشهيرة . السدوسي ، (3) ، 147 .

11 - إضاعة : فما كان من الأقاويل القياسية مبنياً على تخيل وموجودة فيه المحاكاة فهو بعدّ قولاً شعرياً . سواء كانت / مقدّماته [24 - أ] برهانية أو جدلية أو خطابية يقينية أو مشتهرة أو مظنونة . وما لم يقع فيه من ذلك بمحاكاة فلا يخلو من أن يكون مبنياً على الإقناع وغلبة الظن خاصة ، أو يكون مبنياً على غير ذلك . فإن كان مبنياً على الإقناع خاصة 5 كان أصيلاً في الخطابة دخيلاً في الشعر سائعاً فيه . وما كان مبنياً على غير الإقناع ممّا ليس فيه محاكاة فإنّ وروده في الشعر والخطابة عبث وجهالة سواء كان ذلك صادقاً أو مشتهراً أو واضح الكذب .

12 - تنوير : وأكثر ما يستدلّ في الشعر بالتمثيل الخطابي . وهو الحكم على جزئي بحكم موجود في جزئي آخر يماثله ، نحو قول حبيب : 10 [البسيط - ق - المتركب]

أَخْرَجْتُمُوهُ بِكُفْرِهِ مِنْ سَجِيَّتِهِ
وَالنَّارُ قَدْ تَنْتَضَى مِنْ نَاضِرِ السَّلَامِ (١)

فالأقاويل التي بهذه الصفة خطابية بما يكون فيها من إقناع ، شعريّة 15 بكونها متلبسة بالمحاكاة والخيالات .

13 - إضاعة : والاستدلالات الواقعة في الشعر والأمثال المضروبة فيه إنّما تجيء تابعة لبعض ما في الكلام ، أو لما قد أشير إليه ممّا هو خارج عنه . فهي إمّا محاكاة لمتبوعاتها ، أو تخيلات فيها أو من أجلها . فكثير من الأمثال أيضاً يكون قولاً شعرياً ، ويكون منها ما هو قول حق ، ومنها 20 ما ليس بحق كما كان ذلك في المحاكاة والاستدلالات .

(١) البيت من قصيدة يمدح بها أبو تمام مالك بن طوق التغلبي، طالعها :
سلم على الربع من سلمى بذي سلم عليه رسم من الأيام والقدم
التبريزي ، ٣ ، 189 .

14 - **تسوير** : وإنما اتسع في المحاكيات الشعرية ، على هذه الأنحاء التي أشرت إليها وعلى ما نذكره بعد في أصناف المحاكيات وكيفيات التصرف فيها ، في لسان العرب خاصة . فلذلك وجب أن توضع لها من القوانين أكثر مما وضعت الأوائل .

- فإن الحكيم أرسطاطاليس ، وإن كان اعتنى بالشعر بحسب مذاهب اليونانية فيه ونبه على عظيم منفعة وتكلم في قوانين عنه ، فإن أشعار اليونانية إنما كانت أغراضا محدودة في أوزان مخصوصة (1) ، ومدار جلّ أشعارهم على خرافات كانوا يضعونها / يفرضون فيها وجود أشياء وصور لم تقع في الوجود . ويجعلون أحاديثها أمثالا وأمثلة لما وقع في الوجود . وكانت لهم أيضا أمثال في أشياء موجودة نحو من أمثال كليلة ودمنة ونحو مما ذكره النابغة من حديث الحية وصاحبها (2) . وكانت لهم طريقة أيضا - وهي كثيرة في أشعارهم - يذكرون فيها انتقال أمور الزمان وتصاريقه (3) ، وتنقل الدول وما تجرى عليه أحوال الناس وتؤول إليه .

(1) أورد نحو من هذه الجملة ابن سينا في ترجمته لكتاب الشعر لأرسطو . وإثر ذلك ذهب كثيره إلى عد الأنواع والتعريف بها وبموضوعاتها وأغراضها واحدا واحدا أرسطو ، (1) ، 165 ، 167 .

(2) الحديث المشار إليه هنا هو الذي تضمنته القصيدة الرائية التي عاتب بها النابغة بني مرة على إيثارهم وتحالفهم عليه وعلى قومه . وطالع القصيدة :

الا أبلغنا شيبان عني رسالة فقد أصبحت في منهج الحق حائره
وأول الحديث المشار إليه :

وإني لألقى من ذوى الضعن منهم وما بعده ثلاثة عشر بيتا إلى قوله :

أبى لي قبر لا يزال مقابلي وضربة فأس فوق رأسي فاقره
الديوان ، 61 ، 62 .

(3) الملحة في الشعر اليوناني .

فأما غير هذه الطرق ، فلم يكن لهم فيها كبير تصرف ، كتشبيه الأشياء بالأشياء ، فإن شعر اليونانيين ليس فيه شيء منه ؛ وإنما وقع في كلامهم التشبيه في الأفعال لا في ذوات الأفعال (1) .

ولو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال ، والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى ، وتبحرهم في أصناف المعاني وحسن تصرفهم في وضعها ووضع الألفاظ بلزائنها ، وفي إحكام مبانيها واقترباتها ولطف التفاتاتهم وتميماتهم واستطراداتهم ، وحسن مأخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالأقويل المخيلة كيف شاؤوا ، لزاد (2) على ما وضع من القوانين الشعرية.

10 فإن أبا علي بن سينا قد قال عند فراغه من تلخيص كتابه في الشعر : « هذا هو تلخيص القدر الذي وجد في هذه البلاد من كتاب الشعر للمعلم الأول . وقد بقي منه شطر صالح ولا يبعد أن نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق وفي علم الشعر ، بحسب عادة هذا الزمان ، كلاما شديدا التحصيل والتفصيل . وأما ها هنا فلنقتصر على هذا المبلغ » (3) . انتهى كلام ابن سينا . 15

(1) هذا مأخوذ من كلام الشيخ الرئيس حين قال : « والشعر اليوناني إنما كان يقصد فيه في أكثر الأمر محاكاة الأفعال والأحوال لا غير . وأما الذوات فلم يكونوا يشتغلون بمحاكاتها أصلا كاشتغال العرب . فإن العرب كانت تقول الشعر لوجهين : أحدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور تعد به زعم فعل أو انفعال ، والثاني للمعجب فقط . فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه . وأما اليونانيون فكانوا يقصدون أن يحتوا بالقول على فعل أو يرددوا بالقول عن فعل . وتارة كانوا يفعلون ذلك على سبيل الخطابة وتارة على سبيل الشعر . فلذلك كانت المحاكاة الشعرية عندهم مقصورة على الأفعال والأحوال والذوات من حيث لها تلك الأفعال والأحوال » . أرسطو ، (1) ، 169 - 170 .

(2) جواب لو .

(3) هذا آخر من الشعر كتاب الشيخ لا ابن سينا . انظر أرسطو ، (1) ، 198 .

وفي كلامه إشارة إلى تفخيم علم الشعر ، وما أبدت فيه العرب من العجائب ، وإلى كثرة تفاصيل الكلام في ألفاظه ومعانيه ونظمه وأساليبه : واتساع مجال القول في ذلك .

[25 - أ]

15 - / إضاءة : وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما أرجو أنه من جملة ما أشار إليه أبو علي ابن سينا . 5

وقد تركت من ذلك أشياء لم يمكنني الكلام فيها لكون بعض أغراض النفس تحت على الانحياز في التأليف وتعجيل الإتمام له ، ولأن استقصاء القول في هذه الصناعة محوج إلى إطالة تتخون أزمة الناظر وتعوقه عما يجب أن يترقى إليه من هذه الصناعة من العلوم النافعة . فإن النظر في أسرار هذه الصناعة مفتاح للنظر في تلك ومراقبة لها . وإنما يجب أن يقتصر 10 في التأليف من هذه الصناعة على ظواهرها ومتوسطاتها . وبمسك عن كثير من خفاياها ودقائقها لأن مرام استقصائها عسير جداً ، مضطراً إلى الإطالة الكثيرة ، ولأن هذه القوانين الظاهرة والمتوسطة أيضاً من فهمها وأحكام تصورها وعرفها حق معرفتها أمكنه أن يصير منها إلى خفايا هذه الصنعة ودقائقها . ويعلم كيف الحكم فيما تشعب من فروعها : فيحصل 15 له جميع الصنعة أو أكثرها بطريق مختصر . والله ولي الإرشاد لمن استرشده .

16 - تنوير : وإنما صبح أن تقع الأقاويل الصادقة في الشعر ، ولم تصح أن تقع في الخطابة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق ، لأن ما تنقوم به صنعة الخطابة ، وهو الإقناع ، مناقض للأقاويل الصادقة ، إذ الإقناع بعيد من التصديق في الرتبة . والشعر لا يناقض اليقين ما يتقوم به 20 وهو التخيل ، فقد يخيل الشيء ويمثل على حقيقته . فلذلك وجب أن يكون في الكلام المخيل صدق وغير صدق . ولا يكون في الكلام المقنع ما لم يعدل به إلى التصديق إلا الظن الغالب خاصة ، والظن مناف لليقين .

فالشعر إذن قد تكون مقدّماته يقينية ومشهورة ومظنونة . ويفارق البرهان والجدل والخطابة بما فيه من التخيل والمحاكاة ، ويختص بالمقدّمات المموّهة الكذب . / فيكون شعرا أيضا ما هذه صفته باعتبار ما [25 - ب] فيه من المحاكاة والتخيل ، لا من جهة ما هو كاذب ، كما لم يكن شعرا من جهة ما هو صادق ، بل بما كان فيه أيضا من التخيل . فلاختصاص 5 الشعر باستعمال المحاكاة في المقدّمات الكاذبة ما يقصر على النسبة إليه كلّ كلام مخيّل مقدّماته كاذبة ، فيقال : كلام شعري إذ هو المختص باستعمال المقدّمات الكاذبة من حيث يخيّل فيها أو بها لا من حيث هي كاذبة . وإن شارك جميع الصنائع في ما اختصت به ، وكان له أن يخيّل 10 في جميع ذلك ، فالتخيل هو المعتبر في صناعته (1) ، لا كون الأقاويل صادقة أو كاذبة .

ب - معرف دالّ على المعرفة بماهية الشعر وحقيقته .

الشعر كلام موزون مقفّى من شأنه أن يجبّ إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ، ويكرّره إليها ما قصد تكريهه ، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب 15 منه ، بما يتضمّن من حسن تخيل له ، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام ، أو قوّة صدقه أو قوّة شهرته ، أو بمجموع ذلك . وكلّ ذلك يتأكّد بما يقترن به من إغراب . فإنّ الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخياليّة قويّ انفعالاتها وتأثيرها.

1 - إضافة : فأفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيأته ، وقويت

20 شهرته أو صدقه ، أو خفي كذبه ، وقامت غرابته . وإن كان قد يعدّ

(1) وردت الكلمة بالأصل بلا إضافة ولا تعريف .

حذقا للشاعر اقتداره على ترويض الكذب وتمويهه على النفس وإعجالها إلى التأثير له قبل ، بإعمالها الروية في ما هو عليه . فهذا يرجع إلى الشاعر وشدة تحيله في إيقاع الدلسة للنفس في الكلام . فأما أن يكون ذلك شيئا (1) يرجع إلى ذات الكلام فلا .

- وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة ، واضح الكذب ، خليًا من 5 الغرابة ؛ وما أجدر ما كان / بهذه الصفة ألاّ يسمّى شعرا وإن كان موزونا مقفى ؛ إذ المقصود بالشعر معدوم منه ؛ لأنّ ما كان بهذه الصفة من الكلام الوارد في الشعر لا تتأثر النفس لمقتضاه . لأنّ قبح الهيئة يحول بين الكلام وتمكّنه من القلب ، وقبح المحاكاة يغطي على كثير من حسن المحاكي أو قبحه ويشغل عن تخيل ذلك . فتجمد النفس عن التأثير له ؛ 10 ووضوح الكذب يزعمها عن التأثير بالجملة .

- 2- قنوير : فإن حسنت الهيئة والمحاكاة ولم يكن الكذب شديد 15 الوضوح ، خادعا النفس عما تستشعره أو تعتقده من الكذب ، وحرّكاها إلى اعتماد الشيء بفعل أو اعتقاد أو التخلّي عنه تحريك مغالطة ، فهذا أدنى مراتب الشعر إذا لم يعتدّ بما ذكرناه أولا .

- 3- إضاعة : وإنّما يرجع الشاعر إلى القول الكاذب حيث يُعوّزُه 20 الصادق والمشتهر بالنسبة إلى مقصده في الشعر . فقد يريد تقييح حسن وتحسين قبيح ، فلا يجد القول الصادق في هذا ولا المشتهر ، فيضطرّ حينئذ إلى استعمال الأقاويل الكاذبة .

(1) بالاصل شيء .

4- **قنوير** : فأمّا إذا قصد تحسين حسن وتقييح قبيح ، فإنه
 متمكّن من القول الصادق والمشهور فيهما . وأكثر أقوال الشعراء في هذين
 القسمين . إذا لم يقصدوا المبالغة في ما يحاكونه ويصفونه ، صادقة .
 اللهم إلا أن يقصدوا المبالغة في تحسين حسن أو تقييح قبيح فيتجاوزون (1)
 5 حدود أوصافه الحقيقية ويحاكونه بما هو أعظم منه حالا أو أحقر ليزيدوا
 النفوس استمالة إليه أو تنفيرا عنه .

5- **إضاعة** : ولا يخلو الشيء الحسن من أن يكون أحسن ما في
 معناه ، أو أن يكون ثمّ ما هو أحسن منه . وكذلك القبيح قد يوجد أقبح
 منه أو لا يوجد . فالحسن الذي لا أحسن منه ، والقبيح الذي لا أقبح منه .
 10 ولا يوجد مساو لهما في معنيهما ، لا ينبغي أن تكون الأقوال فيهما صادقة
 في الأولى والأكثر ؛ فإنّ محاكاته بما هو دونه (2) تقصير به وليس هناك
 إلى ما يطمح به . / فأمّا الحسن والقبيح اللذان يوجد في معنهما ما هو
 [26 - ب] أعظم منهما أو ما يساويهما ، فإنّ الأقاويل الشعرية تَرِدُ فيهما صادقة
 وكاذبة ، بحسب ما يعتمد عليه الشاعر من اقتصاد في الوصف أو مبالغة .

15 6- **قنوير** : وإذا حقّق القول وجدت الأقاويل أيضا في تقييح
 الحسن وتحسين القبيح قد تكون صادقة لأنّ كلّ شيء حسن يقصد
 محاكاته وتخيله ، وإن كان أحسن ما في معناه ، فقد يوجد فيه وصف
 مستقبح . وكذلك الشيء القبيح ، فإنه وإن كان لا أقبح منه ، قد يوجد
 فيه وصف مستحسن .

(1) كذا بالأصل ، ولعل الوجه حذف النون منه ومن المعطوف عليه .

(2) بالأصل دنه بإسقاط الواو .

فقد قال الجاحظ : « ليس شيء إلا وله وجهان وطريقان . فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين ، وإذا ذمّوا ذكروا أقبحهما » .

وأنا أذكر الأنحاء التي يترامى إليها صدق الشعر أو كذبه بما يقتضيه أصل الصناعة ويوجهه . وهو الذي يعتمد المطبوعون من الشعراء ، وهي ثمانية أنحاء :

تحسينُ حَسَن لا نظير له . فهذا يجب أن تكون الأقاويل فيه صادقة وكذلك تقبيح القبيح الذي لا نظير له .

وتحسينُ حَسَن له نظير . وكثيرا ما يقع في هذا أيضا الصدق إذا اقتصد في أوصافه واقتصر على الوقوف عند حدودها . وكذلك أيضا إن اقتصد في محاكاته بغيره واقتصر به على المشابهة دون الغاية التي يطمح فيها عن محاكاة الشيء بالشيء إلى قول هو هو .

وفرق بين قولك في الشيء : إنه الشيء الآخر ، وبين قولك : إنه مثله وشبهه ، إذا لم ترد في نفسك معنى التشبيه ، وتكون قد حذف الحرف الدالّ عليه إيجازا ، بل أردت أن يصير به اثنية شيئين اتّحادا . وهذا يكون في المشابهة وغيرها .

قال أبو علي بن سينا : « المجانسة اتّحاد في الجنس ، والمشاكلة اتّحاد في النوع ، والمشابهة اتّحاد في الكيف ، والمساواة اتّحاد في الكمّ ، والموازاة اتّحاد في الوضع ، والمطابقة اتّحاد في الأطراف ، والهو / هو اتّحاد في شيء من اثنين يجعل اثنين في الوضع تصير به اثنيتيهما اتّحادا بنوع من الاتّحادات الواقعة بين اثنين ممّا قيل » (1) .

[27 - أ]

(1) تفصيلات وحدود منطقية وردت في بعض كتب ابن سينا الموضوعة لدراسة علم المنطق . انظر النجدة ، 324 ، 325 ، 369 وغيرها .

فما وقع من الأوصاف والمحاكاة مقتصداً فيه غير متجاوز فهو قول صدق . فإذا قيل في الشيء : إنه كالشيء ، وكان فيه شبه منه ، فهو قول حق . لأن الكاف وحروف التشبيه إنما وضعت لأن تدل على الشبه من حيث إنه موجود ، قلّ أو كثر ، لا من حيث الكمية ؛ فقد يقوى الشبه ويضعف وتكون المحاكاة مع ذلك صادقة إلا أنها في أحد الحالين أوضح . 5

وكثير من الناس يغلط فيظن أن التشبيه والمحاكاة من جملة كذب الشعر ، وليس كذلك . لأن الشيء إذا أشبه الشيء فتشبيهاً به صادق ؛ لأن المُشَبَّه مخبرٌ أن شيئاً أشبه شيئاً ، وكذلك هو بلا شك . ولأن التشبيه بإظهار الحرف وإضماره قول صادق ، إذا كان في أحد الشئين شَبَهٌ من الآخر — ورد التشبيه في القرآن لأن الماء يشبه السراب ، (1) بلا شك ، والهلال شبيه بالعرجون القديم (2) ولا بد . وكذلك جميع تشبيهات الكتاب العزيز ، الشبه فيها ظاهر — 10

فقد تبين أن الوصف والمحاكاة لا يقع الكذب فيهما إلا بالإفراط وترك الاقتصاد .

15 وحكم تقييح القبيح الذي له نظير حكم ضده الذي فرغت منه .

وقد يقع الصدق أيضاً في تحسين القبيح ؛ ووقوعه في ما هو الغاية في القبح أقل من وقوعه في ما هو دون الغاية من ذلك . وكذلك حكم تقييح الحسن ، فإن الصدق في ما هو الغاية في ذلك أقل منه في ما دونها .

وسياتي لهذا زيادة بيان (3) .

(1) يشير إلى قوله تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . ووجد الله عنده فوفاه حسابه . والله سريع الحساب » قرآن . 39/24 .

(2) « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » قرآن ، 38/36 .

(3) انظر 133 - 136 .

7- إضاعة : ولنقسم الآن الكلام الشعري بالنسبة إلى الصدق والكذب القسمة التي يتبين بها كيف يقع الكذب في صناعة الشعر ، وما الذي يسوغ منه فيها وما لا يسوغ .

فأقول : إنَّ الأقاويل الشعرية منها ما هو صدق محض ، ومنها ما هو كذب محض ، ومنها ما يجتمع فيه الصدق والكذب .

والكذب منه ما يعلم أنَّه كذب من ذات القول ، ومنه ما لا يعلم كذبه / من ذات القول . فالذي لا يعلم كذبه من ذات القول ينقسم : إلى ما لا يلزم علم كذبه من خارج القول ، وإلى ما يعلم من خارج القول أنَّه كذب ولا بدَّ . [27 - ب]

فالذي لا يعلم كذبه من ذات القول ، وقد لا يكون طريق إلى علمه من خارج أيضا : هو الاختلاق الإمكانى . وأعني بالاختلاق : أن يدعى الإنسان أنَّه محبّ ويذكر محبوبا تيممه ومترلا شجاه ، من غير أن يكون كذلك . وعنيستُ بالإمكان : أن يذكر ما يمكن أن يقع منه ومن غيره من أبناء جنسه ، وغير ذلك ممّا يصفه ويذكره .

والذي يعلم من خارج القول أنَّه كذب ولا بدَّ : الاختلاق الامتناعي ، والإفراط الامتناعي والاستحالي .

والإفراط : هو أن يغلو في الصفة فيخرج بها عن حدِّ الإمكان إلى الامتناع أو الاستحالة .

وقد فرّق بين الممتنع والمستحيل ، بأنَّ الممتنع : هو ما لا يقع في الوجود وإن كان متصوّرا في الذهن ، كتركيب يد أسد على رجل مثلا . والمستحيل : هو ما لا يصحّ وقوعه في وجود ، ولا تصوّره في ذهن ككون الإنسان قائما قاعدا في حال واحدة .

فأما الإفراط الإمكانى فلا يتحقق ما هو عليه من صدق أو كذب ، لا من ذات القول ولا من بديهية العقل ؛ بل يستند العقل في تحقق ذلك إلى أمر خارج عنه وعن القول ، إلا أن يدلّ القول على ذلك بالعرض . فلا يعتدّ بهذا أيضا . وإنما نسميه إفراطا بحسب ما يغلب على الظن .

5 8- تنوير : والاختلاق الإمكانى يقع للعرب من جهات الشعر وأغراضه .

وجهاً الشعر : هو ما توجّه الأفاويل الشعرية لوصفه ومحاكاته مثل : الحبيب ، والمنزل ، والطيف في طريق النسيب . فمثل هذه الجهات يعتمد وصف ما تعلّق بها من الأحوال التي لها علّقه بالأغراض الإنسانية ، فتكون مسانح لاقتناص المعاني بملاحظة الخواطر ما يتعلّق بجهة جهة من ذلك . 10

والأغراض : هي الهيئات النفسية التي ينحى بالمعاني المنتسبة إلى تلك الجهات نحوها ويمال بها في صفوها / لكون الحقائق الموجودة لتلك المعاني في الأعيان ممّا يهيء النفس بتلك الهيئات ، ومما تطلبه النفس أيضا أو تهرب منه ، إذا تهيأت بتلك الهيئات .

15 وسيأتى لهذا فضل بيان في القسم الرابع إن شاء الله (1) .

9- إضاءة : والاختلاق الامتناعي ليس يقع للعرب (2) في جهة من جهات الشعر أصلا .

وكان شعراء اليونانيين يختلقون أشياء يبنون عليها تخايلهم الشعرية ويجعلونها جهات لأفاويلهم ، ويجعلون تلك الأشياء التي لم تقع في الوجود

(1) طالع تفصيل الجهات والأغراض وما يعتمد من حيل فيها في مكانها من هذا الكتاب 336 - 341 ، 346 - 353 .

(2) يوضعه قول ابن سينا بعد ، فيما سينقله لنا حازم : « فإن هذا ليس مما يوافق جميع الطبائع » .

كالأمثلة لما وقع فيه ، وبينون على ذلك قَصَصًا مخترعا نحو ما تحدث به
العجائز الصبيان في أسماهم من الأمور التي يمتنع وقوع مثلها .

وقد قال أبو علي ابن سينا (1) : « وقد كان يستعمل في طراغوديا (2)
أيضا جزئيات في بعض المواضع مخترعة على قياس المسميات الموجودة .
ولكن ذلك من النادر القليل . وفي النوادر قد كان يخترع اسم شيء لا نظير
له من الوجود ويوضع بدل معنى كلتي » (3) .

وقد ذمّ ابن سينا هذا النوع من الشعر فقال : « ولا يجب أن يحتاج
في التخيّل الشعري إلى هذه الخرافات البسيطة التي هي قصص
مخترعة » (4) . وقال أيضا : « إنّ هذا ليس ممّا يوافق جميع الطباع » (5) .

10 - **تنوير** : فأما أغراض الشعر المنوطة بالجهات المذكورة ، فإنّ
العرب كانت لها فيها اختلاقات : منها اقتصادية ، ومنها إفراطية .
والإفراطية منها ممكنة ، وممتنعة ، ومستحيلة .

فالكذب الاختلاقي في أغراض الشعر لا يعاب من جهة الصناعة لأنّ
النفس قابلة له ، إذ لا استدلال على كونه كذبا من جهة القول ولا العقل .
فلم يبق إلّا أن يعاب من جهة الدين . وقد رفع الحرج عن مثل هذا الكذب

(1) أرسطو ، (1) ، 184 .

(2) الشعر الشاجبي .

(3) تمام الفقرة : مثل جعلهم الخير كشخص واحد واطناهم في مدحه ، وذلك لأن أحوال الأمور
قد كانت مطابقة لأحوال ما كانوا يخترعون لهذا الاسم . وليس نفع ذلك في التخيّل
بنفع قليل . انظر أرسطو ، (1) ، 184 .

(4) انظر أرسطو ، (1) ، 184 .

(5) أول الفقرة من كلام ابن سينا : ولكن لا يجب أن يوقف على الطراغوديا واختراع
الخرافات فيها على هذا النحو ، فإن هذا ليس... أرسطو ، (1) ، 184 .

أيضا في الدين ، فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينشد النسيب أمام المدح ، فيصغي إليه ويثيب عليه .

والكذب الإفراطي معيب في صنعة الشعر إذا خرج [من] حدّ الإمكان إلى حدّ الامتناع أو الاستحالة .

5 والإفراط : هو القسم الذي / يجتمع فيه الصدق والكذب . فإنّ الشاعر إذا وصف الشيء بصفة موجودة فيه ، فأفرط فيها ، كان صادقا من حيث وصفه بتلك الصفة ، وكاذبا من حيث أفرط فيها وتجاوز الحدّ . فهذا قد يجيء منه ما يستحسنه بعض أرباب هذه الصنعة (1) .

وسياتي تفصيل القول في هذا إن شاء الله .

10 فأما القسم الثالث وهو القول الصادق ، فمنه القول المطابق للمعنى على ما وقع في الوجود ، ومنه المقصّر عن المطابقة بأن يدلّ على بعض الوصف ويقع دون الغاية التي انتهى إليها الشيء من ذلك الوصف . فهذا النوع من الصدق في الشعر قبيحٌ من جهة الصناعة وما يجب فيها .

11 - إضاعة : فأغراض الشعر إذاً منها حاصلة ، ومنها مختلفة . والحاصلة منها ما تكون الأقاويل فيها اقتصادية وتقصيرية وإفراطية . وكذلك المختلفة تكون أقاويلها أيضا اقتصادية وتقصيرية وإفراطية ، والإفراطية : منها إمكانية ومنها امتناعية ومنها استحالية . يتركّب منها عشرة أصناف :

صنفان منها صادقان : 1 - وهي الحاصلة التي أقاويلها اقتصادية ، 20 - 2 - والحاصلة التي أقاويلها تقصيرية .

(1) هذا إشارة إلى مذهب الفلر وإلى الخلاف فيه بين أئمة النقد .

وصنف يحتمل الصدق والكذب : وهي الحاصلة التي أقاويلها إمكانية .

- وسبعة أصناف كاذبة : 1 - وهي الحاصلة التي أقاويلها ممتنعة
2 - والحاصلة التي أقاويلها مستحيلة 3 - والمختلفة (1) التقصيرية
4 - والاقتصادية 5 - والامكانية 6 - والامتناعية
7 - والاستحالية .

5

فهذه قسمتها بالنسبة إلى الصدق والكذب .

- 12 - تنوير : وتنقسم من جهة ما يستحسن في الشعر ويستساغ ،
ومن جهة ما يستساغ ولا يستحسن ، ومن جهة ما لا يستساغ ولا يستحسن ،
إلى عشرة أقسام (2) :

- أربعة منها مستحسنة : 1 - وهي الحاصلة التي أقاويلها اقتصادية 10
2 - والحاصلة التي أقوالها إمكانية 3 - والمختلفة التي أقاويلها اقتصادية
4 - والمختلفة التي أقاويلها إمكانية .

[29 - أ] / وقسمان منها مستساغان غير مستحسنين وهما : 1 - الحاصلة التي
أقوالها امتناعية ، 2 - والمختلفة التي أقاويلها امتناعية أيضا .

- وأربعة منها غير مستساغة ولا مستحسنة ، وهي : 1 - الحاصلة 15
التقصيرية 2 - والحاصلة الاستحالية ، 3 - والمختلفة التقصيرية ،
4 - والمختلفة الاستحالية .

فقد ثبت بهذا أن الاستساغة في الكلام الشعري ستة مذاهب ،
وللاستحسان أربعة مذاهب ، وللصدق ثلاثة مذاهب (3) .

(1) بالأصل المختلفة .

(2) بالأصل إلى اثني عشر قسما . وهذا لا يماشي التفصيل الذي ذكره بعد من أي وجه .

(3) هي الصورتان الصادقتان المذكورتان مفتتح التقسيم الأول مع الصادقة المحتملة للصدق والكذب .

كلّ هذه المذاهب الاستساغية والاستحسانية والصدقية يقع في جميع أنحاء الشعر الثمانية وهي : تحسين حسن له نظير ، وتحسين حسن لا نظير له ، وتقبيح قبيح له نظير ، وتقبيح قبيح لا نظير له ، وتحسين قبيح له نظير ، وتقبيح حسن لا نظير له (1) .

5 فالصدق في جميعها يدخل من ثلاثة مذاهب على ما بيّنته . وهو أكثر وقوعاً في بعض هذه الأنحاء منه في بعض ، كما تقدّم .

13 - إضاعة : وإنّما احتجت إلى إثبات وقوع الأقاويل الصادقة في الشعر لأرفع الشبهة الداخلة في ذلك على قوم ، حيث ظنّوا أنّ الأقاويل الشعرية لا تكون إلا كاذبة . وهذا قول فاسد قد ردّه أبو علي ابن سينا في غير ما موضع من كتبه ؛ لأنّ الاعتبار في الشعر إنّما هو التخيل في أيّ مادة اتفق ، لا يشترط في ذلك صدق ولا كذب ، بل أيّهما ائلفت الأقاويل المخيلة منه فبالعرض . لأنّ صنعة الشاعر هي جودة التأليف وحسن المحاكاة ؛ وموضوعها الألفاظ وما تدلّ عليه .

15 فالصدق والكذب والشهرة والظنّ أشياء راجعة إلى المفهومات التي هي شطر الموضوع ، فنسبتها إلى المدلولات التي هي المعاني كنسبة العمومية والحوشية والحال الوسطى بينهما والغرابية إلى الأدلة التي هي الألفاظ . وكلّ هذه الأصناف من الألفاظ تقع في الشعر . وصناعة الشاعر فيها حسن التأليف والهيئة . كما أنّ كلّ تلك الموادّ تقع فيه . وصناعة الشاعر فيها حسن / المحاكاة والنسب والإقترانات الواقعة بين المعاني . وكما أنّ [29 - ب]

20 الألفاظ المستعذبة المتوسطة في الاستعمال أحسن ما يستعمل في الشعر لمناسبتها الأسماع والنفوس ، وحسن موقعها منهما ، ثمّ إنّ الشاعر مع ذلك يستعمل

(1) راجع بقية الأنحاء الشعرية في التفصيل الوارد 74 - 76 .

الحوشي والساقط تساعها واتساعا . حيث تضطره الأوزان والقوافي ؛
فكذلك المعاني التي تكون الأقاويل فيها صادقة أو مشتهرة ، أفضل ما
يستعمل في الشعر لكونها تحرك النفوس إلى ما يراد منها تحريكا شديدا .
وليست تحرك الأقاويل الكاذبة إلا حيث يكون في الكذب بعض خفاء
أو حيث يحمل النفس شدة ولعها بالكلام لفرط ما أبدع فيه على الانقياد⁵
لمقتضاه ، وإن كان مما يكره ولا يصدق الحاض عليه . ومع هذا فتحريكها
دون تحريك الأقاويل الصادقة إذا تساوى فيهما الخيال وما يعضده مما داخل
الكلام وخارجه . فتحريك الصادقة عام فيها قوي ، وتحريك الكاذبة
خاص فيها ضعيف . وما عم التحريك فيه وقوي كان أخلق بأن يجعل
عمدة في الاستعمال حيث يتأتى . كما أن ما عذب من الألفاظ ولم¹⁰
يكن حوشيا ولا عاميا أجدر أن يُعتمد في الشعر من غيره . لكن
الشاعر أيضا يضطر حيث يريد تحسين قبيح أو تقييح حسن أو تنميم
ناقص بالنسبة إلى ما يراد منه بالمبالغة في وصفه لتزيد النفوس زيادة
الوصف تحريكا ، فيستعمل حينئذ الأقاويل الكاذبة وما لا يوقع الصدق
كما يستعمل الحوشي والعامي من الألفاظ مضطرا في ذلك ، أو مسامحة¹⁵
للفكر في ما يقتضيه من المعاني أو يجتلبه من الألفاظ عفوا دون كد ؛ أو
لأن يرى بعض الأحوال المقدرة التي يتخيلها أهز من الأحوال التي وقعت
له . فيبني قوله على الحال المخيلة الممكنة دون الواقعة ، ليكون الكلام
بذلك أشد موقعا من النفس وعلوقا بالقلب .

[30 - أ] 14 - تنوير : فقد تبين أن أفضل المواد المعنوية / في الشعر ما²⁰
صدق وكان مشتهرا ، وأحسن الألفاظ ما عذب ولم يتنذل في الاستعمال .
وكلامنا ليس واجبا على الشاعر لزومه ، بل مؤثرا حيث يمكن ذلك .

وتبيّن بهذا أنّ قول من قال : إنّ مقدّمات الشعر لا تكون إلاّ كاذبة كاذب ، وأنّه بمنزلة من يقول : إنّ الألفاظ الشعرية لا تكون إلاّ حوشية ولا تكون مستعملة ، لأنّ الألفاظ المستعملة والمقدّمات الصادقة أولى ما يستعمل في الشعر حيث يمكن ذلك ويكون الوضع والغرض لا ثقا به . وما مثله في قصر الشعر على الكذب مع أنّ الصدق أنجع فيه إذا وافق الغرض إلاّ مثلاً من منع من ذي علة ما هو أشدّ له موافقة بالنسبة إلى شكاته واقتصر به على أدنى ما يوافق مع التمكن من هذا وذلك . فإن كان هؤلاء الذين رأيهم هذا نفسوا على الشعراء وقوع الصدق في كلامهم ، فلا خلق أشدّ نفاسة من هؤلاء . وإن كان جرى عليهم سهو وغلط في ذلك ، فما أجدر هذه الفطر البشرية والفكر الإنسانية بذلك !

15 — إضساءة : ولعلّ الغلط إنّما جرى عليهم من حيث ظنّوا أنّ ما وقع من الشعر مؤتلفاً من المقدّمات الصادقة فهو قول برهاني ، وما اختلف من المشهورات فهو قول جدلي ، وما اختلفت من المظنونات المترجحة الصدق على الكذب فهو قول خطّبي ؛ ولم يعلموا أنّ هذه المقدّمات كلّها إذا وقع فيها التخييل والمحاكاة كان الكلام قولاً شعريّاً لأنّ الشعر لا تعتبر فيه المادّة ، بل ما يقع في المادّة من التخييل .

وقد قال أبو علي ابن سينا : « الأقاويل الشعرية مؤتلفة من المقدّمات المخيلة من حيث يعتبر تخيلها ، كانت صادقة أو كاذبة . وبالجمله تؤلّف من المقدّمات من حيث لها هيئة وتألّف قبلها النفس بما فيها من المحاكاة ، بل ومن الصدق ؛ فلا مانع من ذلك » . (1)

(1) هذا النص غير موجود في نشرة بلوي .

فانظر تر (1) كيف قرن هذا الإمام الرئيس صدق الشعر بالمحاكاة ،
[30 - ب] لأنّ المحاكاة الحسنة في الأقوال الصادقة وحسن / إيقاع الاقتراعات والنسب
بين المعاني مثل التأليف الحسن في الألفاظ الحسنة المستعذبة .

ثمّ قال ابن سينا : « ولا يلتفت إلى ما يقال من أنّ البرهانية واجبة
والجدلية ممكنة أكثرية والخطبية ممكنة متساوية لا ميل فيها ولا ندرة .
5 والشعرية كاذبة ممتنعة . فليس الاعتبار بذلك . ولا أشار إليه صاحب
المنطق » (2) .

وقال أبو علي أيضا في موضع آخر : « وليس يجب في جميع المخيلات
أن تكون كاذبة ، كما لا يجب في المشهورات وما يخالف الواجب قبوله
أن تكون لا محالة كاذبة . وبالجملّة التخيّل المحرّك من القول متعلّق
10 بالتعجّب منه : إمّا لجودة هيأته أو قوّة صدقه أو قوّة شهرته أو حسن
محاكاته » (3) .

16 - فنوير : واعلم أنّ للأقاويل الشعرية مواطنَ حقيقةً بتوحيّ
الصدق ، ومواطن لا يليق بها ذلك .

15 فالحقيقة بالصدق هي الأقاويل المتعلّقة بمناصحة ذوي التصافي : والتي
لا يليق بها ذلك هي المقصود بها مغاشّة ذوي الأضغان . فلا تكون في ما
كان نصحا محضا في الأكثر إلّا صادقة .

وإن كان لقاصد النصّح أيضا أن يتعرّض للكذب النافع في طريق
النصح ، كمن يحذّر قوما من عدوّ يتوقّع إناخته عليهم ، فإنّ له أن

(1) بالأصل ترى .

(2) هذا النص غير موجود في نشره بدوي .

(3) تقرأ هذه الجملة بهذا الوجه لا كما هي عليه عند بدوي ، 110 .

يقرّب البعيد ويكثر القليل في ذلك ليأخذوا لأنفسهم بالحزم والاحتياط .
ولا تكون في ما قصد به الغش إلا كاذبة .

وأكثر ما يمال بالأقاويل الشعرية في صفوى الصدق والكذب بحسب
هذين المقصدين في مواطن إدارة الآراء والإشارة بوجوه الحيل والمكائد
5 والتدابير لما يستقبل ويتوقع .

وهذه الأقاويل هي التي يسميها أبو علي ابن سينا « بالمشوريات » .

17 - إضاءة : فقد تبين من هذا ومما قبله أن الشعر له مواطن لا
يصلح فيها إلا استعمال الأقاويل الصادقة ، ومواطن لا يصلح فيها إلا
استعمال الأقاويل الكاذبة ، ومواطن يصلح فيها استعمال الصادقة والكاذبة
10 واستعمال الصادقة أكثر وأحسن ، ومواطن يحسن فيها استعمال الصادقة
والكاذبة واستعمال / الكاذبة أكثر وأحسن ، ومواطن تستعمل فيها كلتاها
من غير ترجح . فهي خمسة مواطن ، لكل مقام منها مقال .

[31 - أ]

وقد تبين أبو علي ابن سينا كون التخييل لا يناقض اليقين وكون القول
الصادق في مواطن كثيرة أنجح من الكاذب . فقال :

15 « والمخيّل هو الكلام الذي تدعن له النفس فتنسبط لأمر أو تنقبض عن
أمر من غير روية وفكر واختيار . وبالجملّة تفعل له انفعالا نفسانيا غير
فكري ، سواء كان المقول مصدقا به أو غير مصدق به . فإن كونه
مصدقا به غير كونه مخيلا أو غير مخيل . فإنه قد يصدق بقول من
الأقوال ولا يفعل عنه ؛ فإن قيل مرة أخرى أو على هيئة أخرى انفعلت
20 النفس عنه طاعة للتخيّل لا للتصديق . فكثيرا ما يؤثر الانفعال ولا يحدث
تصديقا ، وربما كان المتيقن كذبه مخيلا . وإن كانت محاكاة الشيء
لغيره تحرك النفس وهو كاذب فلا عجب أن تكون صفة الشيء على ما

هو عليه تحرك النفس وهو صادق ، بل ذلك أوجب ، لكنّ الناس أطوع للتخيّل منهم للتصديق . وكثير منهم إذا سمع التصديقات استكروها وهرب منها . وللمحاكاة شيء من التعجيب ليس للصدق لأنّ الصدق المشهور كالمفروغ منه ، ولا طراءة له . والصدق المجهول غير ملتفت إليه . والقول الصادق إذا حرّف عن العادة وألحق به شيء تستأنس به النفس فربّما أفاد التصديق والتخيّل معاً ، وربّما شغل التخيّل عن الالتفات إلى التصديق والشعور به « (1) .

وقد قال أبو نصر في كتاب الشعر : « الغرض المقصود بالأقاويل المخيَّلة أن ينهض السامع نحو فعل الشيء الذي خيّل له فيه أمر ما من طلب له أو هرب عنه » (2) .

ثم قال : « سواء صدّق بما يخيّل إليه من ذلك أم لا كان الأمر في الحقيقة على ما خيّل له أو لم يكن » (3) .

فأنت ترى هذين الرجلين كيف جعلتا التخيّل قد يكون بما هو حقيقة في الشيء ، وقد يكون بما لا حقيقة له .

[31 - ب] 18 - / تنوير : وإنما غلط في هذا - فظنّ أنّ الأقاويل الشعرية لا تكون إلاّ كاذبة - قوم من المتكلمين لم يكن لهم علم بالشعر ، لا من جهة مزاولته ولا من جهة الطرق الموصلة إلى معرفته .

ولا مُعَرَّج على ما يقوله في الشيء من لا يعرفه ، ولا التفات إلى رأيه فيه . فإنّما يطلب الشيء من أهله . وإنّما يقبل رأي المرء فيما يعرفه .

(1) وردت لفظة كلها مع خلاف في اللفظ قليل في أرسطو ، (1) ، 161 .
(2) ، (3) يبدو أن هاتين الجملتين مأخوذتان من كتاب الفارابي في الشعر والقوافي وهو الكتاب الذي أشار إليه ابن أبي أصيبعة ، 2 ، 139 .

وليس هذا جرحه للمتكلمين ولا قدحا في صناعتهم ، فإن تكليفهم أن يعلموا من طريقتهم ما ليس منها شطط .

والذي يورطهم في هذا أنهم يحتاجون إلى الكلام في إعجاز القرآن ، فيحتاجون إلى معرفة ماهية الفصاحة والبلاغة من غير أن يتقدم لهم علم بذلك ، فيفزعون إلى مطالعة ما تيسر لهم من كتب هذه الصناعة . فإذا فرّق أحدهم بين التجنيس والترديد ، وماز الاستعارة من الإرداف ، ظن أنه قد حصل على شيء من هذا العلم ، فأخذ يتكلم في الفصاحة بما هو محض الجهل بها . ومثلهم في هذا مثل رجل ، شاهدت له هذه القصة التي أذكرها ، بمرسيه :

10 وذلك أنه مرض له صاحب كان يعزّ عليه ويرى في حياته حياته ، ولم يكن له علم بالطب ولا تقدم أن نظر فيه . ففزع في الحين إلى استعارة كتب الطب والنظر فيها ليعالج صاحبه المريض . فانسلخت عنه ليلة وهو يتعاطى في غدها من المعالجة الطبية ما لم يكن يتعاطاه في أمسه ، إذ كان قد ظن أنه قد اكتسب معرفة صناعة الطب من ليلته . ثم شرع من صبيحته في معالجة صاحبه المريض ، ففضى عليه في اليوم الثاني بثريدة 15 أطعمها إياه رأى أنها تصلح به .

فكما أن هذا الرجل أصبح جالينوسا من ليلته كذلك يريد المتكلم في الفصاحة من المتكلمين أن يصبح من ليلته جاحظا وقُدّامة إن شاء . [الطويل - ق - المتواتر]

20 وإن كلامَ المرءِ ما لم تكُنْ له حصانةٌ على عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ (1)

(1) البيت فيما قيل في الاستدلال على عقل الرجل وحمقه بلسانه وكلامه . نسبة البحترى لطفه ابن العبد . وقال ويروى لكعب ابن زهير . والصحيح ما ذكره أولا . البحترى : المحاسة ، 367 . وورد ذكر هذا البيت في قصيدة لطرفة ، هجا بها ابن عمه عبد عمرو ابن بشر خادم عمرو بن هند . أولها :
ألا أبلغا عبد الضلال رسالة وقد يبلغ الانبياء عنك رسول
شيخو ، ق. 3 ، 306 .

[32 - أ]

19 - / إضاعة : وكيف يظنّ إنسان أن صناعة البلاغة يتأتى
تحصيلها في الزمن القريب . وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع
استنفاد الأعمار فيها ! وإنما يبلغ الإنسان منها ما في قوته أن يبلغه . ألا
ترى أن كثيرا من العلوم قد نفذ فيها قوم في أزمنة لا تستغرق إلا جزءا
يسيرا من العمر ؟ ! وهذا أبو الطيب المتنبي ، وهو إمام في الشعر ، لم
يستقم شعره إلا من مزاولة الصناعة عشرين سنة ، ثم زاولها بعد ذلك زمنا
طويلا . وتوفي وهو يصيب فيها ويخطيء . وهذا ليس مختصا به وحده .
بل كل إمام ناظم أو ناثر هذه غايته ، إذ كانت هذه الصناعة تشعب
وجوه النظر فيها إلى ما لا يحصى كثرة . فقلما يتأتى تحصيلها بأسرها
والعلم بجميع قوائنها لذلك . وسائرهما من العلوم ممكن أن يتحصل كله
أو جلّه . وليس هذا تفضيلا لصناعة البلاغة على غيرها من العلوم . إذ ليس
يلزم إذا كان علم أشدّ تشعبا من علم آخر أن يكون أفضل منه . بل
المفاضلة بين العلوم من جهات آخر وعلى ما ذكرته .

فلو قدرنا أن إنسانا ذكيا ينظر في علم من العلوم شهرا أو عاما لتحصلت
له من ذلك العلم مسائل محققة ، ولا يحصل له في هذا القدر من الزمان من
15 هذه الصناعة شيء يعتدّ به ، إذ أكثر ما يستحسن ويستقبح في علم البلاغة
له اعتبارات شتى بحسب المواضع . فقد يحسن في موضع ما يقبح في
موضع ويقبح في موضع ما يحسن في موضع . ولا يقف الإنسان على تلك
المواضع إلا بطول المزاولة . ولا يشرف الإنسان على جمل من تلك المواضع
يمكنه أن يستنبط بها أحكام ما سواها إلا بكثرة الفحص والتنقيب عما
20 يجب اعتماده في جميع أحوال الصناعة من إشار ما يجب أن يؤثّر
وترجيح ما يجب أن يرجح بالنظر إلى الشيء في نفسه أو النظر إلى ما
يقترن به أو إلى ما هو خارج عن ذلك مما تقدم التعريف به .

/ ج - معلم دالّ على طرق العلم بالأشياء المخيلة . [32 - ب]

الشعر كلام مخيل موزون ، مختصّ في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك . والتثامه من مقدّمات مخيلة ، صادقة كانت أو كاذبة ، لا يشترط فيها - بما هي شعر - غير التخييل .

5 1 - إضاءة : والتخييل في الشعر يقع من أربعة أنحاء : من جهة المعنى ، ومن جهة الأسلوب ، ومن جهة اللفظ ، ومن جهة النظم والوزن .

وينقسم التخييل بالنسبة إلى الشعر قسمين : تخييل ضروري ، وتخييل ليس بضروري ، ولكنّه أكيد أو مستحبّ ، لكونه تكميلاً للضروري وعونا له على ما يراد من إنهاض النفس إلى طلب الشيء أو الهرب منه .

10 والتخايل الضرورية هي تخايل المعاني من جهة الألفاظ . والأكيدة والمستحبة تخايل اللفظ في نفسه وتخايل الأسلوب وتخايل الأوزان والنظم ؛ وآكد ذلك تخييل الأسلوب .

15 2 - قسوير : والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه ، وتقوم في خياله صورة أو صور يفعل لتخيّلها وتصوّرّها ، أو تصوّر شيء آخر بها انفعالا من غير رويّة إلى جهة من الانبساط أو الانقباض .

20 3 - إضاءة : وطرق وقوع التخييل في النفس : إمّا أن تكون بأن يتصوّر في الذهن شيء من طريق الفكر وخطرات البال ، أو بأن تشاهد شيئا فتذكر به شيئا ، أو بأن يحاكي لها الشيء بتصوير نحنيّ أو خطيّ أو ما يجري مجرى ذلك ، أو يحاكي لها صوته أو فعله أو هيأته بما يشبه

ذلك من صوت أو فعل أو هيئة ، أو بأن يحاكي لها معنى بقول يخيله لها
- وهذا هو الذي نتكلم فيه نحن في هذا المنهج - أو بأن يوضع لها علامة
من الخط تدلّ على القول المخيل ، أو بأن تفهم ذلك بالأشارة .

[33 - أ]

/ د - معرف دالّ على طرق المعرفة بجهات مواقع التخيل من الأقاويل
وما بإزائها من المعاني وما يحسن أن ينحى بالمحاكاة نحوه من ذلك وما
لا يحسن .

وأحسن مواقع التخيل : أن يناط بالمعاني المناسبة للغرض الذي فيه القول
كتخيل الأمور السارة في التهاني ، والأمور المنجعة في المراثي . فإنّ
مناسبة المعنى للحال التي فيها القول وشدة التباسه بها يعاون التخيل على ما
يراد من تأثر النفس لمقتضاه .

10

١ - إضاءة : ويحسن موقع التخيل من النفس . أن يترامى بالكلام
إلى أنحاء من التعجب . فيقوى بذلك تأثر النفس لمقتضى الكلام .

والتعجب يكون باستبداع ما يثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقلّ
التهديّ إلى مثلها . فورودها مستندر مستطرف لذلك : كالتهديّ إلى ما
يقلّ التهديّ إليه من سبب للشيء تخفى سببته . أو غاية له . أو شاهد
عليه : أو شبيه له أو معاند ، وكالجمع بين منترقين من جهة لطيفة قد انتسب
بها أحدهما إلى الآخر ، وغير ذلك من الوجوه التي من شأن النفس أن
تستغربها .

15

2 - تنوير : ويجب ألاّ يسلك بالتخيل مسلك السذاجة في الكلام ،
ولكن يتقاذف بالكلام في ذلك إلى جهات من الوضع الذي تتشافع فيه

20

التركيبات المستحسنة والترتيبات والاقترانات والنسب الواقعة بين المعاني .
 فإنّ ذلك ممّا يشدّ أزر المحاكاة وبعضدها . ولهذا نجد المحاكاة أبدا
 يتّضح حسنّها في الأوصاف الحسنة التناسق ، المتشاكلة الاقتران ، المليحة
 التفصيل ، وفي القصص الحسن الاطراد ، وفي الاستدلال بالتمثيلات
 والتعليلات ، وفي التشبيهات والأمثال والحكم ، لأنّ هذه أنحاء من الكلام
 قد جرت العادة في أن يجهد في تحسين / هيآت الألفاظ والمعاني [33 - ب]
 وترتيباتها فيها .

3 - إضاعة : وإذا كان في قوّة القول البسيط أو القريب من البساطة
 أن يتخيّل منه أشياء لو وضع اللفظ طبقا لها لم يكن إلّا متركبا ، حسن
 الهيئة ، جرى مجرى ما قبله في الاستحسان . وذلك كالتشبيه بغير حرف
 وكالاستعارة وما جرى مجراها في ذلك .

هـ - معلم دالّ على طرق العلم بما تنقسم إليه المحاكاة .

لا يخلو المحاكى من أن يحاكي موجودا بموجود أو بمفروض الوجود
 مقدّره . ومحاكاة الموجود بالموجود لا تخلو من أن تكون محاكاة شيء
 بما هو من جنسه أو محاكاة شيء بما ليس من جنسه . ومحاكاة غير الجنس
 لا تخلو من أن تكون محاكاة محسوس بمحسوس أو محاكاة محسوس بغير محسوس ،
 أو غير محسوس بمحسوس ، أو مدرك بغير الحسّ بمثله في الإدراك . وكلّ
 ذلك لا يخلو من أن يكون محاكاة معتاد بمعتاد ، أو مستغرب بمستغرب ، أو
 معتاد بمستغرب ، أو مستغرب بمعتاد . وكلّما قرب الشيء ممّا يحاكي
 به كان أوضح شبيها . وكلّما اقترنت الغرابة والتعجيب بالتخيّل كان أبعد .

١ - **إضاعة** : وتنقسم التخييل والمحاكيات بحسب ما يقصد بها إلى : محاكاة تحسين ، ومحاكاة تقييح ، ومحاكاة مطابقة لا يقصد بها إلا ضرب من رياضة الخواطر والملح في بعض المواضع التي يعتمد فيها وصف الشيء ومحاكاته بما يطابقه ويخيله على ما هو عليه . وربما كان القصد بذلك ضرباً من التعجيب أو الاعتبار . وربما كانت محاكاة المطابقة 5 في قوة المحاكاة التحسينية أو التقيحية . فإن أوصاف الشيء الذي يقصد في محاكاته المطابقة لا تخلو من / أن تكون من قبيل ما يحمد ويدم وإن قل قسطها مثلاً من الحمد والذم . والنفس من شأنها أن تميل إلى ما يحمد وتتجافى عما يذم . فكأن التخييل بالجملة لم يخل من تحريك النفس إلى استحسان أو إلى استقباح . فلهذا كانت قوة محاكاة المطابقة في كثير 10 من المواضع قوة إحدى المحاكاتين التحسينية أو التقيحية ، لكنها قسم ثالث على كل حال . إذ لم تخلص إلى تحسين ولا تقييح .

[34 - أ]

وقد ذكر هذا أبو علي بن سينا ، وقسم المحاكيات هذه القسمة (١) .

٢ - **تنوير** : ومما تنقسم إليه المحاكاة - وقد كان يليق بهذه القسمة أن تكون مدرجة في القسم المصدّر به هذا المعلم فاستدركناها هنا إذ فأت هنالك ، وقد اندرج في هذه أيضاً بعض ما اندرج في تلك - وذلك أن المحاكاة 15 إما أن تكون محاكاة وجود أو محاكاة فرض . وكلتاها لا تخلو من أن تكون محاكاة مطلقة ، أو محاكاة شرط ، أو محاكاة إضافة ، أو محاكاة تقدير وفرض . ومحاكاة الموجود بالموجود إما أن تكون محاكاة كلي بكلي ، أو جزئي 20 بجزئي . أو كلي بجزئي أو جزئي بكلي . وكل قسم من هذه فإما أن يحاكي فيه محسوس بمحسوس ، أو محسوس بغير محسوس ، أو غير محسوس

(١) انظر أرسطو ، (١) ، ١٧٠ و ١٧١ .

بمحسوس ، أو غير محسوس بغير محسوس . ولا يخلو أن يحاكي الشيء بما هو من نوعه الأقرب ، أو جنسه الأقرب أو الأبعد ، أو بغير جنسه .

3- إضاءة : وينقسم التخيل بالنظر إلى متعلقاته قسمين :

5 تخيل المقول فيه بالقول ، وتخيل أشياء في المقول فيه وفي القول من جهة ألفاظه ومعانيه ونظمه وأسلوبه .

فالتخيل الأول يجرى مجرى تخطيط الصور وتشكيلها . والتخيلات الثواني تجرى مجرى النقوش في الصور والتوشية في الأثواب والتفصيل في فرائد العقود وأحجارها .

وقد ذكرت في تأليف الألفاظ واقتِرَأت المعاني (1) ، وأذكر بعد هذا (2) إن شاء الله في الهيآت النظامية وضم بعض الأبيات والفصول إلى بعض وفي نسق أجزاء الجهات في / أسلاك الأساليب مما يستحسن من [34 - ب] ضروب الصيغ والهيئات المستحسنة في جميع ذلك ما تغنى بذكره هناك عن أنصه (3) لك هنا .

15 وتلك الصيغ والهيئات هي التخيل الثواني . وللنفس بما وقع به من ذلك تشاكل في الكلام ابتهاج لأن تلك الصيغ تنميقات الكلام وتزيينات له . فهي تجرى من الأسماع مجرى الوشي في البرود والتفصيل في العقود من الأبصار .

(1) من موضوعات القسم الأول المفقود .

(2) إشارة إلى موضوعات القسم الثاني .

(3) بالأصل بغير أن .

فالنفس تتخيّل بما يخيّل لها الشاعر من ذلك محاسن ضروب الزينة
فتبتهج لذلك . ولهذا نقلوا إلى بعض الهيئات اللفظية التي من هذا القبيل
أسماء الصناعات التي هي تنميقات في المصنوعات . فقالوا الترصيع .
والتوشيح ، والتسليم من تسليم البرود . وكثير من الكلام الذي ليس
بشعريّ باعتبار التخيل الأوّل يكون شعرا باعتبار التخييل الثانوي . وإن 5
غاب هذا عن كثير من الناس .

4- قنوير : وتنقسم المحاكاة من جهة ما تخيّل الشيء بواسطة أو
بغير واسطة قسمين : قسم يخيّل لك فيه الشيء نفسه بآوصافه التي تحاكيه .
وقسم يخيّل لك الشيء في غيره .

وكما أنّ المحاكي باليد قد يمثل صورة الشيء نحنّا أو خطأ فتعرف 10
المصوّر بالصورة ، وقد يتخذ مرآة يبدى لك بها تمثال تلك الصورة
فتعرف المصوّر أيضا بتمثال الصورة المتشكّل في المرآة فكذلك الشاعر
تارة يخيّل لك صورة الشيء بصفاته نفسه ، وتارة يخيّلها لك بصفات شيء
آخر هي مماثلة لصفات ذلك الشيء . فلا بدّ في كلّ محاكاة من أن تكون 15
جارية على أحد هذين الطريقتين : إمّا أن يحاكي لك الشيء بأوصافه التي
تمثل صورته ، وإمّا بأوصاف شيء آخر تدّثل تلك الأوصاف . فيكون
ذلك بمنزلة ما قدّمت من أنّ المحاكي للشيء . بأن يضع له تمثالا يعطي
به صورة الشيء المحاكي ، قد يعطي أيضا هيئة تمثال الشيء وتخطيطه بأن
يتخذ له مرآة يبدى صورته فيها . فتحصل المعرفة بما لم يكن يعرف :
إمّا برؤية تمثاله ، وإمّا برؤية صورة تمثاله . فيعرف الشيء بما / يحاكيه . 20
أو بما يحاكي ما يحاكيه . وربما ترادفت المحاكاة وبني بعضها على بعض
فتبعد الكلام عن الحقيقة بحسب ترادف المحاكاة وأدّى [ذلك] (أ) إلى

[35 - أ]

(1) يقتضي المقام تقدير لفظ ذلك تصحيحا للجملة وهو غير موجود بالأصل .

الاستحالة . ولذلك لا يستحسن بناء بعض الاستعارات على بعض حتى تبعد عن الحقيقة برتب كثيرة لأنها راجعة إلى هذا الباب . فمحاكاة الشيء نفسه هي المحاكاة التي ليست بواسطة ، ومحاكاة الشيء بغيره هي المحاكاة التي بواسطة .

5 5 — إضاءة : وكل واحد من المحاكاتين : المتحدة والمزدوجة — أعني أن الواحدة تشتمل على محاكى خاصة ، والثانية تشتمل على محاكى ومحاكى به — تنقسم قسمين : محاكاة الشيء نفسه على حسب ما ألف فيه ، ومحاكاة الشيء بغيره على حسب ما ألف فيهما ، ومحاكاته فيه على غير ما ألف . وأعني بغير المؤلف أن تكون حاله مستغربة .

10 ومن محاكاة الشيء بغيره على غير ما ألف فيه قول أبي عمر ابن درّاج : [الكامل — ق — المتواتر]

وسلافةُ الأعنابِ يشعلُ نارُها تُهدي إليّ بياضَ العُنُابِ (1)

فالمؤلف أن يذوى النبات الناعم بمجاورة النار لا أن يوقع ، فأغرب في هذه المحاكاة كما ترى.

15 6 — تنوير : وللمحاكاة اقسام بحسب تنوعها إلى المؤلف والمستغرب ومقابلة بعضها ببعض . فيحصل عن ذلك ستة أقسام : 1 — محاكاة حالة معتادة — 2 — محاكاة حالة مستغربة — 3 — محاكاة معتاد بمعتاد — 4 — ومستغرب بمستغرب — 5 — ومعتاد بمستغرب — 6 — ومستغرب بمعتاد .

(1) ورد البيت بلفظ توقد بدل يشعل كما في النص . وهو من قصيدة طالمها :
أوجفت خيل في الهوى وركابي وقذفت نيلي في الصبا وحرابي
الشمالي ، (1) ، 1 ، 449 .

ومحاكاة الأحوال المستغربة إمّا أن يقصد بها إنهاض النفوس إلى الاستغراب أو الاعتبار فقط . وإمّا أن يقصد حملها على طلب الشيء وفعله أو التخلّي عن ذلك مع ما تجده من الاستغراب .

وللنفوس تحرك شديد للمحاكيات المستغربة لأنّ النفس إذا خيل لها في الشيء ما لم يكن معهودا من أمر معجب في مثله وجدت من استغراب 5 ما خيل لها ممّا لم تعهده في الشيء ما يجده المستطرف لرؤية ما لم / يكن أبصره قبل . ووقوع ما لم يعهده من نفسه موقعا ليس أكثر من المعتاد المعهود . [35 - ب]

وفنون الإغراب والتعجيب في المحاكاة كثيرة . وبعضها أقوى من بعض وأشدّ استيلاء على النفوس وتمكّنا من القلوب .

7 - إضاعة : وتنقسم المحاكاة أيضا - من جهة ما تكون مترددة 10 على ألسن الشعراء قديما بها العهد ، ومن جهة ما تكون طارئة مبتدعة لم يتقدّم بها عهد - قسمين : فالقسم الأوّل هو التشبيه المتداول بين الناس . والقسم الثاني هو التشبيه الذي يقال فيه إنّه مخترع . وهذا أشدّ تحريكا للنفوس إذا قدرنا تساوي قوّة التخييل في المعنيين لأنّها أنست بالمعتاد فربّما قلّ تأثرها له ، وغير المعتاد يفجّؤها بما لم يكن به لها استئناس قطّ 15 فيزعجها إلى الانفعال بديها بالمليل إلى الشيء والانقياد إليه أو النفرة عنه والاستعصاء عليه . وأمّا المعنى في نفسه فحقيقة واحدة . ولا فرق بالنظر إلى حقيقته بين أن يكون جديدا مخترعا وأن يكون قديما متداولاً . وإنّما الفضل في المعنى المخترع راجع إلى المخترع له وعائد عليه ومبين عن ذكاء ذهنه وحدّة خاطره .

وسبأني لهذا فضل بيان في المنهج الرابع (1) من هذا القسم إن شاء الله .

8- تنوير : وتنقسم المحاكاة أيضا ، بالنظر إلى محاكاة جزء من معنى بجزء من معنى ، أو محاكاة معنى بمعنى ، أو محاكاة قصة تتضمن معاني بقصة تتضمن معاني ، ثلاثة أقسام ، الثالث منها تاريخ .

9- إضاءة : والتخايل في المعاني منها محاكيات تقع في أمور من جهة ما ترتبت في مكان وحصل لبعضها وضع ونسبة من بعض ، فتحاكي على ما وقعت عليه من ذلك . ومنها محاكيات تقع في أمور من جهة ما ترتبت في زمان ووقع فيه بعضها بنسبة من بعض وانتسب شيء منها إلى شيء ، فتحاكي / أيضا على ما وقعت عليه من ذلك .

[36 - أ]

10- تنوير : وإذا خيلت الأمور المترتبة في مكان أو زمان فلا يخلو من أن يتعرض إلى أن ما خيل عليه أمر كلي في ما كان من ذلك الجنس أو مناقضه لمن يعتقد أن ضد ما خيلته المحاكاة حكم كلي . فيستثني المحاكي بعض ذلك الكلي فيخرجه عن ذلك الحكم ، أولا يتعرض . فإن تعرض فالقول إن كان متعلقا بأمر للناس به عناية وكان قد خرج في عبارة محكمة حكمة أو مثل أو جار مجرى الحكمة والمثل ، وإن لم يتعرض فالقول اختصاص أو غير ذلك .

11- إضاءة : ولا تخلو أن تخيل نفوس الأمور بأقوال دالة على خواصها وأعراضها اللائقة التي تقوم بها في الخواطر هيآت تلك الأمور وتتسق صورها الخيالية . أو تخيل بأن تحاكي بأقوال دالة على خواص أشياء آخر وأعراضها التي بها تنتظم صورها الخيالية في النفس فتجعل الصور المرتسمة من هذه الأشياء المحاكي بها أمثلة لصور الأشياء المحاكاة . ويستدل بوجود الحكم في المثل على وجوده في الممثل . فالقول على هذا ينقسم : إلى محاكاة قصص وما جرى مجراه ، وإلى محاكاة حكمة ، وإلى محاكاة قصص بقصص أو نحوه ، وإلى محاكاة قصص بحكمة ، ومحاكاة

حكمة بحكمة . ولا تحاكي الحكمة بالقصص إلا حيث تكون جزئية لأن الحكمة إذا كانت كلية كانت أعم من القصص ، فلا تحاكي لذلك به إلا على جهة الاستدلال التمثيلي . وربما منع من ذلك في بعض المواضع كون الحكمة أشرف من القصص وأجزل موقعا ، فلا يفتقر إلى إعانتها بمحاكاة إذا كانت بالغة . فالحكم على هذا إذا استقصيت أركانها وأعرب 5 عنها بلفظ جزل محكم العبارة أنيق النظام خفيف على اللسان مخيل لما دل به عليه محاكاة كانت أمثلة لما قبلها أو لم تكن .

[36 - ب] و - معرف (1) دال على طرق المعرفة بأحكام / المحاكيات وما يجب أن يعتبر فيها ، والاستبانة لمناقل الفكر في التخيلات الشعرية ، وكيفية التهدي إلى التحسينات والتقييدات التي ينحى بالأقاول المخیلة نحوها . 10

قد قدّمت (2) أن المحاكاة تنقسم قسمين : محاكاة الشيء نفسه ، ومحاكاة الشيء في غيره . وبقي أن نتبين أحكام هذه وأحكام تلك . فلنقدّم أحكام محاكاة الشيء نفسه . فأقول : إن الأشياء منها ما يدرك بالحس ، ومنها ما ليس إدراكه بالحس . والذي يدركه الإنسان بالحس فهو الذي تتخيله نفسه لأن التخيل تابع للحس ، وكل ما أدركته بغير الحس فإنما 15 يرام تخيله بما يكون دليلا على حاله من هيئات الأحوال المطيقة به واللازمة له ، حيث تكون تلك الأحوال مما يحس ويشاهد . فيكون تخيل الشيء من جهة ما يستبينه الحس من آثاره والأحوال اللازمة له حال وجوده والهيئات المشاهدة لما التبس به ووجد عنده . وكل ما لم يحدّد من الأمور

(1) بالأصل معلّم .

(2) انظر التنوير 4 من المعلم السابق .

عبارتين

غير المحسوسة بشيء من هذه الأشياء ، ولا خصّص بمحاكاة حال من هذه الأحوال بل اقتصر على إفهامه بالاسم الدالّ عليه ، فليس يجب أن يعتقد في ذلك الإفهام أنّه تخيل شعريّ أصلاً ، لأنّ الكلام كلّهُ كان يكون تخيلاً بهذا الاعتبار .

5 1- إضاءة : فأما الأشياء المدركة بالحواسّ فإنّها تخيلُ بخواصّها وأعراضها . وكلّما كانت الأعراض في ذلك قريبة شهيرة مناسبة لغرض القول كانت أحسن . ولا يخلو الشيء المخیل من أن يقصد تخيّلُهُ على الكمال أو يقتصر فيه على أدنى ما يخيّلُهُ . فإن قصد تخيّلُهُ على الكمال وجب أن يقصد في محاكاته إلى ذكر خواصّه وأعراضه القريبة اللاّزمة له 10 في جميع أحواله أو اللاّحقّة له في حال ما من / جهة هيئته ومقداره ولونه وملمسه . وربّما أردف ذلك بمحاكاة هيئته وحركته أو صوته إن كان ممّا له ذلك . وإن قصد الاقتصار فيه على أدنى ما يخيّلُهُ كان الوجه أن يقصد إلى بعض خواصّ الشيء وأعراضه القريبة الشهيرة فيه ، كما يقال الضئيلة الرقشاء ، فتخيّل منه الحيّة . ويستحسن في المحاكاة أن يبدأ بالأصل 15 في الشيء والأشهر فيه .

2- تنوير : وكلّ شيء حوكي بما تدركه الحواسّ فلا يخلو من أن يكون متساوي الأجزاء متماثلها ، أو متخالفها متفاوتها . وكلاهما لا يخلو من أن يكون على صفة واحدة من جميع أقطاره ، أو على صفات شيء في هيئته أو لونه أو ملمسه . وكلّ ذلك لا يخلو من أن يكون على شكل واحد في حالي حركته وسكونه أو يكون ما يختلف شكله في الحالين. 20 وكلّ ذلك يجب أن يعتبر في المحاكاة إذا قصد تخيل الشيء على جميع هيئاته وأوصافه وفي جميع أحواله . فلا يخلط ما تعلق بوصف حال من

ذلك بما تعلق بحال مغايرة لها . وقد يخيل الشاعر الشيء ببعض أوصافه دون بعض ، وعلى ما يكون عليه في بعض أحواله .

3- إضاعة : وكل ما تختلف أجزاؤه وأقطاره وأشكاله وهيئاته في حال حال من شؤونه فإن المحاكاة فيه لا تخلو من أن تفصل بحسب الأجزاء والأقطار والأشكال والهيئات وتجعل هذه الأشياء أركاناً للكلام 5 تقسم التخيل إليها ، وتبنى المحاكاة عليها كقول امرئ القيس :
[المتقارب - ق - المتدارك]

إذا أقبلت قلت سر عوفة⁽¹⁾

وقول الأسعر الجعفي : [الكامل - ق - المتدارك]

أما إذا استقبلته فتقول هسداً مثل سرحان الغضا (2) 10 أو تجعل الشيء المخيل بحسب تباين أجزائه وأقطاره وأشكاله قطبا لمدار الأوصاف المخيلة لهيئة جزء جزء وقطر قطر من أجزاء الشيء وأقطاره . ولكل ما تنوع إليه أشكاله وهيئاته بحسب اختلاف أحوالها مقرونة / [37 - ب]

(1) البيت بلفظ أعرضت في الديوان لا أقبلت كما هنا . ورواية الديوان أصح ، إذ به تتم المطابقة ويتفادى التكرار . والذي أورد حازم منه الشطر الأول . وهو من قصيدة طائفة :

أحار ابن عمرو كأنني خمر	ويعبدو على المرء ما يأتهم
إذا أقبلت قلت دبساة	من الخضر مغموسة في القدر
وإن أدبرت قلت أثنية	مللمسة ليس فيها أثر
وإن أعرضت قلت سرعوفة	لها ذنب خلفها مسطر

السندوبي ، (3) ، 99 .

(2) البيت في النص مبتور ملفق . وهو ثالث أبيات أوردها قدامة للأسعر بن حمدان الجعفي ، شاهداً في التقسيم . وهي :

أما إذا استقبلته فكأنه	باز يكفكف أن يطير وقد رأى
أما إذا أدبرته فتفوقه	ساق قموص الوقع عارية النسا
أما إذا استعرضته متمطرا	فتقول هذا مثل سرحان الغضا

فقد حذف منه حازم عروضاً كاملاً وغير لفظه . انظر قدامة ، (1) ، 46 .

بمخيلاتها وما هي محاكاة له في الحقيقة على سبيل التخصيص أو مُسْتَنْغْنَى
عن ذلك . فيكون الكلام على هذا متناسقا متسلسلا ، وعلى الوجه الآخر
مفصلاً مقسماً . وكلّما كثرت التخييل زاد التفصيل حسناً .

4 - تنوير : وإذا حوكي الشيء جملة أو تفصيلاً فالواجب أن تؤخذ
5 أوصافه المتناهية في الشهرة والحسن إن قصد التحسين ، وفي الشهرة والقبح
إن قصد التقييح . ويبدأ [في الحسن] (1) بما ظهور الحسن فيه أوضح وما
النفس بتقديمه أعنى ؛ ويبدأ في الذمّ بما ظهور القبح فيه أوضح والنفس
بالالتفات إليه أيضاً أعنى ، وينتقل من الشيء إلى ما يليه في المزية من ذلك .
ويكون بمنزلة المصور الذي يصور أولاً ما جلّ من رسوم تخطيط الشيء ،
10 ثم ينتقل إلى الأدقّ فالأدقّ . وهذا في تخيلات الأشياء المقصود تخيل
جزء جزء منها واجب ، مثل أن يبدأ بتخييل أعالي الإنسان ويختتم بتخييل
أسفله ، لا سيّما إذا كانت المحاكاة تفصيليّة . فإن كانت الأوصاف
المخيّل بها متفاوتة لم يحسن الجمع بينهما كيفما رتبت إلاّ باستئناف
أحدهما في حيّز من الكلام منفصل عن حيّز الآخر أو بمنزلة المنفصل ،
15 لأنّ النقلة من الأدنى إلى الأعلى متفاوت طفرة ، ومن الأعلى إلى الأدنى
المفاوت سقوط وانحطاط . فأما إذا تناسبت الأوصاف فالوجه تقديم ما
عناية النفس به أكبر وهو عندها أشهر في الشيء وأظهر فيه بالنسبة إلى
غرض الكلام .

فهذا هو الوجه في المحاكيات والأوصاف إذا تناسبت ، وأن يقال كما
20 قال حبيب : [الكامل - ق - المتواتر]

(1) كلمة في الحسن ساقطة بعد يبدأ في الأصل .

إنا غدونا واثقين بسوائق
بالله شمس ضحى وبدر تمام (1)

وكما قال المتنبي :

شمس ضحاها هلال ليلتها (2)

ويجتون عكس هذا ، لكن هذا هو الوجه الذي كثر في فصيح
كلام العرب .

[38 - أ] / فأما قول القائل :

تالله لا كلمتها ولو أنتها
كالشمس أو كالبلدر أو كالمكتفي (3)

فإنما كان النسق ههنا على سبيل الترقى لأن أو يذهب بها حيث يقصد
تعجيب المخاطب من زيادة الشيء تعظيما بعد تعظيم أو تحقيرا بعد تحقير
مذهب من تخطى الشيء إلى ما هو أبلغ منه في المعنى . فحسن هذا لما
كان هذا المذهب مناسبا لمعنى « أو » وما ينحى بها نحوه .

(1) البيت يروى في الديوان بلفظ رحلنا بدل غدونا . وتؤيد رواية حازم نسخة الاسكوريال ،
ودار الكتب المصرية . والبيت من قصيدة لأبي تمام يمدح بها الواثق ويرثي المعتصم . طالعها :
ما الدموع تروم كل مرام والجفن تاكل هجمة ومنام
التبريزي ، ٣ ، 204 .

(2) البيت من قصيدة مدح بها أحمد بن الحسين في صباح محمد بن عبيد الله العلوي ، طالعها :
أهلا بدار سبائك أغيدها أبعد ما بان عنك خردوها
تمام البيت الذي أورده حازم شاهدا :
شمس ضحاها هلال ليلتها در تقاصيرها زبرجدها
البرقوقي ، (1) ، 1 ، 200 .

(3) البيت لأحد المولدين ، ولم يتمكن من الوقوف على صاحبه .

5- إضاءة : وإنما قدّمت العرب أدنى المعنيين على الآخر في مواضع معلومة من كلامها لمعان آخر : إمّا لأنّ الأحقر من جهة ما متقدّم على ما هو أجلّ منه من جهة أخرى ، أو لأنّ أحدهما في ضمن الآخر ويخيّل بعض ما خيّل لا يكون بينهما تباين إلّا من جهة الأزيد والأنقص والأعمّ والأخصّ . فقد كُثرُ القاصر منهما بعد الآخر فضل ، فلا يمكن أن يقرن به إلّا بتقديمه عليه ، أو لأنّ الأحقر بالنسبة إلى غرض الكلام أبلغ نحو قولهم : ما أخذت منه قليلا ولا كثيرا لأنّ إنكار القليل أبلغ من جهة الجحود فكان القليل لذلك أولى بالتقديم ، أو لأنّ الأحقر يكون فيه استدراج لذكر الأجلّ وتسبّب له ، ولمعان آخر يطول ذكرها . وكذلك التغليب في مثل القمرين إنّما يغلب الأرجح من جهة الفصاحة أو البلاغة لفظا أو معنى . وهذه جملة تحتاج إلى تفصيل ، قد أغنى عن ذكره هنا ما أوردناه ونورده بعد إن شاء الله من قوانين الفصاحة والبلاغة . فهذا هو القانون الذي يجب أن يعتبر في ترتيب التخائيل والأوصاف .

6- تنوير : وإنما وقع الغلط في هذا لقوم من القدماء كانوا فقراء من علم البلاغة على غنائهم من الرواية ، ولقوم من أبناء هذا الزمان هم أفقر خلق الله من تلك وهذه ، ولمن يريد أن يستنبط قوانين هذه الصناعة من صناعة أخرى / لعلّه لا يحسنها بله هذه ، وذلك غير ممكن ، فإنّما يستنبط الشيء من معدنه ويطلب في مظنّته ، أو لعلّ من هذه صفته قد رأى يوما أحدا ممّن تكلم في علم البلاغة قد عاب الانحطاط من الصفة إلى ما يوافقها في نسق واحد من الكلام . فهذا لا يخلو من أن يكون غير عارف بهذه الصناعة مثله ، فهو جدير أن يظنّ أنّ ضدّ ذلك حسن وهو البدء بالشيء الأحقر والصيرورة منه إلى الأعظم المفاوت له في غرض يتراميان فيه إلى تحسين شيء واحد أو تقييحه ، أو يكون عارفا بالصناعة

فيكون قد عاب ما هو جدير بالعيب ، وهو يعتقد أن ضده معيب أيضا كذلك لأن كلا الموضعين من وضع التنافر . وما أكثر ما يقع الغلط للناس في هذه الصنعة من هذا الباب ! لأن وجوه النظر في ما يحسن ويقبح في هذه الصنعة لا تحصى كثرة . وكل ما يستحسن ويستقبح فإن له اعتبارات شتى بحسب المواضع وما يليق بواحد واحد منها . وبحسب الأغراض⁵ والأحوال وتباين المقاصد في جميع ذلك تشعب طرق الاعتبار في هذه الصناعة إلى ما يعزّ حصره ؛ فبطالع بعض من لم يتفرغ لهذه الصنعة ولا في طبعه أن يعلمها لو تفرغ لها الشيء التافه من الأقاويل في هذه الصناعة ، فيبني نظره فيها على ذلك ، وهو قد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء .

- 7- إضاءة : ويجب في محاكاة أجزاء الشيء أن ترتب في الكلام¹⁰ على حسب ما وجدت عليه في الشيء لأن المحاكاة بالمسموعات تجري من السمع مجرى المحاكاة بالملونات من البصر . وقد اعتادت النفوس أن تصوّر لها تماثيل الأشباح المحسوسة ونحوها على ما عليه ترتيبها . فلا يوضع النحر في / صور الحيوان إلاّ تاليا للعنق وكذلك سائر الأعضاء . فالنفس تنكر لذلك المحاكاة القولية إذا لم يوال بين أجزاء الصور على مثل¹⁵ ما وقع فيها ، كما تنكر المحاكاة المصنوعة باليد إذا كانت كذلك . فإن وقعت محاكاة على هذا النحو من فساد الترتيب فالواجب أن يعتقد فيها أنها صور جزئية إذا كان كل جزء منها قد خيّل على حدته على ما يجب فيه لا صورة كلية لأن المجموع ليس له نظام المجموع ، فيجب لهذا أن تعتبر المحاكاة تفاريق .

[39 - أ]

- 8- تنوير : ولا يخلو الشيء من أن يحاكي بأوصاف له شهيرة أو صفات خاملة أو بمجموعها . ولا تخلو من أن تقع التخاليل في جميع

أجزاء الشيء أو في بعضها . والمخيل الذي تقع التخيل في بعض أجزائه لا يخلو أن تقع في طرف واحد منه ، أو في كلا طرفيه ، أو فيهما معا وما بينهما . وأحسن التخيل ما اشتهرت الأوصاف فيه وعمت .

9- إضساءة : فالمحاكاة التامة في الوصف هي استقصاء الأجزاء التي بمولاتها يكمل تخيل الشيء الموصوف . وفي الحكمة استقصاء أركان العبارة عن جملة أجزاء المعنى الذي جعل مثالا لكيفيات مجاري الأمور والأحوال وما تستمر عليه أمور الأزمنة والدهور . وفي التاريخ استقصاء أجزاء الخبر المحاكى ومولاتها على حد ما انتظمت عليه حال وقوعها ، كقول الأعشى :

10 كُنْ كَالسَّمْوَلِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ
فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ
إِذْ سَامَهُ خِطَّتِي خَسْفٍ ، فَقَالَ لَهُ :
قُلْ مَا نَشَاءُ ، فَإِنِّي سَامِعٌ حَارِ
فَقَالَ : غَدْرٌ وَثُكُلٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا
15 فَاخْتَرْ وَمَا فِيهِمَا حَظٌ لِمُخْتَارِ
فَشَكَ غَيْرَ طَوِيلٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ
اقْتُلْ أَسِيرَكَ ، إِنِّي مَانِعٌ جَارِي (1)

(1) وردت هذه الأبيات مع بيت خامس وضع ثانياً ومع خلاف في اللفظ قليل عند الجمعي ، 235 - 236 ؛ انظر العباسي ، (2) ، 390 . وهي من قصيدة في مدح شريح بن حصن طالها :

شريح لا تتركني بعد ما علقت حبالك اليوم بعد القد أظفاري
الديون ، (3) ، 179 - 181 .

[39 - ب] / فهذه محاكاة تامة ؛ ولو أخلّ بذكر بعض أجزاء هذه الحكاية لكانت ناقصة ، ولو لم يورد ذكرها إلاّ إجمالاً لم تكن محاكاة ولكن إحالة محضة .

10 - **تنوير** : فأما طريق التهديّ إلى تحسينات الأشياء وتقييحاتها بالمحاكاة فإنّه لما كان المقصود بالشعر إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلّي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده بما يخيّل لها فيه من حسن أو قبح وجلالة أو خسة وجب أن تكون موضوعات صناعة الشعر الأشياء التي لها انتساب إلى ما يفعله الإنسان ويطلبه ويعتقده . والأقاويل الدالة على تلك الأشياء من حيث تخيّل بها تلك الأشياء . فتحسين المحاكاة وتقييحها إمّا أن يتعلّق بفعل أو اعتقاد ، أو يتعلّق بالشيء الذي يفعل أو يعتقد .

وطرق تعلّقها بالشيء أو فعله أو اعتقاده أربعة :

1 - إمّا أن يحسّن الشيء من جهة الدين وما توثره النفس من الثواب على فعل شيء أو اعتقاده وتخاف من العقوبة على تركه وإهماله وإمّا أن يقبّح من ضدّ ذلك .

2 - وإمّا أن يحسّن من جهة العقل وما يجب أن يوثره الإنسان من جهة ما هو عاقل ذو أنفة من الجهل والسفاهة وإمّا أن يقبّح من ضدّ ذلك .

3 - وإمّا أن يحسّن من جهة المروءات والكرم وما توثره النفس من الذكر الجميل والثناء عليه أو يقبّح من ضدّ ذلك .

4 - وإمّا أن يحسّن من جهة الحظّ العاجل وما تحرص عليه النفس وتشتهيه ممّا ينفعها من جهة ما توثر من النعمة وصلاح الحال أو يقبّح من ضدّ ذلك .

فوقوع التحسينات والتقييحات في التخاييل الشعرية إنما يسلك به أبدا طريق من هذه الأربعة وهي : الدّين والعقل والمروءة والشهوة .

[40 - أ] ويتعلّق التحسين والتقييح / أبدا إما بالشيء الذي يراد الميل إليه أو النفرة عنه ، وإما بفعله أو اعتقاده . فإذا التحسينات المتعلقة بالشيء بالنسبة إلى هذه الطرق أربعة ، وبفعله أو اعتقاده أربعة ، فتلك ثمانية جهات يتفقدّها الشاعر إذا أراد تحسين شيء .

وللتقييحات أيضا بالنسبة إلى تلك الطرق فيما تعلّق بالشيء أربعة مذاهب . وفيما تعلّق بفعله أو طلبه أو اعتقاده أربعة أيضا . فهذه أيضا ثماني جهات .

10 والجهات المزدوجة وهي التي يتعلّق التحسين والتقييح فيها بالشيء وفعله أو اعتقاده معا بالنسبة إلى تلك الطرق الأربعة أيضا ثمان .

فحصل من هذه الأنحاء التي تتفرّع إليها التحسينات والتقييحات أربع وعشرون صورة . وإذا اعتبر تحسين الشيء نفسه أو تقييحه بالنظر إلى ما يكون عليه في نفسه وما يرجع إليه ، أو بالنسبة إلى ما يكون منه بسبب ممّا هو خارج عنه ، ومن جهة ما يقع منه أو به فعل ، تضاعفت القسمة .

11 - إضاءة : والتحسين والتقييح يتعلّقان بالفعل من جهة ما هو عليه في نفسه ، ومن جهة ما تكون عليه الأحوال المطيفة به . والأحوال المطيطة بالفعل هي : 1 - الزمان -- 2 - المكان -- 3 - وما منه الفعل -- 4 - وما إليه الفعل -- 5 - وما به الفعل -- 6 - وما من أجله الفعل -- 7 - وما عنده الفعل .

فقد يكون الفعل حسنا أو قبيحا في نفسه ؛ وقد يكون الحسن والقبح من جهة بعض هذه الأحوال المطيطة . فكلّ فعل قصد تحسينه أو تقييحه من جهة ما يرجع إليه في نفسه ، أو من جهة ما

[40 - ب] يرجع إلى الأحوال المطبقة به فإنما يكون التحسين والتقييح فيه من جهة ما يكون وفقا لبعض تلك الأشياء التي كأنها غايات تترامى إليها مطالب الناس ، أو من / جهة ما لا يكون وفقا لها . وتلك الأشياء التي عليها مدار التحسينات والتقييحات هي : الورع والعقل والمروءة والشهوة في اللحظة العاجل . فتحسين الفعل وتقييحه يقع في كل ركن من هذه الأركان من 5 ثمانية أنحاء على ما تقدمت الإشارة إليه من حيث إن الفعل تظيف به أحوال سبعة .

12 - تنوير : وإنما جعلت التحسين والتقييح ينصرفان طورا إلى الشيء نفسه ، وتارة إلى فعله أو اعتقاده أو طلبه . وتارة إلى مجموع ذلك كله ، لأنَّ الشيخ إذا عشق جارية جميلة وأردنا أن نصرفه عنها بالأقاول 10 الشعريّة اعتمدنا ذمّ الفعل وعيب التصابي في حال المشيب وما ناسب هذا . فإن كانت قبيحة أو ممتن يجوز تخيل القبح فيها أضفنا إلى ذمّ تصابي الشيخ ذمّ قبح الفتاة . فإن كان العاشق شابا اعتمدنا ذمّ ما في المرأة من قبح خلق وخلائق نحو ما يوصف النساء به من الغدر والملااة وغير ذلك . ولم نقبح عليه العشق في الشباب إلاّ من جهة عقل أو نحو ذلك . 15

13 - إضاءة : والتحسينات والتقييحات الشعريّة تميل إلى أشياء وتنصرف عن أشياء وتكثر في أشياء وتقلّ في أشياء بحسب ما يكون عليه الشيء من التباس بآداب البشر ، وما يكون عليه من نفع أو ضرر ، أو لا يكون له التباس يعتدّ به في تأثر النفوس له من جهة نفع أو ضرر . وقد تقدم التنبيه على أحوال المعاني في جميع ذلك . فليتصّف هنالك ، والله 20 الموفق .

14 - **تنوير** : فأما كَيْفِيَّاتُ مناقل الفكر في التخيلات التي يرام بها إيقاع التحسينات والتقصيحات . وفي التخيّلات التي يقصد بها أن تكون أعوانا على إيقاع ذلك فيحصل باقتفاء الخواطر مناقلها في جميع ذلك ، بوضع ما يجب في حيز حيز من تلك المناقل على ما / يجب من الأجزاء التي منها انتظام هذه الصناعة لفظا ومعنى كمال هذه الصناعة على الوجه الذي تكون به مهياة لحصول الغاية المقصودة بها فهي أن¹ للمخيلين في التخيلات التي يحتاجون إليها في صناعتهم أحوالا ثمانية (1) . لكل واحدة منها في زمان مزاوله النظم مرتبة لا تتعدّاها .

[41 - أ]

الحال الأولي : يتخيّل فيها الشاعر مقاصد غرضه الكلية التي يريد إيرادها في نظمه أو إيراد أكثرها على ما أبيتّه في القسم الثالث (2) إن شاء الله .

الحال الثانية : أن يتخيّل لتلك المقاصد طريقة وأسلوبا أو أساليب متجانسة أو متخالفة ينحو بالمعاني نحوها ويستمرّ بها على مهابعتها . وسيأتي الكلام في الأساليب في القسم الرابع (3) ان شاء الله .

الحال الثالثة : أن يتخيّل ترتيب المعاني في تلك الأساليب . ومن أهمّ هذه التخيّلات موضع التخلّص والاستطراد .

الحال الرابعة : أن يتخيّل تشكّل تلك المعاني وقيامها في الخاطر في عبارات تليق بها ليعلم ما يوجد في تلك العبارات من الكلم التي تتوازن وتتماثل متقاطعها ما يصلح أن يبني الروي عليه . وفي هذه الحال أيضا يجب

(1) بالأصل أحوال ثمان .

(2) انظر 202 .

(3) انظر 327 وما بعده .

أن يلاحظ ما يحقّ أن يجعل مبدأ ومفتتحاً للكلام ، وربّما لحظ في هذه الحال موضع التخلّص والاستطراد .

15 - إضاءة : فهذه أربع أحوال في التخيل الكليّة .

والحال الخامسة ، وهي أوّل حال من التخيل الجزئية : أن يشرع الشاعر في تخيل المعاني معنى معنى بحسب غرض الشعر .

الحال السادسة : أن يتخيّل ما يكون زينة للمعنى وتكميلاً له . وذلك يكون بتخيّل أمور ترجع إلى المعنى من جهة حسن الوضع والاقترانات والنسب الواقعة بين بعض أجزاء المعنى وبعض ، وبأشياء خارجة عنه ممّا يقترن به ويكون عوناً له على تحصيل المعنى المقصود به .

[41 - ب] / والحال السابعة : أن يتخيّل ، لما يريد أن يضمتّه في كلّ مقدار من 10 الوزن الذي قصد ، عبارة توافق نقل الحركات والسكنات فيها ما يجب في ذلك الوزن في العدد والترتيب بعد أن يخيّل في تلك العبارات ما يكون محسناً لموقعها من النفوس .

الحال الثامنة : أن يتخيّل ، في الموضع الذي تقصر فيه عبارة المعنى عن الاستيلاء على جملة المقدار المقفّى ، معنى يليق أن يكون ملحقاتاً بذلك 15 المعنى ، وتكون عبارة المعنى الملحق طبقاً لسدّ الثلمة التي لم يكن لعبارة الملحق به وفاء بها . ومن هذا قول المتنبي : [الطويل - ق - المتدارك] نهبت من الأعمار ما لو حوّيته لهنّئت الدنيا بأنك خالداً (1)

(1) البيت من قصيدة طويلة ، مدح بها أبو الطيب سيف الدولة ، طالها : عواذل ذات الخيال في حواسد وإن ضجيع الغرور مني لساجد المكبرى ، (1) ، 1 ، 172 .

ولا يتفق هذا إلا في بعض المواضع . وهذه الأحوال كلها قد أُلعت في هذا الكتاب بما يجب في كل واحدة منها بحسب ما توسع له هذا الموضوع ، إذ لتفصيل القول في جميع ذلك طول كثير ، وفي ما ذكرته وأذكره من ذلك إن شاء الله مقنع .

- 5 16 - تنوير : فعلى هذا النحو من الانتقال أصل منشأ الشعر . وقد يحصل للشاعر بالطبع البارع وكثرة المزاولة ملكة يكون بها انتقال خاطره في هذه الخيالات أسرع شيء حتى يحسب من سرعة الخاطر أنه لم يشغل فكره بملاحظة هذه الخيالات وإن كانت لا تتحصل له إلا بملاحظتها ولو مخالسة . وكانت هذه الملكة نحوا من ملكة الخاطر ، فإنه وإن كان أصل تعلمه القراءة تتبّع الحروف وحركاتها وسكناتها مقطعة ، فإنه 10 تحصل له ملكة لا يحتاج معها إلى ذلك التتبّع . بل يعلم عندما يقع بصره على مجموع الحروف المختطة أي لفظ يدلّ عليه ذلك المجموع . هذا على أن صناعة مؤلف الكلام كصناعة الناصج تارة ينسج بردا من يومه وتارة حلة من عامه ، ولكل قيمته . وإنما يظنّ أن ليس بين أنماط 15 الكلام هذا التفاوت من جهل لطائف / الكلام وخفيت عليه أسرار النظم.
- [42 - أ]

ز - معلم دال على طرق العلم بما يخصّ المحاكاة التشبيهية من الأحكام .

وينبغي أن ينظر في المحاكاة التشبيهية من جهات . فمن ذلك جهة الوجود والفرض . وينبغي أن تكون المحاكاة على الوجه المختار بأمر موجود لا

- 1 - **إضساءة** : ومن ذلك جهة الإدراك . وينبغي أن تكون المحاكاة في الأمور المحسوسة حيث تساعد المكنه من الوجوه المختارة بالأمور المحسوسة . وبها يحسن بأن تحاكي الأمور غير المحسوسة حيث يتأتى ذلك ويكون بين المعنيين انتساب . ومحاكاة المحسوس بغير المحسوس قبيحة .
- 2 - **تنوير** : وينبغي أن تكون المحاكاة التي يقصد بها وضوح الشبه 5 منصرفة إلى جنس الشيء الأقرب كتشبيه أيتل الفرس بأيتل الطيبي (1) . والمحاكاة التي يقصد بها التوسع والراحة والقناعة بما تيسر من الشبه منصرفة إلى الجنس الأبعد كتشبيه متن الفرس بالصفاء (2) .
- وينبغي أن تكون المحاكاة التي يقصد بها اجتماع وضوح الشبه وظهور 10 نبل الشاعر وحذقه منصرفة إلى الجنس الذي يلي الجنس الأقرب كتشبيه الأشياء الحيوانية بالأشياء النباتية ، نحو تشبيه قلوب الطير رطبة بالعناب ، ربابة بالحشف ، (3) وتشبيه إبرة الروق بالقلم المستمد (4) .
- 3 - **إضساءة** : وينبغي أن يكون المثال المحاكى به معروفا عند جميع العقلاء أو أكثرهم بالسجية . ولا يحسن أن يكون مما يُنكر ويجهل .

(1) يشير في النص إلى بيت امرئ القيس :
له أيتلا ضبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تنفل
قدامة ، (1) ، 38 .

(2) يشير في النص بهذا المثال إلى بيت امرئ القيس من معلقته :
كسيت يزل اللبد عن حال منته كما زلت الصفواء بالمتنزل
السندوبي ، (2) ، 133 س 6 .

(3) الإشارة هنا أيضا إلى قول امرئ القيس :
كان قلوب الطير رطبا وبابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
العباسي ، (2) ، ٢ ، 80 .

(4) يشير بهذا إلى قول عدي بن الرقاع العاملي :
تزجي أغن كان إبرة روقة قلم أصاب من الدواة مدادها
الخفاجي ، 237 .

4- **تنوير** : وينبغي أن تكون الأوصاف التي يشترك فيها المثال والممثل أشهر صفاتها أو من أشهرها . واعتبار / هذا الشرط أكد في [42 - ب] صفات الممثل به . وينبغي أن تكون الصفات التي يتضادان فيها أحمل صفاتهما .

5- **إضاعة** : ويشترط في المحاكاة التي يقصد بها تحريك النفس إلى طلب الشيء أو الهرب منه أن يكون ما يحاكى به الشيء المقصود إمالة النفس نحوه مما تميل النفس إليه ، وأن يكون ما يحاكى به الشيء المقصود تنفير النفس عنه مما تنفر النفس عنه أيضا . فإن مثل ما يقصد تحريك النفس إلى طلبه بما من شأنها أن تهرب عنه ، وما قصد تحريكها إلى الهرب منه بما من شأنها أن تطلبه . كان ذلك خطأ وجاريا مجرى التناقض . 10 وذلك مثل قول حبيب :

[الطويل - ق - المتواتر]

إذا ذاقها ، وهي الحياةُ . رأيتَه يُعبَسُ تعبَسَ المُقدَّمِ للقتلِ (1)

فأما المحاكاة التي لا يقصد بها تحسين ولا تقييح ولكن . محاكاة الشيء بما يطابقه فقط ، فالمذهب الأمثل محاكاة الحسن بالحسن والقبيح بالقبيح . وقد يحاكى الشيء الحسن في حيز وبالنسبة إلى غرض بما هو قبيح في 15 حيز آخر وبالنسبة إلى غرض آخر . ولا يقصد في ذلك إلا محاكاتها من حيث تطابقا . وقد يقصد بذلك ضرب من الإغراب . فيستسهل لذلك تمثيل ما تميل النفس إليه بما تنفر عنه ، كقول ابن الرومي :

[الكامل - ق - المتواتر]

(1) في المثال نظر ، لأن الشاعر قصد الإغراب بالمضادة لأجل قوله وهي الحياة . والبيت من قصيدة ، يشكو فيها دهره ويصف تقثير الرزق عليه وهو بمصر ، طالعها .

أصب بحميا كاسها مقتل العذل تكن عوضا إن عتفوك من النبل

الديوان ، (1) ، 240 ، (2) 420 .

هامٌ وأرغفةٌ وِضاءٌ فخمةٌ قد أخرجت من جاحم فوّار
كوجوه أهل الجنة ابتسمت لنا مقرونة بوجوه أهل النار (1)
وكانَ هذا وما جرى مجراه من عبث المنهومين .

- 6- قنوير : واعلم أنه لا تحسن محاكاة ذي مقدار كبير بذى مقدار صغير ، ولا محاكاة ذي مقدار صغير بذى مقدار كبير ، إذا كان بينهما تفاوت في ذلك . وكذلك لا تحسن محاكاة ذي لون بذى لون مخالف له ما لم تقصد في ما تفاوت من ذلك وما تخالف محاكاة هيئة فعل أو حال في المحاكى والمحاكى / به . فإذا قصدت محاكاة هيئة بهيئة لم تلتفت إلى تفاوت ما بين الواحد والآخر في المقدار ولا تباين ما بينهما في اللون ، ولذلك استحسن تشبيه الذباب بالقادح (2) ، لأنّ المقصود محاكاة إحدى الحالين 10 بالأخرى . فالمحاكاة إنّما تعلّقت بالهيئة لا بالمقدار . وعلى هذا حمل تشبيه العصا بالجان (3) وهو حية صغيرة كثيرة الهيج والحركة بعد تشبيهها بالشعبان المبين (4) ، لأنّ المقصود في التشبيه محاكاة هيئة الحركة ، وليس المقصود محاكاة مقدار هذا بمقدار ذلك .

(1) السكري : المعاني ، 1 ، 293 .

(2) يشير المثال إلى قول عترة في وصف الذباب :

وخلا الذباب بها فليس يبارح غردا كفعل الشارب المترنم
غردا يحلك ذراعاه بذراعاه قدح المكب على الزناد الاجنم

السكري : الصناعتين ، 248 .

(3) يشير إلى قول الله تعالى : « وأن ألق عصاك » فلما رآها تهتز كأنها جان ، ولى مدبرا ولم يعقب ، يموسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين » . قرآن ، 28 / 31 . وقوله تعالى : « وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ، يموسى لا تخف ، إني لا يخاف لدي المرسلون » . قرآن ، 27 / 10 .

(4) الإشارة إلى قوله تعالى : « فالتقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين » . قرآن ، 26 / 32 .

7- إضاءة : واعلم أنه إذا اجتمع في المحاكى والمحاكى به أوصاف ثلاثة أو اثنان منها وهي : المقدار والهيئة واللون جاز عكس المحاكاة ، وحسن أن تحاكي الشيء بما حاكيته به .

8- تنوير : واعلم أن الصوت والهيئة إذا اتفقا في متناه في الحقارة ومنتاه في العظمة فلا تحسن محاكاة أحدهما بالآخر إلاّ حيث يقصد غلو في تحقير المحاكى أو تعظيمه . فإذا لم يتفاوتا في ذلك ، جازت محاكاة أحدهما بالآخر . وكان الأعظم محاكى به حيث يقصد التعظيم ، والأحقر محاكى به حيث يقصد التحقير . ولا يجوز العكس إلاّ حيث يتقاربان أو يتكافآن .

9- إضاءة : واعلم أن الشيء إذا حوكي بالشيء ، والمقصود محاكاة أحد فعليهما بالآخر ، وكان في فعل المحاكى تقصير عن فعل المحاكى به ، فإنه مستساغ في الشعر أن يحاكي المقصّر بالمقصّر عنه وأن يجعل مثله أو مربيا عليه إذا كانت الزيادة في ذلك الفعل مستحسنة بالنسبة إلى ما يراد منه من منفعة أو غير ذلك. ومن هذا تشبيه الفرس بالريح (1) والبرق (2) .

15 ويجوز أن يحاكي الأعظم حالا في الفعل أو المقدار بالأحقر في ذلك أو هذا إذا كان التحقير في الأعظم مستحسنا بالنسبة إلى ما يراد منه . / وكأنّ القسم الأوّل تكميل بهذا تعديل .

[43 - ب]

(1) الإشارة الى قول الأعرابي ، وقد أحسن في تشبيه سرعة الفرس في قوله :
غاية مجد رفعت فسن لها نحن حويناها وكبنا اهلها
لو ترسل الريح لجئنا قبلها .

المسكري : المعاني ، ٢ ، 107 .

(2) يشير الى قول الشاعر :
جلد كمثل البرق جاش ماطره يسبح أولاه ويطلقو آخره
فما يس الأرض منه حافره .

المسكري : المعاني ، ٢ ، 108 .

ح - معرف دالّ على طرق المعرفة بالوجوه التي لأجلها حسن موقع المحاكاة من النفس .

لَمَّا كَانَتِ النَّفُوسُ قَدْ جُبِلَتْ عَلَى التَّنْبَهَةِ لِأَنْحَاءِ الْمُحَاكَاتِ وَاسْتِعْمَالِهَا وَالْإِتِّدَادِ بِهَا مِنْذُ الصَّبَا ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْجِبِلَّةُ فِي الْإِنْسَانِ أَقْوَى مِنْهَا فِي سَائِرِ الْحَيَوَانِ - فَإِنَّ بَعْضَ الْحَيَوَانِ لَا مُحَاكَاتَ فِيهِ أَصْلًا . وَبَعْضُهَا فِيهِ مُحَاكَاتٌ 5 يَسِيرَةٌ : إِمَّا بِالنَّغْمِ كَالْبَيْغَاءِ ، وَإِمَّا بِالشَّمَائِلِ كَالْقَرْدِ (1) - اشْتَدَّ وَلُوعُ النَّفْسِ بِالتَّخِيلِ . وَصَارَتْ شَدِيدَةً الْإِنْفِعَالِ لَهُ حَتَّى أَنَّهَا رَبَّمَا تَرَكْتَ التَّصَدِيقَ لِلتَّخِيلِ . فَأَطَاعَتْ تَخِيلُهَا وَأَلْفَتْ تَصَدِيقَهَا . وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ أَنَّهَا تَفْعَلُ لِلْمُحَاكَاتِ انْفِعَالًا مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، سِوَاءِ كَانَ الْأَمْرُ الَّذِي وَقَعَتْ 10 الْمُحَاكَاتُ فِيهِ عَلَى مَا خَيَّلَتْهُ لَهَا الْمُحَاكَاتُ حَقِيقَةً ، أَوْ كَانَ ذَلِكَ لَا حَقِيقَةَ لَهُ فَيَبْسِطُهَا فِي التَّخِيلِ لِلأَمْرِ أَوْ يَقْبِضُهَا عَنْهُ . فَلَا تَقْصُرُ فِي طَلْبِهِ أَوْ الْهَرَبِ مِنْهُ عَنْ دَرَجَةِ الْمَبْصَرِ لِذَلِكَ . فَيَكُونُ إِثَارُ الشَّيْءِ أَوْ تَرْكُهُ طَاعَةً لِلتَّخِيلِ غَيْرِ مُقْصَرٍ عَنْ إِثَارِهِ أَوْ تَرْكِهِ انْقِيَادًا لِلرُّؤْيَةِ .

1 - إضاءة : وَمِنْ التَّذَادِ النَّفُوسُ بِالتَّخِيلِ أَنَّ الصُّورَ الْقَبِيحَةَ الْمُسْتَبْشَعَةَ عِنْدَمَا قَدْ تَكُونُ صُورُهَا الْمَنْقُوشَةُ وَالْمَخْطُوطَةُ وَالْمَنْحُوتَةُ لِلذِّذَةِ 15 إِذَا بَلَغَتْ الْغَايَةَ الْقَصْوَى مِنَ الشَّبهِ بِمَا هِيَ أَمْثَلُ لَهُ ، فَيَكُونُ مَوْقِعُهَا مِنَ النَّفُوسِ مُسْتَلْذًا لَا لِأَنَّهَا حَسَنَةٌ فِي أَنْفُسِهَا بَلْ لِأَنَّهَا حَسَنَةُ الْمُحَاكَاتِ لَمَّا حَوَكِي بِهَا عِنْدَ مُقَابِلَتِهَا بِهِ .

(1) طالع هذا المعرف مقتبس من كلام ابن سينا في فن الشعر من كتاب الشفا. وذلك من قوله : وبها يفارقون الحيوانات المعجم من جهة أن الإنسان أقوى على المحاكاة . فإن بعضها لا محاكاة فيه أصلاً . . الخ . انظر أرسطو ، (1) ، 171 .

قال هذا أبو علي ابن سينا في كتاب الخطابة (1) من كتاب الشفاء .
ثم قال :

« وهذا كله للمناسبة بين الصورة مثلا وما يحاكيها . وهذه المناسبات
أمور في الطبيعة » .

s وقال ابن سينا أيضا / في كتاب الشعر من كتاب الشفاء (2) : [44 -- أ]

« إنّ النفوس تنشط وتلتذّ بالمحاكاة . فيكون ذلك سببا لأن يقع عندها
للأمر فضل موقع . والدليل على فرحهم بالمحاكاة أنهم يسرون بتأمل الصور
المنقوشة للحيوانات الكريهة المتقرّز منها . ولو شاهدوها أنفسهم لتنطوا
عنها . فيكون المفرح ليس نفس تلك الصورة ولا المنقوش بل كونها
10 محاكاة لغيرها إذا كانت قد أتقنت . ولهذا السبب ما صار التعليم لذبا لا
إلى الفلاسفة فقط بل إلى الجمهور . لما في التعليم من المحاكاة ، لأنّ التعليم
تصوير ما للأمر في رقعة النفس . ولهذا ما يكثر سرور الناس بالصور
المنقوشة بعد أن يكونوا قد أحسوا الخلق التي هذه أمثالها . فإن لم يحسوها
قبل لم تتمّ لذّتهم . بل إنّما يلتذّون حينئذ قريبا بما يلتذّون من نفس
15 [محاكاة] النقش في كيفيته ووضعه وما يجرى مجراه » .

ثم قال ابن سينا : « والسبب الثاني حبّ الناس للتأليف المتفق أو
للألحان طبعاً . ثم قد وجدت الأوزان مناسبة للألحان فمالت إليها النفوس
وأوجدتها . فمن هاتين علتين تولدت الشعرية » (3) .

(1) "فقرة متصيدة من ابن سينا محط ، 6829 ، و . 362 أس 20 وما بعده .

(2) أول هذه لفقرة في المصدر المشار إليه : وذلك لأن النفس . أرسطو ، (1) ، 171 .

(3) اهـ . كلام ابن سينا . أرسطو ، (1) ، 172 .

وقد تضمنَ كلام ابن سينا شرطاً من شروط المحاكاة لم نذكره اكتفاء بالإشارة إليه في هذا الموضوع . وهو أن الالتذاذ بالتخيّل والمحاكاة إنّما يكمل بأن يكون قد سبق للنفس إحساس بالشيء المخيّل وتقدّم لها عهدٌ به .

وبقي أن نبسط الكلام شيئاً في تبين ما للمحاكاة من حُسن موقع من النفوس من جهة اقترانها بالمحاسن التأليفية والصيغ المستحسنة البلاغية ، وهو الذي أشار إليه أبو علي ابن سينا بالتأليف المتفق .

2- تنوير : فأمّا السبب في حسن موقع المحاكاة من النفس من جهة اقترانها بالمحاسن التأليفية فهو أنه لما كان للنفس في اجتلاء المعاني في العبارات المستحسنة من حسن الموقع الذي يرتاح له ما لا يكون لها عند / قيام المعنى بفكرها من غير طريق السمع ، ولا عند ما يوحى إليها [44 - ب]
المعنى بإشارة ، ولا عند ما تجتليه في عبارة مستقبحة ، ولهذا نجد الإنسان قد يقوم المعنى بخاطره على جهة التذكّر ، وقد يشار له إليه ، وقد يلقي إليه بعبارة مستقبحة ، فلا يرتاح له في واحد من هذه الأحوال . فإذا تلقاه في عبارة بدیعة اهتزّ له وتحرك لمقتضاه ، كما أن العين والنفس تبتهج لاجتلاء ما له شعاع ولون من الأشربة في الآنية التي تشفّ عنها كالزجاج والبلّور ما لم تبتهج لذلك إذا عرض عليها في آنية الحنّتم وحب أن تكون الأقاويل الشعرية أشدّ الأقاويل تحريكا للنفوس ، لأنها أشدّ إفصاحاً عما به علة الأغراض الإنسانية ، إذ كان المقصود بها الدلالة على أعراض الشيء ولواحقه التي للآداب بها علة .

والأقاويل غير الشعرية ، وخصوصاً ما قصد به التصديق والدلالة على ماهيات الأشياء ، إنّما تفهم منها في أكثر الأمر تلك اللواحق والأعراض على

جهة الالتزام والتضمّن . وليس ما يكون نصّا على الشيء في تمكين إلقائه من النفس طبقاً له مثل [ما] (1) لا يفهم الشيء منه إلاّ بطريق ضمن أو لزوم.

وأيضاً فإنّ الأقاويل الشعرية يحسن موقعها من النفوس من حيث تختار مواد اللفظ وتنتقى أفضلها وتركب التركيب المتلائم المتشاكل وتستقصي 5 بأجزاء العبارات التي هي الألفاظ الدالة على أجزاء المعاني المحتاج إليها حتّى تكون حسنة إعراب الجملة والتفاصيل عن جملة المعنى وتفاصيله ، يكون التخيل كما قدّمت ، يجب فيه تخيل أجزاء الشيء عند تخيله حتّى تتشكل جملة بتشكيل أجزاء ، فتقوم صورته بذلك في الخيال الذهني على حدّ ما هي عليه خارج الذهن ، أو أكمل منها إن كانت محتاجة إلى التكميل.

10 وقد قال أفلاطون في كتاب السياسة له : « إنّنا لا نلوم مصوّراً إن صوّر صورة إنسان فجعل / جميع أعضائه على غاية الحسن ، فنقول له إنّهُ ليس يمكن أن يكون إنسان على هذه الصورة ، وذلك أنّ المثال ينبغي أن يكون كاملاً . وأمّا سائر الأشياء التي هو لها مثال فحُسْنُها بقدر مشاركتها لذلك المثال » . (2)

15 وليس ما سوى الأقاويل الشعرية في حسن الموقع من النفوس ممثلاً للأقاويل الشعرية ، لأنّ الأقاويل التي ليست بشعرية ولا خطابية ينحى بها نحو الشعرية لا يُحتاج فيها إلى ما يُحتاج إليه في الأقاويل الشعرية ، إذ المقصود بما سواها من الأقاويل إثبات شيء أو إبطاله أو التعريف بماهيته وحقيقته .

(1) كلمة ساقطه من الاصل .

(2) النص منقول فيما يظهر من ترجمة حنين بن اسحق ، د. م. ا. ، 1 ، 177 .

وإنما يثبت الشيء بغيره وبما هو خارج عنه مما له نسبة إلى ما يرجع إليه مما شأنه إذا ألقت العبارة فيه تأليفاً محدوداً أن ينتقل منه إليه ويصار به إلى معرفة ثباته أو ارتفاعه . وإذا عرّف فإنما يعرف بقول يدلّ على ماهيته المشتركة والخاصّة ، وليس يدلّ على اللواحق والأعراض التي بها تشبّث الآداب الإنسانية وعلقة الأغراض إلّا على جهة التزام . وإذا خيّل لك 5 الشيء بالأقاويل المحاكية له فالمقصود محاكاة ما هو عليه من حسن أو قبح بأقاويل تخيّل لواحقه وأغراضه التي بها علقه الأغراض ، ومحاسن الشيء ومساويه راجعة إليه . فإذا حوكي الشيء بصفاته أو ما هو مثال لصفاته تصوّر بما يرجع إليه وبما له علقه بالأغراض مما يرجع إليه أو ما هو مثال لما يرجع إليه . وإذا قصد التعريف به أو الاستدلال عليه عرّف بما ليس له 10 علقه بالأغراض ، واستدلّ عليه بما هو خارج عنه .

فمحصول ما عدا الأقاويل الشعرية إيقاع تعريف أو تصديق بما لا تشتدّ علقته بالأغراض أو لا تكون علقته بالجملة ، أو مغالطة السامع وإيهامه أن ذلك واقع من غير أن يكون كذلك . ومحصول الأقاويل الشعرية تصوير الأشياء الحاصلة في الوجود وتمثيلها في الأذهان على ما هي عليه / خارج 15 الأذهان من حسن أو قبح حقيقة ، أو على غير ما هي عليه تمويه وإيهاماً ، فأقوال دالّة على ما يلحق الأشياء ويعرض لها مما هو خارج عن مقوماتها مما علقه الأغراض الإنسانية به قويّة .

[45 - ب]

فالمحصل الأوّل كحصول العلم مثلاً بامتلاء إناء أو خلوه بأن يبصر مثلاً يرشح أو يوجد ثقيلًا أو يبصر مكفّاً ويوجد خفيفاً . والمحصل الثاني 20 وهو الذي للأقاويل الشعرية مثل ما تشفّ لك آنية الزجاج عن صورة ما تحويه . فلذلك صارت الأقاويل الشعرية أشدّ إبهاجاً وتحريكاً للنفوس من

غيرها . فلشدة مناسبة الأقاويل الشعرية للأغراض الإنسانية كانت أشدّ تحريكاً للنفوس وأعظم أثراً فيها .

3- إضاءة : وليست المحاكاة في كلّ موضع تبلغ الغاية القصوى من هزّ النفوس وتحريكها ، بل تؤثر فيها بحسب ما تكون عليه درجة الإبداع فيها ، وبحسب ما تكون عليه الهيئة النطقية المقترنة بها ، وبقدر ما تجد النفوس مستعدة لقبول المحاكاة والتأثر لها .

4- تنوير : فتحرّك النفوس للأقوال المخيلة إنّما يكون بحسب الاستعداد . وبحسب ما تكون عليه المحاكاة في نفسها ، وما تدعّم به المحاكاة وتعزّد ممّا يزيد به المعنى تمويها والكلام حسن ديباجة من أمور ترجع إلى لفظ أو معنى أو نظم أو أسلوب . وقد ذكرت جلّ كليات تلك الأشياء في هذا الكتاب .

5- إضاءة : والاستعداد نوعان : استعداد بأن تكون للنفس حال وهوى قد تهيّأت بهما لأن يحركها قول ما بحسب شدة موافقته لتلك الحال والهوى كما قال المتنبي :
[الخفيف - ق - المتواتر]
15 إنّما تنفع المقالة في المر

، إذا وافقت هوى قبي الفؤاد (١)

والاستعداد الثاني هو أن تكون النفوس معتقدة في الشعر أنّه حكّم وأنه غريم يتقاضى النفوس الكريمة الإجابة إلى مقتضاه بما / أسلبها من هزة

[46 - أ]

(1) يروى البيت بنجح بدل تنفع ، وهذا اليق بالنظم . وهو من قصيدة طالعها :
حسم الصلح ما اشتته الأعادي وأذاعته السن الحساد
المكبرى ، (1) ، 1 ، 256 ؛ البرقوقي ، (1) ، 1 ، 265 .

الارتياح لحسن المحاكاة . هكذا كان اعتقاد العرب في الشعر . فكم خطب
عظيم هوته عندهم بيت ! وكم خطب هيتن عظمه بيت آخر (1) ! . ولهذا
ما كانت ملوكهم ترفع أقدار الشعراء المحسنين ، وتحسن مكافأتهم على
إحسانهم . وكان لغير العرب بين الأمم في القديم أيضا من العناية بالشعر
والتأثير له وحسن الاعتقاد فيه مثل ما كان للعرب . وقد قال أبو علي ابن
5 سينا : « إنهم كانوا ينزلون الشاعر منزلة النبي فينقادون لحكمه ويصدقون
بكهانه » (2) . هذا على أن العرب انتهت من إحكام الصنعة الجديرة
بالتأثير في النفوس إلى ما لم تنته إليه أمة من الأمم ، لاضطرارهم إلى التأنيق
في تأسيس مباني كلامهم وإحكام صنعتهم بسكناهم البيد البساس في غير
إيالة تربطهم وسياسة تضبطهم . فكانوا أخلق أمة بأن يكثروا تنازعهم فيما
10 يقيمون به معاشهم . فاتخذوا الإبل لارتياح الخصب ، واتخذوا الخيل
للغز والمنعة ، واتخذوا الكلام المحكم نظما ونثرا للوعظ والحض على
المصالح .

6 - تنوير : ولشدة حاجة العرب إلى تحسين كلامها اختص
كلامها بأشياء لا توجد في غيره من ألسن الأمم . فمن ذلك تماثل المقاطع
15 في الأسجاع والقوافي لأن في ذلك مناسبة زائدة ، ومن ذلك اختلاف
مجاري الأواخر ، واعتقاب الحركات على أواخر أكثرها ، ونياطتهم
حرف الترتيم بنهايات الصنف الكثير المواقع في الكلام منها لأن في ذلك
تحسينا للكلم بجريان الصوت في نهاياتها ، ولأن للنفس في النقلة من بعض

(1) يراجع في هذا الغرض ابن رشي : الأبواب الرابع والخامس والسادس والسابع ؛ باب
أثر الشعر في نباهة القبيلة ، وبكاء العرب من الهجاء وذكر بعض من بكى منهم
لذلك . الجاحظ : الحيوان ، 1 ، 364 .

(2) لم نقف على هذه الجملة في نشرة بدوي .

الكلمة المتنوعة المجاري إلى بعض على قانون محدود راحة شديدة واستجدادا لنشاط السمع بالنقلة من حال إلى حال ؛ ولها ، في حسن اطراده في جميع المجاري على قوانين محفوظة قد قسمت المعاني فيها على المجاري أحسن قسمة ، تأثر من جهتي التعجيب والاستلذاذ / للقسمة البديعة والوضع [46 - ب] 5 المتناسب العجيب . فكان تأثير المجاري المتنوعة وما يتبعها من الحروف المصوتة من أعظم الأعوان على تحسين مواقع المسموعات من النفوس ، وخصوصا في القوافي التي استقصت فيها العرب كل هيئة تستحسن من اقترانات بعض الحركات والسكنات والحروف المتماثلة المصوتة وغير المصوتة ببعض ، وما تنوع إليه تلك الاقترانات من ضروب الترتيب . 10 فهذه فضيلة مختصة بلسان العرب . ولهذا قال أبو نصر : « إنّ الألسن العجمية متى وجد فيها شعر مقفى فإنما يرومون أن يحتذوا فيه حذو العرب . وليس ذلك موجودا في أشعارهم القديمة » (1) .

7- إضاءة : وإنما التزمت العرب لإجراء اللواحق المصوتة على أعقاب الكلم ونهاياتها على قانون قانون في موضع موضع لا يتعدى ، في 15 كل موضع منها صورة مخصوصة من المجاري [لوجهين] (2) :

أحدهما أنها احتاجت إلى فروق بين المعاني . وقد كان يمكنها أن تجعل لذلك علامات غير اختلاف مجاري الأواخر كما فعل غيرها من الأمم ، لكنها اختصرت وجعلت مجاري الأواخر ، التي احتاجت إليها لتنويع مجاري القوافي والأسجاع وتحسين نهايات الكلمة بالجملة ، فروقا بين 20 المعاني ، فاجتمع لها في إجراء الأواخر على ما أجرتها فائدتان .

(1) لم نقف على هذا النص في الرسالة التي نشرها بدوي .

(2) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وهي لازمة يدل عليها تمام الفقرة .

والوجه الثاني في السبب الذي لأجله التزموا إجراء الكلام على قانون قانون بحسب موضع موضع أنهم أو أجروا أو أواخر الكلم كيف اتفق لم يكن ذلك ملذوذا لأن ذلك أمر لا يرجع إلى نظام . ولجري الأمور على نظام منضبط محكم موقع عجيب من النفس بحفظ المتكلم لنظام كلامه ومقابلته بضروب هيآتة ضروب هيآت المعاني اللائقة بها . ولو كان 5 الأمر في ذلك على غير نظام لما كان للنفوس في ذلك تعجيب ، ولكانت الفصاحة مرقاة غير معجزة أحدا .

[47 - أ]

8 - / تنوير : ولنرجع إلى ما كنا بسبيله من التكلم فيما تكون عليه النفس من استعداد لقبول المحاكاة والتأثر لها أو غير ذلك . فنقول : إن الاستعداد الذي يكون بانطواء السامع على هوى يكون غرض الكلام 10 المخيل موافقا له فينفع له بذلك أمر موجود لكثير من الناس في كثير من الأحوال . وأما الاستعداد الذي يكون بأن يعتقد فضل قول الشاعر وصدعه بالحكمة فيما يقوله فإنه معدوم بالجملة في هذا الزمان ، بل كثير من أنذال العالم - وما أكثرهم ! - يعتقد أن الشعر نقص وسفاهة . وكان القدماء ، من تعظيم صناعة الشعر واعتقادهم فيها ضد ما اعتقده هؤلاء الزعافنة ، 15 على حال قد نبه عليها أبو علي ابن سينا فقال : « كان الشاعر في القديم ينزل منزلة النبي ، فيعتقد قوله ويصدق حكمه ، ويؤمن بكهانتة » (1) فانظر إلى تفاوت ما بين الحالين : حال كان ينزل فيها منزلة أشرف العالم وأفضلهم ، وحال صار ينزل فيها منزلة أخس العالم وأنقصهم !

9 - إضاءة : وإنما هان الشعر على الناس هذا الهون لعجمة ألسنتهم 20 واختلال طباعهم . فغابت عنهم أسرار الكلام وبداثته المحركة جملة

فصرفوا النقص إلى الصنعة ، والنقص بالحقيقة راجع إليهم وموجود فيهم ؛
ولأن طرق الكلام اشتبهت عليهم أيضا . فأروا أخصاء العالم قد تحرفوا
باعتفاء الناس واسترفاد سواسية السوق بكلام صوروه في صورة الشعر من
جهة الوزن والقافية خاصة . من غير أن يكون فيه أمر آخر من الأمور
التي بها يتقوم الشعر . وكأن منزلة الكلام الذي ليس فيه إلا الوزن خاصة
5 من الشعر الحقيقي منزلة الخصير المنسوج من البردي وما جرى مجراه من
الحلة المنسوجة من الذهب والحرير . لم يشتركا إلا في النسيج كما لم
يشترك الكلامان إلا في الوزن .

ولكثرة القائلين المغالطين في دعوى النظم وقلّة العارفين / بصحة
10 دعواهم من بطلانها لم يفرق الناس بين المسيء المسفّ إلى الاسترفاد بما
يحدثه وبين المحسن المرتفع عن الاسترفاد بالشعر . فجعلوا قيمتهما
متساوية . بل ربّما نسبوا إلى المسيء إحسان المحسن وإلى المحسن إساءة
المسيء . فصارت نفوس العارفين بهذه الصنعة بعض المعرفة أيضا تستقدر
التحلي بهذه الصناعة . إذ نجّسها أولئك الأخصاء واشتبه على الناس أمرهم
15 وأمر أضدادهم . فأجروهم مجرى واحدا من الاستهانة بهم . فالمرّة لا
شكّ منسحبة على الرفيع في هذه الصنعة بسبب الوضع . فلذلك هجرها
الناس . وحقّها أن تهجر .

10 - تنوير : ولأن النفوس أيضا قد اعتقدت أن الشعر كله زور
وكذب على ما رآه قوم قد حكى قولهم ابن سينا رادّا عليهم (1) . وكان
20 يجب على هؤلاء ، إن كان لهم علم بالشعر ألاّ يحملهم الحسد فيما قصّرت
عنه طباعهم على أن يتكلّموا في ذلك بغير تحقيق . وكثيرا ما يذمّ الإنسان

- ما مُنِعَهُ ، شيمةٌ تُعاليةٌ ، فيحملهم الحسد على الغضب من الشعر ومن أهله بإخراجه من الحقائق جملة ؛ وإن كانوا ممن ليس لهم به علم ، وما أجدرهم أيضا بهذا ! فكان يجب عليهم أن يتعلموا أو لا يتكلموا فيما لم يعلموا . فالتاس إذا اعتقدوا هذا الاعتقاد كانوا خلقاء بأن يأخذوا أنفسهم بالألا تتحرك للشعر ولا تهتز إليه . وأنت إذا نظرت من تعلم منه شيمة حسد من الكهول والشيوخ الذين يشوا من البلاغة في النظم والنثر وجدته إذا أنشدته شعرا حسنا إما شديدا الحبوس مربداً الوجه لشدة الاغتيال ، وإما باديا فيه يسير من الهزة وظاهرا منه أنه يجمع نفسه ويمنعها تسريع العنان في الهزة لثلاث يسير بذلك المنشد ولا سيما إن كان الشعر له . فأما الأحداث فمثل هذا الحسد فيهم قليل لأنهم لم يقطعوا بأسهم من إدراك البلاغة ، وأيضاً فإنهم لا يطالبون أنفسهم في السن الحديثة / من الاستكمال والأنفة من النقص في المعارف بما طالب به أنفسهم أولئك .

[48 - أ]

- 11 - إضاعة : وربما قال قائل : إذا كانت الأقاويل الشعرية منها ما يخيّل الشيء ويمثله نفسه بتعرف صورة الشيء مما أعطاه ومثله القول المخيّل ، كالذي يحاكي بالدمية صورة امرأة فتعرف صفاتها بها ؛ ومنها ما يترك فيه المعنى المخيّل للشيء ويخيّل بما يكون مثالا لذلك المعنى ، كالذي يتخذ مرآة فيقابل الدمية بها فيريك تمثالها فتعرف أيضا صورة الشيء المحاكى بالدمية بالتمثال الذي يبدو للدمية في المرآة . وقد رأينا من يرى الدمية أو تمثالها في المرآة لا يتحرك لها ولا لتمثالها بنسبة مما كان يتحرك لرؤية الشخص الذي حوكت صورته بالدمية . فيجب على هذا أن لا يكون التحرك لما يتخيّل من الشعر بنسبة من التحرك لمشاهدة الأشياء التي خيّل . وأنتم تقولون إن الأقاويل الشعرية ربما كان التحرك لما يتخيّل من محاكاتها أشد من التحريك لمشاهدة الشيء الذي حوكت ، وابتهاج النفس

بما تتخيله من ذلك فوق ابتهاجها بمشاهدة المخيل . فيقال له أولاً : إن الدمية والشخص الذي صوّرت على صورته يختلف اعتبارهما في تحريك النفوس . فالدمية تحركها بالتعجب من حسن محاكاتها وإبداع الصنعة في تقديرها على ما حكى بها ، والشخص الذي هو تمثال له إن كان مستحسنًا فإنه يحرك النفوس بالصباغة إلى حسنه وما يتعلق لها به من أرب إذا كانت الدمية صورة جارية مثلاً ، فربما كان تحريك الدمية من طريق التعجب أكثر من تحريك الذي هي تمثال له من هذا الطريق ، بل الأمر في الأكثر على ذلك . والقول المخيل قلّ ما يخلو من التعجب ، بل كأنه مستصحب له من أقلّ ما يمكن من ذلك في القول المخيل إلى أكثر ما يمكن . والتعجب في القول المخيل يكون إمّا من جهة إبداع محاكاة الشيء وتخييله كما كان ذلك في الدمية ، ويكون من جهة كون الشيء المحاكى من الأشياء / المستغربة [48 - ب] والأمور المستطرفة . وإذا وقع التعجب من الجهتين المذكورتين على أتمّ ما من شأنه أن يوجد فيهما فتلك الغاية القصوى من التعجب . وللنفوس إلى ما بلغ هذه الغاية تحريك شديد .

12 - قنوير : ثمّ يقال لمن اعترض بأنّ محاكاة الشيء يجب أن يكون التحرك لها أقلّ من التحرك لمشاهدته أنّ تمثّلنا في المحاكيتين بالدمية والمرآة على جهة من التسامح . وإنّما ينبغي أن يمثل حسن المحاكاة في القول بأحسن ما يمكن أن يوجد من ضروب تصاوير الأشياء وتمثيلها . فأقول إنّ من أحسن ما يرى من ذلك تصوّر أشعة الكواكب والشمع والمصابيح المرسجة في صفحات المياه الصافية الساكنة التموّج من الخلجان والأودية والمذانب والأنهار . وكذلك نمثّل أفانين شجر الدوح بما ضمّ من ثمر وزهر في صفحات الماء الصفو إذا كان الدوح مطلقاً عليه . فإنّ اقتران طرتي الغدير الدوحية بما يبدو من مثالها في صفاء الماء من أعجب

الأشياء وأبهجها منظرا . ونظير ذلك من المحاكاة في حسن الاقتران أن يقرن بالشيء الحقيقي في الكلام ما يجعل مثالا له مما هو شبيه به على جهة من المجاز تمثيلية أو استعارية كقول حبيب : [الخفيف - ق - المتواتر]
 دِمْن طَالَمَا التَقْتَ أَدْمَعُ الْـ مَزْنِ عَلَيْهَا وَأَدْمَعُ الْعُشَّاقِ (1)

وقول ابن التّوخي : [الطويل - ق - المتواتر] 5
 لَمَّا سَاءَ نَيِّ أَنْ شَحَحْتَنِي سُبُوفُهُمْ

وَأَنْتَ لِي دُونِ الْوِشَّاحِ وَشَّاحُ (2)

فحسن اقتران أدمع العشاق ، وهي حقيقة . بأدمع المزن وهي غير حقيقة ، واقتران الوشاح الذي هو حقيقة بالوشاح المراد به التزام المعتنق وهو غير حقيقي يجري في حسن موقعه من السمع والنفس مجرى موقع 10 حسن اقتران الدوح الذي له حقيقة بمثاله في الغدير ولا حقيقة له من العين . فإنّ المسموعات تجري من السمع مجرى المتلونات من العين .

13 - / إضاءة : وأمّا تخيل الشيء نفسه بالقول المحاكي له فكأنّ [49 - أ]
 نسبته إلى النفس والسمع نسبة إفصاح الزجاجة عمّا حوته وإفشافها سرّا ما أودعته إلى العين من تماثيل الشمع ذوات الأنوار أو الأدواح الخضر ذوات 15 النّوار في صفحات الماء ما ليس لها لرؤية صور هذه الأشياء حقيقة ، لأنّ حال معاينة أشكال هذه الأشياء في الميناء أقلّ تكررًا على الإنسان من مشاهدة حقائق تلك الصور . فهي لها أشدّ استطرافًا . وأيضًا فإنّه يقع في

(1) انظر فيما يرجع لهذا البيت 45 نع ، 2 .

(2) أورد البيت صاحب اليتيمة ، ثاني بيتين أولهما :

أقول لها والحي قد فطنوا بنا وما لي على أيدي المنون براح

معقبا على نسبه بقوله : وأنشدني غيره له ، وأنا مرتّاب به لغوط جودته وارتقاعه عن طبقته . الثعالبى ، (1) ، ٢ ، 115 .

اقتران تمثال الشيء المستحسن به من التشاكل نحو مما يقع بين اقتران بعض المتلونات ببعض .

وأيضاً فإن محاكاة الشيء بغيره أطرف من محاكاة بصفات نفسه . وهي أكثر جدّة وطراءة منها . فكانت محاكاة بها أطرف من محاكاة بصفات نفسه .

فلهذا وما ذكرنا فيما تقدّم ولما نذكره بعد في قوانين المعاني والنظم والأسلوب ، وما يقع في كلّ ذلك من إبداع التخيل وحسن الهيآت التي هي أعوان للتخايل المعنوية على ما يراد من تأثر النفوس لها . حسن موقع الأقاويل الشعرية من النفوس .

14 - تنوير : واعلم أنّ منزلة حسن اللفظ المحاكى به وإحكام تأليفه من القول المحاكى به ومن المحاكاة بمنزلة عتاقة الأصباغ وحسن تأليف بعضها إلى بعض وتناسب أوضاعها من الصور التي يمثلها الصانع .

وكما أنّ الصورة إذا كانت أصباغها رديئة وأوضاعها متنافرة وجدنا العين نائية عنها غير مستلذة لمراعاتها ، وإن كان تخطيطها صحيحاً ، فكذلك الألفاظ الرديئة والتأليف المتنافر ، وإن وقعت بها المحاكاة الصحيحة فإننا نجد السمع يتأذى بمرور تلك الألفاظ الرديئة القبيحة التأليف عليها ، يشغل النفس تأذى السمع عن التأثر لمقتضى المحاكاة والتخيل . فلذلك

كانت الحاجة في هذه الصناعة إلى اختيار / اللفظ وإحكام التأليف أكيدة جداً [49 - ب]

د - المنهج الرابع في الإبانة عن الأحوال التي تعرض للمعاني في جميع مواقعها من الكلام ، فتوجد بها ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

أ - معلم دالّ على طرق العلم بأنحاء النظر في أحوال المعاني وما يجب اعتباره فيها من جهة ما يرجع إليها في أنفسها أو من جهة ما يقترن بها ويكون لهما به علقه .

وأنا أشير إلى أنحاء النظر في جميع ذلك باضاءات وتنويرات ، من إيراد الآراء البلاغية أرفعها في معلم معلم ومعرف معرف ، وأنبئه على ما يتأكد التنبيه عليه من ذلك بقول موجز إذ لا يفسح الوقت الذي للنفس فيه بعض تخلّ عن الشواغل إلى تسريح العنان في ذلك .

1 - إضاءة : واعتبار ما تكون عليه المعاني من صحة وكمال ومطابقة للغرض المقصود بها وحسن موقع من النفس يكون بالنظر إلى ما المعنى عليه في نفسه ، وبالنظر إلى ما يقترن به من الكلام وتكون له به علقه ، وبالنظر إلى الغرض الذي يكون الكلام مقولا فيه ، وبالنظر إلى حال الشيء الذي تعلق به القول .

2 - تنوير : والنظر في المعنى من جهة ما يكون عليه في نفسه لا يخلو من أن يكون متعلقا بما يرجع إلى مادته ، أو بما يرجع إلى تأليفه ، أو بما يرجع إلى مقداره ، أو بما يرجع إلى هيئته . وقد تقدّم الكلام في كثير مما يحتاج إليه في المعاني من هذه الجهات الأربع . وسأستدرك في هذا المنهج ما يكون تكميلا لذلك المبدأ / وتوطيدا على ذلك الأسس ، إن شاء الله .

[50 - أ]

3- **إضفاء** : ولا يخلو اعتبار المعنى في جميع ذلك من أن يكون بالنظر إلى ما هو ضروري فيه أو متأكد أو مستحب . والضروري هو ما لا يتم الغرض إلا به . والمتأكد هو الذي يزيد به الكلام حسنا وإن كان قد يستغنى عنه ويكون اعتماده بين الرجاحة على أطراحه . والمستحب هو المائل إلى حيز الرجحان في ذلك . 5

4- **تنوير** : وقد أدرجت تفاصيل القول في جميع ذلك في منهج منهج ومعلم معلم من مناهج هذا الكتاب ومعلمه ، إذ لم يمكن إدراج ذلك في منهج واحد ، لأن ذلك يخرج به إلى مبالغة غيره من المناهج في الطول ، فيعدل بوضع الكتاب إلى ضد ما قصدنا به من المناسبة والمعادلة . فلذلك اقتصرنا في هذا المنهج من النظر في صحة المعاني على ما يقع فيها من إحالة ، من جهة نسبة وصف إلى موصوف ، ومن جهة تناقض واقع بين متقابلين ، أو من جهة تدافع بين المعاني وأغراض الكلام ، أو من جهة تباين بين الأوصاف وأحوال الموصوفين . 10

5- **إضفاء** : وكذلك اقتصرنا أيضا من النظر في كمال المعاني على الإشارة إلى بعض جهات الكمال فيها لأن الكمال أيضا يكون بالنظر إلى ما المعنى عليه في نفسه ، ويكون بالنظر إلى ما يكتنفه وتكون له به علة ، ويكون بالنظر إلى غرض الكلام ، ويكون بالنظر إلى حال الشيء الذي فيه القول . 15

6- **تنوير** : وكمال المعنى في نفسه يكون باعتبار استيفاء أجزائه البسيطة ، أو استيفاء أجزائه المركبة ، لأن المعاني منها ما ينحل إلى أجزاء مركبة ، ومنها ما لا ينحل إلا إلى أجزاء بسيطة . وقد تقدم أن أجزاء 20

المعاني قد يكون جميعها متعدداً ، وقد يتعدد بعضها دون بعض ، وأنها قد تتكرر لضرورة من المقاصد . وكل ذلك لا يخلو من أن يكون ضرورياً بالنظر إلى صحة المعنى وكمال تأديته أو أكيدا فيه أو / مستحبا .

[50 - ب]

7- إضاءة : وإذا وقع التعداد في المعاني وكان ضرورياً بالنسبة

إلى الغرض واستمر في العبارة على نسق متشابه سمي قسمة . وقد يسمّى 5 بذلك ما كان متأكداً أو مستحباً ، وإن لم يكن ضرورياً ، على سبيل المسامحة . وأمّا ما سوى ذلك من أنحاء النظر في كمال المعنى فقد تضمنت التنبيه عليه مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، فليتأمل هنالك (1) .

8- تنوير : وتمكن المعنى أيضا يكون بنحو من تلك الاعتبارات ،

ولم نلمس في هذا الموضع إلا بما يكون التمكن فيه بالنظر إلى ما يواجه به 10 المعنى وبرام التوفيق في الوضع بينهما من جهة ما لأحدهما انتساب إلى الآخر يقتضي المقارنة بينهما ، وما عدا ذلك من أنحاء التمكن يتعرف من مواضع آخر (2) من هذا الكتاب .

9- إضاءة : فأما وضوح المعاني وبيانها وغموضها واستغلاقتها

فأنا أستقصي في هذا المنهج أنحاء النظر في الوجوه التي بها يكون بيان المعنى 15 أو انبهامه من جهة ما يرجع إليه في نفسه ، ومن جهة نسبة اللفظ الدالّ عليه إلى فهم المخاطب ؛ وإن كان ذكر هذا أليق بالقسم الأول (3) . لكننا قصدنا في هذا المنهج أن يكون القول في جميع ما يكون به انبهام المعاني مستقصى ، وأن نتقصى أنحاء النظر من ذلك فيما تقدّم الإلماع به من ذلك في المنهج الثالث من القسم الأول (4) .

20

(1) ، (2) انظر لذلك جملة مما احتوت عليه فصول من هذا الكتاب ، هي المآم الاخيرة من .
المنهج الثاني لقسم المعاني 55 - 61 ، 154 - 157 ، 158 - 161 .

(3) ، (4) إحالة على القسم الاول المفقود .

ب - معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النظر في صحة المعاني وسلامتها من الاستحالة الواقعة بالإفراط في المبالغة .

لا يخلو الشيء المقصود مدحه أو ذمه من أن يوصف بما يكون فيه واجبا أو ممكنا أو ممتنعا أو مستحيلا . والوصف بالمستحيل أفحش / ما [51 - أ] يمكن أن يقع فيه جاهل أو غالط في هذه الصناعة . والممتنع قد يقع في الكلام إلاّ أن ذلك لا يستساغ إلاّ على جهة من المجاز . والفرق بين الممتنع والمستحيل : أنّ المستحيل هو الذي لا يمكن وقوعه ولا تصوّره ، مثل أن يكون شيء طالعا نازلا في حال . والممتنع هو الذي يتصوّر وإن لم يقع كتركيب عضو من حيوان على جسد من حيوان آخر .

10 1 - إضاءة : فمدار الأوصاف إذن - بالنظر إلى ما يستساغ ويؤثر - إنّما هو على ما كان واجبا واقعا ، أو ممكنا معتاد الوقوع ، أو مقدّره . والممكن لا يخلو من أن تتوفر فيه دواعي الإمكان أو أن تقلّ . وكلّما توفّرت دواعي الإمكان كان الوصف أوقع في النفس وأدخل في حيّز الصحة . ولهذا يقال : ممكن قريب وممكن بعيد .

15 2 - تنوير : والواجب الثابت الوقوع لا يخلو من أن يكون متناها في الحال التي هو عليها ، أو قاصرا فيها ، أو وسطا بين المتناهي والقاصر . وكلّ ذلك لا يخلو من أن يكون الوصف به تحسينا للموصوف ومدحا له ، أو تقييحا له وذمّا . والمدح بالقاصر ممّا يحسن تقصير في المدح . والذمّ بالقاصر ممّا يقبح تقصير في الذمّ .

20 3 - إضاءة : فبهذا الترتيب يتبيّن ما يصحّ ويحسن من المبالغة ، وما لا يصحّ منها ولا يحسن . فإنّ العلماء بصناعة البلاغة متفقون على أنّ

ما أدتني إلى الإحالة قبيح . وقد خالف في هذا جماعة (1) ممن لا تحقيق عنده في هذه الصناعة ولا بصيرة له بها ، فاستحسنوا من المبالغة ما خرج عن حدّ الحقيقة إلى حيز الاستحالة ، واحتجّوا بمطالبة النابغة حسّان بن ثابت بالمبالغة في أوصافه حين أنشده قوله : [الطويل - ق - المتدارك]

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى
وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا (2)

فقال له : « قللت جفانك وسيوفك ، ولو قلت الجفان والسيوف لكان أبلغ » . والبصراء بصناعة البلاغة العارفون بما يجب فيها يقولون : / إنما طالب النابغة حسّاناً بمبالغة حقيقية ، وهي تكثير الجفان والسيوف . [51 - ب]

فاستدرك عليه التقصير عمّا يمكن فيما وصف ، ولم يطالبه بتجاوز غاية الممكن والخروج إلى ما يستحيل .

4- تنوير : وقد يستساغ الوصف بما يؤدّي إلى الإحالة حيث يقصد التهكم بالشيء أو الزرابة عليه والإضحاك به . كقول الطرماح : [الطويل - ق - المتدارك]

ولو أن برغوثاً على ظهر قملة يكرّ على صفّي تميم لوكت (3)

(1) انظر قدامة ، (3) ، 36-37 ؛ ولعل منهم أيضاً عبد الكريم والباغاني . انظر العمدة ، (1) ، 2 ، 50 .

(2) البيت من قصيدة لحسان طالعها :

ألم تسأل الربع الجديد التكلما بمدفع اشداخ فبرقه أظلمنا
الديوان ، 87 .

(3) البيت وارد بلفظ نملة لا قملة وهو من قطعة نصها :

ولو أن برغوثاً يزقق مكه إذا نهلت منه تميم وعلت
ولو أن برغوثاً على ظهر نملة يكر على صفّي تميم لوكت
ولو جمعت علياً تميم جموعها على ذرة مقولة لا ستقلت
ولو أن أم العنكبوت بنت لهم مظلتها يوم الندى لا ستظلت

المرزباني ، 244 .

فهذا وأشباهه إنَّما استعمل على جهة الزرابة والإضحاك . فهو مقصود به غرض مّا ، يسوغ معه ما لا يسوغ دونه .

5 - إضساءة : وإنَّما جرى الغلط على كثير من الناس في هذا حيث لم يفرّقوا بين الوصف الذي لا يخرج عن حدّ الإمكان وإن لم يثبت وقوعه ، وبين الخارج إلى حيّز الاستحالة . وغلّطتهم في ذلك أبيات وقعت فيها مبالغات خفّيت عليهم فيها جهات الإمكان ، فظنّوا أنّها من المتنّعة أو المستحيلة .

ومثل ذلك من المبالغات التي يمكن أن تتصوّر لها حقيقة وأن تصرف إلى جهة الإمكان ، وإن كان ممّا يستندر وقوع مثله قول المتنبي :

[الطويل - ق - المتدارك] 10

وأنتى اهتدى هذا الرسولُ بأرضه
وما سكّنت مذ سِرتَ فيها القساطلُ
ومن أيّ ماء كان يسقي جيادَهُ
ولم تصفُ من مزج الدماء المناهلُ (1)

15 فهذا مستساغ مقبول من حيث يمكن أن تتصوّر له حقيقة وإن لم تكن واقعة ، إذ كانت كثرة الجيوش لا حدّ لها . ومتى قدّرت الزيادة في مقدار منها وإن كثرَ أمكنت . فجائز أن يغزو أرض قوم من الجيوش ما يصيرّ حزنها سهلاً وخيارها وعثا حتى يصيرّ صخرها رهجا وترابها إهبا ، فيثور نفعها بأقلّ حركة أو نفس فلا تسكن القساطل فيها مدّة . فأراد المبالغة

(1) البيتان من قصيد يمدح به أبو الطيب سيف الدولة عند دخول رسول الروم حلب ، وطالعه : دروع ملك الروم هذي الرسائل يرد بها عن نفسه ويشاغل المكبرى ، (1) ٢٠ ، 90 .

[52 - أ]

في جيش ممدوحه فجعله بالغاً إلى هذا المقدار / . وكذلك سفك الدماء ليس له حدّ ينتهى إليه . ومتى قدّرت الزيادة في مقدار منه أمكنت ، فجائز في حقّ ممدوحه أن يريق من دماء أعدائه ما تكدر منه المياه مدّة . فأراد المبالغة في ما أراق هذا الممدوح من دماء الروم ، فجعله بالغاً إلى ذلك المقدار .

5

ولا يلزم أبا الطيب أن يكون صادقاً في ذلك ، لأنّ صناعة الشعر لها أن تستعمل الكذب إلّا أنّها لا تتعدّى الممكن من ذلك أو الممتنع إلى المستحيل ، وإن كان الممتنع فيها أيضاً دون الممكن في حسن الموقع من النفوس .

6 - تنوير : فأما مثل قول أبي الطيب في وصف الأسد : 10
[الكامل - ق - المتواتر]

سَبَقَ التَّقَاءَ كَهْ بِيَوْتَبَةِ هَاجِمٍ
لَوْ لَمْ تُصَادِفْهُ لَجَازَكَ مِيلاً (1)

فقييح ، إذ لا يمكن في جرم الأسد وقوته من الزيادة ما أمكن في الجيوش والدماء .

15

وبهذا الاعتبار يبيّن لك ما يحسن من المبالغة وما لا يحسن وما يسوغ منها وما لا يسوغ . فمن اعتمده حمده إن شاء الله .

(1) البيت يروى بلفظ تصادمه بدل تصادفه . وهو كذلك في غالب النسخ التي وقفت عليها . ولعله في الأصل خطأ من الناسخ . وهذا البيت من قصيدة طالعها :
في الخندان عزم الخليط رجلاً مطر يزيد به الخدود محولاً
البرقسوقي ، (2) ، ٣ ، 447 من 2 .

ج - معلم دالّ على طرق العلم بأنحاء النظر في صحة المعاني وسلامتها من الاستحالة الواقعة بفساد التقابل .

وجهاً التقابل أربعة : 1 - جهة الإضافة وهي أن تكون نسبة شيء إلى شيء آخر مخالفة لنسبة ذلك الشيء إليه ، مثل الضعف للعشرة بالقياس إلى نصفها ، والأب إلى ابنه ، والمولى إلى عبده . 2 - وجهة التضادّ كالأبيض والأسود . 3 - وجهة الغنية والعدم كالأعمى والبصير . 4 - وجهة السلب والإيجاب نحو زيد جالس ، زيد ليس بجالس . فالجمع بين متقابلين من هذه الأربعة من جهة واحدة تناقض .

1 - إضاعة : فإن تتقابل المعنيان من جهتين ، لم يكن ذلك تناقضاً مثل أن يقال إنّ العشرة ضعف / ونصف ، لكنّها ضعف الخمسة ونصف العشرين . ولو قيل إنّها نصف العشرين وضعفها كان محالاً . وكذلك قول القائل : زيد بصير القلب أعمى العين صحيح . ولو قيل إنّهُ أعمى العين بصيرها كان محالاً . وكذلك في التضادّ يصحّ أن يقال في الفاتر إنّهُ حار عند البارد وبارد عند الحار ، ولا يكون حاراً بارداً عند أحدهما . وكذلك في السلب والإيجاب نحو زيد كريم بالمال ، زيد ليس كريماً بالجاه ، فهذا صحيح . ولا يصحّ أن يكون كريماً بأحدهما غير كريم به في حال واحدة .

2 - تنوير : فضرور التقابل الأربعة إنّما يصحّ منها ما لم يتواف المتقابلان فيه من جهة واحدة ، ولكن نيط هذا بجهة وهذا بجهة .

فمن الكلام الذي انصرف فيه أحد المتقابلين بالسلب والإيجاب إلى غير الجهة التي انصرف إليها الآخر ، فكان ذلك صحيحاً سالماً من التناقض ، قول ابن الرومي :

[الطويل - ق - المتواتر]

وَلَيْسُوا بِأَجْدَالِ الطِّعَانِ ذَوِي الْقَنَاءِ
وَلَكِنَّهُمْ بِالْحَزْمِ وَالرَّأْيِ أَجْدَالُ
وَلَمْ يُخْلَقُوا أَبْطَالِ بَأْسٍ وَتَجْدَةٌ
وَلَكِنَّهُمْ بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ أَبْطَالُ (1)

فجعلهم أبطالا من جهة وغير أبطال من جهة ، وأجدالا من وجه وغير
أجدال من وجه .

3- إضاءة : وربما تسامح بعضهم في أن يورد معنى في بيت ثم
يأتي في بيت آخر بمعنى يقابله على أحد الأنحاء المتقدمة من التقابل ويجمع
بينهما من جهة واحدة . وذلك إذا كان البيت منقطعا عن البيت فيجري
البيتين إذا كان كلاهما مستقلا بنفسه مجرى قصيدتين ، فكما جاز للشاعر
أن ينقض في قصيدة ما قال في قصيدة أخرى كذلك يجوز له في البيتين
المتميز أحدهما عن الآخر .

فأما إذا كان معنى البيت الواحد متعلقا بمعنى البيت الآخر ، فإن
الجمع بين المتقابلين فيهما من جهة واحدة غير سائغ . وإنما يجوز ذلك
مع عدم الاتصال .

وترك التناقض على كل حال أحسن . وقد قال أبو عثمان الجاحظ :
/ « إن الناس يغلطون على العرب ويزعمون أنهم يمدحون بالشيء الذي
يهجون به . وهذا باطل ، ليس شيء إلا وله وجهان وطريقان . فإذا مدحوا
ذكروا أحسن الوجهين . وإذا ذموا ذكروا أقبحهما » . وقال الخفاجي

[53 - أ]

(1) هذان البيتان من فرائد حازم في منهاجه .

تلميذ أبي العلاء : « إنهم على ذلك يتصرف قولهم . فإنّ أبا تمام لما وصف يوم الفراق بالطول فقال : [الكامل - ق - المتواتر]

يوم الفراق ، لقد خلقت طويلا

لم تبق لي جلدًا ولا معقولا (1)

5 علّل طوله بما لقي فيه من الوجد لرحيل أحبابه عنه .

وأبو عبادة البحتري لما وصفه بالقصر فقال : [الكامل - ق - المترادف]

ولقد تأملتُ الفراق فلم أجِدْ يومَ الفراقِ على امرئٍ بطويل
قَصُرَتْ مسافتُهُ على مُتَزَوِّدٍ منه لدمرِ صَبَابَةٍ وَعَوِيلِ (2)

علّل قصره بأنّه اجتمع فيه بمن يحبّه للوداع وتزوّد منه لأيام البعد .

10 فهما وإن خالف كلاهما صاحبه فقد ذكرا لما ذهبا إليه وجوها يصحّ عليها الكلام .

4 - تنوير : فمّا حمل على التناقض من أقاويل الشعراء قول عبد

الرحمن بن عبد الله القس : [الطويل - ق - المتدارك]

أرَى هجرَها والقتلَ مثليْنِ فاقصِّروا

مَلامَكمُ ، والقتلُ أعفَى وأيسرُ (3)

15

(1) البيت طالع قصيدة يمدح بها حبيب بن أوس نوح بن عمرو السككي . التبريزي ، ٣ ، 66 .

(2) البيتان من قصيدة يمدح بها البحتري الفضل بن اسماعيل الهاشمي طالعها :

حب يخاطب مفعمات طلّول من سائل بالك ومن مسؤول

الديوان ، ٢ ، 610 .

(3) انظر المرزباني ، 226 .

ومما حمّله بعض البلغاء على التناقض ، وأوّله بعضهم على وجه من الصحة قول زياد الأعجم (1) :

تَرَاهُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يُكَلِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ (2)

قال أبو الفرج قدامة : « تناقض من حيث أوجب الكلام للكلب ، ثمّ أعدمه إياه بقوله وهو أعجم (3) » .

وقال الخفاجي : « ليس الأعجم هو الذي عَدِمَ الكلام جملة كالأخرس ، وإنما هو الذي يتكلم بعجمة . وإذا قيل فلان يتكلم وهو أعجم لم يكن متناقضا (4) » . انتهى كلام الخفاجي .

والبيت محتمل وجهها آخر من التأويل يصحّ عليه . وهو أنّه قد يعنى بالكلام ما يفهم من إشارة من لا يستطيع / النطق وحركاته وشمائله [53 - ب] حيث يقصد بذلك إفهام ما في نفسه (5) .

(1) البيت منسوب لابن هرمة . انظر الخفاجي ، 230 ؛ قدامة ، (1) ، 82 .

(2) المصدران السابقان .

(3) المصدر الثاني السابق . عجيب صدور هذا من قدامة ، وهل ما في البيت الا من قبيل الاغراب والطباق . فقوله تراه يكلمه ظاهر أن معناه كالذي يكلمه . وهو كقول عترة في فرسه :

فأزور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعيرة وتححم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكن لو علم الكلام مكلمي

فجمع بين شكا وبين لو كان يدري اشتكى الذي هو في معنى النقيضين كما لا يخفى .

(4) تمام هذا الكلام ، وقد ورد هنا مبتورا : وهذا غلط من أبي الفرج طريف ، ليس الأعجم هو الذي عَدِمَ الكلام جملة كالأخرس ، وإنما هو الذي يتكلم بعجمة ، ولا يفصح . قال الله تبارك وتعالى : « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » . وإذا قيل فلان يتكلم وهو أعجم ، لم يكن متناقضا ، يشير الى وجه آخر في الجواب ، فيقول على أن الرواية الصحيحة في بيت ابن هرمة : يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا . الخفاجي ، 230 .

(5) تأويل آخر لحازم في الموضوع فليتأمل .

وما أبدع قول ابن درّاج عندما ذكر وداع امرأته وما ظهر من الشجو في
الحاظ بُنيّة الصغير، لما أبصر من حالهما عند ذلك فتبيّن ذلك في عينيه :
[الطويل - ق - المتواتر]

عِيَّ بِمَرَجُوعِ الْخِطَابِ وَلَحْظُهُ

بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ خَبِيرُ (1)

5

5 - إضاءة : وذهب أبو الفرج قدامة (2) إلى تناقض قول أبي

نواس : [الطويل - ق - المتواتر]

كَأَنَّ بَقَايَا مَا عَفَا مِنْ حَبَابِهَا تَفَارِقُ شَيْبَ فِي سَوَادِ عِذَارِ
تَرَدَّتْ بِهِ ثُمَّ انْفَرَى عَنْ أَدِيمِهَا تَقَرَّرِي لَيْلٍ عَنْ بَيَاضِ نَهَارِ (3)

10 وقال : « إنّه وصف الحباب في البيت الأوّل بالبياض حين شبّهها

بالشيب ووصف الخمر بالسواد حين شبّهها بسواد العذار ، ثم وصف
الحباب في البيت الثاني بالسواد حين شبّهه بتقرّي الليل ثم وصف الخمر
بالبياض حين قال عن بياض نهار ، وكون كلّ واحد من الحباب والخمر
أسود أبيض مستحيل » . وقد سأل أبو الفرج نفسه فقال : « إن قيل إنّه

15 لم يصف الحباب في البيت الثاني بالسواد وإنّما شبّهه بالليل في تقرّيه

وانحساره عن النهار دون نفس اللون » . وأجاب عن هذا : « بأنّ أبا

(1) البيت من قصيدة يودع بها ابن درّاج زوجه وولده الصغير ، طالعها :
ألم تعلمي أنّ الثواء هو التوى وأن ييوت العاجزين قبور
التمالبي ، (1) ، 1 ، 446 .

(2) قدامة ، (1) ، 80 .

(3) البيتان من قصيدة في مدح العباس بن عبيد الله بن المنصور طالعها :
ديار نوار ما ديار نوار كـونك شجواهن منه عوار
الديوان ، (1) ، 159 ؛ (2) ، 435 .

نواس قد صرّح بأنّه لم يرد غير اللون فقط لقوله عن بياض نهار⁽¹⁾ .
وقد يحتمل قول أبي نواس وجوها من التأويل لا يكون معها فيه
تناقض .

فمن ذلك أن يكون أراد أن يشبه سواد الخمر بالليل والحباب بالنجوم ،
فلم يتسع له الكلام لهذا التشبيه ، فلوّح له في البيت الثاني تلويحا لطيفا⁵
بقوله : « تفرّي ليل عن بياض نهار » حيث كانت النجوم في ضمن الليل
أي انفردت عنها ما تردّت به من لون السواد ، وما اقترن به من الحباب
تفرّي الليل ونجومه عن بياض النهار . فالضمير في قوله انفردت راجع إلى
ما تردّت به الخمر من لون السواد المشبه تفرّي الليل ؛ ولو كان
الضمير في قوله انفردت راجعا على الحباب لكان أليق بكلام أبي نواس / في¹⁰
هذه القصيدة أن يقول تحلّت به فيجعل الحباب حليّا لها على ما جرت
عليه عادة الشعراء — فإننا لا نعلم أحدا جعل الحباب رداء — والمشبه
ببياض النهار بياض الماء الممزوج بالخمر ، شبه تفرّي سواد الخمر عن
بياض الماء الذي جلاه إذ مزج به بتفرّي الليل عن بياض النهار . وقد يمكن
أن يكون في هذا التشبيه إشارة إلى تشبيه الحباب بالنجوم ولم يذكرها¹⁵
لأنّها في ضمن الليل وتابعة له في انحساره . وقد يمكن أن يكون الضمير
في انفردت راجعا إلى الحباب ويكون قوله تفرّي ليل في قوّة تفرّي نجوم
ليل أو يكون قد اكتفى بذكر الليل لأنّ النجوم في ضمنه (2) .

[54. — أ]

6 — تنوير : وليس لقائل أن ينفصل عمّا ألزمه أبو الفرج قدامة(3)
من أنّ أبا نواس أراد بالبياض نفس اللون بأن يقول : لعلّه لم يرد بقوله²⁰

(1) الإضاءة من أولها منقولة بتصريف . انظر الخفاجي ، 231 .

(2) تأويلات حازمية عقب بها ما نقله عن غيره من النقاد في هذا الغرض .

(3) راجع قدامة ، (3) ، 126 — 128 .

بياض نهار حقيقة اللون ، ولكنه استعمله على حد قولهم أقمنا بمكان كذا بياض نهار وأديم ليل ، لأن قول القائل أقمنا أديم ليل وبياض نهار معناه أقمنا يوما من أوله إلى آخره وليلة من أولها إلى آخرها .

وقد يقال أيضا أقمت بها أديم يوم كما قال بشر ابن أبي خازم :
[الوافر - ق - المتواتر]

5

وبانت ليلة وأديم يوم على الميمى ، يُجَزُّ لها الشَّغَامُ (١)

فالمراد في مثل هذا الاستعمال بياض يوم مخالف للمراد به في قول أبي نواس ، إذ لا يمكن أن يريد تفرّي ليل عن نهار من أوله إلى آخره . فبياض النهار إذن على ما ألزمه أبو الفرج ، ومعنى الشعر على ما تأولناه لا على ما تأوله ، إذ المعنى الذي قلناه معنى صحيح والعبارة قابلة له على ما فيها من الاختصار الذي كاد أن يخل بالمقصود .

10

وكلما أمكن حمل بعض كلام هذه الحلقة المجلية من الشعراء على وجه من الصحة كان ذلك أولى من حمله على الإحالة والاختلال لأنهم من ثبت ثقب أذهانهم وذكاء أفكارهم واستبحارهم في علوم اللسان وبلوغهم من المعرفة به الغاية / القصوى .

15

[54 - ب]

وقد قال الخليل بن أحمد : « الشعراء أمراء الكلام يُصَرِّفونه أنى شاءوا . ريجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده ومدّ المقصور وقصر الممدود والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه ونعته والأذهان

(١) البيت يروى بيجر بالراء لا بالزاء ، وهما روايتان . وهو من قصيدة طويلة طالعها :
أحق ما تقول أم احتلام أم الاموال إذ صبحي نيام
الضبي ، 161 ؛ الديوان ، 210 .

عن فهمه وإيضاحه ، فيقرَّبون البعيد ويبعدون القريب ويُحتَجَّ بهم ولا يُحتَجَّ عليهم ويصوِّرون الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل « (1) .

فلأجل ما أشار إليه الخليل ، رحمه الله ، من بعد غايات الشعراء وامتداد آمادهم في معرفة الكلام واتساع مجالهم في جميع ذلك ، يحتاج أن يحتال في تخريب كلامهم على وجوه من الصحة ، فإنهم قلَّ ما يخفى عليهم ما يظهر لغيرهم ، فليسوا يقولون شيئاً إلاَّ وله وجه ، فلذلك يجب تأوُّل كلامهم على الصحة والتوقف عن تخطئتهم فيما ليس يلوح له وجه .

وليس ينبغي أن يعتَرَض عليهم في أقاويلهم إلاَّ من تُزاحِم رتبته 10 في حسن تأليف الكلام وإبداع النظام رتبته . فإنما يكون مقدار فضل التأليف على قدر فضل الطبع والمعرفة بالكلام . وليس كلَّ من يدَّعي المعرفة باللسان عارفاً به في الحقيقة . فإنَّ العارف بالأعراض اللاحقة للكلام التي ليست مقصودة فيه من حيث يحتاج إلى تحسين مسموعه أو مفهومه ليس له معرفة بالكلام على الحقيقة البتَّة وإنَّما يعرفه العلماء بكلِّ 15 ما هو مقصود فيه من جهة لفظ أو معنى . وهؤلاء هم البلغاء الذين لا معرَّج لأرباب البصائر في إدراك حقائق الكلام إلاَّ على ما أصلوه .

فمن جعل ذلك دليلاً هدي سبيله ، ومن اعتمده أحمدته .

(1) من هذا استمد السيوطي وصفه للشعراء . انظر المزهري ، (2) ، ٢ ، 471 س 4 - 6 .

د - معرف دال على طرق المعرفة بما / يوضع من المعاني وضع غيره
من حيث تكون واجبة أو ممكنة أو ممتعة ، وما لا يجوز أن يوضع وضع
غيره من ذلك .

أما طرق الجدّ وما لم يقصد المتكلم به مشاجرة ولا مغالبة فلا يوضع
5 فيها واجب وضع ممتنع ، ولا الممتنع وضع الواجب ، ولا ممكن وضع
ممتنع ، ولا واجب وضع ممكن ، وإنما يوضع الممكن وضع الواجب ،
ويجوز أن يوضع الممتنع وضع الجائز إذا كان المقصود بذلك ضرباً من
المبالغة .

1 - إضاعة : فأما طرق الهزل وما يقصد به الإضحاك أو التهكم
10 فإنّ المعنى قد يوضع في ما وُضع جميع ما يخالفه من الجهات المذكورة .
وكذلك في الأقاويل التي يقصد بها المشاجرة والمكابرة لأنّ موطن الهزل
والضجرة تحتل من قلة المبالاة بحقائق الكلام ما لا تحتمله موطن
الجدّ والاعتدال .

2 - تنوير : ولا يجوز وضع شيء من الواجبات أو الممكنات
15 وضع المستحيل ، ولا أن يوضع المستحيل وضع شيء من ذلك في موطن
جدّ ولا في موطن هزل ولا في حال اعتدال ولا تحرّج . وقد تقدّم أنّ
الفرق بين الممتنع والمستحيل هو أنّ المستحيل لا يمكن وجوده ولا تصوّره
في الوهم مثل كون الشيء أسود أبيض وطالعا نازلا في حال واحدة .
والممتنع هو ما يمكن تصوّره في الوهم وإن لم يمكن وجوده مثل أن يتصوّر
20 تركيب بعض أعضاء نوع من الحيوان على جسد نوع آخر .

3- إضاءة : وقد تكلّم الخفاجي في هذا ، وأغفل التفرقة بين الأقاويل التي ترد على الأنحاء المتقدمة من جهة ما تقع فيه من المواطن والأحوال ، ويّسن ما يسوغ من ذلك في حال دون حال وموطن دون آخر ، وتكلّم في ما يسوغ في جميع ذلك ويجوز من / جهة ما ينحى بالأقاويل [55 - ب] نحوه من مبالغة أو اقتصاد . فأجاز أن يوضع الممتنع وضع الجائز إذا كان في ذلك ضرب من الغلوّ والمبالغة وهو كما قال ، ومنع أن يوضع الجائز وضع الممتنع على كل حال (1) . والصّحيح أن ذلك يقع حيث تقصد المبالغة . وربّما وضع الجائز أيضا وضع الممتنع حيث تقلّ دواعي الإمكان في جوازه ويكون القصد بذلك ضربا من المبالغة .

4- تنوير : فأما إذا لم تقصد مبالغة ولا مغالبة فلا يوضع جائز 10 وضع ممتنع ولا ممتنع وضع جائز . ومن أمثلة ذلك فيما لم تقصد فيه مبالغة قول بعضهم :
[الطويل - ق - المندارك]

فإنّ صورة رآقتك فاخبر فربّما
أمر مذاق العود والعود أخضر (2)

15 فبنى على أن مرارة العود أكثر ما تكون عن اليبوسة وأنها في الأخضر على سبيل القلّة ، والأمر بخلاف ذلك لأنّ وجود المرارة مع الخضرة هو الأكثر ، فكأنه وضع الواجب في الأكثر موضع الجائز في الأقل . وهذا غلط مستقبح في المعاني مؤد إلى انعكاس حقائق المقاصد ، فليتحفظ من

(1) علّة هذا الاطلاق واضحة في كلام الخفاجي حين يقول : « ولا يحسن أن يوضع الجائز موضع الممتنع لأنه لا علّة لجواز ذلك . وهو ضد ما يحمى من الغلو والمبالغة في الشعر » . الخفاجي ، 234 .

(2) البيت لخالد بن صفوان ، أورده قدامة بن جعفر والمرزباني ومثله لما عيب من معاني الشعر بسبب مخالفتها للعرف . قدامة ، (1) ، 85 ؛ المرزباني ، 232 .

مثله ، فإنه خارج عن جملة ما استغناه بحسب المواطن والأحوال والمطامح الإفراطية التي من شأن الشعراء أن ينحرفوا بالمعاني التي وقع فيها وبحسبها عن الحقائق التي تجب في نسبها وفي انتساب بعض مفهوماتها إلى بعض انحرافا ما لضروب من المقاصد ليس شيء منها موجودا في هذا البيت .

5 هـ - معلم دال على طرق العلم بالوجوه التي بها يقع التدافع بين بعض المعاني وبعض .

كل قول قصد به محاكاة شيء ونحي بذلك منحي من الأغراض فإنه يجب ألا يتعرض فيه إلى ما هو أليق بمضاد الشيء المحاكي به وأخص به / أو أخص بمناسب مضاده ، وألا يتعرض في تخيل حال الشيء المحاكي به إلى ما هو أخص بحال مضاد ذلك الشيء أو مناسب مضاده ، 10 وألا يتعرض في القول وما دل عليه إلى ما هو أخص بمضاد الغرض الذي نحي به منحاه أو إلى ما هو أخص بمناسب مضاد ذلك الغرض ، وألا يتعرض فيه إلى لفظ له عرف فيما يضاد المعنى الذي دل عليه أو الغرض الذي نحي به منحاه أو الشيء الذي قصدت به محاكاته ولا إلى ما يناسب مضادات جميع ذلك ؛ فإن التعرض في القول لما يضاد معناه 15 ومدلوله وغرضه ، أو إلى ما يناسب تلك المضادات ، أو إلى ما له عرف في شيء من ذلك ، ضروب من التدافع .

1 - إضاعة : وأكثر ما يقع التعرض في أحد المتضادين إلى ذكر ما هو أليق بالآخر وأخص به إذا كان للمتعرض له علاقة بما هو خارج 20 عن غرض القول مما سوى ذلك من أعراض المتكلم أو الموصوف أو المخاطبين ، فإلم به لأجل تلك العلاقة وسها عن كونه قادحا في غرض القول

أو فيما يرجع إلى حال الشيء المحاكى ، أو تسومح في ذلك القدر من القدح اختياراً ، أو لزم إلى المسامحة فيه اضطرار .

2- **تسوير** : فالجهات التي يجب فيها أن يتوقى في الشيء ما هو أخص بمضادّه وما جرى مجراها هي جهات التضادّ والتخالف في الأفعال والانفعالات والهيئات والأحوال والتمييزات وأغراض الكلام المترامية إلى أنحاء هذه الأشياء نحو التهنة والتعزية والمديح والهجاء .

3- **إضاعة** : فمن المعاني التي قصد فيها الذمّ فأورد في العبارة عنها ما هو أليق بالمدح قول الفرزدق : [الطويل - ق - المتدارك]
بِأَيِّ رِشَاءٍ يَا جَرِيرُ وَمَتَّاحٍ

تَدَلَّيْتُ مِنْ هَامَاتٍ تِلْكَ الْقِمَاقِمِ (1) 10
فقال له جرير : « جعلتني أتدلى على قومك » .

ومن الأبيات التي وقع فيها سوء أدب حيث يجب حسن الأدب قول جرير : [الكامل - ق - المتواتر]

/ يا بشرُ حُقَّ لوجهك التبشيرُ هَلَّا غَضِبْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ؟ [56 - ب]
قَدْ كَانَ حَقُّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقٍ يَا آلَ بَارِقٍ فِيمَ سُبِّ جَرِيرُ (2) 15
فقال بشر : ما وجد ابن اللخناء رسولا غيري ! ؟ .

(1) الرواية في **الديوان** : في حومات بدل من هامات ، وما في النص أكثر مجازة وأتم معنى . والبيت من قصيدة يهجو بها جريرا ويعرض بالبعث طالهما :
ودجرير اللؤم لو كان عانيا ولم يدن من زار الاسود الضراغم
الديوان ، ٢ ، 863 .

(2) البيتان وردا في **الديوان** مفصولين بيتين آخرين هما :
يا بشر انك لم تنزل في نعمة يأتيك من قبل الاله بشير
بشر أبو مروان إن عاسرتك عسر وعند يساره ميور
والبيت الاول من البيتين انواردين في النص يروي في **الديوان** بليشرك بدل لوجهك ، وهو أشكل بالنص . وهذه الأبيات من قصيدة يهجو بها جرير سراقبة بن مرداس ، طالهما :
يا صاحبي هل الصباح منير أم هل اليوم عتواذي تفتير
الديوان ، 301 .

4- تنوير : ومن ذلك أن تأتي العبارة في صورة ما يضاد الغرض ،
نحو ما حكى من أن بعض الشعراء أنشد الداعي في يوم المهرجان :
[الرمل - ق - المترادف]

لا تقل بشري ولكن بشريان غرة الداعي ، ويوم المهرجان (1)
5 فأمر بضربه خمسين عصا وقال : « هذا أبلغ في إصلاح أدبه » .

ومن ذلك استفتاح أبي نواس قصيدته التي هتئ فيها الفضل بن يحيى
ابن خالد بدار ابتناها فقال : [الطويل - ق - المتواتر]

أربع البلى إن الخشوع لبادٍ عليك وإني لم أخنك وِدادي (2)
فتطير الفضل من ابتدائه ، فلما ختم القصيدة بقوله :

10 سلام على الدنيا إذا ما فقدت بني برمك من رائجين وغاد
استحكمت كراسته لما سمع . فما مرة أسبوع حتى نكب بنو برمك .

وحكى أن البحري أنشد محمدا بن يوسف أو غيره من أمراء الثغور :
[الطويل - ق - المتدارك]

لك الويل من ليل تطاول آخره ووشك نوى حي ترم أباعره (3)

(1) البيت لابي مقاتل ، أنشده الداعي . العسكري : الصناعتين ، 432 ؛ محمد كرد علي :
إحالة في التعليق على كتاب الصناعتين ، انظر (4) . 339 ؛ أورد ذكر البيتين أيضا
العباسي في قبج الابتداء . قال أنشده ابن مقاتل هكذا بلفظ ابن لا أبو ، وهو علي بن
مقاتل الضرير من شعراء الجبل ، بين يدي الداعي وهو المعروف بالداعي الأصغر ، أبو
الحسن العلوي الشاعر ، المتوفى 316 بطبرستان . العباسي ، (1) ، 616 .

(2) البيتان ، هذا والذي يليه : أولهما طالع قصيدة يمدح بها أبو نواس الفضل بن يحيى بن
برمك ، وثانيهما قريب من الآخر وليس آخر بل يمدح أربعة أبيات . الديوان ، (1) ، 126 -
127 ؛ (2) ، 471 .

(3) البيت طالع قصيدة يمدح بها أبو عبادة يوسف بن محمد . الديوان ، 1 ، 250 .

فقال له الممدوح : « بل لك الويل والحرب » . على أن هذا البيت روى
بالحاء بدل الكاف في قوله لك وهي أشبه من الرواية الأخرى .

وقد أنكر عبد الملك على جرير ما هو دون هذا حين أنشده :

[الوافر - ق - المتواتر]

5 « أتصحو أم فؤادك غير صاح » ؟ (1) .

فقال له الملك : « بل فؤادك » .

5 - إضـاءة : وقد تكون للعبارة دلالة على أمر مكروه خارج عما

جاء بها للدلالة عليه ، إما باشتراك وقع في اللفظ ، أو بعرف واستعمال
حدث فيه ولو للعامة . فيجب أن يتحفظ من ذلك حيث تنهياً تلك العبارة

بنفسها أو مع ما يكتنف بها لأن يفهم منها بحسب الاشتراك / الواقع فيها 10
أو بحسب العرف والاستعمال أمر قبيح في حق ممدوح أو مندوب أو
منسوب به أو نحو ذلك مما يكره في حقه القبح . [57 - أ]

ومن ذلك قول صاحب في عضد الدولة : [الطويل - ق - المتدارك]

ضَمَمْتُ عَلَى أَبْنَاءِ تَغْلِبَ تَاءَهَا

15 فَتَغْلِبُ مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ تَغْلِبُ (2)

فقال عضد الدولة : « بقي الله ! » .

(1) البيت طالع قصيدة في مدح عبد الملك بن مروان كما أشار إلى ذلك المؤلف . والبيت
بأكمله هو :

أتصحو أم فؤادك غير صاح عثية هم صعبك بالرواح
الديوان ، 96 .

(2) أورد البيت الشاهد الخفاجي ، 174 .

ومما أكد القبح في هذه اللفظة التي هي قوله تغلب وقوعها قافية ، فإنها مقطع الكلام وموضع تخلّي السامع وتفرّغه لتفقد ما مرّ على سمعه ممّا وقع فيها . فالسمع أقرب عهدا به ، وهو أشدّ ارتساما فيه . ولو وردت اللفظة التي أنكرها عضد الدولة في أثناء البيت لكان الأمر فيها أسهل .

5 6- تنوير : ومما يجب التحفظ منه في المواضع التي يجب فيها التباعد عن الفحش وعن كلّ ما يتطرق به إليه وصون الكلام من جميع ما يكون فيه إذ كان بأمر من أمور الريب والرفث ، التعرّض إلى الأشياء التي يفهم منها ذلك ، ولو بعرف عامّي أو استعمال لأهل الهزل .

ومما يندرج في هذه الجملة قول المتنبي في أمّ سيف الدولة :

10 [الوافر - ق - المتواتر]

رِواقُ العِزِّ فوقكِ مَسْبَطِـرٌ ومُلْكُ عِلْيَ ابْنِكِ في كَمالٍ (1)
فلفظة مسبطر بعد قوله للمرأة فوقك قبيحة ، ولا سيّما بعد أن استعملها ابن حجاج (2) حيث استعملها وعرف ذلك من قوله .

ونحو منه قول مروان ابن أبي حفصة في زبيدة بنت جعفر :

15 [البسيط - ق - المتراكب]

(1) يروى البيت بكلمة حواك بدل فوقك . المكبري ، (1) ، ٢ ، 23 ؛ البرقوقسي (1) ، ٢ ، 24 . ويروى بلفظ فوقك كما في النص الذي أورده حازم . وهذه الرواية أولى لحمل الكلام عليها ، وترتيب ما أورده المؤلف على الشاهد . والبيت من قصيدة لابن الحسين في رثاء أمّ سيف الدولة ، طالعها :

نمى المشرقة والموالي وتقتلنا المنون بلا قتال
انظر الديوان ، 174 .

(2) هذا الشاعر كثير السخف والمجون . انظر الثعالبى ، (2) ، ٣ ، 30 - 99 .

يَهْزُهَا كُلُّ عَرَقٍ مِنْ أُرُومَتِهَا

يزداد طيبا إذا الأعراقُ لم تَطِيبِ (1)

فلفظة عرق بعد قوله يهزها قبيحة بالنظر إلى ما هو متعارف عند العامة .

وقد كان بعض الشيوخ الذين أخذت عنهم هذه الصناعة يُوصِي باجتناب الألفاظ التي يفهم منها على حدّتها أو مع ما يكتنفها معنى قبيح 5 ولو بالعرف العامي .

[57 - ب] 7 - إضاعة : وإذا كان في اللفظة عُرْف / في طريق من الطرق

الشعرية فالواجب ألا تستعمل في مضاد ذلك الطريق ، وذلك كقول حبيب :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ جُعِلْتُ فِدَاكَ بَزَّ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنُ قَفَاكَ (2) 10

فالقفا ليس يليق إلا بطريقة الذم . وكذلك الأخدع والقذال . فاستعمال هذه الألفاظ في المدح مكروه .

8 - تنوير : ومن وضع الشيء موضع ما يضاده ما وقع الكثير

من تمنّي البؤس حيث يجب تمنّي النعيم في قوله :

[الطويل - ق - المتدارك] 15

(1) البيت من فرائد منهاج .

(2) البيت من قطعة صغيرة وردت في باب الغزل ، طالعها :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَقْمَرُ لَكَ الْحَسَنُ وَحَلَّتْ جِيُوشُهُ فِي ذِرَاكَ
ورواية البيت الثاني تختلف عما في الاصل هنا . وهي بهذا الوجه :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ خَلَقْتَ بَدِيمًا فَاكْ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنُ قَفَاكَ
وأختار الاصل ما لم يرجع هذه الرواية الثانية مرجح . الديوان ، (2) ، 456

وددتُ وييت الله أنك بكرة هجان ، وأني مصعبٌ ثم نهربُ
 كلاًنا به عر فَمَنْ يَرْتَنَا يَقُلْ على حسنِها جرباءُ تُعدى وأجربُ
 إذا ما ورَدْنَا منهالاً صاح أهله علينا، فلا ننفكُ نُرْمى ونضربُ (1)
 فقالت له عزة : « لقد أردت بنا الشقاء ! أما وجدت أمنيّة أوطأ من
 هذه ! ؟ » . 5

ومن أقبح التمنيّ وأسوأ المذاهب في ذلك ما ورد في قصيدة أبي صخر
 في الفصل الذي أوّله : « تمنيت من حبي عليّة ، (2) وهو مذكور في
 أمالي أبي علي وغيرها ، فلا معنى للإطالة بإيرادها .

- 9 - إضاعة : فكلّ هذه الأشياء ، التي نبهنا عليها بهذا المعلم ،
 10 من وضع ما لا يليق موضع ما يليق . وهو وضع غير مؤثر .
 وإنما الوضع المؤثر وضع الشيء الموضع اللائق به ، وذلك يكون
 بالتوافق بين الألفاظ والمعاني والأغراض من جهة ما يكون بعضها في
 موضعه من الكلام متعلقاً ومقترناً بما يجانسه ويناسبه ويلائمه من ذلك .
 والوضع الذي لا يؤثر يكون بالتباين بين الألفاظ والمعاني والأغراض
 15 من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلقاً ومقترناً بما يناقضه
 ويدافعه وينافره .

ولهذه الجملة تفاصيل قد وقعت الإشارة إليها في مواضع كثيرة من هذا
 الكتاب (3) فليتأمل ذلك في مظان ذكره ، وبالله التوفيق .

(1) البيت الثالث ورد عجزه بـ « فما » بدل فلا . والابيات في الترتيب بجعل المذكور في الاصل
 هنا اولاً آخر . الديوان ، 99 .

(2) يشير بهذا الى قول أبي الصخر :
 تمنيت من حبي عليّة أننا على رمث في البحر ليس لنا وفر
 على دائم لا يعبر الفلك موجة ومن دوننا الأهوال واللجم الخضر
 فنفضي هم النفس في غير رقبة ويفرق من نخشى نيمته البحر
 القالي ، 1 ، 149 .

(3) راجع مثل هذه الاشارات : 349 - 353 .

[58 - أ]

و - / معرف دالّ على طرق المعرفة بما تكون عليه المعاني من كمال أو نقص .

فأمّا الكمال في المعاني فباستيفاء أقسامها واستقصاء متمّماتها وانتظام العبارات جميع أركانها حتّى لا يُخلّ من أركانها بركن ولا يُغفل من أقسامها قسم ولا يتداخل بعض الأقسام على بعض .

1 - إضاعة : وقد تقدّم الإلماع بطرف من ذكر المتمّمات (1) . ونحن نذكر في هذا الموضع كيف تقع المعاني كاملة باستيفاء أقسامها وانتظام العبارات جميع أركانها ومتمّماتها حتّى لا يقع فيها نقص ولا تداخل .

فمن المعاني التي وردت القسمة فيه تامة صحيحة قول نصيب :

[الطويل - ق - المتواتر] 10

فقال فريقٌ لا ، وقالَ فريقُهُم نعم وفريقٌ قالَ وَيَحْكُ مَا نَدْرِي (2)

(1) راجع بعض صور ذلك : 55 - 61 ، 110 .

(2) وردت رواية البيت بأوجه مختلفة مع اضطراب قليل في النسبة .
الرواية الأولى :

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق أيمن الله ماندي
والنسبة لنصيب . ابن حجة الحموي : المحرّاة ، 444 .
الرواية الثانية :

فقال فريق القوم لما نشدّتهم نعم وفريق ليمن الله ماندي
اللسان : فصل الباء ، باب النون ، ١٧ ، 354 .
الرواية الثالثة : والنسبة فيها إلى نصيب :

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق قال ويحك ماندي
قدامة ، (1) ، 46 .

وبرواية ابن منظور وهي الثانية هنا ورد الشاهد في كتاب سيبويه . قال سمعناه هكذا من العرب ولم ينسبه . وفي التعليق عليه بأسفل الصفحة ويروي لنصيب . سيبويه ، 147 .

وبنفس الرواية أيضا ورد في كلام الخفاجي ، وفي التعليق على نسبه أسفل الصفحة ، وفي التيمورية زهير . انظر الخفاجي ، 224 .

وهذا أشبه بكلام سيبويه ، وحكايته للبيت عن الأعراب . فان ذلك مما يدل على قدمه ، وهو ليس من نسج ما صنع نصيب . والبيت في عامة الكتب النقدية التي أشرنا إليها من شواهد التقسيم .

ومن المعاني التي وقع التقسيم فيها تاماً صحيحاً قول الشماخ :
[الطويل - ق - المتدارك]

مَتَى مَا تَقَعَ أُرْسَاغٌ مَطْمِئِنَةٌ
على حَجَرٍ يَرْفُضُ أَوْ يَتَدَحَّرُجُ (1)

5 لأنّ الحجر إن كان رخوا ارفض ، وإن كان صلباً تدحرج . وليس
لقائل أن يقول : إنه غادر قسماً ثالثاً ، وهو أن تكون الأرض رخوة فيسوخ
الحجر فيها ، فإنّ الأرض إذا كانت بهذه الصفة لم يقع الحافر عليها
وقوع اطمئنان واعتماد ، فبقوله مطمئنة صحت القسمة وكملت .

ومن المعاني التي قسّمت أتمّ تقسيم على جهة من التدرّج والترتيب
10 قول زهير :
[البسيط - ق - المتراكب]

يَطْعُنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا
ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا اعْتَنَقَا (2)

ومن أمثلة ذلك في النثر قول بعضهم : « فلم تخل فيما بدأتني به من
مجد تأثلكه ، أو شكر تعجلته ، أو أجرٍ ادّخرته ، أو متجر اتّجرته ،
15 أو من أن تكون جمعت ذلك كله » (3) .

(1) البيت من قصيدة طالمها :
الا ناديا أضمان ليل تمرج فقد هجن شوقاً ليلة لم يهيج
الديوان ، 15 .

(2) السرزوقي ، 1 ، 449 .

(3) وردت هذه الجملة غير منسوبة أيضاً ، وهي بلفظ أثلكه بدل تأثلكه . الخفاجي ، 225 .
وما في النص هنا من رواية حازم أفضل لكونه الأشبه بالمزاوجة بين الألفاظ التي
أقيمت عليها فواصل وفقر هذه الجملة .

2- **تنوير** : ومما انتظمت فيه العبارة جميع أركان المعنى واستوفت
غايات المقصد قول الشاعر :

[الطويل - ق - المتدارك]

[58 - ب]

/ أناسٌ إذا لم يُقبَلِ الحقُّ منهم

ويُعْطَوْهُ ، عاذوا بالسيوف القواضب (1)

فاستوفى ركني المعنى بقوله : يقبل الحق منهم ويعطوه ، فتم المعنى وكمل .
ومما ورد المعنى فيه مستوفى من جميع أركانه متمما من جميع جهاته
قول ابن الرومي :

عَقَى كلومَ زمانِي ثُمَّ قَلَّمَهُ

عَنِّي فَأَحْفَاهُ ، ثُمَّ اقْتَصَّ ما اجْتَرَحَا (2)

فلم يغادر ركنا من أركان المعنى إلا ذكره ، فتم المعنى وجاء في نهاية
البلاغة .

3- **إضاءة** : ومن المعاني التي وقعت قسمتها ناقصة قول جرير :

[البسيط - ق - المتواتر]

صارت حنيفةً أثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها (3)

فهذه قسمة ناقصة لأنه أخل بالقسم الثالث . وقيل : إن بعض بني
حنيفة سئل : من أي الأثلاث هو من بيت جرير؟ فقال : من الثلث الملقى .

(1) البيت لنافع بن خليفة الغنوي ، أورده قدامة بلفظ رجال بدل أناس ونسبه ، (1) ، 49 ؛
الحموي : المحرارة في شواهد التتيم ، 152 ، وفي شواهد الأيغال 289 ؛ الخفاجي ، 255 .

(2) يروي البيت بلفظ ما جرحا بدل ما اجترحا ، وهو من قصيدة طويلة قالها ابن الرومي
في اسماعيل بن بلبل طالعها :

أما الزمان إلى سلمى فقد جنحا وعاد معتذرا من كل ما اجترحا
الديوان ، (2) ، ٢ ، 65 .

(3) البيت من قصيدة يهجو بها بني حنيفة ، طالعها :
قد غلبتني رواة الناس كلهم إلا حنيفة قفسو في مناحيها
الديوان ، 600 .

ومما نقصت قسمته من المعاني بتداخل قسم على قسم قول أبي تمام :

[الكامل - ق - المتواتر]

قسم الزمان ربوعها بين الصبا وقبولها ودبورها أثلاثا. (1)

فتداخلت القسمة لأنّ القبول هي الصبا على ما ذكره جماهير أهل اللغة .

ومما تداخلت قسمته أيضا من المعاني قول الآخر :

[المتقارب - ق - المتدارك]

أبادرُ إهلاكَ مستهلكٍ لما ليّ أو عبثَ العابثِ (2)

فأما قول هذيل الأشجعي :

فما برححتُ ترمي إليه بطرفها

وتومضُ أحيانا إذا خصمها غفل (3)

فيحتمل أن يكون من القسمة المتداخلة لأنّ الإيماء بالطرف والإيماض به سواء . ويحتمل ألا يكون في الكلام تداخل بأن يريد بقوله تومض تبسم ، وهذا الوجه أولى بأن يحمل البيت عليه ليسلم الكلام بذلك من الخلل .

(1) البيت من قصيدة في مدح مالك بن طوق طالعها :

قف بالطلول الدراسات علاثا أمت حبال قطيعهن رثا

التبريزي ، 1 ، 310 .

(2) البيت لوهب بن عبد مناف القرشي وهو واسطة ثلاثة أبيات نصها :

أبادر ببال إنفاقه وقول المسوق والرائث

أبدى إنفاق مستحمدا بمالي أو عبث العابث

وأحبس مالي على لذتي وأوثر نفسي على الوارث

البحثري : المعاسة ، 377 .

(3) ورد صدر هذا البيت برواية ثانية هي أولى فيما أحسب : فما برحت تومسي إلي بطرفها .

فلايماء أكثر انتسابا للطرف من الرماية ، وإنما كثر استعمال الرمي مع العين كقول

جميل : رمثني بعيني جؤذر . الخفاجي ، 225 .

[59 - أ] ز - معلم دالّ على طرق العلم بوقوع / المعاني المتقاربة متمكّنة .

فَمِمَّا يُمَكِّنُ المعاني أن تُوضع مواضعها اللاتقة بها المهيأة ، وألاّ
توضع موضعاً غيرُها من المعاني أولى به ، وإن كان للمعنى الموضوع أيضاً
موقع من ذلك الموضع لأنّه مقصّر عن موقع غيره من المعاني فيه .

ومن طريف ما ورد في ذلك قول الفرزدق : [الطويل - ق - المتدارك] 5
وإِنَّكَ إِذْ تَهْجُو تَمِيمًا وَتَرْتَشِي سَرَابِيلَ قَيْسٍ أَوْ سَحُوقَ الْعِمَائِمِ
كَسْهَرِيقِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ وَغَرَّةِ سَرَّابٍ أَذَاعَتْهُ رِيَّاحُ السَّمَائِمِ (1)

وقول ابن هرمة : [المتقارب - ق - المتواتر]

وإِنِّي وَتَرْكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ وَقَدْ حَسِي بِكَفِّي زَنَادًا شَحَاحًا
كَتَارَكَةٍ بِيضَهَا بِالْعَمْرَا وَمُلْبِسَةٍ بِيضَ أُخْرَى جَنَاحًا (2) 10

فلأن معنى بيت الفرزدق الثاني مناسب لمعنى بيت ابن هرمة الأوّل ،
ومعنى بيت ابن هرمة الثاني مناسب لمعنى بيت الفرزدق الأوّل ، حتّى لو
أنّ الفرزدق قال :

وإِنَّكَ إِذْ تَهْجُو تَمِيمًا وَتَرْتَشِي سَرَابِيلَ قَيْسٍ أَوْ سَحُوقَ الْعِمَائِمِ
كَتَارَكَةٍ بِيضَهَا بِالْعَمْرَا وَمُلْبِسَةٍ بِيضَ أُخْرَى جَنَاحًا 15

(1) يروى البيت الاول بلفظ تباين بدل سراويل ، ويروى البيت الثاني بأثارتة مكان أذاعته
والبيتان من قصيدة طويلة طالعها :

تحن بزوراء المدينة ناقتي حين عجلت تبغي البوراثم

الحيوان ، ٢ ، 856 .

(2) المرزوقي ، ٢ ، 737 ، تع 1 .

لكان قد وضع الكلام موضعه الذي يليق به ، وكان المعنى صحيحا
متمكنا ، ولو أن ابن هرمة قال :

ولائي وتركبي ندى الأكرمين وقدحي بكفّي زنادا شحاحا
كمهريسق ماء بالفلاة وغرّة سراب أذاعته رياح السمائم

5 لكان كلامه صحيحا وتشبيهه واقعا موقعه اللائق به (1) .

1 - إضاءة : ومن هذا الباب ما روي أن أبا الطيب أنشد سيف

الدولة قصيدته التي أولها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

فلما انتهى إلى قوله :

وقفت وما في الموت شكّ لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

10 / تَمُرُّ بِكَ الأبطالُ كَلَمَى هزيمةٌ ووجهك وضاحٌ وثرعك باسمٌ (2) [59 - ب]

قال له سيف الدولة : « قد نقدنا عليك يا أبا الطيب ما نقدنا على

امريء القيس في قوله :

كأنتي لم أركب جوادا للذّة

ولم أبتطن كاعبا ذات خلخال

(1) أورد بيتي ابن هرمة المكري : الصناعتين ، 145 ؛ المرزباني ، 237 ؛ الخفاجي ، 242 .

(2) الأبيات من قصيدة يمدح بها المتنبي سيف الدولة وهي شهيرة . البرقوقي ، (1) ، ٢ ، 273 .

ولم أسبأ الزرق الروي ولم أقبل

لخيل كرى كرة بعد إجفال (1)

فقال له المتنبي : « أيتها الأمير ، إن البزاز لا يعرف الثوب معرفة الحائك . وإذا صح النقد على امرئ القيس صح علي ، وإنما أراد امرؤ القيس أن يقرن ركوب اللذة بركوب اللذة في بيت ، وأن يجمع بين الشجاعة والكرم في بيت » . فاستحسن سيف الدولة ما قاله ، ووصله .

2- تنوير : والنقد الذي أشار إليه سيف الدولة في بيتي المتنبي وبيتي امرئ القيس هو أن صدر البيت الأول من قول امرئ القيس يقتضي ظاهر الكلام أن يوصل بعجز البيت الثاني ويوصل صدر البيت الثاني بعجز الأول ، وكذلك يظهر في بادئ الرأي أن صدر البيت الأول من قول المتنبي يصلح أن يتمم بعجز البيت الثاني ويتمم صدر البيت بعجز الأول . فيقال في قول امرئ القيس :

كأنني لم أركب جوادا ولم أقبل لخيل كرى كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزرق الروي للذة ولم أبتطن كاعبا ذات خلخال (2)

(1) السندوبي ، (3) ، 164 . وفي هذين البيتين كلام لم يتناول كما في الأصل هنا بيتي المتنبي ، أورده ابن رشيق في باب النظم . قال : « ورد على سيف الدولة رجل بغدادى يعرف بالمنتخب ، لا يكاد يسلم منه أحد من القدماء والمحدثين . ولا يذكر شعر بحضرته إلا عابه ، وظهر على صاحبه بالحجة الواضحة . فأنشد يوما هذين البيتين ، فقال قد خالف فيهما وأفسد ولو قال :

كأنني لم أركب جوادا ولم أقبل لخيل كرى كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزرق الروي للذة ولم أبتطن كاعبا ذات خلخال

لكان قد جمع بين الشيء وشكله ، فذكر الجواد والكر . في بيت ، وذكر النساء والخمر في بيت . فالتبس الأمر بين يدي سيف الدولة ، وسلموا له ما قال . فقال رجل ممن حضر ولا كرامة لهذا الرأي ، الله أصدق منك حيث يقول : « إن لك ألا تجوع فيها ولا تمرى ، وأنت لا تظمأ فيها ولا تصحى » فأتى بالجوع مع العرى ، ولم يأت به مع الضمأ فر سيف الدولة ، وأجازه بصلة حسنة . واعتبر ابن رشيق هذا تبعا للجاحظ من الفرق المفصل . ابن رشيق ، 1 ، 173 .

(2) ذكر البيتين وما قيل فيهما دون مقارنة مع بيتي أبي الطيب العسكرى : الصناعتين ، 144 .

ويقال في قول أبي الطيب :

وقفت وما في الموت شكّ لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم (1)

3- إضساءة : وقد احتجّ أبو الطيب لامرئ القيس بما أوردناه .

5 وبقي أن نبين وجه الحجّة في قول أبي الطيب . فنقول : إنّ أبا الطيب أراد أن يقرن بين أنّ الردى لا نجاة منه لواقف وبين أنّ الممدوح وقف ونجا منه ، وبين أنّ الأبطال ريعت وانهزمت وأنّ سيف الدولة / لم يُرع ولم ينهزم ، وابتسام الثغر وانبلاج الوجه ممّا يدلّ على عدم الروع .

[60 - أ]

4- تسوير : وإنّما قال : « كأنك في جفن الردى وهو نائم »

10 لأنّه جعل الردى في هذا الموضع بصورة الناظر المبصر الذي لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه مقتل ، ولأنّ السبيل إلى المهج واضحة له . فلمّا نجا الممدوح تعجّب في سلامته منه وخفائه عنه مع كونه بالموضع الذي يبصر فيه ، فقدّر سببا لخفائه عنه النوم الشاغل للأجفان عن رؤية ما دنا منها .

وقد يكون عدم التمكّن في المعاني من أنحاء آخر قد ذكّرت في

15 مواضعها من هذا الكتاب (2) . وإنّما نبّهت بهذا المعلم على هذا الضرب الواقع في المعاني التي يوضع بعضها بإزاء بعض لنسب تقتضي ذكر المعنى مع ما يناسبه وإيقاعه إلى جانب ما يليق به .

(1) أورد ذكر الآيات الأربعة من كلام امرئ القيس والمنتبهي جميعا منها على ما فيها من تماثل ابن رشد في الشرح الوسيط أرسطو ، (1) ، 241 - 242 ؛ وعرضت القصة مع اقتضاب في آخر قسم المطابقة من باب التناسب بين المعاني من غير أن يعقب ذلك بتذييل أو تفصيل لكلام أبي الطيب كما ها هنا في الأصل عند حازم . انظر ابن الأثير ، ٢ ، 303 - 304 .

(2) راجع : 147 - 153 ، 223 - 224 .

ح - معرف دالّ على طرق المعرفة بما يكون من المعاني أصيلاً في بابي المدح والذمّ ، وما ليس منها أصيلاً في ذلك .

لما كان الإنسان في جميع ما يحاوله ويسعى نحوه إنّما يلتبس حظوظا يكون فيها صلاح لنفسه أو حظوظا فيها صلاح لبدنه ، وكان استقصاء الإنسان مصالح نفسه وابتغاؤه لها من كلّ وجه لا يصل منه إلى غيره مضرّة 5 ولا ظلم . وكان استقصاؤه حظوظ بدنه وطلبه لها من كلّ وجه يؤدّي إلى ضرر غيره وظلمه -- والظلم قبيح فما أدّى إليه قبيح -- وجب (1) لذلك أن يكون التّضلّ في القناعة من حظوظ البدن بما لا يؤدّي إلى مزاحمة ذي استحقاق وفي الرغبة في جميع حظوظ النفس .

وحظوظ النفس هي التي يكون لها خيرات وكمالات بالنظر إلى نعيمها 10 الباقي ، وحظوظ البدن هي التي تكون لها خيرات وكمالات بالنظر إلى نعيمها الفاني . فالفاضل من / أثر نعيم نفسه الباقي على نعيم بدنه الفاني ، ومن أنصف غيره من ذوي الاستحقاق فيما فيه نعيم بدنه الفاني أو أثره بذلك على نفسه . والإيثار أفضل ليعتاض بذلك ما يكون له سبيل إلى النعيم الباقي كالأجر أو ما ينتزّل في توجّهه منزلة النعيم الباقي كالذكر الجميل . 15

أ - إضاءة : ولما كان الإنسان كمالات في بدنه تحصل عن اعتياد ما يصدر عنها بعد تحصيلها أو ما ينحو نحوها ليحصلها ملكات تصدر عنها أفعال ، وكمالات في نفسه تصدر عنها أو تنحو نحوها أفعال وانفعالات . وكمالات في عقله تصدر عنها تمييزات وإدراكات ، وكان الإنسان فيما يصدر عن تلك الكمالات وينحو نحوها لا يخلو من أن يروم 20

(1) جواب ما المفتوح بها المعلم .

حظًا يؤثر به نفسه على بدنه أو بدنه على نفسه أو غيره على نفسه أو نفسه على غيره ، وكان المحمود من ذلك إشارته نفسه على بدنه وإثارة غيره على نفسه ، والطرفان الآخران مذمومان ، وكانت الأفعال المحمودة والمذمومة من جميع ذلك تختلف رتبها في مقدار ما يجب عليها من الحمد والذم بحسب اختلاف الأحوال المطيعة بها - والأحوال المطيعة بالأفعال هي : 5 الزمان ، والمكان ، وما منه الفعل ، وما إليه الفعل ، وما عنده الفعل ، وما به الفعل ، وما من أجله الفعل . فأخذ أبي ذؤاد الحق من ابنه وإقادته بجاره الذي قتله يربي على كثير مما يجلب من فواضل الكرم ونوافله ، وإن كان ذلك نصفه منه ؛ وجود كعب على النمري بالجرع التي أثره بها على نفسه حتى مات عطشا في المكان الذي كانا فيه أعظم أثرا في الكرم 10 من وجود غيره بكل حظ جليل لا تعود به السماحة عليه بمثل ما عادت على كعب . - وجب (1) أن يكون الفعل معتبرا بتلك الأحوال المطيعة . فيكون بالنسبة إلى حال منها محمودا ، وبالنسبة إلى / حال أخرى مذموما ، ويكون بالنسبة إلى بعض تلك الأحوال في أعلى درجات الحمد ، وتارة 15 في أدنى الدرجات من ذلك ، ووسطا بين الحالين . وكذلك تختلف أيضا حاله في درجات الذم بحسب اختلاف تلك الأحوال المطيعة .

[61 - أ]

2- تنوير : ولما كانت الأشياء الصادرة عن تلك الكمالات والناحية نحوها منها ما للإنسان أن يفعله ، ومنها ما ليس إليه أن يفعله بل هو مضطر إليه ، وكان ما ليس إليه أن يفعله منه ما يدل على وجود 20 ما للإنسان أن يفعله ، ومنه ما لا يدل على وجود ذلك له ، والذي يدل

(1) هذا جواب لما في أول الاضافة .

على وجود ذلك له ولو بتقوية الظن في ذلك منه ما يدل على وجود الأفعال المحمودة ، ومنه ما يدل على وجود الأفعال المذمومة ، وجب (1) أن تكون الأشياء التي تدل على وجود الأشياء المحمودة قد تستعمل في الحمد ، كما أن الأشياء الدالة على وجود الأفعال المذمومة قد تستعمل في الذم وليست بأصيلة في ذلك .

5

3- إضاءة : وقد يجري مجرى هذه الأشياء ، في كونها يُحمَدُ بها لدلالاتها على ما يحمَد ، أشياء أخر خارجة عن أوصاف الشيء المحمود ، كذكر كرم الأسرة وشرف السلف لكون فضل الأصل يدل على فضيلة الفرع في كثير من الأمر .

4- تنوير : وأكثر ما تعتد العرب به في المدح الأفعال التي تنجشتم الأنفس فيها الضرر لنفع غيرها ممن له أدنى استحقاق أو حاجة إلى ذلك . ولهذا قال أبو الطيب المتنبي : [البسيط - ق - المتواتر]
لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ،
الجودُ يُفْقِرُ ، والإقدامُ قَتَالُ (2)

5- إضاءة : والأمور التي تنجشتم فيها النفوس المشقة والضرر لتنفع بذلك غيرها وتريحها : إما أن تكون حقوقاً ثابتة قبل المتجشتم للمشقة فيها فيكون ذلك منه نصفه وعدلاً ، وإما أن تكون غير واجبة قبله بل

(1) جواب لما في أول التنوير .

(2) البيت من قصيدة مشهورة يمدح بها المتنبي أبا شجاع فاتكا ، طالعها : لا خيل عندك تهديها ولا مال فليعد النطق إن لم تعد الحال العكبري ، (1) ، ٢ ، 204 .

يسمح بها تبرّعا ويتفضّل بها إشارا فيكون ذلك منه نافلة وفضلا . وأحسن المدح ما كان بهذا الصنف من الأفعال .

- 6 - قنوير : وقد فرّق الناس / بين ما يكون المدح أو الذمّ حقيقيّا ، [61 - ب] وما ليس بحقيقيّ من ذلك . وقسموا الفضائل التي يكون بها المدح الحقيقي 5 إلى أربع خلال على ما أنا شارح في ذكره .

فمن ذلك قول أبي الفرج قدامة ، وقد سبقه القدماء (1) إلى هذه القسمة قال : « لما كانت فضائل الناس ، من حيث هم ناس - لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان - على ما عليه أهل الألباب ، إنّما هي العقل والعفة والعدل والشجاعة كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا وبما سواها مخطئا . وقد قال زهير :

10 [الطويل - ق - المتدارك]

أخِي ثَقَةٍ لَا تَلْفُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَتْلَفُ الْمَالُ نَائِلُهُ (2)
لأنّه قد وصفه بالعفة وبقلّة إمعانه في اللذّات وبأنّه لا ينفد فيها ماله وبإهلاكه ما له في البذل وانحِرَافه إلى ذلك عن اللذّات وذلك هو العدل ، ثمّ قال :

- 15 تَرَاةُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ (3)

(1) المراد بالقدماء هنا الرواة وشرح الأشعار ونقادها ، إذ ليس قبل كتاب قدامة كتب ذات مقاييس وقواعد .

(2 ، 3) البيتان من قصيدة شهيرة طالعها :
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعري أفراس الصبا ورواحله
ويروى البيت الأول بيهلك مكان يتلف ، وما في الأصل أولى للمشكلة من حيث اللفظ .
الاعلم ، 31 .

أراد أن فرحه بما يعطي أكثر من فرحه بما يأخذ ، فزاد في وصف
السخاء منه بأن جعله يتَهَيَّش ولا يلحقه مضض ولا تكره لفعله ثم قال :
ومَنٌ مثلُ حصنٍ في الحروب ومثلُه

لإنكارِ ضيمٍ أو لخصمٍ يُحاوِلُه (1)

- 5 فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة العقل والشجاعة ، فاستوفى
ضروب المادح الأربعة التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة . وزاد ما
هو وإن كان داخلا في الأربعة فكثير من الناس لا يعرف وجه دخوله فيها
حيث قال أخي ثقة ، فوصفه بالوفاء ، والوفاء داخل في هذه الفضائل
التي قدّمنا .

- 10 وقد يتفنّن الشعراء فيعدّون أنواع الفضائل الأربع وأقسامها ، وكلّ
داخل في جملتها ، مثل أن يذكروا ثقافة المعرفة والحياء والبيان والسياسة
والصدق بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك ممّا يجري هذا
المجرى وهي من أقسام العقل ؛ وكذكروا القناعة / وقلة الشره وطهارة
الإزار وغير ذلك وهي من أقسام العفة ؛ وكذكروا الحماية والأخذ
بالثأر والدفاع عن الجار والنكاية في العدو وقتل الأقران والمهابة والسرى
15 في المهامه والقفسار الموحشة وما شاكل ذلك وهي من أقسام الشجاعة ؛
وكذكروا السماحة والتغابن والانظلام والتبرّع بالنائل والإجابة للسائل
وقرى الأضياف وما جانس هذه الأشياء وهي من أقسام العدل .

[62 - أ]

- فأمّا تركيب بعضها مع بعض فيحدث منها ستة أقسام : يحدث من
تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات ونوازل الخطوب والوفاء

20

(1) هذا البيت مفصول عن البيتين السابقين بستة أبيات ، وقد ورد بحرف العجز في الديوان .
الاعلم ، 31 .

بالوعد ، وعن تركيب العقل مع السخاء البرّ والإنجاز للموعد وما أشبه ذلك ، وعن تركيب العقل والعفة التزّه والرغبة عن المساوي والاقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك ، وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإتلاف والإخلاف وما جانس ذلك ، وعن تركيب الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش والغيرة على الحرم ، وعن تركيب السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت والإيثار على النفس وما أشبه ذلك » .

قال : « وكل واحد من هذه الفضائل وسط بين طرفين مذومين » (1) .

7 - إضاعة : وإذا قد حكينا كلام أبي الفرج قدامة فليتبّع ذلك بإشارة إلى بيان قوله : « إنّ كل واحد من هذه الفضائل وسط بين طرفين مذومين » . فأقول : إنّ الفعل العائد بمنفعة مّا إنّما يحمّد ما لم يعد الإفراط فيه بمضرة وما لم يكن من القلة والتقصير بحيث لا يغني ، فإذا وقع وسطا بين هذين الطرفين كان محمودا ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « خير الأمور أوسطها » (2) . ألا ترى أنّ الكرم إذا أفرط عدّ سرفا وتبذيرا ، والإقدام إذا أفرط فهجم بصاحبه على المتالف في كل حين وموطن عدّ ذلك تهورا وهوجا ، وإذا وقع التقصير عن الإقدام والبهذل بالجملة أو وقع من ذلك ما لا اعتداد به عدّ ذلك بخلا وجبنا . / وقد تكون قلة الشيء بحيث لا يوجب عليه حمدا ولا ذما .

[62 - ب]

8 - تنوير : وجميع تلك الأفعال ونقائصها إنّما تعدّ فضائل أو رذائل فيستوجب عليها الثناء المطلق أو الذمّ المطلق ، ويعتقد في صاحبها أنه خير أو شرّير ، إذا حصلت له فيها ملكة وصارت له عادة لا يفارقها

(1) بهذه الجملة انتهى ما نقله هنا مع خلاف قليل في اللفظ . انظر قدامة ، (1) ، 20 - 22 .

(2) الحديث مشهور ، وليس موثوقا بلفظه عند علماء الحديث . انظر العجلوني ، 1 ، 391 .

إلى ما ناقضها . فإن وقع الفعل المسمى فضيلة منه ولم يتبعه بمثله ولا تمادى عليه لم يستحق أن يسمى فاضلا ولا أن يثنى عليه الثناء المطلق . وعلى هذا يجب أيضا أن يكون الاعتبار في وقوع الفعل المسمى رذيلة ، فاعلم ذلك .

9- إضاعة : وكان أبو الفرج قدامة يذهب إلى أن المدح بالحسن

والجمال والذم بالقبح والدمامة ليس بمدح على الحقيقة ولا ذم على 5
الصحة . ويخطيء من يمدح بهذا ويذم بذلك (1) . ويستدل بانكار عبد
الملك بن مروان قول ابن قيس الرقيات : [المنسرح - ق - المتراكب]
يأتلق التاج فسوق مفترقه على جبين كأنه الذهب (2)

وقد ردّ عليه هذا الآمدي . وتابعه الخفاجي في الردّ عليه . فقال :

« إن كان قدامة يعتقد أن ذلك ليس بفضيلة ، لما كان الإنسان قد خلق 10
عليه ، فهذا حكم الفضائل النفسانية . فإن الكريم قد خلق كريما والشجاع
شجاعا . فكما لا يقدر القبيح الوجه أن يستبدل صورة غير صورته ،
فكذلك الجاهل لا يقدر أن يستفيد عقلا فوق عقله » (3) .

(1) قدامة ، (1) . 71 .

(2) البيت يروى يعتدل بدل يأ تلق ، وهو من قصيدة طالعها :
عناد له من كثيرة الطرب فمينه بالدموع تنسكب

الأغاني ، (3) . 5 . 79 .

(3) أورد ابن سنان الخفاجي ما سبق ذكره في أول الإضاعة من قضية نقد البيت ، وكلام
قدامة فيه ، ثم اتبع ذلك بقوله : « وقد أنكر هذا المذهب على أبي الفرج أبو القاسم
الحسن بن بشر الآمدي » ، وقال : « إنه خالف فيه مذاهب الأمم كلها عربيا وأعجميا ،
لأن الوجه الجميل يزيد في الهيبة ويتيمن به ويدل على الخصال الحمودة » . ثم قال
الخفاجي : « وهذا الذي ذكره أبو القاسم صحيح ، ولو لم يكن في ذلك إلا ما قد
جبلت النفوس عليه من الميل إلى الوجوه الحسان لكفى وأغنى » . واتبع هذا بقوله
أعلاه : « فإن كان قدامة » .

ويجمل الآمدي والخفاجي انتقاد عبد الملك على ابن قيس الرقيات محمولا على ذكره
التيبان وهي زي ملوك العجم ، ولم يكن خلفاء العرب يعرفونها ولذلك قال له :
تمدحني كما تمدح ملوك الأعاجم ، وتمدح مصعبا كما تمدح الخلفاء ؛ وهو يشير بهذا
إلى قول ابن قيس الرقيات في مصعب :

إنما مصعب شهاب من الآب - - - تجلت عن وجهه الظلماء
راجع مقالة الخفاجي ، 250 .

واعترضه هذا غير صحيح لأن الحكماء المتكلمين في الفضائل قد اتفقوا على أن الإنسان قد يقدر على أن يكتسب بعض الفضائل بالتطبع وان يستكمل كثيرا مما نقصه من ذلك بالاعتیاد والرياضة ومجاهدة النفس ، فينتقل برياضة النفس في ذلك حالا فحالا حتى يصير الصعب قبل التطبع والارتياض سهلا بعدها . وما زال الناس يُروّضون أخلاقهم بالتأديب والتدريب ، فترقى بذلك في مراتب الفضل درجاتهم وتهذب بعد الجفاء أخلاقهم . / قيل للأحنف ابن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : [63 - أ] من قيس بن عاصم . ولا بدّ في حصول هذا التطبع من سابق استعداد لتحصيله بالطبع ، فيخرج إلى الفعل بعد كونه في القوة .

10 فأما خِلقةُ الإنسان وصورته فليس في قدرته نقل شيء منها عما وجد عليه . فحمدُ الإنسان بما يستحسن من هذا القليل مخادعة له ، وذمُّه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه . ويشهد لهذا ما حكاه الرواة من أن المغيرة ابن حبياء وزیادا الأعجم لم يزالا يتهاجیان حتى عیّره زیاد بعقل كانت أصابت بعض أهل بيته . فقال المغيرة : « ما ذنبنا فيما ذكره ، هذه أدواء ، وإنما يُعَيَّرُ المرء بما اكتسبه » . 15

10 - تنوير : فقد تبين أن رأي من رأى أن المدح بما ليس للإنسان فيه تصرف ولا له قدرة على تغييره عما هو عليه مما هو خارج عن الفضائل الأربع موافق لما حكى عن العرب في ذلك . وإنما يمدح بما هو خارج عن الفضائل الأربع إذا كان مما شأنه أن توجد الفضائل أبدا بوجوده ، فتورد كالأدلة على ذلك . 20

ط - معلم دالّ على طريقة العلم بما يجب أن يعتمد في مدح صنف صنف من الناس .

ويجب أن يقصد في مدح صنفٍ صنفٍ من الناس إلى الوصف الذي يليق به . وأن يعتمد في مدح واحدٍ واحدٍ ممن يراد تقرّظه ما يصلح له من تلك الفضائل وما تفرّع منها . وأن لا يجعل الشيء منها حليّةً لمن لا يستحقّه ولا هو من بابه .

1- إضاءة : فأما مدح الخلفاء فيكون بأفضل ما يتفرّع من تلك الفضائل وأجلّها وأكملها كنصر الدين وإفاضة العدل وحسن السيرة والسياسة والعلم والحلم والتقوى والورع والرافة والرحمة والكرم والهيبة وما أشبه ذلك . وينبغي أن يتخطى في أوصافهم من جميع / ذلك حدود [63 - ب] 10 الاقتصاد إلى حدود الإفراط . وأن يترقى عن وصفهم بفعال ما يكون حقاً واجبا إلى تقرّضهم بما يكون من ذلك نافلة وفضلا .

2- تنوير : ومدح الأمراء يكون بالكرم والشجاعة ويؤمن النقية وسداد الرأي والثبّاط والحزم والدهاء وما ناسب ذلك . ويطمح بهم في الأوصاف إلى حيث يليق بمناصبهم وما انتهت إليه ممالكهم حتى تكون رتبةُ العظماء منهم ثانيةً عن رتبة الخلفاء ، وتدرّج مراتبهم في ذلك إلى أدنى ما يتميّز به الملك عن السوقة . 15

3- إضاءة : ومدح الوزراء ومن حلّ محلّهم من الكتاب يكون بالعلم والحلم والكرم وحسن التدبير وتشمير الأموال ونحو ذلك . وينبغي أن يكون المطمح في وصف كلّ وزير على قدر مستوزره ، فيكون لوزراء 20

الخلفاء في ذلك مزية لا تلحق ورتبة لا تسامى حتى إن مراتب كثير من الملوك العظماء ربما قصرت عن مراتبهم ، ثم تدرج مراتبهم في ذلك على نحو ما ذكرناه في مراتب الملوك .

4- تنوير : ومدح القضاة يكون بالعلم والتقوى والدين والنزاهة والعدل بين الخصوم وإنصاف المظلوم وما جرى ذلك المجرى . ولهم أيضا مراتب فيما ينبغي أن ينحلوهم من الأوصاف ، فيطمح بقضاة الخلفاء ثم بقضاة الملوك ثم بقضاة الأصقاع الكبار إلى حيث لا يطمح بغيرهم . وينبغي أيضا أن يكون تعظيمهم على قدر عظمهم في علومهم وأديانهم وعقولهم .

10 5- إضاعة : فقد تبين من هذا أن أمداح الخلفاء يجب أن تكون نمطا واحدا يُنحى بأوصافها أبدا نحو الإفراط ، وأن أمداح الأمراء والوزراء والقضاة ومن جرى مجراهم من كبار العلماء ينبغي أن يكون كل واحد منها ثلاثة أنماط : ينحى بالنمط الأعلى منحى الإفراط ، وينحى بالنمط الأدنى منحى الاقتصاد ، وتكون أوصاف النمط الوسط اقتصادية مشوبة ببعض إفراط وذلك بحسب ما بيناه من اختلاف 15 درجات المدوحين / في ضخامة الخطط وفخامة الولايات .

[64 - أ]

6- تنوير : فعلى هذا الترتيب يجب أن يكون المدح ، وأن يُحافظ على ما يجب اعتماده في امتداح كل طبقة من المدوحين . فلا يُسمى بها إلى الرتب التي فوقها ولا يُنحط بها إلى ما دونها .

ي - معرف دالّ على طرق المعرفة بما يكون به وضوح المعاني أو غموضها .

إنّ المعاني وإن كانت أكثر مقاصد الكلام ومواطن القول تقتضي الإعراب عنها والتصريح عن مفهوماتها فقد يقصد في كثير من المواضع إغماضها وإغلاق أبواب الكلام دونها . وكذلك أيضا قد تقصد تأدية المعنى في عبارتين : إحداهما واضحة الدلالة عليه . والأخرى غير واضحة الدلالة لضروب من المقاصد . فالدلالة على المعاني إذن على ثلاثة أضرب : دلالة إيضاح ، ودلالة إبهام ، ودلالة إيضاح وإبهام معا .

1 - إضاءة . وقد تقدّم (1) التعريف بكثير من الوجوه التي بها يكون إيضاح الدلالات على المعاني في مواضع كثيرة من هذا الكتاب . 10 وبقي أن نذكر الآن ما يتيسر لنا ذكره من الوجوه التي يكون في المعاني وجودها فيها أو في عباراتها إغماض لها وبُعدٌ بها عن البيان ليعتمد الشاعر ما يليق بكلامه من تلك الوجوه حيث يقصد كناية أو إلغازا وما أشبه ذلك ممّا لا يقصد في الدلالة عليه التصريح ، ولتجنب تلك الوجوه حيث يقصد التصريح عن المعاني والإبانة عنها حتى يأتي في كلّ موضع بما يليق به . 51

2 - تنوير : ووجوه الإغماض في المعاني : منها ما يرجع إلى المعاني أنفسها ، ومنها ما يرجع إلى الألفاظ والعبارات المدلول بها على المعنى ، ومنها ما يرجع إلى المعاني والألفاظ معا .

3 - إضاءة : فأما ما يرجع إلى المعاني أنفسها فمن ذلك أن يكون المعنى في نفسه دقيقا ويكون الغور / فيه بعيدا ، أو يكون المعنى مبنيّا على [64 - ب] 20

(1) مما يراجع لهذا الغرض طرق استشارة المعاني ، فإن بها إشارات لذلك 37 - 40 .

مقدمة في الكلام قد صرّف الفهم عن التفاتها بعد حيزها من حيز ما
 بني عليها أو تشاغله بمستأنف الكلام عن فارطه أو غير ذلك مما شأنه أن
 يشني غروب الأفهام كليلة قاصرة عن تحقق مفهومات الكلام ؛ أو يكون
 مضمنا معنى علميا أو خبرا تاريخيا أو محالا به على ذلك ومشارا به إليه
 5 فيكون فهم المعنى متوقفا على العلم بذلك المضمن العلمي أو الخبري ؛ أو
 يكون المعنى مضمنا إشارة إلى مثل أو بيت أو كلام سالف بالجملة يجعل
 بعض ذلك المثل أو البيت جزءا من أجزاء المعنى أو غير ذلك من أنحاء
 التضمن ؛ أو يكون المعنى قد قصد به الدلالة على بعض ما يلتزمه من
 المعاني ويكون منه بسبب على جهة الإرداف أو الكناية به عنه أو التلويح
 10 به إليه أو غير ذلك - وكلما كان الملتزم بعيدا كان المعنى بعيدا من الفهم -
 أو يكون المعنى قد وضعت صور التركيب الذهني في أجزائه على غير ما
 يجب فتكره الأفهام لذلك ، فقد لا تفهمه على وجهه وقد لا تهدي إلى
 فهمه بالجملة ؛ أو يكون بعض ما يشتمل عليه المعنى مظنة لانصراف
 الخواطر في فهمه إلى أنحاء من الاحتمالات ؛ أو يكون المعنى قد اقتصر
 15 في تعريف بعض أجزائه أو تخيلها على الإشارة إليه بأوصاف تشترك فيها
 معه أشياء غير أنها لا توجد مجتمعة إلا فيه . وكلما كانت الأوصاف
 في مثل هذا مؤتلفة من أعراض الشيء البعيدة لم تنهد الأفكار إلى فهمه
 إلا بعد ببطء .

4- تنوير : فأمّا ما يرجع إلى الألفاظ والعبارات من تلك الوجوه

20 فمثل أن يكون اللفظ حوشيا أو غريبا أو مشتركا فيعرض من ذلك ألا
 يعلم ما يدلّ عليه اللفظ أو أن يتخيل أنه دلّ في الموضع الذي وقع فيه
 من الكلام على غير ما جيء به للدلالة عليه فيتعذر فهم المعنى لذلك . وقد

[65 - أ]

يتفق مثلُ هذا بأن يعرض في تركيب اللفظ اشتباه يصير به / بمترلة اللفظ المشترك نحو قول امرئ القيس :

لَفْتَنِكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ (1)

- ومن ذلك أن يقع في الكلام تقديم وتأخير ، أو يتخالف وضع الإسناد فيصير الكلام مقلوبا ، أو يقع بين بعض العبارة وما يرجع إليها فصل 5 بقافية أو سجع فتختفي جهة التطالب بين الكلامين ، أو بأن تفرط العبارة في الطول فيتراخى بعض أجزائها عما يستند إليه وما هو منه بسبب فلا يشعر باستناده إليه واقتضائه له لا سيما إذا وقع في الكلام اعتراضات وفصول وكان مشتملا على أشياء يمكن أن تُرجع إلى كل واحد منها ذلك الشيء . ومما يبعد به الشيء عما يستند إليه الصلات والاعتراضات. 10 ومن ذلك أن ترد العبارة التي يقصد انفصال بعض أجزائها عن بعض في صورة المتصلة وأن يرد المتصل في صورة المنفصل ، ومن ذلك فرط الإيجاز الذي يكون بقصر أو حذف . وقد تقدّم ذكر ذلك (2) .

- 5 - إضاعة : فكل معنى غامض وعبارة مستغلفة فغموضه واستغلاق عبارته راجعان إلى بعض هذه الوجوه المعنوية أو العبارية أو إليهما معا أو 15 إلى ما ناسبهما وجرى مجراهما مما لعلنا لم نذكره من وجوه الإغماض الراجعة إلى معنى أو عبارة . فعلى هذه الوجوه ووقوع بعضها مع بعض في

(1) صدر البيت : نطمئنهم سلكي ومخلوجة . وهذا من قصيدة قالها بعد أن أنجده قمر بن الحميم الحميري لأخذ الشار من بني أسد ، وطالع القصيدة :

يا دار ماوية بالحائل فالحب فالحب من عاقل

والبيت يروي بتركه بدل لفتك . السدوسي ، (3) ، 172 .

(2) إن بحث هذا وتفصيله مما احتوى عليه القسم الأول المفقود كما تدل على ذلك الإحالات الكثيرة عليه .

الكلام مدار الأقاويل التي يقصد بها الكنايات والإلغاز وما جرى مجراها مما لا يقصد فيه الإبانة والتصريح .

- 6- **قنوير** : ويحتاج في موضع التصريح والإبانة أن يتحفظ من وقوع وجه من هذه الوجوه في لفظ أو عبارة . ومتى اضطرّ وزن أو قافية أو انحصار للكلام في مجال غير متسع له من مقادير الأوزان إلى وقوع شيء من ذلك فليجهد في ما يرفع الإبهام أو اللبس الواقع بذلك من القرائن المختصة للكلام إلى ما نحي به نحوه ، فإنّ ورود المعنى غامضاً في كلام قد قصد به الإبانة ممّا يُوعَرّ / سبيله ويزيله عن الاعتدال والاستواء مع [65 - ب] مناقضته للمقصد .

- 10 7- **إضاعة** : وجملة الأمر أنّ اشتكال المعاني وغموضها من جهة ما يرجع إليها أو إلى عباراتها يكون لأمر راجعة إلى مواد المعنى أو مواد العبارة أو إلى ما يكون عليه إجراؤهما من وضع وترتيب أو إلى مقادير ما ترتب من ذلك أو إلى أشياء مضمّنة فيهما أو أشياء خارجة عنهما .

- 15 8- **قنوير** : وإذا قد عددت جملة ما به يكون اشتكال المعاني من جهة ما يرجع إليها أو إلى عباراتها فلنذكر بعض وجوه الخيل التي من شأنها أن يماط بوجه وجه منها ما وقع في المعاني من غموض وإشكال بوجه وجه ممّا به يكون اشتكال المعاني وغموضها ذكراً موجزاً على جهة الإشارة والإيماء .

- 20 9- **إضاعة** : فأمّا طريق الخيل في إزالة الغموض والاشتكال الواقعين بهذه الأشياء فهي أن يعتاض من الشيء الذي وقع به الإغماض والإشكال أو أن يقرن به ما يزيل الغموض والاشتكال . فالاعتياض

في المعاني يكون بأخذ مماثلاتها مما يكون في معناه أوضح منها .
والاعتياض في الألفاظ يكون بما يماثلها من جهة الدلالة . وقد يكون بين
العوض والمعوّض منه مع ذلك مخالفة في الوضع مثل وصل المنفصل وفصل
المتصل وإطالة القصير وتقصير الطويل ، وقد لا يكون ذلك .

- 10 - **قنوير** : وقران الشيء بما يزيل الغموض أو الاشتكال الواقع 5
فيه يكون بأن يتبع الشيء بما يكون شرحا له وتفسيرا من جهة ما يكون
في معناه أو تكون دلالة في معنى دلالة أو من جهة ما يناسبه ويشابهه ،
ويكون بأشياء خارجة عن معنى الشيء إلا أن فيها دلالات على إبانة ما
ان بهم في الأشياء المقترنة بها .

- 11 - **إضاعة** : ولهذه الجملة تفصيل طويل لا يمكن أن نتقصاه 10
بالتمثيل في وجه وجه من تلك الأشياء التي من قبيلها تشتكل المعاني في
أنفسها ومن جهة عباراتها / إذ بعض الشواغل ومراعاة ما اعتمدته في هذا
الكتاب من الاكتفاء في كل باب منه بالإجمال عن التفصيل وبالتمح
الدالة عن الجملة الشارحة يمتنعان من الزيادة على القسط الواجب فيه بحسب
ما اعتمدته ، لكنني أورد في ما تعلق ببعض ذلك كلاما كنت قبّذته فيما 15
تقدّم (1) ، فإن فيه زيادة إفادة إلى ما ذكرته ، فيجعل الناظر وجه النظر
والعمل في ما لم أذكره من ذلك بحسب الأمر في ما ذكرته ، وليتولّ اعتبار
جميع ذلك في وجه وجه منها بنفسه . فقد أوضحت له السبيل إليها ودمت
له الطريق الدالّ عليها .

[66 - أ]

(1) الإشارة هنا إلى نفس ما احتوى عليه المعرف ذاته لا رتباط المعلم (يا) إثر ذلك به .

يا — معلم دالّ على طرق العلم بما يزيل الغموض والاشتكال العارضين في المعاني ، من حيث ذكر في المعرف الفارط .

وقد تقدّمت الإشارة إلى بعض ذلك . وأنا شارح في تميم ذلك وتكميله وإيراد القول فيه مفصّلاً والتعريف بما لم يجز له ذكر من ذلك .

5 فأقول : إنّ المعاني منها ما يقصد أن تكون في غاية من البيان على ما تقدّم ، ومنها ما يقصد أن تكون في غاية من الإغماض ، ومنها ما يقصد أن يقع فيه بعض غموض ، ومنها ما يقصد أن يُبان من جهة وأن يغمض من جهة .

10 وبيان المعاني يكون بتعريفها من الأوصاف التي تبعتها عن البيان . وتلك الأوصاف تنقسم : إلى ما يرجع إلى المعنى وإلى ما يرجع إلى اللفظ المعبر عنه . وتلك الأشياء الراجعة إلى المعنى أو إلى العبارة : إمّا أن تكون راجعة في كليهما إلى مادة أو إلى وضع وترتيب أو إلى مقدار أو إلى ما يكون متضمّنًا لهما أو ملترما .

15 1 — إضاءة : فمّا يرجع إلى المعنى من ذلك : أن يكون المعنى في نفسه دقيقًا لطيفًا يحتاج إلى تأمل وفهم ، ومنها أن يكون / المعنى قد أخلّ ببعض أجزائه ولم تستوف أقسامه ، ومن ذلك أن يكون المعنى مُرتّبًا على معنى آخر لا يمكن فهمه وتصوّره إلّا به ، ومنه أن يكون المعنى منحرفًا بالكلام وغرضه عن مقصده الواضح معدولًا إليه عمّا هو أحقّ بالمحلّ منه .

20 2 — تنوير : فأما الوجه الأوّل وهو أن يكون المعنى في نفسه دقيقًا لطيفًا يحتاج إلى تأمل وتفهم فيجب في ما كان بهذه الصفة أن يجهد في

تسهيل العبارة المؤدية عن المعنى وبسطها حتى يقابل خفاؤه بوضوحها وغموضه ببيانها حتى تبلغ الغاية المستطاعة في ذلك . فإذا اجتهد الشاعر في توفية العبارة حقها من البيان وقصد بها الإيضاح غاية ما يستطيع فقد أزال عن نفسه اللوم في ذلك ونفى عنها التقصير ، ووجب عذره في خفاء المعنى إذ لا يمكن أن يصيره في نفسه جلياً .

5

3 -- إضاءة : ويجب أيضاً على الشاعر فيما لم يمكنه أن يبين عنه حق الإبانة أن يقرن ذلك المعنى بما يناسبه ويقرب منه من المعاني الجلية ليكون في ذلك دليل على ما انبهم من ذلك المعنى . إذ قد يستدل على المعنى بما يجاوره من المعاني وينبته بعضها على بعض .

- 4 -- تنوير : وأما الوجه الثاني وهو الإخلال ببعض أركان المعنى وترك الاستيفاء لها فهذا يقع للشاعر بأن يذهل عن بعض أركان المعنى أو يجهله ، أو بأن يتركه من غير ذهول منه لكن لا اضطرار الشعر له بانضمامه إلى القافية أو لأن الوزن غير مساعد له . فإذا طرأ في هذا المعنى غموض من هذا الوجه فهو مما يرجع إلى العبارة . ويخلص من ذلك تسريح عنان الكلام يسيراً . فإن ضاق المجال عن استيفاء أجزاء المعنى في بيت واحد فليكن ذلك في بيت وبعض بيت آخر أو في بيتين ، فقد يمكنه استقصاء ما أراده بهذه الطريقة . فإن تعذر عليه الاستقصاء بالجملة فليسقط ذلك المعنى ، فإن نقصه نقص / في حقه . ولا يزال ذو المعرفة بتصاريف الكلام والدربة بتأليف النظام يضع اللفظة موضع اللفظة ويبدل صيغة مكان صيغة حتى ينأتي له مراده وينال من كمال المعنى بغيته .

20

[67 - أ]

5 -- إضاءة : وأما الوجه الثالث وهو أن يكون المعنى مرتباً على معنى آخر لا يمكن فهمه إلا به فقد يكون المعنى المبني عليه داخل الكلام

وخارجه . ويجب أن يقصد - فيما بيني المعنى عليه مما هو خارج الكلام - الشهرة وأن يحسن الدلالة على ذلك من العبارة وألاّ يحال بين المعنى وما بيني عليه مما هو موجود في الكلام بما هو أجنبي عنهما ، وأن يحسن مساق الكلام في ذلك حتى يعلم أن أحدهما بسبب من الآخر .

- 5 6 - تنوير : وأما الوجه الرابع : وهو أن يكون المعنى متحرّفا بغرض الكلام عن مقصده الواضح معدولا إليه عما هو أحقّ بالمحلّ منه حتى يوهم المعنى أن المقصود به ضدّ ما يدلّ عليه اللفظ المعبر به عنه . وأكثر الناس يجعلون هذا النوع من الكلام مقلوبا . وبعض الناس يتأوّل ما ورد من ذلك تأويلا فيه سلامة من القلب ، ويرى أن ذلك وإن بعد التأويل أولى من حمل الكلام على القلب ، إذ العبارة إنّما تدلّ على المعنى بوضع مخصوص وترتيب مخصوص ، فإن بدّل ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدلالة . وهذا موضع يجب أن يوقف به عند السماع والأقاس عليه لأنّه إن كان الكلام مقلوبا ، وكانت العبارة مقصودا بها غير ما تدلّ عليه بوضعها ، وسوّغ هذا عند حامل الكلام على هذا المذهب أن المقصد من الكلام واضح ، وإن كانت العبارة غير دالة عليه ، فقد ذهب بالكلام مذهب فاسد وكان ذلك خطأ في العبارة . وفي سعة الكلام مندوحة عن المذاهب الفاسدة . وإن كان الكلام غير مقلوب ، ولكنه قصد به معنى آخر غير المعنى الذي يريد به من يجعل الكلام مقلوبا ، فذلك أيضا قبيح لأنّه وضع المعنى البعيد الذي لم يؤلف. موضع المعنى / القريب [67 - ب]
- 20 المؤلف ، فلا يجب أيضا سلوك هذا المذهب . فكلّا التأويلين في هذا الباب خارج بالكلام عن المهيّج الذي يكون للمعنى فيه موقع من النفس ومكانة مكيّنة من الفهم . فالواجب في فصيح الكلام أن يكون خاليا منه .

- 7 - إضاعة : ويشبه أن يكون هذا الضرب من الكلام مما غلط فيه من ليس من عليّة فصحاء العرب وبلغائها [بالحمل] (1) على العلية منهم . فكلّ امرئ منهم إنّما يأتّم في الفصاحة بمن فوقه . فإذا وجد المؤتمّ منهم كلاماً لمن يأتّم به قد قصد به مقصداً يمكن أن يفهم على خلافه بل ربّما كان خلافه أسبق إلى الفهم لكونه أشهر في ما يقال في الغرض 5 المقصود بالكلام ، وكان الشاعر قد عدل عن الأشهر إلى الأخفى إمّا اضطراراً إلى ذلك أو قصداً إلى الافتنان في معاني الكلام والاتّساع في مذاهبه - فمن عادتهم أن يأخذوا الكلام من كلّ مأخذ ويجتلبوا المعاني من كلّ مجتلب وأن يتلاعبوا بالكلام على وجوه من الصحة - فهم (2) الكلام على خلاف ما قصده القائل ورأى العبارة لا تدلّ على ما فهمه الآ 10 بعد القلب ، فظن أن هذا مذهب في الكلام لمن يأتّم به ، وأنّ للشاعر أن يعبر عن المعنى بما لا يدلّ عليه الآ بعد القلب ، ويكتفي بما يسبق إلى الأفهام في ذلك فيجعل ذلك مذهبا له فيخطيء فيه .

- وعلى هذا النحو وقع كثير من المذاهب الفاسدة في كلام العرب لأنّ أرداف الفصاحة منهم إذا رأوا لصدورهم استعمالاً ما في شيء قاسوا على 15 ذلك ما يرون أنّه مماثل لذلك الشيء ، وقد تكون بينهما مفارقة من وجه أو أوجه فيغلطون في القياس ، وكذلك في كثير مما يتأولونه عليهم .

فلذلك يجب ألاّ يقبل من الضرائر إلّا ما وجد في ما اجتمعت عليه الروايات الصحيحة من كلام عليّة الفصحاء منهم ممّا تحقّق

(1) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل ، أضفناها إقامة للجملّة .

(2) جواب إذا المذكورة في أول الإضاعة .

براعته انتسابه إليهم كقصائد امرئ القيس والنابعة وزهير ومن
جرى مجراهم (1) .

8- تنوير : وقد وقعت / أبيات من الشعر حملها قوم على القلب
وخرجتها آخرون على وجوه يصح الكلام عليها لفظا ومعنى . كقول
الخطيئة : [الطويل - ق - المتدارك]

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهُونَ وَالْعِيرُ مَمْسُوكِ
عَلَى رُغْمِهِ مَا أَمْسَكَ الْحَبْلَ حَافِرُهُ (2)
لأنَّ الحبل إذا أمسك الحافر فالحافر أيضا قد شغل الحبل وأمسكه عن أن
يتخلّى عنه ويتفلّت ، فعلى هذا ليس بمقلوب .

10 وكذلك قول أبي النجم : [الرجز - ق - المتدارك]

قَبْلَ دُنُوِّ الْأَفْقِ مِنْ جَوَازِئِهِ (3)

لأنَّ الجوزاء إذا دنت من الأفق دنا منها .

وقد حمل قوم قول قطري بن الفجاءة : [الكامل - ق - المتواتر]

ثُمَّ انصَرَفْتُ ، وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أُصَّبْ

جذَعَ البصيرة قارحَ الإقدام (4)

15

(1) أورد الخفاجي كلاما شبيها بهذا ترجم له بوضع الأنفاظ موضعها اللائق ، وأشار إلى
ما يداخل اللفظ والتأليف من أسباب تدخل عليهما الغموض والاشتكال . الخفاجي ،
99 ، 107 .

(2) يروى البيت بأثبت بدل أمسك ، وهو من قصيدة يذكر فيها الخطيئة الزبرقان ويمدح آل
شماس ، طالعها :
عفا محلان من سليمى فخامره تمشى به ظلمانه وجأ آذره
الخفاجي ، 108 ؛ الديوان ، 18 .

(3) الخفاجي ، 108 .

(4) البيت من قصيدة طالعها :
لا يركنن أحد إلى الاجماع يوم الوغى متخوفا لهما
المرزوقي ، 1 ، 138 .

على القلب . وقالوا يريد قارح البصيرة جذع الإقدام كما يقال إقدام
 غرّ ورأى مجرّب . والأحسن في هذا البيت حمّله على غير القلب ، وذلك
 على تأويلين : أحدهما أن يريد أن هذا الموطن الذي وصفه كان أعظم
 موطن حضره وأشدّ موقف شهده فيش فيه من الحياة وأيقن بالتلف حين
 رأى نفسه دريئة للرماح ودمه قد خضب سرجه ولجامه كما ذكر في هذا
 الشعر ، ثمّ خلص من هول ذلك الموقف ووقع الأمر على خلاف ما كان
 وقع في نفسه حين انصرف وقد قتل ولم يُقتل ، فحدث له إذّاك بصيرة
 أن الإقدام غيرُ علة للحمام وأن من يركن إلى الإحجام خيفة من أن
 يصاب فليس على بصيرة ، إذ لو شهد ما شهدت ثم انصرف مصيباً لا
 مصاباً لحدث له بصيرة بأن السلامة غير مقصورة على مواطن الدعة وأن
 الهلاك غير موقوف على مواقف المكافحة ، وحمله اجتماع الظفر له والسلامة
 بالإقدام على ألا يركن إلى الإحجام . فعبر عن قرب عهد حدوث البصيرة
 له عند انصرافه عن تلك الحرب بأن جعل البصيرة جذعة لأنّ الجذع هو
 الذي على أوّل سنة الأخذ في الاستحكام وجعل الإقدام قارحاً لأنّه كان
 من سجيته ثابتاً قبل البصيرة .

15

9- إضاءة : والتأويل الثاني ما حكاه ابن سنان الخفاجي عن
 أبي العلاء / صاعد به عيسى الكاتب أنّه جراه في بعض الأيتام في هذا
 البيت ، فقال صاعد : « ما المانع أن يكون مقصوده لم أصب أي لم
 ألف على هذه الحال بل وجدت على خلافها جذع الإقدام قارح البصيرة ،
 ويكون الكلام على وجه غير مقلوب ، فتمكن الدلالة على أن قوله في
 البيت لم أصب بمعنى لم ألف دون ما يقولون من أن مراده لم أخرج
 من قوله قبل :

20

لا يركنن أحد إلى الإحجام يوم الوغى ، متخوفاً لحمام

فلقد أراني للرماح دريشة^١ من عن يميني مرة^٢ ، وأمامي
حتى خضبت بما تحدر من دم^٣ أكناف سرجي أو عنان لجامي
ثم انصرفت، وقد أصبت^٤، ولم أصب^٥ جذع البصرة ، قمارح الإقدام (1)

فكيف يكون لم يصب وقد خضب بدمه أكناف سرجه ولجامه . فأما
5 قولهم : إنه أراد من دمي أي من دماء قومي وبني عمي فمبالغة منهم
في التعسف والعدول عن وجه الكلام ليستمر لهم أن يكون الكلام فاسدا
غير صحيح « (2) .

ثم قال الخفاجي : « وهذا الذي ذكره أبو العلاء وسبق له وجه يجب
تقبله واتباعه فيه . وفحوى كلام قطري تدل على أنه أراد أنه جرح
10 ولم يمت إعلاما أن الإقدام غير علة في الحمام وحضا (3) على الشجاعة
وبغض (4) الفرار .

وقد حمل قوم قوله سبحانه : (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء
بالعصبة أولي القوة) (5) ، وقوله تعالى : (ولأنه أحب الخير لشديد) (6) على
القلب . وحمل الكلام على القلب في غير القرآن إذا أمكن حمله على
15 الاستقامة تعسف شديد ، فكيف في الكتاب العزيز والواجب أن تجعل
الباء في قوله تعالى بالعصبة للتعدية ويكون المراد - والله أعلم - أن

(1) المرزوقي ، 1 ، 138 .

(2) القصة والوجه أوردهما الخفاجي ، 108 .

(3) ، (4) ورد اللفظان في المرجع السابق بلفظ حثا ونهيا .

(5) الآية قوله تعالى : «إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين»

قرآن ، 28 / 76 .

(6) قرآن ، 8/100 .

المفاتيح تنوء بالعصبة أي تميلها من ثقلها ، وهو قول الفراء (1) ، وأن يكون قوله تعالى لشديد بمعنى بخيل ، أي إنه حب المال لبخيل والخير المال (2) .

10 - **تنوير** : فكل كلام يمكن حمله على غير القلب بتأويل لا يبعد معناه ، / فليس يجب حمله على القلب . [69 . أ]

وأما ما لا يمكن فيه التأويل فواجب ألا يعمل عليه وأن يوقف عنده (3) . ومنه قول عروة بن الورد : [الوافر - ق - المتواتر]

فلو أنني شهدت أبا معاذ بمهجته غدائه يفوق
فديت بنفسه نفسي ومالي فما آله إلا ما أطبق (4)

يريد فديت بنفسه ، فهذا وأمثاله لا يجب أن يعمل عليه لأنه كلام خطأ على ما قدمناه . ويحتمل أن يكون هذا وما أشبهه مما غيره بعض الرواة لتقارب العبارات واشتباه بعضها ببعض . فقد ينحرف محفوظ الراوي عن أصل وضعه قليلا فلا يشعر بذلك : ألا ترى أن هذا البيت يتأتى تغيير العبارة الواقعة في صدره إلى وضع يدل على مفهوم صحيح فيقال فيه : جعلت فداءه نفسي ومالي . بدل فديت بنفسه .

11 - **إضاعة** : وأما ما يرجع إلى اللفظ مما يقع في المعاني غموضا واشتكالا فمن ذلك أن تكون الألفاظ الدالة على المعنى أو اللفظة الواحدة

(1) الزركشي ، 3 ، 289 ؛ الخفاجي ، 108 ، 109 ؛ السبكي ، 1 ، 491 .

(2) الخفاجي ، 108 ، 109 .

(3) الخفاجي ، 107 . وما بالأصل هنا من تفصيل حازم أتم وأوفى .

(4) رواية البيهقي مختلفة عما في النص وإن لم يوجب اختلافها عدم الاستشهاد بها في هذا المحل لبقاء موضع القلب المحتاج إلى التأويل على حاله . هي بالديوان كالآتي :

فإنني لو شهدت أبا معاذ غداة غد لمهجته يفوق
فديت بنفسه نفسي ومالي وما آله إلا ما أطبق

انظر ابن السكيت ، 205 .

منها حوشية أو غريبة فيتوقف فهم المعنى عليها . والواجب على الشاعر أن يجتنب من هذا ما توغل في الحوشية والغرابة ما استطاع حتى تكون دلالة على المعاني واضحة وعبارته مستعذبة . ومتى لزمه إلى شيء من ذلك اضطرار وأمكنه أن يقرن باللفظة ما يهتدى به إلى معناها من غير أن يكون ذلك حشواً كان الأمر في ذلك أشبه . 5

12 - تنوير : ومن ذلك أن تكون اللفظة أو الألفاظ مشتركة فتدل على معنيين أو أكثر لا في حال واحدة ، فيجب للناظم أن ينوط باللفظة أو الألفاظ التي بهذه الصفة من القرائن ما يخلص معناها إلى المفهوم الذي قصده حتى يكون المعنى مستبيناً ، وذلك حيث يقصد البيان . وينبغي ألا يكثر من هذا النوع حيث يقصد الإبانة عن المعاني . 10

ومما ورد من ذلك فاضطرب الناس في تأويله قول الحرث بن حنظلة :
[الخفيف - ق - المتواتر]

زعموا أن كل من ضرب العيبر موالٍ لنا وأتسى السولاء⁽¹⁾

فقيل / أراد بالعيبر الوند وأراد بالضاربين العرب لأنهم كانوا أصحاب عمد ، وقيل أراد عير العين وهو ما نتأ منها أي كل من ضرب عير عينه بجفنه ، وقيل أراد بالعيبر ما يطفو على الحوض من الأقداء وأصله التشديد وهو العائر والعيبر ، فحفف كما قيل هيئن وهيئ ، وقيل فيه وجوه أخر غير هذه (2) . 15

(1) البيت من معلقته وأولها :

أذنتنا بينها أسماء رب ثاو يمل منه الشواء
الزوزني ، 170 .

(2) راجع اللسان ، باب الراء فصل العين ، 6 ، 299 - 305 .

13 - إضاعة : ومن ذلك أن تكون كلمة قد وُصِلت بحرف أو حذفت منها حرف فتتصل بكلمة يحتمل لفظها أن يكون الحرف الموصول بالأول داخلا عليها أو من جملة حروفها أو يكون قد دخل على الثانية حرف يخيل لك أنه صلة للأولى أو تنمة لما نقص منها فيعرض من هذا فهم الكلام على غير وجهه .

5

ومن هذا قول امرئ القيس :
[السريع - ق - المتدارك]
نطعنُهم سلكى ومخلوجةٌ لَفْتَكْ لَأُمِينِ على نابِل (1)
لأن الكاف محتملة أن تكون ضميرا مضافا إليها ما قبلها ، وأن تكون حرفا جاريا لما بعدها .

10

ومن هذا ما روي من أن الأصمعي أنشد يوما :

[الخفيف - ق - المتواتر]

لم ينالوا مثل الذي نلتُ منهم وسواءٌ مَا نلتُ منهم ونالوا (2)
ثم قال لأصحابه : كيف أوجب في آخر البيت ما نفى في أوله ؟
- فقالوا : لا ندري ! - قال : قد أجَلتكم فيه شهرا . - قالوا : لو
أجلتنا فيه سنة ما علمناه . - فقال : إنما هو لمي ترخيم لمياء ثم قال :
15 نالوا مثل الذي نلت منهم ، فهذا لإيجاب أنهم نالوا وليس بنفي على ما
يتوهم سامعه .

(1) تقدم الشاهد 174 .

(2) إن وجه كتابة البيت هو أن يرسم لمي وحده ونالوا منفصلا عنه . ولعل المؤلف أراد أن يحدث الحيرة والارتباك ليكون الأثر الحاصل من المطالعة كالأثر الحاصل من السماع ، هذا وقد بحثنا عن البيت فلم نقف عليه في غير هذا المحل .

فيجب أن يتحفّظ في الكلام المقصود به البيان نحو وقوع تلك الحروف التي يسبق الوهم إلى أنها مستندة إلى غير الحيز الذي استندت إليه ، فإنّ ذلك مستهلك للمعاني وحاجب للأفكار عن حقائق المقصود بالكلام .

14 -- تنوير : ومن ذلك الإخلال بوضع الكلام وإزالة ألفاظه عن مراتبها حتى يصير المتأخّر مقدّمًا والمتقدّم متأخّرًا فتتداخل الألفاظ بعضها على بعض فتشكل العبارة ولا يتحقّق نظامها قبل التقديم والتأخير ولا يعلم كيف كان (.....) (1) . وهذا المذهب رديء جدّا في / الكلام . [70 - أ]

وكان همام بن غالب الفرزدق يكثر من هذا النوع - كأنّه كان يقصده - ومنه قوله :

10 وما مثله في الناس إلّا مملّكا أبو أمّه حيّ أبوه يقاربُه (2)
يريد وما مثله في الناس حيّ يقاربه إلّا مملّكا أبو أمّه أبوه ، يعني بالمملّك هشاما والمدوح خاله فأبوه أبو أمّه ، فقد أساء العبارة عمّا أراد .

15 -- إضاعة : وإذا قد ذكرنا جملة ممّا يقع في المعاني إغماضا من جهاتها أنفسها ومن جهات العبارات ، وأتبع ذكر بعض تلك الوجوه بذكر ما يميّط بعض القبح الواقع بها في الكلام ، فحقيق أن نصرف عنان القول عمّا نحن بسبيله من القول في هذا المعلم إلى غير ذلك ممّا يتعلق بالمعاني ، إذ قد تبين أنّ ما قصد به البيان من القول فواجب أن تجتنب فيه تلك الوجوه المذكورة ، وما قصد به الكناية أو الإلغاز والتعمية فهي لائقة به وصالحة له ، فليوقع منها في كلّ نوع من الكنايات وفي كلّ ضرب من ضروب الإلغاز والتعمية ما يليق به ويكون فيه أكثر غناء من غيره . 20

(1) بياض بالأصل مقدار ثلاث كلمات .

(2) التفتزاني ، 20 ؛ الديوان ، 1 ، 108 .

يب - معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النظر في المعاني من حيث يكون فهمها متوقفا على أمر ما من صناعة أو غيرها أو تكون غير متوقفة على شيء من ذلك .

إنّ المعاني منها ما يُحتاج في فهمه إلى مقدّمة من معرفة صناعة أو حفظ قصّة . فالتّي لا يُحتاج في فهمها إلى مقدّمة هي المعاني الجمهوريّة التي 5 يشترك في فهمها الخاصّ والعامّ ، وعليها مدار معظم المعاني الواقعة في الأغراض المألوفة من الشعر ، وهي مستحسنة فيه .

1 - إضاءة : والمعاني التي يُحتاج في فهمها إلى مقدّمة ضربان : [70 - ب] ضربٌ يتوقّف فهمه على المعرفة بصناعة ما / ليكون المعنى من تلك الصناعة أو لكون العبارة الدالّة عليه من عبارات أهل تلك الصناعة ، 10 وضربٌ يتوقّف فهمه على حفظ قصّة ما لكون المعنى متعلّقا بتلك القصّة .

2 - تنوير : فالمعاني التي يتوقّف فهمها على المعرفة بصناعة ما لا يحسن إيرادها في الشعر إذا وجد عنها مندوحة ، ولا يحسن فيه أيضا أن تؤخذ ألفاظ قد نقلت إلى علم ما فتجعل العبارة بها صالحة لما تدلّ عليه في 15 ذلك العلم والمتكلّم لا يريد إلّا المعنى الذي تدلّ عليه في أصل اللغة وإنّما قصد الإلغاز عن مراده . فهذا لا يحسن في المقاصد التصريحيّة .

3 - إضاءة : وأمّا ما يتوقّف فهمه على قصّة فلا يخلو أن تكون تلك القصّة مشهورة أو غير مشهورة ، فإن كانت القصّة مشهورة فذلك حسن ، وإن لم تكن مشهورة فإنّ ذلك لا يستحسن .

4- **تنوير** : فأما المعاني أو العبارات المتعلقة بصنائع أهل المهن فينبغي ألاّ يستعمل شيء منها لأن استعمالها في الشعر أشدّ قبحا من استعمال الألفاظ الساقطة المتبدلة .

فأما المعاني الخارجة عن صنائع أهل المهن وعمّا يحتاج في فهمه إلى مقدّمة فهي التي يجب أن يُكثّر من استعمالها ، فإنّ منزلتها من المعاني منزلة الألفاظ المستعملة المفهومة التي ليست بعامة ساقطة ، ولا متوعّرة وحشيّة . وأما المعاني التي يتوقف فهمها على القصص الشهيرة عند الأدباء ومن جرى مجراهم ممّن طالع التواريخ والأخبار فمزلتها من المعاني منزلة استعمال الألفاظ التي ارتفعت عمّا يفهمه جميع العامة وكان علمها مقصورا على الخاصّة . فأما المعاني التي يتوقف فهمها على المعرفة بعلم أو صناعة فمزلتها من المعاني منزلة استعمال اللفظ الحوشي الذي لا يفهمه إلاّ الأقلّ من خاصّة الأدباء ، وكذلك الإحالة على ما لم يشتهر من الأخبار .

5- **إضاعة** : وملاحظات الشعراء الأفاضل والأخبار المستطرفة في أشعارهم ومناسبتهم / بين تلك المعاني المتقدّمة والمعاني المقاربة لزمان وجودهم ، [والكائنة] (1) فيها التي يبنون عليها أشعارهم ممّا يحسن في صناعة الشعر . ويجب للشاعر أن يعتمد من ذلك المشهور الذي هو أوضح في معناه من المعنى الذي يناسب بينه وبينه ويعلّقه على طريق التشبيه أو التنظير أو المثل أو غير ذلك . ويُسمّى ما تُسبّب إلى ذكره من القصص المتقدّمة الماثورة بذكر قصّة أو حال معهودة الإحالة لأنّ الشاعر يحيل بالمعهود على الماثور .

[71 - أ]

(1) كلمة غير واضحة بالأصل .

6- **تنوير** : وإذا أوقعت الإحالة الموقع اللائق بها فهي من أحسن شيء في الكلام . فليَتَذَكَّرْ ما مضى من الأمور التي يقلّ نظيرها في ما هي عليه من الأوصاف التي تميل إليها النفوس أو تنفر عنها موقع عجيب من النفوس . فتتحرك النفوس بما قد ارتسم فيها من صفة القصة الأولى إلى اعتقاد القصة الأخرى على مثل تلك الصفة . هذا إذا كانت الإحالة 5 على سبيل المحاكاة .

7- **إضاعة** : وإذا قد تبين هذا فالواجب ألاّ يستعمل في الشعر من الأخبار إلاّ ما شُهر ، وألاّ يستعمل فيه شيء من معاني العلوم والصنائع ، ولا شيء من عباراتهم إذا كان الغرض مبنياً على ما هو خارج عن تلك العلوم والصنائع . فأمّا إذا كان غرض الشعر مبنياً على وصف أشياء علميّة 10 أو صناعيّة ومحاكاتها والتخييل في شيء شيء منها فإيراد تلك المعاني والعبارات غير معيب في ذلك الغرض ، لأنّ للشاعر أن يحاكي شيئاً من جميع الموجودات ويخيل في واحد واحد منها ما تميل إليه النفوس أو تنفر عنه .

8- **تنوير** : ومما تسبّب فيه إلى ذكر ما ليس الكلام مبنياً عليه 15 من المعاني الكلاميّة والنحويّة قول أبي تمام : [البسيط --- ق - المتراكب] مودةٌ ذهبٌ ، أثمرارُها شَبَهٌ وهيمَةٌ جَوْهرٌ ، معروفها عَرَضٌ (1)

(1) أورد البيت شاهداً الخفاجي ، 159 . والبيت من قصيدة لأبي تمام يعاتب فيها عياش بن لهيعة طالعتها :

ذلّ الثّوال شجى في الخلق معترض من دونه شرق من تحته جـرّض الديوان ، (1) ، 235 .

لأنّ الجوهر والعرض من ألفاظ المتكلمين الخاصة بصناعتهم . وقوله
في ما يرجع إلى صناعة النحو : [الكامل - ق - المترادف]
خَرْقَاءُ يَلْعَبُ بِالْعُقُولِ حَبَابُهَا كَتَلَاعِبِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ (1)

/ وقول أبي العلاء المعري في مثل ذلك : [الطويل - ق - المتواتر] [71 - ب]
5 تَلَاقٍ تَفَرَّى عَنْ فِرَاقٍ تَذُمَّهُ

مَاقٍ ، وتكسير الصحاح في الجمع (2)
وحكي أن عز الدولة قال لندمائه : « لَيْسُ شَيْءٌ نَبِيَّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ
أَغْزَلَ مَا يَعْرِفُهُ مِنَ الشَّعْرِ » . فأنشد كل منهم ما حضره . فلما انتهى القول
إلى أبي الخطّاب ابن ثابت الصّابي - وكان أبوه طبيباً - أنشد قول
أبي العتاهية : [الخفيف - ق - المتواتر] 10

قَالَ لِي أَحْمَدُ وَلَمْ يَدْرِ مَا بِي أَتُحِبُّ الْغَدَاةَ عَتَبَةً حَقًّا
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ : نَعَمْ حُبًّا جَرَى فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَعِرْقًا (3)
فقال له بختيار : « لا تخرج بنا يا أبا الخطّاب عن صناعة الطب التي
لم ترثها عن كلاله ! » .

15 وكان بعض الأدباء إذا سمع قول المهلبّي : [الكامل - ق - المتواتر]
يَا مَنْ لَهُ رُتَبٌ مُمَكِّنَةٌ الْقَوَاعِدِ مِنْ فُؤَادِي (4)
قال : « هذا يصلح أن يكون شعر بناء ! » .

(1) البيت من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الفصبي ، وكان مدح بها من قبل محي الدين
ابن ثابت ، طالعها :

قَدْ أَتَيْتُ أَرِييْتَ فِي الْفِيلِوَاءِ كَمْ تَعْدُونَ وَأَنْتُمْ شَجَرَانِي
التبريزي ، 1 ، 33 ؛ الخفاجي ، 159 .

(2) البيت من قصيدة قالها عند مغادرته بغداد مودعاً ، طالعها :
نبي من الغربان ليس على شرع يخبرنا أن الشعوب إلى صدع
أبو العلاء ، 93 ؛ الخفاجي ، 160 .

(3) الخفاجي ، 160 و 161 .

(4) الخفاجي ، 161 .

وحكى أبو عثمان الجاحظ قال : « أنشدت أبا شعيب القلال أبيات
أبي نواس التي أولها :
[الطويل - ق - المتدارك]

ودارِ ندَامَى عَطَّلُوها وأدْجَسُوا بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارِسُ (1)
فقال : « هذا شعر لو نقرت فيه طن ! » فوصفه من طريق صناعته .

- وقد أوردنا هذه الأمثلة على غير ما أوردناها غيرنا . فكل ما انتسب إلى
5 صناعة من الصنائع ، انتساب ما ذكر من حيث هو معنى واجع إليها أو
عبارة مستعملة فيها ، فليس بحسن استعماله في الشعر ، إذ الواجب أن
يقتصر بالأشياء على ما هي خاصة به ، وألا يخلط فنّ بفنّ بل يستعمل
في كل صناعة ما يخصها ويليق بها ، ولا يشاب بها ما ليس منها .

- 10 بج - معلم دالّ على طرق العلم بأنحاء النظر في المعاني ، من حيث
تكون قديمة متداولة ، أو جديدة مخترعة .

[72 - أ]

- / إنّ من المعاني ما يوجد مرتسما في كل فكر ومتصورا في كل خاطر،
ومنها ما يكون ارتسامه في بعض الخواطر دون بعض ، ومنها ما لا ارتسام
له في خاطر وإنما يتهدى إليه بعض الأفكار في وقت ما فيكون من
استنباطه . فالقسم الأوّل هي المعاني التي يقال فيها إنّها كثرت وشاعت،
15 والقسم الثاني ما يقال فيه إنّهُ قلّ أو هو إلى حيّز القليل أقرب منه إلى
حيّز الكثير ، والقسم الثالث هو المعنى الذي يقال فيه إنّهُ ندر وعدم نظيره.

1 - إضاءة : فأما القسم الأوّل فهو مثل ما يتداوله الناس من
تشبيه الشجاع بالأسد ، والكريم بالغمام . وهذا القسم لا سرقة فيه ولا

(1) الخفاجي ، 161 ؛ طالع قصيدة له تقع في ثمانية أبيات . الديون ، (1) ، 214 ؛ (2) 37 .

حجر في أخذ معانيه لأنّ الناس في وجدانها ثابتة مرتسخة في خواطرهم سواء ولا فضل فيها لأحد على أحد إلاّ بحسن تأليف اللفظ . فإذا تساوى تأليف الشاعرين في ذلك فإنه يسمى الاشتراك ، وإن فضلت فيه عبارة المتأخّر عبارة المتقدم فذلك الاستحقاق لأنّه استحقّق نسبة المعنى إليه بإجاده نظم العبارة عنه ، وإن قصر فيه عمّن تقدّمه فذلك الانحطاط . 5

2- تنوير : فأما القسم الثاني ، وهي المعاني التي قلت في أنفسها أو بالإضافة إلى كثرة غيرها فما كان بهذه الصفة فلا تسامح في التعرّض إلى شيء منه إلاّ بشروط : منها أن يركّب الشاعر على المعنى معنى آخر ، ومنها أن يزيد عليه زيادة حسنة ، ومنها أن ينقله إلى موضع أحقّ به من الموضع الذي هو فيه : ومن ذلك أن يقلبه ويسلك به ضدّ ما سلك الأوّل ، 10 ومن ذلك أن يركّب عليه عبارة أحسن من الأولى ، وذلك كتحصين الشمّاخ العبارة عن معنى قول بشر ابن أبي خازم : [الوافر - ق - المترادف] إذا ما المَكْرُماتُ رفعتُ يوماً وقصّرَ مبتغوها عنّ مداها وضاق أذرعُ المثرين عنها سما أوس إليها فاحتواها (1) 15 فجاء الشمّاخ بهذا المعنى في عبارة أحسن من هذه وأوجز حيث يقول : [الوافر - ق - المتواتر]

إذا ما رايةٌ رُفِغَتْ لمجد تلقّاها عُرَابَةٌ باليمين (2)
فما وُجد فيه شرط / من هذه الشروط أو ما جرى مجراها فسائغة [72 - ب]

(1) ورد ذكر هذين البيتين في الحديث عن الإيجاز والاشتراك . الخفاجي ، 205 .

(2) البيت من قصيدة له يمدح بها عرابة بن أوس ، طالعها :

كلا يومي طوالة وصل أروى ظنون آن مطرح الظنون

الديوان ، 97 .

مجازبة الشاعر فيه مَن تقدّمه ، وما ليس داخلا تحت تلك الشروط وما جرى مجراها ممّا يزيد في المعنى زيادة مقبولة فهو سرقة محضة .

3- إضاعة : وأمّا القسم الثالث وهو كلّ ما ندر من المعاني فلم يوجد له نظير ؛ وهذه هي المرتبة العليا في الشعر من جهة استنباط المعاني ، من بلغها فقد بلغ الغاية القصوى من ذلك . لأنّ ذلك يدلّ على نفاذ خاطره وتوقّد فكره حيث استنبط معنى غريبا واستخرج من مكان من الشعر سرّاً لطيفاً . فإذا ساعدته العبارة في ذلك وكانت في شرف صنعتها (.....) (1) والحسن الظاهر . وما كان بهذه الصفة فهو متحامى من الشعراء لقلّة الطمع في نيله إذ لا يكون المعنى من الغرابة والحسن بحيث مرّت العصور وتجاوزت ذلك الموصوف الألسنة فلم تتغلغل الأفكار 10 إلى مكمنه إلّا وهو من ضيق المجال وبعد الغور بحيث لا يوجد التهدي إلى مثله والتنبيه إلى مظنة وجدانه في كل فكر . بل ذلك مقصور على بعض الأفكار وموجود لها في بعض الأحوال دون بعض .

4- تنوير : والمعاني التي بهذه الصفة تسمّى العُقم ، لأنها لا تلقح ولا تحصل عنها نتيجة ولا يقتدح منها ما يجري مجراها من المعاني . 15 فلذلك تحامها الشعراء وسلّموها لأصحابها . علما منهم أنّ من تعرّض لها مفتضح .

ألا ترى أنّهم عابوا على ابن الرومي - وحظه من الاختراع الحظّ الأوفر - تعرّضه لقول عنتره : [الكامل - ق - المتدارك] 20 وخلا الذبابُ بها يُغنّي وحده هزجا كفعل الشارب المترنّم

(1) بياض بالأصل مقدار أربع كلمات .

غردا يسين ذراعاه بذراعاه قدح المكب على الزناد الأجذم (1)
بقوله يصف روضة : [الطويل - ق - المتدارك]

وغرد ربعي الذباب خيلا لها كما حثث النشوان صنجا مشرعا
فكانت لها زنج الذباب هناكم على شدوات الطير ضربا موقعا (2)

- 5 / على أن ابن الرومي قد نحا بالمعنى نحو آخر ، حين جعل تغريد
الذباب ضربا موقعا على شدوات الطير . وهذا تخيل محرك إلى ما قصد
ابن الرومي تحريك النفوس إليه وإيلاعها به . فمثل هذه المعاني النادرة
إذا وقع فيها مثل قول ابن الرومي ووقع فيها زيادة ما من جهة ، وإن كان
فيها تقصير من جهة أخرى ، يجب أن يُصَفَّح عن قائلها في ما وقع لهم
10 من التقصير إذا وقع لهم بإزاء ذلك زيادة وإن كان ما قصروا عنه أجل
مما زادوا . هذا إذا لم يكن بين المقصر عنه والمزيد تفاوت كبير .

5 - إضاءة : وأما من نقل المعنى النادر من غير زيادة فذلك من
أقبح السرقات ، لأنه تعرض لسرقة ما لا يخفى على أحد أنه سرقة .

6 - تنويع : ومن أبرز المعنى النادر في عبارة أشرف من الأولى فقد
15 قاسم الأول الفضل ، إذ الفضل في اختراع المعنى للمتقدم ، والفضل في
تحسين العبارة للمتأخر . والقول الثاني الذي حسنت فيه العبارة بلا شك

(1) البيتان من قصيدته المعلقة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بمد توهم
البيت الأول يروى : فليس ببارح بدل يغني وحده ، وغردا بدل هزجا ، والبيت
الثاني هزجا بدل غردا ويعك بدل يس . الديوان ، 19 .

(2) البيتان من قصيدة له في ذكر يوم طرد ولهو مع رفقة أنس ، طالعها :

بكيت فلم تترك لعينك مدمعا زمانا طوى شرخ الشباب فودعا
والبيت الأول في الشاهد يروى في الديوان خلاله بدل خلالها ، والبيت الثاني في الشاهد
يروى في الديوان أرائين الذباب بدل زنج الذباب . الديوان ، (1) ، 301 .

أفضلُ من الأول ، لأنّ المعنى لا يؤثر فيه التقدّم ولا التأخّر شيئاً ، وإنّما ترجع فضيلة التقدّم إلى القائل لا المقول فيه .

7- إضاءة : فإن زاد المتأخّر على المتقدّم زيادة في المعنى مع تحسين اللفظ فقد استحقّ المعنى عليه كما استحقّ الطرمّاح معنى النابغة

حين زاد عليه في قوله : [الكامل - ق - المتراكب] 5
منْ وَحْشٍ وَجُرَّةَ مَوْشِيٍّ أَكْرَعُهُ

طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد (1)

بقوله : [الكامل - ق - المتراكب]

يبدو وتضميره البلاد كأنّه سيفٌ على شرف يسلّ ويغمّد (2)

فزاد الطرمّاح عليه أن جعله مسلّولاً في حال ظهوره مغمداً في حال إضممار البلاد له .

فمراتب الشعراء فيما يلمّون به من المعاني إذن أربعة : اختراع واستحقاق وشركة وسرقة . فالاختراع هو الغاية في الاستحسان ،

والاستحقاق تال له ، والشركة منها ما يساوي الآخر فيه الأول فهذا لا

عيب فيه ، ومنها ما ينحطّ فيه الآخر عن الأول فهذا معيب ، والسرقة 15
كلّها معيبة وإن كان بعضها أشدّ قبحا من بعض .

(1) البيت من مملّته ، وهي من عيون شعره ، مدح بها النعمان بعد ما جفاه ، طالعها :

يا دار مية بالعلياء فالنند أقوت وطال عليها سالف الأمد

الديوان ، 27 .

(2) ورد البيت في أمثلة التشابه المختارة . الخفاجي ، 238 .

المباني

/ بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما [73 - ب]

القسم الثالث في النظم وما تعرف به أحواله من حيث يكون ملائما
للنفوس أو منافرا لها من قوانين البلاغة .

المنهج الأول في الإبانة عن قواعد الصناعة النظامية والمآخذ التي هي
مداخل إليها ، وما تعتبر به أحوال الصنعة في جميع ذلك من حيث تكون
ملائمة للنفوس أو منافرة لها . 5

أ - معلم دالّ على طرق العلم بقواعد الصناعة النظامية التي عليها تقوم
مباني النظم ؛ وبصرف الخواطر فيها على ما يجب ان تلثم صناعة
النظام الشعري على الكمال .

10 النظم صناعة آلتها الطبع . والطبع هو استكمال للنفس في فهم (1)
أسرار الكلام ، والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري
أن ينحى به نحوها ؛ فإذا أحاطت بذلك علما قويّت على صوغ الكلام
بحسبه عملا ، وكان النفوذ في مقاصد النظم وأغراضه وحسن التصرف
في مذاهبه وأنحائه إنما يكونان بقوى فكرية واهتداءات خاطرية / تتفاوت
15 فيها أفكار الشعراء .

(1) في هامش الأصل بخط النسخ نفسه ما نصه : صور هيآت الكلام لفظا ومعنى . ويظهر
أن هذا من نسخة أخرى قوبلت بالأصل .

فأول : تلك القوى وهي عشر : القوة على التشبيه فيما لا يجري على السجية ولا يصدر عن قريحة بما يجري على السجية ويصدر عن قريحة.

الثانية : القوة على تصوّر كليات الشعر والمقاصد الواقعة فيها والمعاني الواقعة في تلك المقاصد ليتوصّل بهذا إلى اختيار ما يجب لها من القوافي ولبناء فصول القصائد على ما يجب نحو ما أشرنا وما نشير إليه .

5

الثالثة : القوة على تصوّر صورة للقصيدة تكون بها أحسن ما يمكن وكيف يكون إنشاؤها أفضل من جهة وضع بعض المعاني والأبيات والفصول من بعض ، بالنظر إلى صدر القصيدة ومنعطفها من نسيب إلى مدح ، وبالنظر إلى ما يجعل خاتمها إن كانت محتاجة إلى شيء معيّن في ذلك .

الرابعة : القوة على تخيل المعاني بالشعور بها واجتلابها من جميع جهاتها .

10

الخامسة : القوة على ملاحظة الوجوه التي بها يقع التناسب بين المعاني وإيقاع تلك النسب بينها .

السادسة : القوة على التهدي إلى العبارات الحسنة الوضع والدلالة على تلك المعاني .

15

السابعة : القوة على التحيّل في تسيير تلك العبارات مترّنة وبناء مبادئها على نهاياتها ونهاياتها على مبادئها .

الثامنة : القوة على الالتفات من حيّز إلى حيّز والخروج منه إليه والتوصّل به إليه .

التاسعة : القوة على تحسين وصل بعض الفصول ببعض والأبيات بعضها ببعض وإلصاق بعض الكلام ببعض على الوجوه التي لا تجد النفوس عنها نبوة .

20

العاشرة : القوة المائزة حسن الكلام من قبيحه بالنظر إلى نفس الكلام وبالنسبة إلى الموضع الموقَّع فيه الكلام . فقد يتفق للشاعر أن ينظم بيتين قافيتهما واحدة فيكون أحدهما أحسن في نفسه والآخر أحسن بالنسبة إلى المحلّ الذي / يوقعه فيه من جهة لفظ أو معنى أو نظام أو أسلوب . [74 - ب] 5

ففي مثل هذا الموضع يصير المرجوح راجحا والمفضول فاضلا . وكثير ممّن ليست له هذه القوة يسقط أحسن ممّا يثبت بالنسبة إلى المحلّ .

١ - إضاعة : وللشعراء وذوي الدعوى في مشاركتهم أو وجود بعضها أو عدمها بالجملة ثلاث مراتب . فأهل المرتبة العليا هم الشعراء في الحقيقة . وأهل المرتبة السفلى غير شعراء في الحقيقة . وأهل المرتبة الوسطى شعراء بالنسبة إلى من دونهم ، غير شعراء بالنسبة إلى من فوقهم . 10

فأمّا المرتبة الأولى فتشتمل على ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : الذين حصلت لهم هذه القوى على الكمال في الجملة والكمال في بعض دون بعض .

الطبقة الثانية : من كان قسطه من جميع هذه القوى أو من أكثرها متوسطا أو غير بعيد من المتوسط . 15

الطبقة الثالثة : من كانت أقساطه ممّا حصل له من هذه القوى مع قلتها غير عامّة في جميعها .

فالطبقة الأولى هم الذين يقوون على تصوّر كليات المقولات ومقاصدها ومعانيها بالقوة قبل حصولها بالفعل . فيتأتّى لهم بذلك تمكّن القوافي وحسن صور القصائد وجودة بناء بعضها على بعض . 20

والطبقة الثانية تتصوّر كثيرا من ذلك وإن لم تبلغ في ذلك مبلغ الطبقة الأولى ، فيتأتّى لها بذلك كثير ممّا تأتى للأولى .

والطبقة الثالثة لا تتصور إلا القليل من ذلك كأوائل القصائد وصدورها
وما يكون من مقاصد الشعر بمحلّ عناية من أنفسها ، فقد يتفق لهذه
الطبقة أيضا أن تبني الكلام والقوافي بناء حسنا .

- 2 - **تنوير** : والمرتبة الثانية : من له أدنى تخيل في المعاني وبعض
دربة في إيراد عباراتها متزنة ، وإن لم يكن له في القوى الباقية إلا ما
يعتد به ، فنظم هذا منحنط عن نظم من استكمل ما نقصه ومرتفع عن
كلام / من لا تخيل له في المعاني ولا دربة بالتأليف . [75 - أ]

- 3 - **إضاعة** : والمرتبة الثالثة وهم الذين لا ينتسبون إلى هذه الصناعة
بغير الدعوى : فمنهم طائفة لا تتقنص ولكن تلتصص ولا تتخيل بل
تتحيل بالإغارة على معاني من تقدمها وإبرازها في عبارات أخر ، والنمط
الثاني لا يتخيل ولا يتحيل ولكن يغير ويغير ، والنمط الثالث وهم شرّ
العالم نفوسا وأسقطهم همما وهم النقلة للألفاظ والمعاني على صورها في
الموضع المنزل منه من غير أن يغيروا في ذلك ما يعتد به .

- ب - **معرف دال** على طرق المعرفة بكيفيات مآخذ الشعراء في نظم
الكلام وإنشاء مبانيه وما يقدمونه بين يدي ذلك من تصور أغراض القصائد
والمقاصد اللاتقة بتلك الأغراض وتصور المعاني المنتسبة إلى تلك المقاصد
والمنتمية إليها وتصور العبارات اللاتقة بجميع ذلك وإعمال الخيل في
تقفيتها ووزنها والإعلام بما يتسبون به إلى درك البغية في جميع ذلك .

- يجب للشاعر إذا أراد نظم شعر - وكان الزمان له منفسحا والحوال
مساعدة - أن يأخذ نفسه بوصية أبي تمام الطائي لأبي عباد البحرى في
ذلك ويأتم به . فإنها تضمنت جملا مفيدة بما يحتاج إلى معرفته والعمل
بحسبه صاحب هذه الصناعة .

قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري : « كنت في حديثي أروم الشعر . وكنت أرجع فيه إلى طبع . ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه إليه واتكلت في تعريفه عليه . فكان أول ما قال لي : « يا أبا / عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم ، واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم . فإن أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا وأكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكتابة وقلق الأشواق ولوعة الفراق . وإذا أخذت في مدح سيد ذي أباد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وأبن معالنه وشرف مقاومه وتقاض المعاني واحذر المجهول منها وإيّاك أن تشين شعرك بالألفاظ الرريّة ، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام . وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه فإن الشهوة نعم المعين . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين . فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فافاجتنبه ترشد إن شاء الله تعالى » (١) .

فقد تضمنت هذه الوصية جملا مما يحتاج إليه في هذا الباب .

(١) وردت الوصية بقرين من هذا الوجه فيما نقله لنا زيدان ، ٢ ، 71 . وبرواية أخرى مختلفة عن هذه بعض الاختلاف نصّها : « يا أبا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم ، واعلم ان العادة في الاوقات اذا قصد الانسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار وقت السحر وذلك ان النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وحف عنها ثقل الغذاء وصفا من أكثر الإبخرة والادخنة جسم الهواء وسكنت الغمام ورقت النسيم وبعثت الحمام ، وإذا سرحت في التأليف تغنّ بالشعر فان الغناء مضمره الذي يجري فيه ، واجتهد في ايضاح معانيه ، فان أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا . والمعنى رشيقا ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجع الكتابة ، وقلق الاشواق ، ولوعة الفراق ، والتعليل باستنشاق النسيم ، وغناء الحمام ، والبرق الالامعة ، والنجوم الطالعة ، والتبرم من العذال والوقوف على الاطلال . وإذا أخذت في مدح سيد فأشهر مناقبه ، وأشهر مناسبه ، وأرهب من عزائه ، ورغب في مكارمه . واحذر المجهول من المعاني وإيّاك أن تشين شعرك بالعبارة الرريّة والألفاظ الموشية ، وناسب بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام . وكن كأنك خياط تقدر الثياب على مقادير الاجسام . وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت فارغ القلب ولا تنظم الا بشهوة . فان الشهوة نعم المعين على حسن النظم ، وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من اشعار الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه . راجع النواحي ، مع . ابن عاشور ، و . 88 ب س 2 - و . 89 ا س 4 .

1- إضاءة : وأنا أصل وصية أبي تمام بما يكون تفصيلا لبعض ما أجمل فيها ، وتكميلا لما نقص منها . فأقول :

إن الناظم إذا اعتمد ما أمره به أبو تمام من اختيار الوقت المساعد وإجماع الخاطر والتعرض للبواعث على قول الشعر والميل مع الخاطر كيف مال فحقيق عليه إذا قصد الروية أن يحضر مقصده في خياله وذهنه والمعاني التي هي عمدة له بالنسبة إلى غرضه ومقصده ويتخيّلها تبعا بالفكر في عبارات بدد ، ثم يلحظ ما وقع في جميع تلك العبارات أو أكثرها طرفا أو مهيئا لأن يصير طرفا من الكلم المتماثلة المقاطع الصالحة لأن تقع في بناء قافية واحدة . ثم يضع الوزن والروي بحسبها لتكون قوافيه متمكنة تابعة للمعاني لا متبوعة لها .

10

[76 - أ]

2- تنوير : / ثم يقسم المعاني والعبارات على الفصول ويبدأ منها بما يليق بمقصده أن يبدأ به ، ثم يتبعه من الفصول بما يليق أن يتبعه به ويستمر هكذا على الفصول فصلا فصلا ، ثم يشرع في نظم العبارات التي أحضرها في خاطره منتثرة فيصيرها موزونة إما بأن يبدل فيها كلمة مكان كلمة مرادفة لها أو بأن يزيد في الكلام ما تكون لزيادته فائدة فيه أو بأن ينقص منه ما لا يخل به أو بأن يعدل من بعض تضاريف الكلمة إلى بعضها أو بأن يقدم بعض الكلام ويؤخر بعضا أو بأن يرتكب في الكلام أكثر من واحد من هذه الوجوه .

15

3- إضاءة : ولا يخلو عروض الشعر من أن يكون طويلا أو قصيرا أو متوسطا : فأما الطويل فكثيرا ما يفضل مقداره عن المعاني فيحتاج إلى الحشو ، وأما القصير فكثيرا ما يضيق عن المعاني ويقصر عنها فيحتاج إلى الاختصار والحذف ، وأما المتوسط فكثيرا ما تقع فيه عبارات

20

المعاني مساوية لمقادير الأوزان فلا يفضل عنها ولا تفضل عنه فلا يحتاج فيه إلى حذف ولا حشو، لكنه يشارك الطويل والقصير في الاحتياج فيه إلى الوجوه الباقية وهي : العدل والبدل والتقديم والتأخير أو مجموع أكثر من واحد من ذلك .

5 4- تنوير : وللأعاريض اعتبار من جهة ما تليق به من الأغراض واعتبار من جهة ما تليق به من أنماط النظم :

فمنها أعاريض فخمة رصينة تصلح لمقاصد الجد كالفخر ونحوه نحو عروض الطويل والبسيط وفئة (.....) (1) وكثير من مقصّرات ما سواه من الأعاريض .

10 ومنها أعاريض تليق (.....) (2) مقاصد التي تحتاج إلى جزالة نمط النظم يجب أن تنظم في سلك الأعاريض التي من شأن الكلام أن يكون نظمه فيها جزلاً نحو عروض [الطويل] والكمال .

15 وأما المقاصد التي يقصد فيها إظهار الشجو والاكتئاب ، فقد تليق بها الأعاريض التي فيها حنان ورقة ، / وقلما يخلو الكلام [الرفيق] من ضعف مع ذلك ، لكن ما قصد به من الشعر هذا المقصد ، فمن شأنه أن يُصَفَّح فيه عن اعتبار القوة والفخامة ، لأن المقصود بحسب هذا الغرض أن تُحاكى الحال الشاجية بما يناسبها من لفظ ونمط تأليف ووزن . فكانت الأعاريض التي بهذه الصفة غير منافية لهذا الغرض ، وذلك نحو المديد والرمال . وسيأتي لهذا زيادة بيان (3) . 20

(1) بياض مقدار ثلث سطر .

(2) بياض مقدار نصف سطر .

(3) راجع لهذا المعرف (د) من المنهج الثاني التابع لقسم المبانى 265 - 270 .

5- إضاءة : واعلم أن الخواطر إذا تصوّرت فصول القصائد

ومعانيها قبل الشروع في النظم ، وقامت بها العبارات عن تلك المعاني قياما وهميًا متخيلاً . فقد يوجد في عبارة عبارة منها كلم يصلح أن تقع قوافي تكون كل عبارة منها فيها كلمة في كل ما عداها من العبارات كلمة تماثلها في المقطع . ويوجد فيها أيضا كلم مغايرة مقاطعها المتماثلة لمقاطع الأولى 5 ولا تبلغ الثواني مبلغ الأول في الكثرة . ويوجد فيها أيضا كلم لها مقطع ثالث إلا أنها في قليل من تلك العبارات .

6- تنوير : فللشعراء بالنظر إلى ما يجب في المطالع وما يجب في

القوافي ، وبالنظر إلى ملاحظة ما يجب فيها ثلاثة مذاهب :

- 10 أحدها مذهب المعتنين بالمبادي . وهو أن يجعل مبدأ كلامه دالا على مقصده . ويفتح القول بما هو عمدة في غرضه ، وينظر في العبارة عن ذلك المعنى أصلح لفظة منها بالقافية ، فإن كان مقطعها مماثلا لما تكاثر في معاني القصيدة من المقاطع المتماثلة حصلت له البغية في المبدأ والقوافي وتمكن مما أراد ، وإن كان المقطع في المبدأ مماثلا للمقاطع المتوسطة في مستأنف العبارات عن معاني القصيدة حصل له أيضا كثير مما أراد واحتال 15 في ما لم يكن فيه من العبارات ما يماثل مقطع المبدأ باجتلاب ما يماثله على جهة إلحاقه بالعبارة ويتحرى أن يكون ذلك مفيدا ، فإن لم يماثل مقطع المبدأ إلا المقاطع / التي وقعت قليلة في العبارات احتال في وصل ما عز فيه وجود المقطع بما يوجد فيه وتحرى الإفادة والبعد عن التكلف ما استطاع وأبدل مكان بعض المعاني التي كان يريد أن يقولها معاني مناسبة لها في 20 ما وقع فيها عمدة أو فضلة مفيدة مقطع مماثل لمقطع المبدأ وحذف ما لم يجد منه بدلا ، فهذا مذهب .

[77 - أ]

7- **إضاعة** : والمذهب الثاني من آثار بنية الروي على ما تكاثر من المقاطع وافتتح بعمدة غرضه . فإن كان في العبارة ما يماثل مقطع الروي حصلت البغية . وإن لم يكن ذلك في العبارة احتال في تذييل العبارة بما يماثل مقاطع الروي إن أمكنه ذلك وتحترى الإفادة فيما ذيل به والبعء عن التكلف أو عدل إلى معنى يناسب ذلك المعنى مما يتيسر له فيه وجود المقطع الموافق . فإن أعوزه ذلك ركب أحد مركبين : إما أن يبدأ بأي معنى اتفق مما يتفق فيه وجود الروي متمكنا . وإما أن يترك التصريح ويفتح بعمدة غرضه كيفما حضرته العبارة ولو واقعا في أولها الخزم . وبهذا المذهب كان الفرزدق يكمل نحو قوله : [الطويل - ق - المتدارك]

10 مينا الذي اختبر الرجال سماحة

وجسودا إذا هبّ الرياح الزعازع⁽¹⁾

8- **تنوير** : والمذهب الثالث : أن يرجح المبدأ على القوافي في ما كانت فيه المقاطع متوسطة بين الكثرة والقلّة ، ويرجح القوافي على المبدأ حيث تقلّ المقاطع .

15 9- **إضاعة** : واعلم أن الشعراء في تهديهم إلى العبارات التي ترد على الأفكار أول ما ترد عليها متزنة منطبعة على مقدار الكلام المقفى ومقطعه وإلى العبارة التي ليست توجد أول ورودها على الأفكار متزنة منطبعة على ما يراد صوغ الكلام بحسبه . لكن توجد قابلة لأدنى تغيير بصيرتها منطبعة على ما يراد من ذلك . مراتب ثلاثا : الأولى أن

(1) يروي ثابت بلفظ وخيرا بدل وجودا ، وهو طالع قصيدة نقيضة لقصيدة جرير التي أدامها : ذكرت وصال أبيه والشيب شائع ودار الصبا من عهدهن بلاغ

[77 - ب] تكون قوة الشاعر الناطمة في أكثر أمرها لا تلاحظ / ما يصلح أن يكون عبارة عن المعنى مما ذمته الذكر به مليّة عند اقتضائها إتياء أول ملاحظتها إلاّ على الهيئات التي تكون نقل الحركات والسكنات فيها بحسب ما يقتضيه الوزن الذي يريد بناء كلامه عليه فيولج به الخاطر إلى اللسان موزونا .

5

10 - تنوير : وقد تقصر هذه القوة التي بهذه الصفة عن هذه الدرجة في كثير من المواضع . وذلك يكون لعوادي ثمان تعرض : أربع منها راجعة إلى الشاعر ، وأربع راجعة إلى نفس الشعر .
فأما ما يرجع إلى الشاعر من ذلك فمناها :

1 - أن يكون بالخاطر كسل فلا تسمو تلك القوة معه سموها 10 مع النشاط .

2 - وإما أن يكون الخاطر قد شغله تلفّت إلى غير الغرض الذي هو آخذ في صوغ العبارة له . وعاقه ذلك عن تسليط تلك القوة عن ضروب ما يقوم فيه من العبارات المتخيّلة وإمرارها على ضرب ضرب منها حتّى تميّز القوة بعرض جميعها (1) حركاته وسكناته 15 ومستمرّة على ما يجب في ما بني الكلام عليه من الأوزان ممّا ليس التركيب في حركاته وسكناته كذلك (2) (3) وذلك إذ ذاك من التصوّر الذهنيّ إلى التلفّظ اللسانيّ كامل (3) وذلك التلفّت منه يكون إمّا إلى جهة معنى يسنع له ، وإمّا إلى جهة معنى قد

(1) بياض بالأصل مقدار كلمتين .

(2) بياض نحو سطر .

(3) بياض مقدار كلمة .

قدّمه فيسبح له فيما يتعلّق به أو بالعبارة عنه ما يرفع قبّحا ويضاعف حسنا. فينتهز الخاطر الفرصة في تحصيله . ففي حال الانصراف إلى محلّ الالتفات تتوافق القوّة النازمة عمّا كانت بسبيله من تصفّح العبارة المستمرة الحركات والسكنات على منهاج الوزن الذي بني الكلام عليه والتغلغل إلى استخراجها من غمار العبارات غير المترّنة . 5

3 . وإمّا أن يدركه سهو . فينصرف عن الوزن الذي هو آخذ فيه إلى وزن يقاربه على سبيل الغلط . فيكون الخاطر غير آنس بالوزن الذي خرج إليه ولا / ولع بالاستمرار على ما لم يتقدّم له إلف له ولا سلف له عمل فيه . من شأن النفس أن تحرص على إتمامه ، ولا استثاراً فائدة فيه وكعبه بما قد ألفه وتقدّم له عمل فيه يشاق إلى إتمامه . فلا ينبعث 10 انخاطر بالقوّة انبعاثا يمكنها من ملاحظة مآ وضعه من العبارات موافق لوزن المبني بديها ، فيتعذّر على هذا صوغ الكلام بحسب الوزن المخرج إليه السهو . ولو لم يتعذّر على هذا التقدير أيضا لم يحصل للناظم البغيّة ممّا أراد من الوزن الأوّل ، فوقع مثل هذا الغلط عائق عن وزن الكلام بحسب العروض المقصود بالقصد الأوّل على كلّ حال . وأكثر ما يقع 15 هذا الغلط للفكر أيضا إذا نال منه الكدّ والكسل ، وإن كان هذا إنتما يعرض في الأقلّ . وفي الأوزان المتشابهة نحو مجزوء الوافر والهزج .

11 - إضاعة : ولا يعتاص وزن الكلام على المطبوعين إلاّ حيث يريدون تضمين المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ، أو حيث يريدون صوغ الكلام على هيئات بديعة يحتاج فيها إلى إمرار الفكر على الألفاظ التي 20 يحدث أن ذلك متأتّ فيها وإلى التنقيب عمّا يهيء الكلام بتلك الهيئة من ضروب الترتيبات والوضع . فأما في ما سوى ذلك فالوزن أيسر شيء على من له أدنى بروع في هذه الصناعة .

12 - **قنويسر** : ولما ذكرته من انبعاث الخاطر وولعه بما قد ألفه واستثار الفوائد فيه فهو يحرص على إتمامه ما لا يُؤلّع بما لم يألّفه ولا تقدّمت له استشارة فائدة فيه قد يعتاص القول على الشاعر في مبادئ القصائد وصدورها ويتيسّر في أوساطها وأعجازها . هذا على كونه في المبادئ أجمّ خاطرا وأشدّ تمكّنا من القوافي .

[78 - ب] 13 - **إضاءة** : / - 4 - والسبب الرابع من عوادي الشاعر عن التسرّع في وزن الكلام أن تكون مواد العبارات في الذكر قليلة فيعزّ وجود ما يجيء من العبارات عفوا من غير احتيال ولا تكلف لذلك .

14 - **قنويسر** : وأمّا ما يرجع إلى الشعر فمن ذلك :

1 - أن يكون قدر الوزن فوق قدر المعنى . فيحتاج إلى إعمال الحيلة في ما يستحسن من الحشو . أو من المعاني التي يكون في اقترانها بالمعنى المقصود بالقصد الأوّل تحسين للكلام وإبداع في حسن وضعه ونسقه وترتيب بعضه من بعض ، فيقلّ أيضا وجود ما يجيء من العبارات عفوا على هذه الصفة .

2 - أو يكون قدر المعنى فوق قدر الوزن فيحتاج إلى الحذف والاختصار .

3 - أو يكون المعنى دقيقا داعيا إلى إيراد العبارة عنه على صورة يقلّ ورودها عفوا .

4 - أو يكون المعنى من المعاني التي العبارات عنها قليلة في اللسان ، فلا يتمكّن الخاطر من إيرادها موزونة إلاّ بتعمّل ومحاولة أو يكون للشاعر اختيار أن يورد المعنى في عبارة مخصوصة لكونها بارعة في نفسها أو بالنسبة إلى ما يليها .

15 - **إضاءة** : والمرتبة الثانية من ليس له قوة على إحضار العبارة مترنة على البديهة إلا في قليل من المواضع ، بل يحضر العبارات بحيث تقبل التغيير والتصيير إلى الوزن المقصود بأدنى سعي .

16 - **قنوير** : والمرتبة الثالثة من لا يستطيع على إحضار العبارات مترنة أول إحضارها . ويحضرها مع ذلك غير قابلة للتغيير إلى الوزن إلا بكدّ وتعب .

17 - **إضاءة** : وكذلك القول في ردّ غير الموزون إلى الوزن بأحد التغييرات ، تتفاوت [القدرة] أيضا في الشعراء . فمنهم من يلوح له التغيير الممكن في العبارة بيسر ، ومنهم من يلوح له ذلك ببطء ، ومنهم من يقع في ذلك بين الطرفين .

وقد قدّمت أنّ ضرور التغييرات التي تصير غير الموزون مترنا هي :
[79 - أ] إسكان متحرك أو تحريك ساكن / أو زيادة في اللفظ أو نقص منه أو عدل صيغة إلى أخرى أو تقديم وتأخير أو إبدال لفظة مكان أخرى أو اجتماع أكثر من واحد من هذه التغييرات .

18 - **قنوير** : واعلم أن ذا القوة القويّة على النظم قد يوجد أبطأ في القول من ذي القوة التي ليست متناهية ، وذلك إذا قصد إبعاد الغاية في الرويّة والتنقيح فتطلب المعاني الشريفة ونزع بها المنازع اللطيفة وجهد في إبرازها من العبارات في صور بديعة ، فيحتاج في كلّ ذلك إلى تنقيب وفحص ويحتاج معهما في قليل القول إلى كثير الزمان . فأما إذا كان ذو القوة الفائقة آخذا في مثل نمط ذي القوة القاصرة من الكلام فإنّ الأقوى قوة منهما يُرسي على الأضعف في سرعة القول ، ويكون التفاوت بينهما في ذلك على قدر ما بينهما من التفاوت في القوة . فربما نظم الأقوى

الثلاثين بيتا فما فوقها خلال ما ينظم الأضعف عشرة الأبيات فما دونها .
بل قد يربي عليه إرباء أكثر من هذا .

19 -- إضاعة : والعوام ومن جرى مجراهم ممن لم يحلّ من
هذه الصناعة بطائل يغلط في هذا فينسبون سرعة الخاطر إلى الشاعر فيما
لا يجب فيه أن ينسب إلى السرعة ، وينسبون إليه الإبطاء فيما لا يجب فيه
أن ينسب إليه بطء .

ومن هذا ما حكى من أن أبا العتاهية قال لشاعر كان قدم مع المأمون
من خراسان : « في كم تصنع القصيدة ؟ » . فقال له : « قد أصنع
القصيدة تبلغ ثلاثين بيتا في شهر » . فقال أبو العتاهية : « أما إنني لأُملي
على الجارية من ليلتي خمسمائة بيت » . فقال له الخراساني : « أمّا
مثل قولك : [الهزج - ق - المتواتر]

الا يا عُبّة الساعة أموت الساعة الساعة (1)

فإنني أُملي منه ألف بيت إذا شئت » . فانقطع أبو العتاهية وضحك
الحاضرون منه .

20 -- تنوير : ويجب ألا يقتصر على ما للقوة النازمة من
سليم الذوق / وما يصح فيه دون ما يصح في العروض . وألا ينظم الكلام
إلا بحسب ما يصح فيهما معا ليكون كلامه مع كونه جاريا على أوضح
طرق المناسبات موافقا لكلام العرب في جميع ذلك .

21 -- إضاعة : وأحوال كل واحدة من الطبقات الثلاثة المتقدم
ذكرهم قد تختلف في السرعة في جميع ذلك والإبطاء بحسب ما تكون

(1) المرزباني ، 255 .

عليه الخواطر من نشاط أو كسل أو حال بين الحالين ، وبحسب ما تكون عليه دواعي الأفكار إلى استعمال الأقاويل الشعرية وإنشائها والأسباب البواعث على ذلك من توفر أو غير ذلك .

ج - معلم دالّ على طرق العلم بكيفية العمل في المروى والمرتل .

5 وما أخذ القول في الارتجال قريية سهلة لكون ضيق الوقت يمنع من بعد المذهب في ذلك . ولا يخلو الارتجال من أن يكون مستقصى فيه ما كان من صفات الشيء المقول فيه لائقا بغرض القول أو غير مستقصى . وكلاهما لا يخلو من أن يكون مقرونا فيه بين المعاني المتعلقة بالشيء الموصوف وبين معان آخر يكون لها به علة ولها إليه نسبة على سبيل تشبيه 10 أو إحالة أو تعليل أو تميم أو غير ذلك مما يكون به بعض المعاني بسبب من بعض ، أو تكون المعاني المتعلقة بالشيء الموصوف غير مقترن بها شيء من المعاني . .

فأقويل البديهة إذن أربعة أنماط : 1 - قول مستقصى مقترن ، 2 - ومستقصى غير مقترن ، 3 - ومقترن غير مستقصى ، 4 - وغير مستقصى ولا مقترن . 15

وأفضلها الأوّل وأدناها الآخر . فعلى أحد هذه الأربعة الأنحاء يتخيّل المرتجل ما يريد أن يقوله في وصف الشيء ثمّ يأخذ في نظم ذلك الشيء على النحو الذي تقدّم ذكره وعلى ما نقوله بعد إن شاء الله . ويتسامح في كثير ممّا يتأتّى فيه المروى / ويقبل كثيرا ممّا لا يقبله المهدّب المنقح 20 لضيق الوقت عليه واتساعه على ذلك .

1- إضاءة : فأما الروية فإنّ المباحث فيها كثيرة والمذاهب فيها

بعيدة لكون الزمان فيها يتسع لطلب الغايات المستطاعة من بناء الكلام على ما قدّمته من أصناف محاسن الألفاظ والمعاني وإبداع النظم والتأنق في إحكام الأسلوب . والذي يدخل في الروية من تلك الأنماط ثلاثة وهي :

5 المستقصى المقترن والمقترن غير المستقصى والمستقصى غير المقترن .

والنمط الأوّل هو العريق في طريق الروية . وإذا حقق القول وجد المستقصى المقترن قليل الوقوع في الارتجال . فأنماط الارتجال أيضا كأنّها إذا حققت ثلاثة . وهي ما عدا المستقصى المقترن .

2- تنوير : وللشاعر المروي في كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة

10 أربعة مواطن للبحث : 1 - موطن قبل الشروع في النظم ، 2 - موطن في حال الشروع ، 3 - موطن عند الفراغ ، يبحث فيه عما هو راجع إلى النظم ، 4 - موطن بعد ذلك متراخ عن زمان القول يبحث فيه عن معان خارجة عما وقع في النظم لتكمل بها المعاني الواقعة في النظم وتستوفي بها أركان الأغراض ويكمل التمام المقاصد .

15 فأما الموطن الأوّل فالغناء [فيه] لقوة التخيّل .

والموطن الثاني الغناء فيه للقوة النازمة . ويعينها حفظ اللغة وحسن التصرف .

والموطن الثالث الغناء فيه للقوة الملاحظة كلّ نحو من الأنحاء التي يمكن أن يتغيّر الكلام إليها ، ويعينها حفظ اللغة أيضا وجودة التصرف والبصيرة بطرق اعتبار بعض الألفاظ والمعاني من بعض .

20 والموطن الرابع الغناء فيه للقوة المستقصية المتفتحة ، ويعينها حفظ

المعاني والتواريخ وضروب المعارف .

3- إضاءة : وبعد استقصاء وجوه المباحث في هذه المواطن الأربعة

وكمال انتظام القصيدة المرواة ، قد يعرضها الناظم / على نفسه ، فيظهر [80 - ب] له بعرضها أمور كانت قد خفيت عنه من إلحاقات وإبدالات وتغييرات وحذف . وقد يعرض للشاعر موضع يرى أنه خليق بالتغيير أو الزيادة فيتعذر عليه ما يليق بالموضع من التغيير أو الزيادة فيرجيء النظر فيه إلى وقت آخر . 5 وقد يعاود النظر في ذلك المرات الكثيرة فلا يتيسر له ما يريد إلا بعد معاودات كثيرة قد تطرأ عليه معاودة النظر (.....) (1) إلى كتب القصيدة . وربما كان غير ملتفت إلى إصلاح ذلك الخلل (.....) (2) ونشأ مع فكره (.....) (3) إعمال خاطر في ذلك . فيغتتم الفرصة إذآك في إصلاح ذا (.....) (4) وشأن الخواطر 10 في هذا عجيب .

4- تنوير : ومن أصحاب الروية من يجهد في استجداد العبارات

(.....) (5) والتأنتق فيها من جهة الوضع والترتيب . ومنهم من لا يستجد ولا يتأنتق . ومنهم من يستجدّ العبارة دون المعنى أو المعنى دون العبارة . 15 ومن يتأنتق في العبارة دون المعنى أو المعنى دون العبارة .

فأما من لا يستجد ولا يتأنتق فيه فليس يصدر عن مطبوع بروية .

وأعني بالاستجداد الجهد في ألا يواطىء من قبله في مجموع عبارة أو جملة معنى . وبالتأنتق طلباً الغاية القصوى من الإبداع في وضع بعض

(1) يياض بلا ص مقدار خمس كلمات .

(2) يياض مقدار ثلاث كلمات .

(3) يياض مقدار كلمتين .

(4) يياض مقدار كلمة .

(5) يياض مقدار كلمة .

أجزاء العبارات والمعاني من بعض وتحسين هيئات الكلام في جميع ذلك. فإنّ العبارة إذا استجدّت مادتها وتأنق الناظم في تحسين الهيئة التأليفية فيها وقعت من النفوس أحسن موقع . وكذلك الحال في المعاني ، فتأمل ذلك .

د - معرف دالّ على طرق المعرفة بكيفية التصرف في مقاصد الشعر وجهاته .

وجهات الأقاويل الشعرية هي ما يكون الكلام منوطا به من الأشياء المقصود وصفها أو الإخبار عنها . والجهات ضربان :

[81 - أ] ضرب يقع في الكلام / مقصودا لنفسه . وهو ما كان له بالغرض المقول فيه علاقة وله إليه انتساب بوجه يوجب ذكره .

والصنف الثاني ما لم يكن له بالغرض علاقة ، ولكن له علاقة ببعض الجهات المتعلقة بالغرض ، فيذكر تابعا لما ذكر معتمدا على جهة إحالة أو محاكاة أو غير ذلك ؛ وقد يكون له بالغرض علاقة إلاّ أنّه لم يذكر إلاّ من حيث ما هو تابع لغيره ومتعلق به .

1 - إضاءة : وكانت للأوائل عناية بتعليق الأوصاف بهذه الجهات الشواني . وذلك حيث يكون في قوّة الكلام أن يعود من الأوصاف المتعلقة بالشواني ما يفيد مبالغة أو غير ذلك في الجهات الأول .

2 - تنوير : واعلم أنّ الشعراء تتفاوت طبقاتهم في التصرف في الجهات الأوّل ، وتتفاوت في الجهات الشواني . والتفاوت في الشواني أكثر ، لأنّ الجهات الأوّل يمكن حصرها في كلّ فنّ ، وأمّا الجهات الشواني

فقلّما يتأتى حصرها لكثرة ما يمكن أن يستطرد من الشيء إليه أو يحال به عليه أو يحاكي به أو يعلّق على الجملة به لنسبة في المعنى تقتضي ذلك . فإذا كانت الجهة الواحدة من الأوّل يمكن أن يناط بها جهات ثوان كثيرة على أنحاء من الاستدراج والاستطراد وما جرى مجرى ذلك من أنحاء الانتقالات المتنوعة بتنوع المقاصد ، وكان كلُّ نحوٍ من ذلك ممكناً أن يذهب فيه إلى ضروب كثيرة من الهيئات الحاصلة عن الترتيب الذهني وعن النسب الواقعة بين بعض المعاني وبعض ، صارت الصورُ الحاصلة عن جميع ذلك في تشفيح معاني الجهات الأوّل بمعاني الثواني وإردافها بها كثيرة التشعب بعيدة عن الحصر . وعيظَمُ التفاوت بين الشعراء في مقدار التصرف في ذلك . وإذا كانوا يتفاوتون في مقدار التصرف في الجهات الممكن حصرها فهم أجدر بالتفاوت فيما يبعد على الحصر .

3 - إضاءة : فأما تصرفهم في الجهات الأول فمنهم من يقتصر / على [81 - ب] الجهات الأكيدة في الغرض ، ومنهم من يزيد إلى ذلك جهات هي أبعد من غرض الكلام من الجهات المقتصر عليها ، ومنهم من لا يستوفي جميع الجهات الأكيدة ويقتصر على ما تيسر له منها . فهذا نوع من التصرف .

15 4 - تنوير : وهناك تصرف ثان . وهو مقدار ما يتصوره الشاعر من معاني الجهة . والشعراء في ذلك ثلاث طبقات : منهم من في قوته أن يستقصي معاني الجهة إذا شاء ، ومنهم من لا يبلغ إلى الاستقصاء ويأني من ذلك بمقدار كاف ، ومنهم من يقصر عن المقدار الكافي .

20 5 - إضاءة : وهناك تصرف ثالث . وهو ملاحظة ما في الجهة التي عدت فيها صفات الحسن أو قلّت من الأوصاف التي يرى أنها حسنة حقيقة أو تمويها ، وملاحظة ما في الجهة التي عدت فيها صفات القبح أو

قلت من الأوصاف التي يرى أنها قبيحة حقيقة أو تمويهها ، بقصد بذلك تحسين القبح وتقييح الحسن . ويتمكن من هذا الغرض من حصل له التصرف في الأوّل والتصرف في الثواني والتصرف في الجمع بين الأوّل والثواني .

- 6- تنوير : والشعراء يختلفون أيضا في هذا : فمنهم من يقوى على حشر ما يمكن أن يوصف به الشيء الحسن من صفة يرى أنها قبيحة حقيقة أو تمويهها . وما يمكن أن يوصف به القبيح من صفة يرى أنها حسنة حقيقة أو تمويهها . ومنهم من لا يتهدى إلا إلى الشيء القليل من ذلك : ومنهم من يتوسط بين الطرفين .

- 10 وهذا النوع من المقاصد من مجالات الشعر الضيقة . وكان أقوى الناس عارضة وأكثرهم تصرفا في هذا ابن الرومي . واعتبر قوته على ذلك بما قال في صفة السوداء في الشعر الذي يقول فيه : [المنسرح - ق - المتراكب] أكَسَبَهَا الْحُبَّ أَنَّهَا صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ (1) وبما قال في النرجس والورد وبتحسينه التصابي في حال المشيب / بشعره الذي أوّله :

[82 - أ]

- 15 [الخفيف - ق - المتواتر] لاح شَيْبِي فَظَلْتُ أَمْرَحُ فِيهِ مَرَحَ الطَّرْفِ فِي اللَّجَامِ الْمُحَلَّى (2) ونحو من ذلك حسن تصرفه في الشعر الذي رثى فيه بعض القيان ، وهو الذي يقول فيه : [الخفيف - ق - المتراكب] يَشْفَعُ الْحَوْرُ فِيهِ أَنْتَ مِنْهُ نَ بَذَاكِ الدَّلَالِ وَالْحَوْرِ (3)

(1) البيت من قصيدة طويلة وقع التنبيه عليها ، ولا توجد في القسم المطبوع من الديوان . انظر الميساسي ، (2) ، ٢ ، 69 .

(2) يروى البيت بلفظ فرحت بدل فظلت والعمار بدل اللجام ، وهو طالع مقطوعة صغيرة في الشيب والشباب . الديوان ، (1) ، 26 .

(3) البيت من فرائد المنهاج .

7- إضـاءة : والتصرف في الثواني يتفاوت الشعراء فيه بحسب توفر حظّ كل واحد منهم في القوى المتخيّلة والشاعرة بالمناسبات الواقعة بين بعض المعاني وبعض المتهدّية لأنحاء الانتقالات من الأوّل إلى الثواني والوجوه التي يكون بها بعضها من بعض بسبب من حيث كان تعليق المعنى الثاني بالأوّل إنّما يكون على هذه الأنحاء : فمنهم من حظّه أوفرُ الحظوظ 5 من ذلك ، ومنهم من حظّه أدنى الحظوظ ، ومنهم وسط بين الطرفين .

8- قـنـوـير : ومن الشعراء من يحسن القول في جهة واحدة ولا يحسن أن يردف قوله في جهة بقوله في جهة وأن ينتقل من إحداهما إلى الأخرى انتقالات لطيفا ، ومنهم من يحسن إرداف الجهة بالجهة المناسبة لها 10 ولا يحسن إردافها بما لا يناسبها فلا تتأتى النقلة لذلك من إحداهما إلى الأخرى إلّا بما أخذ في الانتقالات لطيفة ومنازع في الالتفاتات بدبعة ، ومنهم من يحسن إرداف الجهات بالجهات في جميع ذلك .

وطبقات الشعراء في الإحسان في كلّ ذلك تتفاوت بحسب ما تكون عليه أفكارهم من التهدّي إلى ضروب الانتقالات وأنحاء الالتفاتات .

9- إضـاءة : وللشعراء مذاهب في ما يعتمدون لإيقاعه في الجهات التي يعتمدون فيها القول من الأنحاء المستحسنة في الكلام كالأوصاف 15 والتشبيهات والحكم والتواريخ . فقلّ ما يشذّ من مستحسن الكلام عن هذه الأنحاء الأربعة شيء .

فمنهم من تشدّ عنايته بالأوصاف / كالبحتري ، وبالتشبيه كابن المعتزّ، 82- ب] 20 وبالأمثال كالمثنبي ، وبالتواريخ كابن درّاج القسطلّي .

ومنهم من يتوفّر قسطة من جميع ذلك كأبي تمام ، وإن كان غيره أشفّ منه في التشبيه والحكم .

ولابن الرومي في الإحاطة بالأوصاف والتشبيهات المجال المتسع ، وابن⁵
دراج أيضا في الأوصاف والتشبيهات متسع المجال .

10 - **تنوير** : فأما الأوصاف فتقتبس من الجهات التي القول فيها .
وأما التواريخ فتقتبس من غير الجهة التي فيها القول . وأما التشبيهات
والحكم فتارة تقتبس من الجهة التي فيها القول وتارة تقتبس من جهة ثانية .
وأنا أذكر ما تنوع إليه هذه الأجناس الأربعة ذكرا إجماليا على سبيل
الإشارة .

11 - **إضاءة** : أما الأوصاف فإنها تنوع إلى وصف مطلق ،
وإضافي ، وشرطي ، وفرضي . ولكل واحد منها مواضع يليق بها ولا
يصلح فيها غيره . وقد تقدم (1) التعريف بجملته من أحكام الأوصاف
وكيفيات التصرف فيها يمكن أن تعرف بها ما جرى مجراها . فكان ذلك
مغنيا عن أن نشغل هذا الموضع بإعادة الكلام في ذلك .

12 - **تنوير** : وأما التشبيهات فمنها ما يتعلق الشبه فيه بالصور
والخلق ومنها ما يتعلق الشبه فيه بالأفعال والصفات . وكلا التشبيهين لا يخلو
من أن يكون تشبيه الشيء فيه بما هو من نوعه أو بما هو من جنسه الأقرب
أو بما هو من جنسه الأبعد أو بما ليس من جنسه .

وتشبيه الشيء بالشيء يكون بأن يتفق معه في صفة تكون في أحدهما
على حدتها في الآخر أو بنسبة منها أو في أكثر من صفة ، فأما أن يتفق
معه في جميع الصفات فلا يمكن ، وإلا فكان يلزم لو اتفق معه في جميع
ذلك أن يكون حقيقة هذا حقيقة ذلك من جميع الجهات وذلك غير ممكن .

(1) راجع جملة من أحكام الأوصاف تفسنها المعروف (و) المنهج الثالث لقسم المعاني
98 - 111 .

وقد تقدّم التعريف بأنحاء التشبيهات وأحكامها وكيفيات التصرف (1)
فلا معنى / لإعادته أيضا .

[83 - أ]

13 - إضاعة : وأما التواريخ والقصص فإمّا أن تكون الإحالة فيها
إحالة تذكّرة أو إحالة محاكاة أو مفاضلة أو إضراب أو إضافة ؛ وقد تكون
5 من جهات آخر غير هذه .

وقد تقدّمت الإشارة إلى جمل من الأمور التي بها يتسبّب إلى ذكر
الأخبار الماضية والقصص السالفة فليتأمل القول في ذلك هنالك . (2)

14 - تنوير : وأما الحكم والأمثال فإمّا أن تكون الأخبار فيها
بجري الأمور على المعتاد فيها وإمّا بزوالها في وقت عن المعتاد على جهة
10 الغرابة والندور أو الندور فقط لتوطن النفوس بذلك على ما لا يمكنها
التحرّز منه أو لا يحسن بها التحرّز من ذلك ، ولتحذر ممّا يمكنها التحرّز
منه ويحسن بها ذلك ، ولترغب فيما يجب أن ترغب فيه وترهب ممّا يجب
أن ترهبه ، وليقرب عندها ما تستبعده ويبعد لديها ما تستقربه ، وليتّبين لها
أسباب الأمور وجهات اتفاقات البديعة الاتفاق منها .

15 فهذه قوانين في الحكم والأمثال قلّما يشذّ عنها من جزئياتها شيء .
وقد أجملت القول فيها إجمالاً ، إذ لم يمكن تفصيله في هذا الموضع ، إذ
للّكلام في تفريع الأمثال المترتبة عن هذه الأصول الكليّات مجال
متّسع . وجريت في ذلك على ما اعتمدته في جميع جهات الكلام والنظر
في هذه القوانين الكليّة عن تتبّع جزئياتها .

(1) راجع 111 - 116 .

(2) راجع لذلك 39 ، 105 .

هـ - معلم دالّ على طرق العلم بتحسين هيآت العبارات والتأنق في اختيار موادها ، وإجادة وضعها ورصفها .

والتهدّي إلى العبارات الحسنة يكون بأن تكون للشاعر قوّة يستولي فكره بها على جميع الجهات التي يستكمل حسن الكلام بالتراخي به إلى / [83 - ب]

كلّ جهة منها والتباعد عن الجهات التي تضادها . وتلك الجهات هي اختيار المواد اللفظيّة أولاً من جهة ما تحسن في ملافظ حروفها وانتظامها وصيغها ومقاديرها واجتناب ما يقبح في ذلك وقد تقدّم (1) ، واختيارها أيضاً من جهة ما يحسن منها بالنظر إلى الاستعمال وتجنّب ما يقبح بالنظر إلى ذلك واختيارها بحسب ما يحسن منها باعتبار طريق من الطرق العرفيّة وتجنّب ما يقبح باعتبار ذلك .

1 - إضاعة : ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه . والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء : منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مترتبة الترتيب الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما ، ومنها ألاّ تتفاوت الكلم المؤتلفة في مقدار الاستعمال فتكون الواحدة في نهاية الابتذال والأخرى في نهاية الحوشية وقلّة الاستعمال ، ومنها أن تتناسب بعض صفاتها مثل أن تكون إحداها مشتقة من الأخرى مع تغاير المعنيين من جهة أو جهات أو تماثل أوزان الكلم أو تتوازن مقاطعها ، ومنها أن تكون كلّ كلمة قويّة الطلب لما يليها من الكلم أليق بها من كلّ ما يمكن أن يوضع موضعها .

(1) يظهر أن تفصيل ذلك كان في القسم الأول المفقود من هذا الكتاب .

2- تنوير : وقد تعدم هذه الصفات أو أكثرها من الكلم وتكون مع ذلك متلازمة التأليف لا يدري من أين وقع فيها التلاؤم ولا كيف وقع ، ليس ذلك إلا لنسبة وتشاكل يعرض في التأليف لا يعبر عن حقيقته ولا يعلم ما كنهه ، إنما ذلك مثل ما يقع بين بعض الألحان وبعض الأصباغ وبعض من النسبة والتشاكل ولا يدري من أين وقع ذلك . 5

3- إضاعة : / ومن ذلك التسهل في العبارات وترك التكلّف . [84 - أ] والتسهل يكون بأن تكون الكلم غير متوعّرة الملائظ والنقل من بعضها إلى بعض وأن يكون اللفظ طبقا للمعنى تابعا له جارية العبارة من جميع أنحائها على أوضح مناهج البيان والفصاحة . هذا إذا لم يكن المقصد إغماض المعاني . ومعرفة تفصيل هذا الإجمال تستفاد من أبواب قد قدّمتها (1) . 10

والتكلّف يقع إمّا بتوعّر الملائظ أو ضعف تطالب الكلم أو بزيادة ما لا يحتاج إليه أو نقص ما يحتاج ، وإمّا بتقديم وتأخير ، وإمّا بقلب ، وإمّا بعدل صيغة عن صيغة هي أحقّ بالموضع منها ، وإمّا بإبدال كلمة مكان كلمة هي أحسن موقعا في الكلام منها .

15 ومن هذا إبدال الضمير المخاطب من ضمير الغائب في مثل قول الشاعر (2) :

فَتَاتَانِ بِالنَّجْمِ السَّعِيدِ وَلِدَتُمَا (3)

وقول المتنبي :

[الكامل - ق - المتواتر]

(1) راجع 172 - 176 .

(2) هو عبيد الله ابن قيس الرقيات .

(3) البيت ثانى بيتين أولهما :

فَتَاتَانِ أُمٌّ مِنْهُمَا فَشِيهَةٌ الْهَلَالِ وَأُخْرَى مِنْهُمَا تَشْبَهُ الشَّمَا
وَتَمَامُ الشَّاهِدِ هُنَا : وَلَمْ تَلْقِيَا يَوْمًا هَوَانًا وَلَا نَحَا .

انظر الخفاجي ، 101 .

قوم تفرّست المنايا فيكُسمُ
فرأتُ لكم في الحرب صبرَ كرام (1)
وإما بتكرار ، وإما بالحيدة عن معنى تقصر العبارة عنه إلى معنى مؤدّ
عن مثل تأديته تطول العبارة عنه .

- 4 - تنوير : ومن ذلك إثارة حسن الوضع والمبني وتجنب ما يقبح
من ذلك . فمن حسن الوضع اللفظي أن يؤاخي في الكلام بين كلم تتماثل
في مواد لفظها أو في صيغها أو في مقاطعها فتحسن بذلك ديباجة الكلام .
وربما دلّ بذلك في بعض المواضع أوّل الكلام على آخره . ومن ذلك
وضع اللفظ إزاء اللفظ الذي بين معنيهما تقارب وتناظر من جهة ما لأحدهما
إلى الآخر انتساب وله به علقة ، وحمله عليه في الترتيب . فإنّ هذا الوضع
في تأليف الألفاظ يزيد الكلام بيانا وحسن ديباجة واستدلالاته على
آخره .

ومن قبح الوضع والتأليف أن تكون الألفاظ مع عدم تراخيها بعيدة
أنحاء التطالب شتيّة النظم متخاذلا بعضها عن بعض كما قال :

[الخفيف - ق - المتواتر] 15

[84 - ب] / لم يضرّها ، والحمدُ لله ، شيءٌ فأنثنت نحو عزّ في نفسٍ ذهول (2)

5 - إضاعة : ومن ذلك ألاّ يزداد على قدر الحاجة من كلّ ما
يستحسن وألاّ يجعل التماذي عليه سببا إلى السّامة له والغرض منه .

(1) البيت من قصيدة في مدح سيف الدولة طالعها :
ذكر الصبا ومواقع الآرام جليت حمامي قبل وقت حمامي
انظر البرقوقي ، (1) ، 2 ، 294 .
(2) البيت يروى بالواو بدل الفاء في أول العجز ، أورده الخفاجي ، 91 .

6- تنوير : وبقوة التهدي إلى العبارات الحسنة يجتمع في العبارات أن تكون مستعذبة جزلة ذات طلاوة . فالاستعذاب فيها بحسن المواد والصيغ والائتلاف والاستعمال المتوسط . والطلاوة تكون بائتلاف الكلم من حروف صقيلة وتشاكل يقع في التأليف ربما خفي سببه وقصرت العبارة عنه . والجزالة تكون بشدة التطالب بين كلمة وما يجاورها وبتقارب أنماط الكلم في الاستعمال . وسائرهما يتعلق بالألفاظ المفردة من الشروط المذكورة التي تطرد الكلم بوجودها فيها أحسن اطراد .

فهذه إشارة إلى ما يجب أن يتفقده الناظم ويلتفت إليه ، على قدر قوته ، من الجهات التي تحسن منها العبارات أو تقبح ، قد أجملت الكلام فيها ، وجعلتها كالإحالة على ما قدمته ، مما يتعلق بالألفاظ وتأليفها في العبارات عن المعاني . فمن قابل هذا الإجمال بذلك التفصيل ظفر بالبعية والمراد إن شاء الله .

المنهج الثاني في الإبانة عن أنماط الأوزان في التناسب ، والتنبيه على كيفيات مباني الكلام وعلى القوافي وما يليق بكل وزن منها من الأغراض ، والإشارة إلى طرف من أحوال القوافي وكيفية بناء الكلام عليها وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائما للنفوس أو منافرا لها .

5

[85 - أ] / أ - معلم دالّ على طرق العلم بمجاري الأوزان وأبنيتها وضروب تركيباتها ووضعها .

قد صحّ بالاعتبارات البلاغية في تناسب المسموعات وتناسب انتظاماتها وترتيباتها وكون المناسبات الوزنية جزءا يدخل تلك الجملة أنّ الأوزان المستعملة الآن عند أهل النظم - مما ثبت استعمال العرب له وما شكّ في 10 ثباته ، وما لم يثبت أصلا بل وضعه المحدثون قياسا على ما وضعته العرب - متركبة من ثلاثة أصناف من الأجزاء خماسيات وسباعيات وتساعيات ، وإن لم يسلم في هذا العروضيون . وليس يجب أن يلتفت إلى تسليمهم في ذلك ولا منازعتهم ، فإنّهم فقراء إلى أن يقتبسوا تصحيح أصول صناعتهم من هذه الصناعة ؛ فإنّ معرفة صناعتهم موقوفة على معرفة جهات التناسب 15 في تأليف بعض المسموعات إلى بعض ووضع بعضها تالية لبعض أو موازية لها في الرتبة .

ومعرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلّاّ بالعلم الكلّي في ذلك وهو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كليّاته ضروب التناسب والوضع ، فيعرف حال ما خفيت 20

به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضحت فيه طرق الاعتبار وتوجد طرقهم في جميع ذلك تترامى إلى جهة واحدة من اعتماد ما يلائم واجتناب ما ينافر .

1 - إضاءة : ولنقل الآن مقالا مختصرا في تعديد التركيبات والأبنية الوزنية التي يصوغ أهل النظم في هذا الزمان الكلام عليها مما ثبت وضعه عن العرب وما لم يثبت وما شك في ثباته .

/ فنقول : إن الأوزان الشعرية منها ما تركب من أجزاء خماسية ، [85 - ب] ومنها ما تركب من أجزاء سباعية ، ومنها ما تركب من أجزاء تساعية ، ومنها ما تركب من أجزاء خماسية وسباعية ، ومنها ما تركب من أجزاء سباعية وتساعية ، ومنها ما تركب من خماسية وسباعية وتساعية . 10

2 - تنوير : فأما ما تركب من الخماسية الساذجة ، فالتقارب . وبناء شطره على فعولن مكررا أربعا ، نحو قول أعشى همدان :
[التقارب - ق - المتواتر]

تقادم عهدك أمّ الحلال (1)

3 - إضاءة : وأما ما تركب من السباعية الساذجة فإن الشطر فيها على ثلاثة أجزاء ، وربما حذفوا الثالث منها أو بعضه . 15

(1) تمام البيت : فطاشت نبالك عند النضال .
ويروى الصدر بلفظ ودك بدل عهدك وأمّ الحلال بدل الحلال . والبيت طالع قصيدة للأعشى .
الديوان ، (2) ، 338 .

فمن ذلك الرجز ، وبناء شطره من مستفعلين ثلاث مرات ، نحو
قول جرير :

أَقْبَلْتَنَ مِنْ فَهْلَانٍ أَوْ جَنْبَيْ خَيْمٍ (1)

ومنها الكامل ، وبناء شطره على متفاعلين ثلاث مرات ، نحو قول
عنترة :

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رَسُولِ الْمَنْزِلِ (2)

ومنها الوافر ، وأصل بناء شطره على مفاعلتين ثلاثا إلا أن السبب حذف
من نهايتي شطره وأسكن ما قبله فبقي الجزء الثالث على فعولن ، فصار تقدير
الشطر : مفاعلتين ، مفاعلتين ، فعولن ، نحو قول زهير :

[الوافر - ق - المتواتر] 10

لَيْمَنَ طَلَلٌ بِرَامَةٍ لَا يَسْرِمُ (3)

ومنها الرمل ، وبناء شطره من فاعلاتن ثلاث مرات إلا أنه التزم فيه
حذف سبب من جزء العروض - والعروض هي الجزء الذي في نهاية الشطر
الأول من البيت - فصار تقدير أشطاره الأول ، فاعلاتن ، فاعلاتن ،
فاعلتن ، نحو قول نابغة بني شيبان :

[الرمل - ق - المتدارك] 15

حَلَّ قَلْبِي مِنْ سُلَيْمَى نَبْلُهَا (4)

(1) تمام البيت : عل قلاص مثل جيطان السلم . والبيت طالع قطعة ذات أربعة أبيات
وشطر ، وروايته تختلف في صدره عما في النص ، وهي بلفظ : أقبِلن من جنبى
فناخ وإخمس . الديوان ، 520 .

(2) تمام البيت : بين الكليك وبين ذات الحرمل . والبيت طالع قصيدة .
الديوان ، 177 .

(3) تمام البيت : عفا وخلاله حقب قديم . والبيت طالع قصيدة له يمدح بها هرم بن
ستان . الأعلام ، 78 .

(4) البيت طالع قصيدة منسوبة بالأصل لأعشى ذبيان وتماه : إذ رمتني بهام لم تطش .
والصدر بلفظ حل لا حل ومعناه نفذ وثقب . الأغانى (3) ، 7 ، 110 .

ومنها الهزج ، وأصل بناء شطره مفاعيلن ثلاث مرات إلا أنه التزم فيه حذف الجزء الثالث من كلا شطره ، فصار مجموع الوزن مربعا وكلا شطره مثنى على مفاعيلن / مفاعيلن . كقول الشاعر :

[86 - أ]

[الهزج - ق - المتواتر]

5 صفحنا عن بني ذهل وقلنا القوم إخوان (1)

4 - تنوير : وأما ما تركب من التساعية الساذجة فالخبب . وبناء شطره متفاعلتن متفاعلتن مرتان هكذا كقول بعض الشعراء الاندلسيين :

[الخبب - ق - المتراكب]

أملت لقاءك في الحلم فزجرت العين فلم تنم (2)

10 ويدخله الإضمار فيصير متفاعلتن في تقدير (.....) (3)

المتطرق لوقوعه في (.....) (4) فيصير إلى مفعولاتن . وعلى هذا يجب أن يتأول التشعيث في الجميع لأن الوجد يصير بخين السبب الذي قبله جزءا من فاصلة فيسكن رأس الوجد تخفيفا لأن الفواصل قد يستثقل توالي الحركات فيها . فهذا هو الرأي الصحيح في التشعيث . وبه أخذ من حقق

15 من العروضيين إذ لا معنى لقطع الأوتاد في الحشد ، لأن القطع في الأوتاد

إنما قصد به تنويع الضروب ، وإنما يكون ذلك في نهايات الأجزاء لا في صدورها . وهذا الوجه هو بعض الوجوه التي يتيقن بها فساد رأي من جعل شطر الخبب مركبا من فاعلتن أربع مرات ، وزعم أن الخبن التزم في جميع أجزائه وجاز فيها القطع . ولا يلتزم خبن ولا يجوز قطع إلا في

(1) البيت طالع قصيدة أوردها أبو تمام لشهل بن شيان الزماني . المرزوقي ، 1 ، 32 .

(2) البيت من فرائد المهاج .

(3) بياض مقدار ثلاث كلمات .

(4) بياض مقدار كلمة .

عروض أو ضرب . وإنما حملهم على هذا حرصهم على أن يجعلوا الخبيب يساوق في ترتيب حركاته وسكناته المتقارب ، فيكون نظام كل واحد منهما إذا وضعت له أشكال في الخط أو تصور في الذهن ، ثم تأخرت عن مبدأ ذلك النظام إلى أول جزء يلي الجزء الأول الذي هو مبدأ النظام ، فبدأت بأول الجزء الثاني واستمرت على جميع النظام ووصلت بآخره الجزء الذي فاتك منه أولاً ، حصلت بذلك بنية الوزن الآخر وهيأته . فيجعل العروضيون أحد العروضين بذلك منفكاً عن الآخر . وهذا من الأعراض الواقعة في الأوزان من غير قصد ، إذ النظام / الذي يكون من أجزاء متماثلة إذا ابتدأت برأس أيّ وتد أو سبب منه خرج لك وزن تام من أجزاء متماثلة ، وإذ النظام الذي يكون من جزئين متغايرين يدخل أحدهما على الآخر إذا ابتدأت برأس أيّ وتد أو سبب منه خرج لك وزن متداخل من جزئين متغايرين ، وإذ النظام الذي يكون شطره مؤتلفاً من ثلاثة أجزاء شفع ووتر - قدم الوتر أو وسط أو آخر - إذا ابتدأت برأس أيّ وتد أو سبب منه خرج لك وزن قد ترتبت أجزاء شفعاً ووتراً على واحد من الترتيبات الثلاثة . فنشأ من ذلك في النظام المركب أجزاء خماسية متماثلة وزنان ، وفي المركب من جزئين متغايرين يعاقب أحدهما الآخر خمسة أوزان ، وفي المركب شطره من جزئين متغايرين مكرر أحدهما تسعة أوزان .

وتوجد بعض هذه الأوزان متلازمة خفيفة ، وبعضها متنافرة ثقيلة . والتنافر والثقل يكون فيها لوجوه : منها أن تقع الأسباب الثقيلة والأوتاد المفروقة في نهايات الأجزاء التي هي مظان اعتمادات وتوقرات ومقاطع أنفاس ، فيكون وقوع الحركات هنالك غير ملائم للنفوس وثقيلاً عليها . وكذلك وقوع الفواصل في نهايات الشطور ، فإنه مستثقل وليس منافراً .

ولذلك يحتمل وقوعها في المقدار القصير والمتوسط نحو المقتضب والخبب. ولا يحتمل وقوعها في الطويل نحو الوافر ، لا سيما وقد تكررت في الوافر ثلاثا ولم تقع في الخبب إلا مرتين . ومن تلك الوجوه التي يقع بها التنافر والثقل تشافع الأجزاء الطويلة في أوساط الأشرطة ونهاياتها ووقوع الجزء 5 المفرد صدرا ، ومنها بناء الوزن على أجزاء كلها يقع . الثقيل في نهايته والخفيف في صدره ، وذلك مثل أن يركب شطر وزن على فاعلن أربع مسرات .

فلهذه الأسباب وما جرى مجراها مما لا يتسع لذكره هذا الموضع اقتضى النظر / البلاغي أن يعدل بكثير من تقديرات الأوزان عما قدر به 10 العروضيون ، إذ كانوا جهلا بطرق التناسب والتنافر حتى أنهم جزءوا كثيرا من الأوزان تجزئة وقعوا بها في حيز الوضع المتنافر . فلذلك حققنا في كل وزن تجزئته المناسبة ، وجعلنا شطر الخبب مبنا من جزئين تساعين كلاهما مركب من سبب ثقيل ووتد مفروق ووتد مجموع ، إذ كانت 15 القسمة تقتضي هذا الوضع اقتضاء ضروريا إذ كان تركيب الأجزاء من الأسباب والأوتاد لا يخلو من أن يكون بضم سبب إلى وتد فيكون الجزء من ذلك خماسيا ، أو بضم سبين إلى وتد فيكون الجزء من ذلك سباعيا ، أو بضم سبب إلى وتدين فيكون الجزء من ذلك تساعيا . فباستقصاء هذه القسمة تهدي إلى وضع عروض الخبب.

5 - إضاءة : وإذا قد تبين هذا فينبغي لمن طمحت به همته إلى 20 مرقاة البلاغة المعصودة بالأصول المنطقية والحكمية ولم تسف به إلى حضيض صناعات اللسان الجزئية المبنية أكثر آرائها على شفا جرف هار ألا يعتقد في وزن من الأوزان أنه مفترق في وضعه إلى أن يفك من نظام آخر ، بل إنما يستنبط الوزن باستقصاء ضروب تركيبات الأسباب والأوتاد

واستقصاء ضروب ما يتركّب من الأجزاء المؤتلفة من تركيبات الأسباب والأوتاد ، ثمّ يلزمه بعد الوضع أن يوجد وزن آخر أو أوزان سياق نظامها نظامه بأن تجعل مبدأها من رؤوس الأسباب والأوتاد متأخرا عن مبدئه على ما تقدّم . فلهذا وجب أن يعتدّ أن هذه الانفكاكات التي لهذه الأعاريض من الدوائر أمور عارضة لا يفتقر في تصوّر ماهيات الأعاريض 5 وحقائقها إليها ، ولذلك لم يقل بها كثير من العروضيين . ومن أوردتها فإنما أوردتها على أنها ملحّة عرضيّة لحقت الأوزان اتفاقا لا أنها حقيقة بنيت عليها الأعاريض وضعها واعتمادا . فلهذا يجب ألاّ يبلغ الخرص بالمتأدّب / على أن يستقصي جميع ما ينفكّ من كلّ دائرة ويروم أن يردّ كثيرا من الأوزان إلى ذلك ولو بتجزئة متنافرة ثقيلة كما فعل ذلك 10 العروضيون ، بل يجب عليه أن يقدر كلّ وزن بالتجزئة المناسبة للثقّة به سواء وجد ذلك الوزن بتلك التجزئة مُنفكّا من بعض الدوائر التي قد وقعت فيها أوزان مستعملة أو وجد أمة وحده غير منفكّ من وزن مستعمل أو منفكّ منه وزن مستعمل . فقد بينّا أن أكثر الدوائر تنفكّ منها أوزان غير ملائمة ولا خفيفة . وهناك أيضا دوائر آخر لم يستعمل منها شيء . 15 وهي عزيزة الإحصاء لكثرتها ، إذ لكلّ تركيب من تركيبات الأسباب والأوتاد والأجزاء المركّبة منها دائرة تخصّه .

وضروب التركيبات كثيرة جدّا . وإنما استعملت العرب من جميع ذلك ما خفّ وتناسب وليس يوجد أصلا في ضروب التركيبات والوضع الذي للحركات والسكنات والأجزاء المؤتلفة من ذلك أفضل ممّا وضعته 20 العرب من الأوزان . وإذا تصفّحت ما قلته في ترتيب الحركات والسكنات والمسموعات المستطابة من ضروب ترتيباتها في مواضع قد تقدّمت من هذا الكتاب عرفت صحّة ذلك .

ولنرجع الآن إلى ما كنّا بسبيله من الإبانة عن ضروب التركيبات الوزنيّة .

6 - تنوير : فأما الأوزان المترتبة من خماسية وسباعية فإن أصل بناء أشتارها على أربعة أجزاء . فمن ذلك الطويل ، وشرطه فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ، نحو :

صحّا القلبُ عن سَلَمَى وقدْ كادَ لا يَسْلُو (1)

5 إلا أنهم التزموا حذف الخامس من جزء العروض وهو الجزء الرابع ، فلا يشتون الخامس الساكن إلا في التصريع المقابل لضرب تام ، ويسقطونه في جميع الأعراب الواقعة في تضاعيف القصيدة ، حيث لا تصريع على الصفة المذكورة . وذلك كقول امرئ القيس : [الطويل - ق - المتواتر]

وهلْ يَعمَنَ إلا سَعِيدٌ مُخلَّدٌ (2)

10 فتقدير جزء / العروض في هذا مفاعلن ، بغير ياء ، ويسمى حذف هذا الساكن الخامس القبض .

ومنها البسيط . وشرطه مربع متداخل على نحو وضع الطويل ، إلا أن الخامس فيه يسبق السابع ، وذلك نحو قول النابغة :

[البسيط - ق - المتراكب]

15 يا دارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّندِ (3)

وكان أصل شطوره : مستفعِلن فاعِلن مستفعِلن فاعِلن ، إلا أنهم التزموا الخبن ، وهو حذف الثاني الساكن في فاعِلن في جزئي العروض والضرب مع تصريع وغير تصريع .

(1) تمام البيت : وأفقر من سلمى التعانيق فالثقل . والبيت طالع قصيدة لزهير بن أبي سلمى يمدح بها سنان بن أبي حازمة المري ، آخره مصحف ، بلفظ فليقل بدل فالثقل . انظر الأعلام ، 15 ؛ العسكري : الصناعتين ، (2) ، 447 .

(2) تمام البيت : قليل الهموم ما يبيت بأوجال . والبيت نال لطالع القصيدة الشهيرة : الأعم صباحا . السندوبي ، (3) 158 .

(3) راجع 196 ، التبع ، 1 .

ومنها المديد . وأصل بناء شطره على أربعة أجزاء إلا أنهم التزموا حذف جزء من عروضه وجزء من ضربه ، وهو فاعلن . فصار الشطر : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن ، نحو قول مهلهل : [المديد - ق - المتواتر] يا لبككر ، انشروا لي كليباً (1)

- ومنها المقتضب . وأصل بناء شطره : فاعلن مفاعلتن فاعلن مفاعلتن ، 5 إلا أن هذا ثقل لكثرة الأوتاد فيه والأسباب الثقيلة وتكرّر الفاصلة ووقعها في النهايات . وقد قدمنا أن ذلك مستثقل . فلهذا لم يستعملوه إلا منصوفاً أي محذوف النصف من كل شطر . فهذا هو الصحيح الذي يشهد به السماع والقياس والقوانين البلاغية في اعتبار تناسب التركيبات ، إذ الدليل يقوم على أنهم لم يوقعوا الوتد المفروق ولا السبب الثقيل في 10 نهاية جزء خماسي ولا سباعي ولا فيما فوق ذلك ، لأننا قد ذكرنا أن قانونهم ألا يضعوا الثقيل في النهايات ولا سيما في أواخر الأجزاء التي هي مظان اعتمادات وتوقّرات وتقاطع أنفاس بوقفات خفية أو بيّنة عليهم أو روم لذلك وإيماء إليه ، وأيضاً فإن الزحافات لا تلتزم في غير تنويع 15 الأعاريض والضروب ، وقد لزم ذلك التجزئة التي قدر بها أهل العروض المقتضب ووقع ذلك في حشوها فدلّ على فساد رأيهم ، وأيضاً فإنهم يلزمهم أن يقابلوا بفعولات فاعلات على أنها من وضع التماثل حيث كان هذا الجزء أن قد وضعاً في صدر الشطر الأوّل وصدر الشطر الثاني / على [88 - ب] أن يتساوفاً في الزمان ويتساويا في الترتيب .

- وقد وضع في صناعة الموسيقى أن فعولات مضاد لفاعلات كما أن 20 فعولين مضاد لفاعلن ، لأنّ الوضع فيهما متخالف ، حيث كان أحدهما

(1) تمام البيت : يا لبككر وأين أين الفرار . الأغاني ، (3) ، 52 ، 5 .

مفتتحاً بمتحرك بعده ساكن ومختتماً بساكن بعد متحركين ، وكان الآخر مفتتحاً بمتحركين بعدهما ساكن ومختتماً بمتحرك بعده ساكن . فكانا لذلك متضادين . فكيف يوضع المتضادان وضع المتماثلين في ترتيب يقصد به تناسبُ المسموع والتنظيرُ بين الأجزاء المتماثلة في الوضع وأن يجعل عمود اللحن ؟ ! . 5

فهذا ينبغي ألا يلتفت إلى ما وضعه أو غيره العروضيون أو الرواة من الأبيات التي تدفعها المقاييس البلاغية والقوانين الموسيقية والاذواق الصحيحة في هذا الوزن وغيره ، نحو ما غيروه من قول القائل :
[المقتضب - ق - المتركب]

جانا مبشّرنا باليسان والنذر (1) 10

فصيروه بتحريفهم وجهلهم بما يضحل في أصول وضع الأوزان إلى هذا التغيير الفاسد وهو :

أنا مبشّرنا باليسان والنذر

وذلك ليطرد لهم رأيهم الفاسد في ما أثبتوه من التراقب الذي لا يصح ولا يثبت ، إذ قد ظهر اضمحلاله في هذا الوزن واضمحلال التجزئة التي 15
توجد فيها الأسباب مهيئة لإمكان وقوع ذلك فيها لولا أنه شيء لا معنى له إلا إفساد الوزن والإخلال بوضعه والخروج به عن الوضع الملائم إلى الوضع المنافر بالجملة .

7- إضاعة : فأما المركبة من السباعيات المتغايرة فبناء أقطارها

20 على ثلاثة أجزاء مزدوجان ومفرد .

(1) ورد البيت لدى العروضيين في شواهد المقتضب . الدمايني 80 ؛ فان ديك ، 59 .

فمن ذلك ما تأخّر في بنائه المفرد كالسريع ، وتجزئته الصحيحة التي تشهد بها القوانين البلاغية : مستفعلن مستفعلن فاعلان ، نحو قول حسان :
[السريع - ق - المتواتر]

ما هاج حسان ربوع المغانسي ومظعن الحي ومبنى الخيام (1)
ودعوى العروضيين أنّ نظامه مأخوذ من دائرة المنسرح باطلة / للوجه التي
[89 - أ] تقدّم ذكرها .

وليس الجزء الواقع نهاية كلا الشطرين من هذا الوزن بمحذوف من غيره ولا مغيّر من سواه وإنّما هو مركّب من سبب خفيف ووتد مجموع متضاعف لأنّ الأرجل التي تتركّب منها أجزاء جميع الأوزان ستة أصناف :

- 1 - سبب ثقيل وهو متحرّك كان نحو : بم ، لك ، - 2 - وسبب خفيف وهو متحرّك بعده ساكن نحو من ، عن ، - 3 - وسبب متوال وهو متحرّك يتوالى بعده ساكنان نحو قال بتسكين اللام ، - 4 - ووتد مفروق وهو متحرّك كان بينهما ساكن نحو كيف ، أين ، - 5 - ووتد مجموع وهو متحرّك كان بعدهما ساكن نحو لقد ، - 6 - ووتد متضاعف وهو متحرّك كان بعدهما ساكنان نحو مقال بتسكين اللام .

فالسبب الثقيل والوتد المفروق لا يقع في نهاية جزء ، وإنّما يقعان في صدور الأجزاء وتضاعيفها . والسبب المتوالي والوتد المتضاعف لا يقعان إلّا في نهايات الضروب والأعاريض المصّرفة . والسبب الخفيف والوتد المجموع هما اللذان يقعان من صدور الأجزاء وأواسطها وأعجازها كلّ موقع .

(1) البيت طالع قصيدة له ، وهو في الديوان بلفظ رسوم المقام بدل ربوع المغاني ، وفي رواية الديوان تصريح . الديوان ، 90 .

8 — [تنوير] (1) : ويجب أن تعلم أن العرب استقصت القسمة في تركيب المقارنة بين بعض هذه الأرجل وبعض ووضعها في أوزان آخر غير متقارنة فاعتمدت من ذلك في كل وزن ما كان مناسباً للوضع الخاص به. فبنوا أكثر الأعاريض من أكثر هذه الأرجل تصرفاً ، وهي الأسباب الخفيفة والأوتاد المجموعة :

فمما بنوه على ذلك من الأعاريض : الطويل والبسيط والمديد والمتقارب والرجز والهزج والرمل .

ومما بنوه من الأسباب الثقيلة والخفيفة والأوتاد المجموعة : الوافر والكامل .

ومما بنوه من الأسباب الثقيلة والأوتاد المجموعة والمفروقة : الخبب .

10 ومما بنوه من الأسباب الثقيلة والخفيفة والأوتاد المجموعة والمفروقة : المقتضب ، على ما بيناه قبل .

ومما بني على الأسباب الخفيفة والأوتاد المجموعة والمفروقة والمضاعفة

الضرب الأول من المجثث . وقد غاب عن العروضيين كونه من المجثث وجعلوه

ضرباً ثالثاً من البسيط وقدّروا شطر الضرب منه : / مستفعِلن فاعِلن [89 — ب]

15 مستفعِلان ، ومقاييس البلاغة تقتضي أن يكون تقديره : مستفعِلن فاعِلاتن

فاعِلان ، لوجوه يطول ذكرها . منها : أن زيادة المدّة في مستفعِلان في

البسيط لا معنى لها ، ومنها أن التجزئة التي قدّروا بها المجثث — وهي أن

يكون أصل شطره : مستفعِلن فاعِلاتن فاعِلاتن — خارجة عن القوانين

التي اعتمدتها العرب في تركيب أوزانها ، فإنّهم لم يضاعفوا جزءاً سباعياً

20 في ما يلي نهايات الأشطار لما قدّمناه من لستقال ذلك . وإنّما وقع لهم

مضاعفا في النهايات وما يليها الخماسي لأنّه أخفّ ، نحو العروض المجزّوة

المحذوفة من المديد وتقديرها : فاعِلاتن فاعِلن فاعِلن . فلهذا جعلنا نحن

(1) هذا العنوان اضفناه الاصل لطول الاضاعة ووجود ما يقتضيه بعده .

تقدير شطر الضرب الأول من المجتث : مستفعلن فاعلاتن فاعلان . فيكون تركيبه على هذا من جزء مفرد وجزئين متضارعين وقع أخفهما في النهاية . وهذا النحو من الوضع من جملة التركيبات المتناسبة . وهناك ضروب جعلوها من مقصّرات البسيط ، ويمكن أن تردّ إلى هذا ، وهي به أليق لأنّ مجاريها أوفق بمجاريه لأنّ الخبن في فاعلن من البسيط يحسّن ما لا يحسن في تلك 5 المقصّرات ، فلهذا كانت أنسب إلى المجتث . وأيضا فإنّ الطويل والبسيط عروضان فاقا الأعاريض في الشرف والحسن وكثرة وجوه التناسب وحسن الوضع ، فإذا أزيل عنهما بعض أجزائهما ذهب الوضع الذي به حسن التركيب وتناهى في التناسب فلم يوجد لمقصّراتهما طيب لذلك . وغيرهما 10 من الأعاريض قد يوجد في مقصّراته ما يكون أطيب منه . فلمّا كانت مقصّرات الطويل والبسيط تنحطّ عن درجة الوزن التامّ في ذلك انحطاطا متفاوتا كان لإهمال تلك المقصّرات وجه من النظر إذ كانت الأوزان التامة كالآباء وهذه المقصّرات المقتضبة كالآبناء . وإذا لم يلد الكريم كريما كان أحسن / له أن لا يلد . لكنّ الناس قد نسبوا الوزن الذي صلح عندنا أن يكون ضربا ثانيا من المجتث إلى البسيط ، فلنسألهم في ذلك . وحكم 15 مخلّع البسيط الذي تجيء نهاياته على مثال مفعولن هذا الحكم . وكلاهما صالح أن ينسب إلى المجتث .

[90 — أ]

فأمّا الوزن المضارع لهذا المخلّع وهو الذي اعتمد المحدثون لإجراء نهاياته على مثال فعولن ، فليس راجعا إلى واحد من هذه الأوزان . وإنّما هو عروض قائم بنفسه مركّب شطره من جزئين تساعيين على نحو تركيب 20 الخبب وتقديره : مستفعلن مستفعلن ، وكأنّهم يلتزمون حذف السين من الجزء الثاني لأنّ السواكن في كلّ وزن إذا توالى منها أربعة ليس بين كلّ ساكن منها وساكن إلاّ حركة تأكّد حذف الساكن الثالث وحسن الوزن بذلك حسنا كثيرا .

فمما ورد من ذلك محذوف الساكن قول علي بن الجهم :

[مخلع البسيط - ق - المتواتر]

بِسْرٍ مَنْ رَأَى إِمَامٌ عَدْلٌ تَغْرِفُ مِنْ جُودِهِ الْبِحَارُ
لَمْ تَأْتِ مِنْهُ الْيَمِينُ شَيْئاً إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَارُ (1)

5 ومما جاء على أصل الوزن قول بعض الأندلسيين :

[اللاحق - ق - المتواتر]

وَحَيَّ عَنِّي إِنْ فَرَزْتُ حَيْثَا أَمْضَى مَوَاضِيهِمْ الْجَفُونَ (2)
وقول أبي بكر بن مُجَبَّر :

إِنْ سَلَّ سَيْفَا بِنَاطِرِيهِ لَمْ نَرَفِينَا إِلَّا قَتِيلَا (3)

10 فمثل هذه النون من قوله « إِنْ فَرَزْتُ » مقبولة في الذوق ، وإن كان حذفها أخف . فواجب أن تجعل تجزئة الوزن بحسب ما وجد مقبولا فيه لتسلم أقاويل كثير ممن يوثق بصحة ذوقه من الكسر ، لأنه كالمستحيل عليهم . فإن طباعهم لا تقبل ذلك إلا وله وجه . وليس يمكن أن يقع هذا الساكن في مثل قوله (4) :

[مخلع البسيط - ق - المتواتر]

15 أَقْصَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ (5) .

لأن اجتماعها مع اللام في قوله (ملحوب) لا يقبله الذوق إذا كانت السواكن في ذلك الوزن الذي لا يثبت فيه مثل اللام الساكنة في (ملحوب)

(1) البيتان من قطعة له ، في مدح المتوكل ، ذات خمسة أبيات ، أولها البيت الأول وآخرها البيت الثاني في الأصل . الديوان ، 136 .

(2) شاهد من فرائد المنهاج .

(3) » » »

(4) هو عبيد بن الأبرص الأسدي .

(5) تمام البيت : فالقطيعات فالذنوب . وهو طالع معلقته . الزوزني ، 207 .

[90 - ب] قد تناهت في الكثرة ، فكانت أربعَ أخماس المتحرّكات . ولا يمكن / أن تكون نسبة السواكن من المتحرّكات أكثر من هذا . فلهذا اقتضى النظر البلاغي أن يجعل وزنا برأسه . وليس أخذ هذا الوزن عن العرب يثبت بل هو مثل الخبب في ذلك .

9- إضاءة : وقد قصدوا أيضا في بعض مقصّرات الأوزان أن يوقعوا فيها من اقترانات الأسباب والأو [تاد] ما لم يوقعوه في مطوّلاتها .

فمن ذلك اقتران السببين الثقيل والخفيف والوتد المجموع والمضاعف في الضرب السادس من الكامل . وهو الذي آخر أجزائه متفاعلان ، واقتران الوتد المجموع والسبب الخفيف والسبب المتوالي في الرمل في الضرب الذي آخر أجزائه فاعليان .

10- تنوير : ولترجع إلى ما كنّا شرعنا فيه من الكلام في الأوزان المركّبة من السباعيات المتغايرة فنقول : إنّ عروض السريع وعروض كلّ وزن كانت غاية ضربه سببا متواليا أو وتدا متضاعفا بأن تردّ السبب والوتد إلى أصليهما بحذف الساكن الأخير من كليهما .

11- إضاءة : ومن تركيب السباعيات المتغايرة ما يتوسّط فيه المفرد ويتطرّف الجزآن المتماثلان كالخفيف ، وتقدير كلا شطريه : فاعلاتن مستفعِلن فاعلاتن ، نحو قول أبي دهل : [الخفيف - ق - المتواتر] صاح حيّ إلّاهُ أهلا ودارا عند أصل القنّاة من جيّرون (1) فأما ما يتقدّم فيه المفرد على المزدوجين فمهمّل في أوزان العرب ، لأنّ

(1) رواية البيت يختلف صدرها عما هامنا قليلا ، فهو بكلمة حي بدل اهل . والبيت طالع قصيدة لابي دهل في شامية أراد أن يتزوجها . الاغانى ، (31) ، 7 ، 127 .

الجزئين المتكررين أثقل من المفرد . فالصدر أولى بهما على قياساتهم ،
وتصدير الأشرطة أيضا بما يظهر فيه التناسب أولى من تصديرها بما لا
يظهر فيه تناسب . ولهذا ولاعتبارات أخر أيضا أهملوا هذا الضرب من
الأبنية الوزنية .

- 5 وقد وضع بعض الشعراء الأندلسيين على هذا البناء وزنا إلا أنه جعل
الجزئين المزدوجين خماسيين فرارا من الثقل الواقع بتشافع السباعيين في
النهاية ، فكان التشافع في ذلك الوضع أخف في الخماسي / وذلك قوله :
[91 - أ] - ق - المتدارك

أَقْصَرَ عَنْ لَوْمِي اللَّائِمِ لَمَّا دَرَى أَنْتِي هَائِمٌ (1)

10 تقدير شطره : مستفعلن فاعلن فاعلن .

وقد تقدم أن من مقصّرات المديد ما يصير إلى هذا الوضع أعني الوضع
الذي يصدر الشطر فيه بالجزء المفرد ويعقب بالجزئين المتشافعين .

12 - تنوير : فأما المتركّب من سباعي وتساعي فهو من وضع

المتأخرين من شعراء المشرق . جعلوا الجزء المفرد فيه تساعيا والمتشافعين

15 سباعيين ، فقدّموا التساعي وتلوه بما يناسبه من السباعيات . وجعلوا الجزء

الثاني من السباعيين في أكثر استعمال - وهو المستطاب في الذوق والأحسن

في الوضع - ينقص عن الأول ليكون كلّ واحد من الأجزاء أخفّ مما

قبله . وتحروا في ذلك أن يكون كلّ جزء مناسبا لما قبله ، وذلك هو الوزن

الذي يسمّونه الديبتي وشرطه المستعمل : مستفعلن مستفعلن مفتعلن ، نحو

20 قول القائل : [الديبتي - ق - المتراكب]

(1) الشاهد من فرائد المنهاج .

هَذَا وَلَهِي ، وَقَدْ كَتَمْتُ الْوَلَهَا

صَوْنًا لِحَدِيثِ مَنْ هَوَى النَّفْسَ لَهَا

يَا آخِرَ مَحَبَّتِي وَيَا أَوْلَهَا

أَيَّامُ عَنَائِي فَيْكِ مَا أَطْوَلَهَا (1)

- وقد يجيء الجزء الأخير على مستفعلن ، وهو الأصل ، ولكن في الأقل .
ويستعمل أيضا مقطوعا فيصير مستفعلن الى مفعولن نحو قول بعضهم :
[الدبتي - ق - المتواتر]

مَا أَشْوَقَنِي إِلَى نَسِيمِ الرَّنْدِ

يَشْفِي كَمَدِي، إِذَا أَتَى مِنْ نَجْدِ (2)

- ويشعثون الفاصلة التي في الجزء الأول فيصير مستفعلن الى مفعولاتن .
نحو قوله :
[الدبتي - ق - المتواتر]

شَوْقِي شَوْقِي بِهِ وَوَجْدِي وَجْدِي (3)

13- إضاءة : فأما المركب من خماسي وسباعي وتساعي فبنته

العرب على أن تكون النقلة فيه من الأثقل إلى الأخف ومن الجزء إلى ما

- يناسبه فبدأوا بالتساعي وتلوه بسباعي يناسبه وتلوه بخماسي يناسب السباعي ،
والتزموا الخبن في الضرب وهو جزء القافية . وهذا الوزن هو المنسرح .
وبناء / شطره : مستفعلاتن مستفعلن فاعلن . والخبن في فاعلن في العروض
أحسن .

[91 - ب]

(1) الشاهد من فرائد منهاج .

(2) الشاهد من فرائد منهاج .

(3) الشاهد من فرائد منهاج .

14- **تنوير** : فالأوزان التي ثبت وضعها عن العرب أربعة عشر وزنا . وهي : الطويل ، والبسيط ، والمديد ، والوافر ، والكامل ، والرجز ، والرمل ، والهزج ، والمنسرح ، والخفيف ، والسريع ، والمتقارب ، والمقتضب ، والمجثث . وإن كان المقتضب والمجثث ليس لهما تلك الشهرة في كلامهم . 5

والذي يشك في وضع العرب له الخيب .

والذي لم يثبت للعرب أصلا بل هو من وضع المحدثين الوزن الذي يسمى الديبتي ، ولا بأس بالعمل عليه ، فإنه مستطرف ووضعه متناسب .

15- **إضاعة** : فأما الوزن الذي سمّوه المضارع ، فما أرى أن شيئا من الاختلاق على العرب أحقّ بالكذب والردّ منه ، لأنّ طباع العرب كانت أفضل من أن يكون هذا الوزن من نتاجها . وما أراه أنتجه إلاّ شعبة بن برسام خطرت (1) على فكر من وضعه قياسا . فإيا ليته لم يضعه ولم يدنس أوزان العرب بذكره معها ، فإنه أسخف وزن سمع ، فلا سبيل إلى قبوله ولا العمل عليه أصلا . 10

16- **تنوير** : فعلى ما قدّمته من ضروب تقادير التجزئة في الأوزان العربية والملحقة بها والمشكوك في كونها عربية أو ملحقة يجب أن يعتمد ؛ فإنّ استيفاء قسمة الوضع المناسب في الأوزان يقتضي أن تكون تقديرات هذه الأوزان على النحو الذي ذكرته وأن تكون تجزئتها على الصفة التي قدّمتها . 15

(1) كذا بالأصل ، والتقدير صورته ، أي صورة الوزن .

فمن كان له أدنى بصيرة لم يتخالجه الشكّ في أنّ الصحيح ما ذكرته
لاستناد ما قلته إلى علم اللسان الكلتي الذي لا تبيّن أصول علوم اللسان
الجزئية ومبادئه إلّا فيه ، ولكون علم اللسان الكلتي منشأ على أصول
منطقية وآراء فلسفية موسيقية وغير ذلك . فلذلك كان كلامنا في ذلك
أهلاً لأن يوثق به ويركن إليه .

5

[92 - أ]

17 - إضاعة : وأكثر / الأوزان التي ذكرتها تتنوع أعاريضها
وضروبها . وذلك إمّا أن يكون بحذف جزء برأسه ، أو بحذف ساكن
من وند أو سبب متطرف في جزء العروض أو الضرب وإسكان ما قبله ،
أو بحذف ساكن ضوعف به سبب أو وند ، أو بحذف الوند أو السبب
رأساً ، أو بإسكان ما قبل الوند أو السبب بعد حذفه ، أو بالتزام بعض
الزحافات في جزأي العروض والضرب ، أو بزيادة سبب على جزء الضرب
ويسمى ذلك ترفيلاً ، أو بزيادة ساكن مصوّت قبل آخر حرف من جزء
الضرب ويسمى ذلك إسباغاً وإذالة .

10

18 - تنوير : ووقوع هذه العلل والتغاير في عروض عروض
وضرب وضرب من أعاريض الأوزان التي قدّمت ذكرها وضروبها على
التفصيل يعرفها من تلقاء نفسه من له ذوق صحيح وحصل له قسط مقنع
من الاستقراء وشدّاء مع ذلك شيئاً من هذه الصناعة . ومن لم يكن له ذوق ،
ولا استقراء الأوزان فليتولّ عرفان ذلك من الكتب المؤلّفة في العروض .
فإنّهم حصروا عامّة ما نوّعت العرب إليه نهايات الأشطار من أبنية أوزانها
من الأعاريض والضروب .

15

20

فإنّ هذه الصناعة لا يليق بها أن تخرج إلى محض صناعات اللسان
الجزئية ، وأن تستقصى فيها تفاصيل تلك الصناعات . وإنّما نتكلّم من

ذلك في ما له علاقة بصناعة البلاغة أو في ما عسى المتكلم في هذه الصناعة أن يستطرد إليه من ذلك . وأكثر ما يتكلم البليغ أيضا من ذلك في قوانين كَلْبِيَّة يمكن أن تستنبط منها أشياء في صناعات اللسان الجزئية . فلهذا وكلنا ذكر ما وقع من تغيير تغيير في عروض عروض وضرب وضرب من وزن وزن لصاحب صناعة العروض . فليتصفح هنالك ، وبالله التوفيق . 5

ب - معرف دال على طرق المعرفة بما وقع في أوزان العرب من ضروب التركيبات / المتلازمة ، وأنواع الترتيبات المناسبة ، وما لوحظ فيها [92 - ب] مما حسن عندهم أن يهتئوها بهيئته ، وبمقدار ما أوقعوه في وزن وزن من ذلك .

لما كان جميع ما يدركه الإنسان لا يخلو من أن يكون شيئا بسيطا لا تنوع فيه أصلا أو يكون له تنوع من جهة ما يكون من الأشياء المركبة ، وكانت شيمة النفس التي جُبِلت عليها حبُّ النقلة من الأشياء التي لها بها استمتاع إلى بعض ، كانت جديرة أن تسأم التماذي على الشيء البسيط الذي لا تنوع فيه بنقلها من شيء إلى شيء ما لا تسأم الشيء الذي له تنوع يمكنها معه المراجعة بين تأمل الشيء وتأمل غيره مما يكون تنوع ذلك الشيء إليه ، وإن كانت أيضا تحبُّ النقلة من الشيء المتنوع إلى غيره من المتنوعات لكنّها تحتمل من التماذي عليه ما لا تحتمل من التماذي على ما لا تنوع له أصلا . 10

1 - إضاءة : وكلما وردت أنواع الشيء وضروبه مترتبة على نظام متساكن وتأليف متناسب كان ذلك أدعى لتعجيب النفس وإبلاعها بالاستمتاع من الشيء ، ووقع منها الموقع الذي ترتاح له . 20

فلهذا كانت المتحرّكات والسواكن إذا ركّبت منها أجزاء أول ، أعني
 أنها في أول تركيب إذ لا تنحلّ إلاّ إلى جزئين بسيطين أو إلى بسيط
 ومركّب في أدنى تركيب - وهذه هي الأسباب والأوتاد - ثمّ ألّف من
 ضمّ بعض تلك الأجزاء إلى بعض على الأنحاء المتناسبة ثمّ وضعت في
 مقادير من المسموعات ، تحتل منها : أربعة أجزاء خماسيّة أو خماسيين⁵
 وسباعيين ، أو ثلاثة أجزاء سباعيّة أو سباعيين وسداسيّاً أو تساعيّاً
 وسباعيين أو تساعيّاً وسباعيّاً وخماسيّاً ، أو جزئين ثمانيين ، أو
 تساعيين . ونُسّق في / ذلك بعض المتماثلات على بعض أو قورن بين الجزء
 [93 - أ]
 وما يضارعه على نحوين من الوضع :

1 - أحدهما أن يضاعف كلاهما ويرأوح بينهما في الوضع فيرد¹⁰
 أحدهما أبداً عقب الآخر ، فتكون لأحدهما المراتب الأفراد أبداً ، مثل أن
 يقع أولاً وثالثاً وخامساً وسابعاً ، وتكون للآخر المراتب الأزواج بأن يقع
 ثانياً ورابعاً وسادساً وثمانياً ، وذلك نحو الطويل والبسيط .

2 - والآخر أن يوضع أحد المتضارعين مكرّراً والآخر مفرداً ،
 فيقدّم المتشافعان على المفرد ، أو يوسط المفرد بينهما ، أو يؤخّران ويقدم⁵
 المفرد . وهذا الوضع الأخير لم يقع للعرب إلاّ في فروع الأوزان دون
 أصولها ، لأنّ هذا الوضع بالنسبة إلى ما قبله قليل التناسب : إذ لا استفتاح
 فيه بغير مظنة التناسب ، وإذ الأثقل فيه موضوع طرفاً ، وإذ هو من بناء
 الكثير على القليل ، وبناء القليل على الكثير أنسب ، اللهم إلاّ إذا كان
 الجزء المضاعف يقصر على الجزء المفرد الذي بني عليه ، فإنّ ذلك يستساغ²⁰ .

وعلى هذا النحو استعملت العرب في فروع أوزانها هذا الوضع . وعلى
 ذلك قيس ما وضع من الأوزان المحدثّة ، فضوعف فيه السباعيّ بعد
 التساعيّ ، أو وضع ذلك على نحو لا ينسّق فيه بعض المتماثلات على بعض

ولا يراوح بين جزء يورد متكرراً في مواضع غير متصلة وبين جزء مضارع له يورد أيضاً متكرراً في المواضع المتخللة لمواضع الآخر ، ولا يضاعف فيه أحد الجزئين ويفرد الآخر ؛ بل يكون الموضع بالاطراد من بعض المتضارعات إلى بعض والانحدار فيها من الأثقل إلى الأخف والاستمرار 5 في ثلاثة الأجزاء على هذا التدرج .

وقد يقع نقلة الترتيبي المضادة لهذا الوضع في المضارعات أيضاً تناسب في الوضع وحسن مسموع ، ولكن في بعض الاقترانات لأسباب موجبة لذلك قد ذكرناها (1) في غير هذا الموضع .

2 - تنويع : والتضارع بين الأجزاء / هو أن يكون ترتيب جزء مآ [93 - ب]

10 يماثل ترتيب صدر جزء نحو فعولن ومفاعيلن ، أو يماثل ترتيب الجزء ترتيب عجز جزء آخر نحو فاعلن ومستفعلن ، أو تكون نسبة صدر الجزء إلى صدر الجزء فيما ينقص عنه نسبة عجزه إلى عجز الآخر أيضاً فيما ينقص عنه نحو فاعلن ومفاعلتن ، أو يكون صدر أحدهما يماثل صدر الآخر أو يماثل عجزه عجزه أو صدره عجزه أو صدره صدره .

15 والجزء المضاد للجزء هو الذي يكون وضعه مخالفاً لوضعه نحو مستفعلن ومفاعيلن . فإنّ الوند في أحدهما مقدّم على السبين ، وفي الآخر مؤخر عنهما ، ومثله مفاعلتن ومتفاعلن .

والمنافر هو الذي لا يضارع ولا يضاد وذلك بالآ يكون بين الجزئين تقارب في الترتيب ولا تضاد فيه نحو متفاعلن ومفاعيلن .

(1) انظر الفجر المواليه .

فالتركييات المتناسبات إنما تكون باقتران التماثلات والمتضارعات .
ولا يقع في اقتران المتضادات والمتنافرات تركيب متناسب أصلاً . وقد يكون
الجزء مضاداً للآخر من وجه ، مضارعاً له من وجه آخر ، مثل فاعلن
وفعلن ، فإنتهما وإن تضادا من جهة الوضع بأن قدّم في أحدهما ما أخر
في الآخر ، فقد ضارع أحدهما صاحبه من جهة أن صدره مماثل لعجزه .⁵

ويشترط في التضارع مساواة (1) أكثر الجزئين . فإن كان في جزء يسير
منهما أو من أحدهما لم يعتدّ به . وأحسن التركيب ما وُضع فيه أحد
المتضارعين ممّا يلي الحيز الذي ضارعه من صاحبه نحو وضع الطويل
والبسيط . ولهذا رُفض مقلوب وضعهما لأنّ الجزء فيه ليس موضوعاً ممّا
يلي الجزء الذي ضارعه من صاحبه .¹⁰

3- إضاءة : فإذا وضعت (2) مقادير من المسوعات مؤلفة من
الأجزاء المتقدمة الذكر على الأنحاء الخمسة التي وضعت عليها العرب أبنية
أوزانها - وهي : 1 - الوضع الذي تتسق فيه التماثلات نحو المتقارب
2 - أو الذي / تتداخل فيه المتضارعات نحو الطويل 3 - أو الذي
15 يتقدّم فيه المتشافعان على المفرد نحو السريع 4 - أو الذي يتوسّط فيه
المفرد بين المتشافعين نحو الخفيف 5 - أو الذي تتسق فيه المتضارعات
نسق انحدار ؛ وعلى ما يناسب من الوضعين الباقيين ، وهو : 1 -
تقديم المفرد على المتشافعين 2 - ونسق المتضارعات نسق ارتقاء ؛²⁰

(1) بالأصل بمساواة

(2) فعل إذا وجوابها يأتي بعد منبها عليه .

وربعت الخماسيات في نسق المتماثلات في الشطر الموزون وثلاثت السباعيات فيه وثبتت الثمانيات والتساعيات في ذلك وربعت المتداخلات من الخماسيات والسباعيات وثلاثت الواقعة بتشافع وإفراد ، وكذلك المتضارعات أي عدد كانت - كان (1) ذلك مسموعا متناسبا من شأن النفس أن تستطيه ويدخلها التعجب من تأتي نسقه واطراد هيئاته وترتيباته 5 المحفوظة .

ويسمى ما كان على هذه الصفة شطر بيت . فإن أردف مقدار موضوع على بعض تلك الأنحاء قد تهيأ بتلك الهيئة التي تستطيه النفس وتستبدعها بمقدار آخر يساويه في الوضع والترتيب زادت النفس ابتهاجا بذلك 10 وتضاعفت لها المناسبة وقوي التعجب المخامر لها فوقع الكلام منها بذلك أحسن موقع وأكملته مناسبة . وهذا المقدار المجموع من المقدارين هو المسمى بيتا .

4 - تنوير : ولما كان أحق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلى قول الشعر هو الوجد والاشتياق والحنين إلى المنازل المألوفة 15 والآفها عند فراقها وتذكر عهودها وعهودهم الحميدة فيها ، وكان الشاعر يريد أن يبقى ذكرا أو يصوغ مقالا يخيل فيه حال أحبابه ويقيم المعاني المحاكية لهم في الأذهان مقام صورهم وهيأتهم ويحاكي فيه جميع أمورهم حتى يجعل المعاني أمثلة لهم ولأحوالهم أحبوا أن يجعلوا الأقاويل - التي يودعونها المعاني المخیلة لأحبابهم المقيمة في 20 الأذهان / صوراً هي أمثلة لهم ولأحوالهم - مرتبة ترتيباً يتنزل من جهة

[94 - ب]

موقعه من السمع منزلة ترتيب أحويتهم وبيوتهم . ويوجد في وضع تلك بالنسبة إلى ما يدركه السمع شبه من وضع هذه بالنسبة إلى ما يدركه البصر . فقد تقدّم أن المسموعات تجري من الأسماع مجرى المراثيات من البصر . وتوجد لحال حال من هذه أشياء من حال حال من تلك . فقصدوا أن يحاكو البيوت التي كانت أكنان العرب ومساكنها ، وهي بيوت الشعر :
 لكونهم يحنّون إلى أدكار ملابسة أحبابهم لها واستصحابهم لها واشتمالها عليهم بالأقاويل التي يقيمون المعاني المنوطة بها في الأذهان مقام صورهم وهياتهم ويجعلونها أمثلة لهم ولأحوالهم . فيكون اشتمال الأقاويل على تلك المعاني مشبها لاشتمال الأبيات المضروبة على من قصد تمثيله بها وأن تجعل تذكرة له . ويكون ما بين المعنى والقول من الملابسة مثل ما كان بين الساكن والمسكن . ومتى أمكن أن يهيء الشيء الذي يجعل تذكرة لشيء آخر ويقصد به تمثيله في الأفكار بهيأة تشبه هيأة ذلك الشيء المقصود تذكرة من وجوه كثيرة يتسق بها الشبه كان أنجع في التحريك إليه والانصباب في شعب الولوع به .

5- إخضاع : ولما قصدوا أن يجعلوا هيئات ترتيب الأقاويل الشعرية ونظام أوزانها منتزلة في إدراك السمع منزلة وضع البيوت وترتيباتها في إدراك البصر تأملوا البيوت فوجدوا لها كسورا وأركاناً وأقطارا وأعمدة وأسبابا وأوتادا .

فجعلوا الأجزاء التي تقوم منها أبنية البيوت مقام الكسور لبيوت الشعر . وجعلوا أطراد الحركات فيها الذي يوجد للكلام به استواء واعتدال بمنزلة أقطار البيوت التي تمتد في استواء .

وجعلوا ملتقى كل قطرين وذلك حيث يفصل بين بعضها وبعض .
 بالسواكن ركنا لأن الساكن / لما كان يحجز بين امتواء القطرين
 المكتنفين له صار بمنزلة الركن الذي يعدل بأحد القطرين اللذين هما
 ملتقاعهما عن مساواة الآخر ومسامته ، ولأن الساكن له حدة في السمع
 5 كما للركن في رأي العين .

وجعلوا الوضع الذي يبنى عليه منتهى شطر البيت وينقسم البيت عنده
 بنصفين بمنزلة عمود البيت الموضوع وسطه .

وجعلوا القافية بمنزلة تحصين منتهى الخباء والبيت من آخرهما وتحسينه من
 ظاهر وباطن ، ويمكن أن يقال : إنها جعلت بمنزلة ما يعالى به عمود البيت
 10 من شعبة الخباء الوسطى التي هي ملتقى أعالي كسور البيت وبها مناطها .
 وقد يقال : إنهم جعلوا العروض والضرب وهما نهايتا شطري البيت
 في أن وضعوهما وضعاً متناسباً متقابلاً بمنزلة القائمتين في وسط الخباء اللتين
 يكون بناؤه عليها .

وجعلوا الاعتماد على السواكن وحفظ نظام الوزن بانبثائها أثناء متحركاته
 15 على النحو المناسب وتحسين وضعه من الاختلال باعتراضها في المواضع
 المقدرة لها وإمرارها سلك الكلام وتلافيها له بما فيها من القوة والجزالة
 عند توقع وقوع الفترات بتضاعف الحركات وتواليها بمنزلة الأوتاد التي
 تحفظ وضع الخباء وتمسك جوانبه . فاذا تلوّفي ذلك في مظان تلافيه
 طاب الكلام واعتدل ، وإذا حوفظ في إطبائه بذلك وتعديله على مذهب
 20 واحد في تقدير المواضع التي يقصد تدارك الكلام فيها بذلك وتعيين المراتب
 التي يجب فيها إيقاع ذلك استبدعت النفس حفظ ذلك الترتيب واشتد
 ولعها به وتعجبها منه . فهذا أيضا من الوجوه التي حسنت موقع الكلام
 الموزون من النفس .

- 6 - تنوير : ولما كانت الأوتاد : منها ما ثباته ضروري في إمساك الخباء وتحصينه . ومنها ما في ثباته تحصين مآ وقد / تحتمل إزالته ، جعل [95 - ب] الخليل الضروريات من السواكن أوتادا وجعل غير الضرورية أسبابا . والأحسن أن يقال : إن هذه وتلك أوتاد . لكن ثبات إحداهما ضروري في حفظ بنية البيت ، فهو بمنزلة الوتد الذي لا بد منه في الخباء ، وثبات الأخرى ليس ضروريا في حفظ بنية البيت بل يستقل البيت به ودونه ، فهي بمنزلة الأوتاد التي تستعمل في إمساك جوانب البيوت وقد يستغنى عنها . وفي الأسباب ما لا يمكن الاستغناء عنه كألف متفاعلن مع السلامة من الإضممار ونون مفاعلتن مع السلامة من العصب . فسواكن هذه الأسباب مع سلامة الأجزاء ضرورية الثبات في حفظ بنية الوزن . فهي جارية 10 مجرى الأوتاد بل هي أوتاد كما قلناه . وكأن حركة ما قبل كل وتد منها سبب له . ولكن الخليل سمى كل حركة وساكين مقترن بها لا يعتمد عليه في أكثر المواضع سببا . فإذا اعتمد على ساكن بعد متحركين أو بينهما سمى مجموع ذلك وتدا . ولا تشاح في الألفاظ كما أنه لا حرج على من عدل عما تقتضيه تلك الأسماء في المسميات إذا أراد الإفصاح عن جهات 15 مشابهاها لما نقلت إليها منه التسمية والتمثيل الصحيح في ذلك .

- 7 - إضماءة : ولنقل الآن في كيفية تركيب الاسباب والالوتاد من المتحركات والسواكن . وكيفية تركيب الأجزاء منها ، وفي كفيات مواقع هذه وتلك مطردة وغير مطردة في الأوزان ، وكيف تنتهي أجزاء المسدوعات التي تقع فيها بالتقاذف بها إلى شتى ترتيباتها بالهيات الي 20 تصوير بها متشكلة بأشكال الأبيات المضروبة .

فأقول : إنه إذا تركبت حركتان كان ذلك سببا ثقيلا نحو لك ، ليم ، فإن زدت عليه ساكنا كان وتدا مجموعا نحو لقد ، فإن زدت على ذلك

ساكنا ثانيا صار الوند مضاعفا نحو مَقَالَ* مسكّن اللام ، فإن تركّب متحرّك مع ساكن كان ذلك سببا خفيفا نحو قَدْ ، فإن زدت عليه ساكنا / ثانيا كان سببا متواليا . فإن زدت على السبب الخفيف الذي لم يتوال متحرّكا كان وتدا مفروقا نحو كَيْفَ . [96 - أ]

5 8- تنوير : فالسبب الخفيف والوند المجموع يقعان كلّ موقع من أوائل الأجزاء وأواسطها وأواخرها . والسبب الثقيل والوند المفروق لا يقعان إلّا في أوائل الأجزاء وأواسطها . والسبب المتوالي والوند المضاعف لا يقعان إلّا في نهايات أجزاء الضروب ومصرّعات الأعاريض . وأسباب ذلك معروفة ممّا تقدّم .

10 9- إضاعة : وبعض هذه الأجزاء يتركّب مع بعض على الإطلاق . وذلك الأسباب الخفيفة مع الأوتاد المجموعة والمفروقة .

ومنها ما لا يتركّب أحدهما مع الآخر في خماسيات الأجزاء وسباعياتها ويتركّب فيما فوق ذلك ، وذلك كالأسباب الثقيلة والأوتاد المفروقة . ولا تتركّب معها إلّا متقدّمة عليها كما أنّ الأسباب الثقيلة أيضا لا تتركّب مع الأوتاد المجموعة إلّا متأخرة عنها . 15

ومنها ما لا يتركّب مع جميع الأجزاء إلّا متأخرا عنه . ومنها السبب المتوالي والوند المتضاعف . ولا يتركّب أحدهما مع الآخر . وتسمّى هذه الأجزاء الأرجل .

10 - تنوير : ولا يخلو التركيب من أن يكون من رجلين سبب ووند ، فيكون الجزء المركّب منهما خماسيا إن لم يكن هناك سبب متوال أو وند متضاعف . فإنّ الجزء يكون مع كليهما على ستة أحرف ، وكذلك 20

ينفسان جميعَ الأجزاء إذا وقعا في نهاياتها ؛ أو يكون من ثلاثة أرجل ولا يخلو ذلك من أن يكون من سبيين ووتد فيكون الجزء سباعيًا ، أو من سبب ووتدين فيكون الجزء ثمانية ؛ أو يكون من أربعة أرجل فيتركب منها ثلاث تركيبات : 1 - سبب وثلاثة أوتاد - وهو تركيب مستثقل غير ملائم - 2 - وسبيان ووتدان والتركيب منهما ينحلّ إلى الخماسيات ، 5 - 3 - وتركيب لا يستثقل المناسب منه ولا ينحلّ إلى غيره ، فالقياس يوجب إثباته وقبوله وهو تساعيّ نحو مستفعلاتن .

11 - إضاءة : ولنقل الآن في ما قصدوه في وضع الأبنية الشعرية [96 - ب] من حيث / جعلوا أطراد الحركات في الأوزان واستقامة جرية اللسان عليها واستواء الكلام بها بمتزلة امتداد أقطار البيوت واستقامتها واستوائها ، 10 وجعلوا السواكن مطردة بمتزلة الأركان .

فأقول : إنّ أقلّ ما يعدّ من توالي المتحرّكات قطرا المتحرّكان ، فإنّه القطر الأصغر . فأما الحركة بين ساكنين فإنّها كالفرجة بين طنين . ويليه القطر الأوسط وهو ثلاثة متحرّكات ، ثمّ القطر الأكبر وهو أربعة متحرّكات ، وهو أقصى ما يوجد عليه أطراد الحركات في الأوزان . 51 وأقلّ ما يعدّ من السواكن ركنا الواحد ثمّ الاثنان ثمّ الثلاثة ثمّ الأربعة . وهي أقصى ما يوجد من أطراد السواكن في الأوزان .

12 - تنوير : ولا تستحسن الأركان والأقطار التي تناهت إلى هذا الحدّ ، بل الواجب أن يحذف ثالث السواكن من هذه ويثبت ما يفصل في تلك بين بعض المتحرّكات وبعض بإعادة بعض السواكن المحذوفة من أثناء 20

ذلك لأنّ المتحرّكات لا تنتهي إلى أربعة في الأوزان على اطراد ونسق إلّا بحذف بعض السواكن .

13 - إضاءة : ويجب أن تعلم أنّ أبيات الشعر : وإن كانت أوائلها

منفصلة عن أوائلها ، فإنّ النظام فيها في تقدير الاتصال على استدارة إذ 5 كان وضع الأوزان الشعرية وترتيبها ترتيباً زمانياً لا يمكنك فيه أن ترجع

بالنهاية إلى زمان المبدأ بل تكون بينهما فسحة من الزمان ولا بدّ . وترتيب البيت المضروب ترتيب مكاني إذا بدأت بأيّ موضع شئت منه ثم درت

عليه تأتّى لك أن ترجع إلى الموضع الذي بدأت منه بنقلة مستديرة على اتصال من غير أن يكون بين المبدأ والنهاية فسحة . والأوزان وإن لم يمكن

10 أن يعاد بالنهاية فيها إلى زمان المبدأ فإنّها في تقدير ذلك ، إذ نسبة سرد الشطر

الأوّل من أيّ بيت وقع تالياً لبيت بعد الانتهاء إلى قافية البيت المتقدم وإعطاء

كلّ متحرّك وساكن منه حقه من التلفّظ نسبةً سرد الشطر الثاني / وإعطاء [97 - أ]

متحرّكاته وسواكنه حقوقها من التلفّظ بعد الانتهاء إلى مقطع الشطر الأوّل .

فلذلك يجب أن يجعل ساكن القافية الأخير مع ما يتقدّمه من السواكن أو

15 يتلوّه من ذلك في أوّل البيت التالي له أو على حدّته ركناً فاصلاً بين ما وقع

في صدر جزء القافية الذي هو فيها من اطراد المتحرّكات الذي هو بمترلة

بعض أقطار البيت التي تمتدّ بين بعض أركانه وبعض وبين ما وقع من ذلك

في صدر الجزء المفتوح به البيت الذي يليه أو وسطه أو آخره .

14 - تنوير : فتجد على هذا أركان الأبيات الباقية على وضعها

20 الأصلي مزدوجة (1) إذ التي في الشطر الأوّل منها مساوية للتي في الشطر

الثاني في العدد . ولا ينقص أحدهما عن الآخر في ذلك إلّا بتغيير .

فأقصى ما نجدهم بنوا عليه أشتار البيوت ستة أركان . فيكون لمجموع البيت على ذلك اثنا عشر ركنا ، وذلك في الكامل وحده لأن بناء شطره من متفاعلين ثلاث مرّات ، ثمّ يقطعونه فيصير إلى أحد عشر ركنا ثمّ يصير بوقوع الحذف في الأعاريض والضروب إلى عشرة أركان مع السلامة من الإضممار وإلى تسعة بالإضممار .

5

ويليه في كثرة الأركان الوافر لأنّ في كلّ شطر منه خمسة أركان . فجميع أركانه إذا عشرة .

ويليه في ذلك المربعة الأشتار ، كالطويل والبسيط والمتقارب ، فإنّ في كلّ جزء منها ركنا ، فكلّ واحد منها ثمانية أركان . وتصير أركان الطويل والبسيط بالزحاف إلى اثني عشر . والخب مثل المربعات الأشتار في أنّه مبنيّ على ثمانية أركان .

10

فأمّا السباعيات الأجزاء المثلثة الأشتار ممّا لم يقع فيه سبب ثقل فهي مبنية على ستة أركان ، وتصير بإعلانات الضروب إلى خمسة .

وممّا بني على أربعة أركان الوزن الذي قدّمت (1) أنّ المحدثين هم الذين علم من أقوالهم ، ولا يبعد أن يكون من وضع العرب فإنّه متناسب الوضع . فيجب أن يلحق بما يستعمل من الأوزان ولنصطلح على تسميته باللاحق ، لهذا المعنى . فقد / قدّمتنا (2) أنّه يوجد فيه ساكن لا يوجد في مخلّع البسيط ولا يقبله . ويوجد في مخلّع البسيط ساكن لا يوجد في هذا اللاحق ولا يقبله ، فلهذا حكمنا أنّه وزن قائم بنفسه ، وبناء شطره : مستفعلاتن مستفعلاتن .

[97 - ب]

20

(1) راجع 238 :

(2) مثله .

وقد خصّصوا الرجز بأن أبقوا مشطوره على ثلاثة أركان ، وهو أقلّ ما تُقوّمُ منه الأشكال . ويشبه أن يكون هذا بعض ما أوجب احتمالها لاطّراد المتحرّكات في أقطاره لأنّ الأشكال المثلثة أطول الأشكال عروضاً وأقطاراً . وكأنّهم جعلوا الأبيات المسدّسة الوضع وسطاً في ذلك حيث ترقّوا في ذلك إلى ضعفها وانحطّوا إلى نصفها . 5

15- إضاءة : ولقائل أن يقول : إنّ أجزاء الشطور الأول تنزل منزلة ما يلي الأرض من كسور البيت . وإنّ أجزاء الشطور الثاني تنزل منزلة ما يلي السمك منها . ولهذا قد تقصر دائرة نظام الأقطار الثاني في كثير من الضروب عن دائرة نظام الأقطار الأولى نحو ضربي عروض الكامل المقطوع والمضمر . فإنّ دائرة ما يلي السمك من الأخبية أضيق من دائرة ما يلي الأرض . وليست ملاحظة هذا الوجه في الأوزان بضربة لازب . وعلى هذا التقدير يحسن في القافية أن يقال فيها إنّها جعلت بمنزلة رأس الخباء وما يعالى به العمود ، فأحكمت هيأتها لذلك وجعل العروض القاسم لبيت بنصّين بمنزلة موصّل قائمة الخباء العليا بقائمة السفلى . وجعلوا 15 اطّراد النظام متناسب ما بين مبدأ البيت ومنتهاى القافية بمنزلة استقامة قوائم البيوت . ومما يقرّون أنّ العروض كموصّل القائمتين أنّ كثيراً من الأعاريض القصار والتي قد نقص بعض أجزائها لا يجعلون لها أعاريض كمشطورات الرجز أو لا يحافظون على وضعها ولا يرتبطون في ذلك إلى هيآت محفوظة نحو ما ورد (1) في مخلّع البسيط لعبيد بن الأبرص وغيره. 20

(1) ومنه : أصبحت والشيب قد علاني ادعو حثيثاً إلى الخضاب .
الغزرجي ، 71 .

[98 - أ]

16 - تنوير : واعلم أن السواكن التي تفصل بين قطرين أصليين لا يجوز حذفهما وإن كانت من أسباب . وكذلك الساكن الذي / يؤدي حذفه إلى اتصال قطر ثلاثي أي متسق فيه ثلاث حركات بركن رباعي أي متوالٍ فيه أربع سواكن ؛ فإنّ هذا أيضا لا يجوز حذفه ، وذلك كالنون من مستفعلن في الخفيف . وينبغي أن تسمى هذه الأسباب بالأسباب 5 المضارعة للأوتاد في مواقعها . وأحكام الأوزان تختلف في ما يسوغ حذفه من سواكن الأسباب في الزحاف المفرد والمزدوج بحسب اختلاف أنحاء الاعتمادات على نهايات الأجزاء وبحسب مواقع الأسباب من مواضع تلك الاعتمادات . ولذلك يسوغ من الزحاف المزدوج في سببي البسيط ما لا يسوغ في سببي الطويل . كذلك الزحافات المفردة لا تسوغ في الأسباب 10 حيث تكون مظان اعتمادات وتحصينات للأوزان من توالي ما لا يسوغ فيها . وهذه لمحة تدلّ الذكيّ الأملعيّ على ما يتفصل إليه القول المجمل فيها بحسب وزن وزن وتجزئة تجزئة .

17 - إضاعة : فهذا الذي قلته في مجاري الأوزان وأنحاء تركيباتها وما يسوغ فيها هو الرأي الصحيح الذي تعضده الآراء البلاغيّة والقوانين 15 الموسيقيّة ويشهد به الذوق الصحيح والسمع الشائع عن فصحاء العرب . فذع عنك ما غيره أو وضعه العروضيون (1) أو الرواة (2) من الأبيات المضمحلة التي لا يوجد لها نظير في الأشعار الفصيحة الصحيحة الرواية . فقد ردّ بعض (3) العروضيين ما استشهد به بعضهم من الأبيات الفاسدة ،

(1) راجع فصل وايل ، د. م. ا. ، (2) ، 688 - 698 .

(2) مثال ذلك ، البيت الوارد 235 س 10 .

(3) راجع في هذا الخرجي ، 37 - 43 .

وزين بعضهم شواهد بعض . وكثير أيضا مما وضع واختلق أو غير جاز عليهم أو على أكثرهم . فلهذا يجب أن لا يقبل شيء يخالف ما قلناه لأننا وضعنا هذه القوانين بحسب ما شهدت به أصول علوم جلييلة ، بها يتميز الصريح المحض من الزائف البهرج في كل مذهب من مذاهب اللسان 5 وماخذ من مأخذ البيان .

ولاستقصاء الكلام في صناعة العروض طول لا يحتمله هذا الموضع قد فرغت منه في موضع خاص (1) بصناعة العروض . فمن هنا يعرف تفصيل هذا المجمل .

ج - / معلم دال على طرق العلم بمقادير تناسب الأوزان وما يسوغ [98 - ب] 10 فيها من التغاير وما لا يسوغ على الوجه المختار .

أوزان الشعر منها متناسب تام التناسب متركب التناسب متقابله متضاعفه ، وذلك كالطويل والبسيط . فإن تمام التناسب فيها مقابلة الجزء بمماثله ، وتضاعف التناسب هو كون الأجزاء التي لها [لها] مقابلات أربعة ، وتركب التناسب هو كون ذلك في جزءين متنوعين كفعولن ومفاعيلن في الطويل ، 15 وتقابل التناسب هو كون كل جزء موضوعا من مقابله في المرتبة التي توازيه . فإن كان الواحد في صدر الشطر الأول كان الآخر في صدر الشطر الثاني . وإن كان ثانيا كان مقابله ثانيا . وإن ثالثا فثالث . فالأعاريض التي بهذه الصفة هي الكاملة الفاضلة . وكلما نقص عروضاً شرط من هذه

(1) نعرف لحازم رسالة في النقراني لعلها هي التي يعنيه هنا ، أما في فن العروض خاصة فذلك ما لم نكتب عليه إلا من لفظه .

الشروط أو أكثر كان في الرتبة من مقاربة الكلام أو مباعده بقدر ما نقص منه .

- ١- إضساءة : وأوزان الشعر منها سبط . ومنها جعد ، ومنها لين . ومنها شديد . ومنها متوسطات بين السباطة والجعودة ، وبين الشدة واللين وهي أحسنها . والسبطات هي التي تتوالى فيها ثلاثة متحرّكات ، والجعودة هي التي تتوالى فيها أربعة سواكن من جزءين أو ثلاثة من جزء . وأعني بتواليها ألا يكون بين ساكن منها وآخر إلاّ حركة . والمعتدلة هي التي تتلاقى فيها ثلاثة سواكن من جزءين ، أو ساكنان في جزء . والقويّة هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها على وتد أو سببين . والضعيفة هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها على سبب واحد . ويكون طرفاه ١٥ قابلين للتغيير . وإذا تركّب الضعيف مع القويّ فربّما غطّى على ضعفه ، وخصوصا إذا حدثت في التركيب جعودة كالحال في الخفيف . فإنّ تركّب الضعيف مع معتدل لم يخف معه ضعفه / كالحال في المديد . [٩٩ - أ]

- ٢- تنوير : فأما التغييرات اللاحقة للأوزان فمنها ما يكون بنقص بعض أجزاء الوزن ، ومنها ما يكون بزيادة . فأما النقص فضرور الزحاف ١٥ الواقع في الأسباب بحذف بعض سواكنها وإسكان بعض متحرّكاتهما . وكذلك أيضا قد يقع التغيير في الأوتاد بتسكين أوّل متحرّكاتهما . وذلك حيث تكون جزءا من فاصلة لم يتضاعف فيها تغيير ، أو بحذف ثواني الأسباب الثقيلة وأوائل الأوتاد المجموعة في صدور البيت ويسمّى حرما . وحذف أوّل الوتد في صدور البيوت أحسن من حذف ثاني السبب الثقيل . ٢٠ ويجب أن يكون لمُورد الأبيات ، قاصدا إقامة أوزانها ، فضلُ اعتماد وتوقّرات وإشباعات الحركات وما ينتسب إليها من الحروف القابلة للمدّ

والإطالة في ما يكشف مواضع المحذوفات ويتصل بها ليكون ذلك ساداً مسدّها وجارياً مجرى البدل منها .

3- إضاءة : فأما التغيرات (1) التي تكون بزيادة فدونها ما يقع في القوافي ومنها ما يقع في الأعاريض . فأما ما يقع في القوافي فإنّ الأعاريض التي يكون لها ضربان : ضرب مقطعه على سبب متوالٍ أو وتد متضاعف ، وضرب مقطعه على سبب خفيف غير متوالٍ أو وتد غير مضاعف قد يجوز فيما بنيت قافيته من ذلك على سبب غير متوالٍ أن يوالي السبب في بعض الضروب وإن كان ذلك مستقبها . ويجوز فيما بنيت قافيته على وتد غير متضاعف أن يضاعف الوتد في بعض الضروب من ذلك ، وإن كان أيضا ذلك قبيحا . وإنّما استساغ بعض العرب هذا لأنّ العروض تقبل نسق كلا الضربين عليها . وإن وقعت بذلك بين بعض الضروب وبعض مخالفة ، فليس ذلك من المخالفة التي يصير بها الجزءان طرفي نقيض في الوضع ، بل هما متناسبان لم يختلفا إلّا بالأزيد والأنقص . ويشبه أيضا أن يكون العرب إنّما تفخّم الساكن في هذا الوضع الذي قد يستسيغونه في القوافي إذا كان ممّا يجري فيه الصوت ويكون التلمّظ به قبل الساكن التالي له 15 وأسهل من غيره / وأخفى موقعا ، ليكون ذلك الساكن توجد فيه مضارعة للحروف المصوّنة من جهة ما يوجد له بعض تصويت ، ويوجد الهواء متسرّبا مع التلفّظ به ، وذلك نحو الهاء والعين والحاء والنون وما جرى مجرى ذلك .

[99 - ب]

ومما ورد من ذلك قول نابغة بني شيبان من قصيدة يقول فيها : 20

[الرمل - ق - المتدارك]

(1) بالأصل التغير بصيغة المفرد .

امدح الكأسَ ومنْ أَعْمَلَهَا واهجُ قوما قتلونا بالعطش
إنَّمَا الكأسُ ربيعٌ بأكبرُ فإذا ما غابَ عَنَّا لم نعيش
ثم قال في وصف الخيل :

فَهِمَا يَخَوُونَ أَسْلَابَ الْعِدَى وَيَصِيدُونَ عَلَيْهَا كُلَّ وَحْشٍ (1)
وأورد بيتين آخرين على هذا النحو .

ويجب ألاّ يعمل على هذا وإن كان وقع في أشعار العرب .

وأما الذي يقع في الأعاريض . فإنّ العروض التي يمكن أن تبنى على
سبب متوال أو وتد متضاعف إذا صرّعت يسوغ أن يوقع فيها الكلم التي
التقى فيها ساكنان بالإدغام بعد المدّ فيكون الساكنان نهاية العروض ويكون
مبدأ الشطر الثاني ثاني المتضاعفين . وذلك نحو عروض المتقارب وعروض
مربع الكامل . وينبغي أن يسمع الشعراء في هذا وألاّ يضايقوا فيه حيث
يكونون مضطرين إلى ذكر اسم قد لزمه التشديد بعد المدّ . فأما إذا وجد
مندوحة عن ذكر ذلك اللفظ بوجدان مرادف له وما يغني غناءه فينبغي له
ألاّ يرتكب ذلك ولا يجعله سبيلا إلى انتقاد نظمه مع إضلال ضالّة العذر
في ذلك .

4 - تنوير : فأما ما رام العروضيون إثباته في متون الأوزان من
الزيادة التي يسمونها الخزم بالزاي فإنّهم غلطوا في ذلك لأنّ العرب لم

(1) الأبيات الثلاثة من قصيدة له في الخمر ووصف الخيل والفخر . أولها :

أيها الساقى سقتك مزنة من ربيع ذي أماضيب وطش

الأغاني ، (3) ، ٧ ، ١٥٩ .

وقد تقدمت الإشارة إلى هذه القصيدة بذكر طالعها :

حل قلبي من سلمي نبلها إذ رمتني بهام ولم تطش

228 ، النعم 4 .

تكن تعدّ تلك الزيادات من متون الأوزان . وإنّما كانوا يجعلونها نوطات وتمهيدات ووضلا لإنشاد البيوت وبناء عباراتها عليها ، وإن كانت متميزة في التقدير والإيراد عنها بأزمة قصيرة قد تخفى على السامع فيظنّ أنّهم قد جعلوها من متون الأبيات . وذلك غير ممكن أصلا . فإنّ الأوزان ممّا يتقوّم به / الشعر ويعدّ من جملة جوهره . والوزن هو أن تكون المقادير 5 المقفأة تساوي في أزمنة متساوية لاتّفاقها في عدد الحركات والسكنات والترتيب . فما حذف من بعضها على بعض الوجوه التي بينها أمكن أن يتوقر على ما بني منه وأن يتلافى لتمكين الحركات والسكنات المكتنفة له قدر ما فات من زمان النطق به . فيعتدل المقداران بذلك فيكونان متوازيين . 10 والزيادة على المقدار المساوي لسائر المقادير ليس فيها حيلة يمكن معها تساوي المقدارين المزيد فيه والباقي على أصله . وإنّما ساغ ذلك في السواكن - حيث كانت أقصر الحروف زمانا ، وكان لها أصل ترجع إليه في أبنية الأوزان ، فوجدت مقبولة في الأذواق لذلك .

فهذا هو الرأي الصحيح في الخزم الذي عول عليه الخذاق بأخذ الكلام 15 عن العرب وفهم مذاهبهم فيه . وقد وجدنا الكتاب والبلغاء يرصّعون الأسجاع بالأبيات ويجعلونها مبادي للأبيات والأبيات خواتم لها ، حتّى ربّما أنّهم لم يقدّموا قبل البيت أكثر من لفظة واحدة وربّما اكتفوا في ذلك بواو العطف . ولا يعتقدون أنّ تلك الألفاظ والحروف من متون . وهكذا كانت مآخذ العرب في ذلك . وإنّما خفي هذا المذهب على من 20 جهل مآخذ الكلام ومقاطععه وضروب وضعه وأفانين منازعه .

5 - إضفاء : وإذ قد تبين هذا فلنعد إلى ذكر ما يستحسن من ضروب الزحاف ويستقبح ، ونؤصّل في ذلك أصلا يعرف بما يجب أن يعتمد من ذلك عند الحاجة إليه ، وما يجب أن يجتنب . فأقول : إنّ ممّا

يخلّ بالأوزان من ضروب الزحاف ، ويزيل كثيرا من حلاوتها وتناسبها ،
فيجب أن يجتنب على كلّ حال ، أربعة أشياء :
الزحاف المزدوج كله .

والزحاف المؤدّي إلى أن يصير الجزء الذي وضع لأن يماثل جزءا آخر
ويقابله مضادا له ، وقد تقدّم (1) التعريف بذلك .

والوجه الثالث السواكن التي تكون أواخر أجزاء هي مظان وقفات
واعتمادات ولا سيما إذا كان ذلك نهاية شطر بيت كالسواكن الأخيرة من
[100 - ب] فاعلاتن / في عروض الخفيف ، والحال في ساكن فاعلاتن الذي في أوائل
أشطاره على نحو من ذلك في أنه يقبّح حذفه .

والوجه الرابع ممّا يجب اجتنابه من الزحافات حذف السواكن التي
يؤدّي حذفها إلى توالي ثلاثة متحرّكات عقيب توالي أربعة سواكن كالنون
من مستفعلن في الخفيف .

فهذا هو الرأي الصحيح الذي يشهد بصحّته الذوق والقياس والسمع .

6 - تنوير : وجملّة ما يجب أن يعتمد في اعتبار مجاري النظم ،
من جهة ما يزاحف أو يعلّ من أسبابه وأوتاده ، أن يجعل قانون الاعتبار
الصحيح في ما يجب أن يؤثر من ذلك أن توجد الأوزان جارية من جميع
ذلك على ما يحسن في السمع وبلائم الفطرة السليمة الذوق ، ويوجد مع
ذلك كثيرا مطّردا في أشعار فصحاء العرب . فيكون حينئذ موافقا لمجاري
كلام العرب الصحيحة مع كونه وفقا للنفوس والأسماع . ومن كان

(1) انظر الفقرة السابقة من هذا الفصل .

صحيح الذوق وحصر مجال النظر ومواضع البحث في الأعاريض والقوافي ومجاري الأوزان ثم تصفح كلام المجيدين من العرب والمحدثين ونظر منها في كل موضع للنظر ، فأثبت ما كان ملائما ومطرّدا ونفى ما كان منافرا غير مطرّد ، فقد استضاء بآية التوفيق المبصرة وورد صوب الإصابة من منشأ سحابه الممطرة . 5

7 - إضاءة : وأما من لا ذوق له فقلما يتأتى له التوصل إلى تمييز ما يحسن في مجاري الأوزان ومباني النظم مما يقبح فيهما ، إذ أكثر من ألف في هاتين الصناعتين مشفق من أن ينسب إلى العرب قبحا في مجرى من مجاري كلامها إلا في الندرة . فهم يلقون كل ما روي لهم من كلامهم - صحت الرواية أو لم تصح - بالتسويغ والتحسين . ولا ينسبون إليهم إساءة إلا حيث تعيهم الخيل في الاعتذار عنهم . 10

فهذا رأي نحوي هو في الطرف مما يراه البلغاء من ألا يتسامح في وقوع ما يقبح وقبوله على أنه غير قبيح لعربي ولا محدث . ولا يعتبر الكلام بالنسبة إلى قائل ولا زمان البتة . وإنما يعتبر بحسب ما هو عليه في نفسه من استيفاء شروط البلاغة والفصاحة بحسب ما وقع فيه أو استيفاء أكثرها / أو وقوع أقلها فيه أو عدمها بالجملة منه ووجود نقائصها أو أكثرها . فهذا النحو يصح الاعتبار . 15

[101 - أ]

د - معرف دال على طرق المعرفة بأنحاء النظر في بناء الأشعار على أوفق الأوزان لها .

20 لما كانت الأوزان مركبة من متحرّكات وسواكن اختلفت بحسب أعداد المتحرّكات والسواكن في كل وزن منها ، وبحسب نسبة عدد المتحرّكات إلى عدد السواكن ، وبحسب وضع بعضها من بعض وترتيبها ،

وبحسب ما تكون عليه مظانّ الاعتمادات كلها من قوّة أو ضعف أو خفة أو ثقل ، وصار لكلّ وزن بحسب مخالفته لجميع الأوزان في الترتيب والمقدار ومظانّ الاعتماد ونسبة عدد المتحرّكات إلى عدد السواكن أو في بعض هذه الأنحاء الأربعة دون بعض ، ميزة في السمع وصفة أو صفات تخصّه من جهة ما يوجد له رصانة في السمع أو طيش ، ومن جهة 5 ما يوجد له سباطة وسهولة أو يوجد له جمودة وتوعّر ، ومن جهة ما يوجد باهيا أو حقيرا وغير ذلك ممّا يناسب فيه المسموع المرثي . ولا بدّ أن يكون كلّ وزن مناسبا لغيره من إحدى هذه الجهات مناسبة قريبة أو بعيدة .

- 1- إضاعة : ولما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجدلّ والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة ، ومنها ما يقصد به البهاء 10 والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير ، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيّلها للنفوس . فإذا قصد الشاعر الفخر حاكي غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة ، وإذا قصد في موضع قصدا هزليا أو استخفافيا وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكي ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء ، وكذلك في كلّ مقصد . وكانت شعراء 15 اليونانيين تلتزم لكلّ / غرض وزنا يليق به ولا تتعدّاه فيه إلى غيره . [101 - ب]

وهذا الذي ذكرته من تخيل الأغراض بالأوزان قد نبّه عليه ابن سينا في غير موضع من كتبه ، ومن ذلك قوله في الشفاء ، في تعديد الأمور التي تجعل القول مخيلا : « والأمور التي تجعل القول مخيلا : منها أمور 20 تتعلّق بزمان القول وعدد زمانه وهو الوزن ، ومنها أمور تتعلّق بالمسموع من القول ، ومنها أمور تتعلّق بالمفهوم من القول ، ومنها أمور تتردّد بين المسموع والمفهوم » (1) .

(1) أرسطو ، (1) ، 163 ، س 3 - 5 .

2- **تنوير** : والأجزاء التي تأتلف منها مقادير الأوزان : منها ما يتناسب نحو فاعلن و فاعلاتن و فاعولن و مفاعيلن ، ومنها ما تناسبه على الضد من هذا نحو مستفعلن فاعلن . ألا ترى أن هذين الجزئين يتساوكان من أول الخماسي وثاني سبب من السباعي . وكذلك الأجزاء الأول تتساوق 5 الخماسيات والسباعيات منها ما عدا السبب الآخر من السباعيات فإنه يفضل عن ذلك . ومن الأجزاء ما يتدافع ويتخالف نحو مفاعيلن مستفعلن.

فالتأليف من المتناسبات له حلاوة في المسموع ، وما ائتلف من غير المتناسبات والمتماثلات فغير مستحلى ولا مستطاب . ويجب أن يقال في ما ائتلف على ذلك النحو شعر ، وإن كان له نظام محفوظ لأننا نشترط في نظام الشعر أن يكون مستطابا . وما ائتلف من أجزاء تكثر فيها السواكن فإن 10 فيه كرازة وتوعترا . وما ائتلف من أجزاء تكثر فيها المتحرّكات فإن فيه لدونة وسباطة . والكثير السواكن إذا حذف بعض سواكنه ولم يبلغ ذلك الحذف الإجحاف به اعتدل . وهم يقصدون أبدا أن تكون السواكن حائمة حول ثلث مجموع المتحرّكات والسواكن إما بزيادة قليلة أو نقص 15 ولأن تكون أقل من الثلث أشد ملاءمة من أن تكون فوقه .

3- **إضاعة** : وما كان متشافع أجزاء الشطر من غير أن يكون متماثل جميعها فهو أكمل الأوزان مناسبة . وما كان متشافع بعض أجزاء الشطر تال له في المناسبة ، وما لم يقع في شطره تشافع أدناها درجة في التناسب . وما وقع التشافع / والتماثل في جميعه استثقل ولم يستحل أيضا 20 للتكرار .

فبحسب تضاعف التشافع في الشطر أو اتّحاده أو عدمه ، وبحسب اتحاد الجنس في جميع أجزائه أو تنوّعه ، وبحسب قوّة المشاكلة والمناسبة

بين جزء وجزء وضعفها ، وبحسب ما تكون عليه الأجزاء من كرازة أو سبابة أو اعتدال . وبحسب ما يكون عليه مظهر الاعتمادات وما تنتهي إليه مقادير الأوزان . تكتسب الأوزان أوصافاً من المتانة والجزالة والحلاوة واللين والطلاوة والخشونة والرصانة والطيش وغير ذلك .

- 4- تنوير : ومن تتبع كلام الشعراء في جميع الأعرىض وجد 5
الكلام الواقع فيها تختلف أنماطه بحسب اختلاف مجاريها من الأوزان .
ووجد الافتنان في بعضها أعم من بعض . فأعلاها درجة في ذلك الطويل
والبسيط . ويتلوها الوافر والكامل . ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه
في غيره . ويتلو الوافر والكامل عند بعض الناس الخفيف . فأما المديد
والرمل ففيهما لين وضعف . وقلما وقع كلام فيهما قوي إلا للعرب 10
وكلامهم مع ذلك في غيرهما أقوى . وقد نبه على هذا في المديد أبو الفضل
ابن العميد (1) . فأما المنسرح ففي أطراد الكلام عليه بعض اضطراب
وتقلقل . وإن كان الكلام فيه جزلاً . فأما السريع والرجز ففيهما كرازة .
فأما المتقارب فالكلام فيه حسن الاطراد إلا أنه من الأعرىض الساذجة
المتكررة الأجزاء . وإنما تستحل الأعرىض بوقوع التركيب المتلائم فيها . 15
فأما الهزج ففيه مع سداخته حدة زائدة . فأما المجث والمقتضب فالحلاوة
فيهما قليلة على طيش فيهما . فأما المضارع ففيه كل قبيحة . ولا ينبغي أن
يعد من أوزان العرب ، وإنما وضع قياساً ، وهو قياس فاسد لأنه من
الوضع المتنافر على ما تقدم (2) .

(1) انظر حوله النعالي ، (2) ، 3 ، 154 - 181 .

(2) انظر 243 .

- 5 -- إضاءة : فالعروض الطويل تجد فيه أبدا بهاء وقوة . وتجد للبيسط سباطة وطلاوة . وتجد للكامل جزالة وحسن اطراد . وللخفيف جزالة / ورشاقة . وللمتقارب سباطة وسهولة . وللمديد رقّة ولينا مع [102 - ب] رشاقة . وللرمل لينا وسهولة . ولما في المديد والرمل من اللين كانا أليق بالثناء وما جرى مجراه منهما بغير ذلك من أغراض الشعر . وقد أشرنا (1) الى حال ما بقي من الأوزان .

- 6 - تنوير : ومما يبين لك أن لكل وزن منها طبعاً ، يصير نمط الكلام مائلاً إليه . أن الشاعر القوي المتين الكلام إذا صنع شعراً على الوافر اعتدل كلامه وزال عنه ما يوجد فيه مع غيره من الأعاريض القوية من قوة العارضة وصلابة النبع . واعتبر ذلك بأبي العلاء المعري فإنه إذا سلك الطويل (2) توعر في كثير من نظمه حتى يتغضض ، وإذا سلك الوافر (3) اعتدل كلامه وزال عنه التوعر . وما شئت أن تجد شاعراً إذا قال في المديد والرمل ضعف كلامه وانحطّ عن طبقته في الوافر كانحطاطها في الوافر عن الطويل إلا وجدت . فهذا يدلّك على صحة ما ذكرته . فأما الضعفاء فكلامهم في الوافر وما أشبهه من الأعاريض المتوسطة أقلّ قبها . فأما الأعاريض الطويلة التي تفضل عن المعاني فيعبّرون فيها بركاكة الحشو وقبح التذييل وتخاذل بعض أجزاء الكلام عن بعض لطوله . وأما

(1) انظر 265 .

(2) . (3) اعتبر ذلك في الطويل بمثل قصيدته التي طالعها :

طربين لضوء البارق المتعالي ببغداد وهنا ما لهن ومالي

وفي الوافر بمثل قصيدته التي افتتح بها ديوانه السقط والتي طالعها :

أعن وخد القلاص كشفت حالا ومن عند الظلام طليت مالا

المعري : التنوير ، ٢ . 52 ≤ 63 ، 1 ، 21 - 43 .

الأعاريض القصيرة التي تفضل المعاني عنها فيضطرون فيها إلى التكلّف والحذف المخلّ ، فلذلك كان حالهم في نظم الشعر مضادا لحال الأقوياء من الشعراء .

- 7- إضاءة : فيجب لما ذكرته أن يعتبر الكلام الواقع في كلّ عروض بحسب ما اعتيد فيه أن يكون نمط الكلام عليه ، وألاّ يفضّل 5 شاعر وجدت له قصيدة في الطويل والكامل ماثلة إلى القصرة على شاعر وجدت له قصيدة في المديد أو الرمل ماثلة إلى الضعف . فقد يجيء شعر الشاعر الأضعف في الأعاريض التي من شأنها أن يقوى فيها النظم مُساويا لشعر الشاعر الأقوى في الأعاريض التي من شأنها أن يضعف فيها النظم ، ليس ذلك إلاّ لشيء يرجع إلى الأعاريض لا إلى الشاعرين . وإنّما يطرأ 10 هذا إذا لم يكن بين الناظمين كبير تفاوت . وكذلك الشاعران المتساويان إذا قال أحدهما في وزن من شأن الكلام / أن يقوى فيه والآخر في وزن من شأن الكلام أن يضعف فيه ظهر شعر أحدهما أقوى من شعر الآخر من جهة أنّ عروضه أقوى لا من جهة أنّ طبقة ارتفعت فوق طبقة صاحبه .

[103 - أ]

- 8- تسوية : وإنّما يحكم بتفضيل أحد الشاعرين على الآخر إذا 15 عرف أنّ كليهما نظم شعره على حال واحدة من النشاط وقوة الباعث وانفساح الوقت . وكانا قد سلكا مسلكا واحدا وذهبا من المقاصد مذهباً مفرداً أو كان مذهب أحدهما مقارباً لمذهب الآخر ومناسباً له ، وكان شعرهما في عروض واحد أو عروضين غير بعيد نمط الكلام في أحدهما عن نمطه في الآخر ؛ ثمّ يقاس ما بين الكلامين من البعد بما بين النمطين ، 20 فيظهر الترجيح أو المساواة عند ذلك . وللمفاضلة بين الشعراء أحكام كثيرة وشروط تأتي (1) في القسم الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله .

هـ - معلم دالّ على طرق العلم بما قصد في أبنية القول من أنحاء التناسب وذهب فيها من مذاهب البلاغة التي يكون لها بها تحصيل في الوضع وتحسين في السمع .

فأما ما يجب اعتماده في وضع القوافي وتأصيلها فإنّ النظر في ذلك من 5 أربع جهات : الجهة الأولى جهة التمكن ؛ الثانية جهة صحة الوضع ؛ الثالثة جهة كونها ثامة أو غير ثامة ؛ الرابعة جهة اعتناء النفس بما وقع في النهاية لكونها مظنة اشتهاار الإحسان أو الإساءة .

ولكون القافية يجب أن يتحفّظ فيها من هذه الجهات الأربع قال بعض العرب لبنيه : « اطلبوا الرماح فإنّها قرون الخيل وأجيدوا القوافي فإنّها 10 حوافر الشعر أي عليها جريانه واطراده ، وهي مواقفه . فإن صحت استقامت جريته وحسنت مواقفه ونهاياته » .

1- إضاعة : فأما من جهة تمكّن القافية فقد ألمعت بالوجوه الموصلة إلى ذلك / في ما تقدّم (1) .

[103 - ب]

2- تنوير : وأما جهة صحة الوضع في القافية فالنظر فيها مستند 15 إلى المعرفة بعلم القوافي . وأنا أشير إلى ما يرشد إلى ذلك مجملا بعون الله . فأقول : إنّ القوافي لا بدّ فيها من التزام شيء أو أشياء . وتلك الأشياء حروف وحركات وسكون . فقوافي الشعر يجب فيها ضرورة على كلّ حال إجراء المقطع وهو حرف الروي على الحركة أو السكون .

(1) انظر لذلك مثلاً 150 ، ف 5 .

3- **إضاءة** : والذي يجب اعتماده في مقاطع القوافي أن تكون حروف الروي في كل قافية من الشعر حرفا واحدا بعينه غير متسامح في إيراد ما يقاربه معه . وقد وقع ذلك لبعض من لا يحفل به من العرب ، الذين كانت بضاعتهم في الشعر مزجاة (1) . ومما يوجب الاختيار أيضا أن تكون حركات حروف الروي من نوع واحد لا يجمع بين رفع وخفض⁵ ولا غير ذلك . وقد وقع الجمع بين ذلك للفصحاء (2) على قبح .

4- **تنوير** : ومن ذلك أيضا وجوب التزام حروف العلة الواقعة سواكن بين أقرب متحرك يتلوه ساكن إلى الروي وبين حرف الروي . واختصاص الألف بأول محل من ذلك . وهو ما كان بينه وبين حرف الروي حرف . وتلك الألف المختصة بذلك الموضع تسمى تأسيسا .¹⁰ نحو : [الطويل - ق - المتدارك]

كليني لهم يا أميمة ناصب (3)

وقد وقع ما فيه الألف مع ما ليس فيه على قبح (4) . وأكثر ما وقع من هذا أيضا ما كان الحرف المتحرك الذي بين التأسيس والروي فيه مفتوحا

(1) هذا العيب يسمى الإكفاء ، ومنه ما أنشده أبو عبيدة لامرأة من خثعم .
ليث سماكيا يحبار ربيذه يقاد إلى أهل القضا بزمام
فيشرب منه جحوش ويشيمه يعني قفسي أغر يمانني
انظر المرزباني ، 19 - 20 .

(2) هذا العيب يسمى الاقواء ، وقع للنايفة ولدريد بن الصمة وحسان وأمثالهم .
انظر المرزباني ، 18 - 19 .

(3) البيت طالع قصيدة للنايفة يمدح بها عمرو بن الحرث ، وتماه :
وليز أقاله بطي . الكواكب . الديوان ، 9 .

(4) ويسمى هذا سنادا . ومنه قول المجاج :
يا دار سلمى يا سلمى ثم سلمى .
ثم قوله : بسم وعن يمين سم . انظر المرزباني ، 15 .

أو مضموما . وهما صيغتان غير عريقتين في الوضع التأسيسي ، إذ الوضع العريق في التأسيس أن يكون المتحرك بين التأسيس والروي مكسورا ، وأن يكون حرف التأسيس وحرف الروي من كلمة واحدة ، فإن كانا من كلمتين جاز أن يقع ما فيه صورة التأسيس مع ما ليس فيه تأسيس في قافية واحدة ، ولم يقبح ذلك . 5

5 - إضاءة : فأما المحل الأقرب إلى القافية من مظان وقوع الحروف التي تلتزم - وهو ما يلي حرف الروي - فتتعاقب فيه الياء مكسورا ما قبلها والواو مضموما ما قبلها ويتواردان / على قافية واحدة . وكذلك أيضا يتواردان مفتوحا ما قبلهما معا . هذا على الوجه المختار الذي عليه العمل . وقد جاء ضمّ ما قبل حرف العلة وفتحها معا ، وكذلك كسره وفتحها ، كل ذلك على قبح . ويسمى سنادا . 10

6 - تنوير : وقد يجيء أيضا مع الياء والواو المفتوح ما قبلهما ما ليس فيه ياء ولا واو على قبح أيضا . فأما إذا كانت الواو مضموما ما قبلها والياء مكسورا ما قبلها فلا يرد معهما ما ليس فيه حرف علة للطول الذي فيهما ، إذا كانت حركة ما قبل كليهما من جنسه . فيصير حكمهما حكم الألف في ذلك الموضع في كونها لا بدّ من إعادتها . ونخصّ الألف في ذلك أنها لا يجوز أن يدخل معها غيرها من حروف العلة . وتسمى الألف المتميزة عن غيرها في هذا الموضع والياء والواو المتواردتان معا أردافا . 15

7 - إضاءة : ويستحسن في القوافي المقيّدة أن تكون حركة ما قبل الروي إما فتحة ملتزمة وإما ضمة وكسرة متعاقبتين . وقد وردت الفتحة 20

معهما في مقبّلات شعراء الإسلام . فأما شعراء الجاهليّة فيقلّ ذلك في قوافي أشعارهم .

8 - تنوير : ويستحسن أيضا في ما كان من كافات الضمائر وتاءات التأنيث مقطع الشعر أن يلتزم قبلها حرف بعينه ، يلتزم فيه حركة بعينها . ويجوز أن لا يلتزم قبل ذلك حرف . فإن لم يلتزم كان الوجه أن تلتزم⁵ حركة بعينها ، لئلا ينضاف إلى كَوْن الروي ليس بمقطع كلمة وإنّما هو حرف زائد يعاد مع كلم مختلفة المقاطع أن يكون ما قبله متغيرا بأنواع الإعراب ، فتبعدُ مقاطع الأبيات بذلك عن التناسب ويقع فيها اختلاف .

ومما التزمت الحركة فيما قبله من ذلك قول الحسين ابن الضحاك :
[الطويل - ق - المتدارك]¹⁰

سقى الله بالقاطول مطرح طرفكا وخصّ بسقياه مناكب قصركا
ولا زالت الأقدارُ في كلّ حالة عُدّة لمن عاديت سلّما لسلّمكا(1)

وقد أجازوا وقوع التغاير بأنواع الحركات وما قبل هذه الحروف [104 - ب] الزوائد / المقفّى بها . ولعلّ ذلك قياس لا سماع ، وهو قبيح كيف ما كان .¹⁵

فأما هاءات الضمائر وهاءات التأنيث المسكّنة وهاءات السكت فلا يكون جميعها إلّا صلات لمجاري القوافي ، ومجرى القافية هي حركتها . وإذا كانت القافية مطلقة ولم توصل بشيء من هذه الحروف الروادف فإنّما.

(1) البيتان من قصيدة طويلة يمدح بها الشاعر الخليفة الواثق ، والبيت الثاني مفصول عن الأول بأبيات كثيرة ، وروايته بلفظ مسرح بدل مطرح ، ورواية البيت الثاني بلفظ لمن عاداك بدل عاديت . الأغاني ، (3) ، 7 ، 158 .

تكون صلاتها حروفاً مدّةً وليس من جنس حركة القافية ، وقد يكون إطلاق القافية بالتثوين .

9- إضاءة : وللقوافي من جهة ما يكون ترتيب الحركات والسكنات فيها صور خمسة ، وهي :

5 — 1 — أن يتوالى في القافية ساكنان من غير فصل بحركة ويسمى المترادف نحو : قال بتسكين اللام .

2 — وأن يتوالى فيها ساكنان مفصول بينهما بحركة ويسمى المتواتر نحو : أيها الطلل البالي .

3 — وأن يتوالى فيها حركتان نحو مترل ويسمى المتدارك .

10 — 4 — وأن يتوالى فيها ثلاث متحرّكات نحو السند ويسمى المتراكب

5 — وأن يتوالى فيها أربع حركات ولا يكون ذلك إلا في الرجز (1).

والقافية هي ما بين أقرب متحرّك يليه ساكن إلى منقطع القافية وبين منتهى مسموعات البيت المقفّى .

فهذه إشارة إلى بعض أحكام القوافي وما يجب في مقاطع الأبيات من جهة كونها قوافي :

10- تنوير : فأما ما يجب في القافية من جهة عناية النفس بما يقع فيها واشتهار ما تتضمنه مما يحسن أو يقبح فإنه يجب ألاّ يقع فيها

(1) يبدو في الكلام نقص ، وإن لم يشتمل الأصل هنا على بياض أو نحوه مما يدل عليه ، وهو أن يقال : (ويسمى المتكاوس نحو : زلت به إلى الحفيظ قدمه) .
انظر القرطاجني : رسالة القوافي ، مخط . 146 أ ، س 4 ؛ فان ذلك ، 117 .

إلا ما يكون له موقع من النفس بحسب الغرض ، وأن يتباعد بها عن المعاني المشنوءة والألفاظ الكريهة ولا سيما ما يقبح من جهة ما يتفاعل به . فإن ما يكره من ذلك إذا وقع في أثناء البيت جاء بعده ما يغطي عليه ويشغل النفس عن الالتفات إليه ؛ وإذا جاء ذلك في القافية جاء في أشهر موضع وأشدّه تلبّساً بعناية النفس وبقيت النفس متفرّغة لملاحظته والاشتغال به ولم يعقها عنه شاغل ، ومثل هذا قول الصاحب في عضد الدولة :
[الطويل - ق - المتدارك]

ضممت على أبناء تغليب تاءها

فتغليب ما كرّر الحديد أن تغلب (1)

[105 - أ] / فقال له عضد الدولة : « بقي الله ! » . 10

11 - إضاءة : فأمّا ما يجب فيها من جهة كونها مستقلة منفصلة عما بعدها أو متصلة به فلا يخلو الأمر في هذا من أن تكون الكلمة الواقعة في القافية غير مفتقرة إلى ما بعدها ولا مفتقرة ما بعدها إليها (2) ، أو يكون كلاهما مفتقرا إلى الآخر ، أو تكون هي مفتقرة إلى ما بعدها ولا يكون ما بعدها مفتقرا إليها ، أو يكون ما بعدها مفتقرا إليها ولا تكون هي مفتقرة إليه . 15

فالقسم الأول هو المستحسن على الإطلاق . والأقسام الثلاثة أشدّها قبحا مناقض القسم المستحسن . ويسمّى افتقار أوّل البيتين إلى الآخر تضمينا لأنّ تنمّة معناه في ضمن الآخر .

(1) راجع 150 ، تمع 2 .

(2) بالأصل إليه .

12 - تنوير : والتضمين يكثر فيه القبح أو يقلّ بحسب شدة الافتقار أو ضعفه . وأشدّ الافتقار افتقار بعض أجزاء الكلمة إلى بعض . وربّما صنع شعر قوافيه على هذا الوضع ليعمّي موضع القافية وهو قبيح جدا . ويتلوه في شدة الافتقار افتقار أحد جزئي الكلام المركّب المفيد إلى الآخر . وأمّا افتقار العمدة إلى تمة الفضلة والفضلة إلى الاستناد إلى العمدة فأقلّ قبحا من ذلك ، وإنّما يكون هذا حيث تقوم الدلالة على المراد بالإضمار . وافتقار المعطوف إلى ما يعطف عليه إذا كان المعطوف كلاما تامّا أخفّ من ذلك وأقلّ قبحا ، فإن كان المعطوف ناقصا كان أمر الإضمار أسهل .

10 13 - إضاعة : وإذا اجتمع الإضمار والعطف وكان المعطوف تامّا سهّل الأمر فيه من جهة العطف وصعب أمر الإضمار . فإن أظهر المضمر لم يعدّ ذلك تضمينا ولا افتقارا وإن كان الكلام عطفًا لأنّ الكلام يستقلّ بتقدير حذف الحرف العاطف ، وأيضا فقد يعطف على المقدّر فيقع الحرف العاطف صدرا .

15 14 - تنوير : ولكون إظهار المضمر بصير الكلام مستقلاً غير مفتقر إلى ما قبله قد يحتملون ما في التكرار من ثقل ، وذلك مثل قول الخنساء :

وإنّ صخرًا لو أليننا وسيّدنا وإنّ صخرًا إذا نشئو لنحسارُ
/ وإنّ صخرًا لتأتّم الهداةُ به كأنّه علمٌ في رأسه نارُ (1) [105 - ب]

(1) البيتان من قصيدة طالمها :

قضى بينك أم بالعين عوار أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

الدهوان ، 69 - 70 .

ولو قالت وإنه لتأتم الهداة به فأضمرت لكان البيت ناقصا مفتقرا .
فإنما أظهرت لفظ صخر ثانيا وثالثا تباعدا بالكلام عن الافتقار ، وقصدا
لتعديل أقطاره وحسن تفصيله وتقديره . وهذا يعرف مما تقدم . وربما
بسط عذر الشاعر في مثل هذا أيضا كونه يستعذب اسم محبوبه ويريد الإشادة
باسم ممدوحه فلا يستثقل ذلك . وهذان أمران لا يحسنان التكرار وإنما⁵
يسطان العذر فيه فقط .

و - معرف دال على طرق المعرفة بتأصيل القوافي وبناء ما قبلها عليها
وبنائها على ما قبلها .

لا يخلو الشاعر من أن يكون يبني أول البيت على القافية أو القافية على
أول البيت . وكلا صاحبي هذين المذهبين لا يخلو أن يكون ممن يعتمد أن¹⁰
يقابل بين المعاني وينظر بينها أو ممن لا يقابل بين شيء منها اعتمادا .

1 - إضاعة : فأما معتمد التقابل الذي صدور أبياته مبنية على
القوافي فإنه يتأتى له حسن النظم لكون الملاءمة بين أوائل البيوت وما
تقدمها - التي هي واجبة في النظم - متأنية له في أكثر الأمر ، إذ لكل
معنى معان تناظره وتتسب إليه على جهات من المماثلة والمناسبة والمخالفة¹⁵
والمضادة والمشابهة والمقاسمة . فإذا وضع المعنى في القافية أو ما يلي القافية
وحاول أن يقابله ويجعل بإزائه في الصدر معنى على واحد من هذه الأنحاء
لم يبعد عليه أن يجد في المعاني ما يكون له علة بمعنى القافية وانتساب إليه
من بعض هذه الجهات ، وعلة بما تقدم من معنى البيت الذي قبله ، أو بأن
يقدم على المعنى المقابل للمعنى القافية ما يكون له علة بما تقدم ، يبني نظمه²⁰
متلائما بهذا .

- 2- تنوير : وأما معتمد التقابل الذي قوافيه مبنية على الصدور فإنه يضع المعنى في أول البيت ثم ينظر / فيما يمكن أن يكون بنفسه قافية أو ما يمكن أن توصل به قافية مما يكون له زيادة لإفادة في المعنى ، فيقابل به المعنى الأول . لكن صاحب هذا المذهب وإن وسع على نفسه أولاً ، في كونه يختار ما يضعه في صدر بيته ويبنى عليه كلامه مما له علاقة بما تقدم ، فقد ضيق على نفسه بكونه لا يمكن أن يقابل المعنى المتقدم من المعاني المتناظرات إلا بما مقطع عبارته وصيغتها موافق للروي أو بما يمكن أن يوصل بما يصلح للروي بالصيغة والمقطع . والأول معوز جداً ، والثاني قريب منه في العوز . فكثيراً ما يتكلف هذا ويسامح نفسه في أخذ المنافر على أنه مخالف أو مناسب ، ونحو من هذا قول المتنبي :

[الخفيف- ق - المتواتر]

كَاثَرَتْ نَائِلَ الْأَمِيرِ مِنَ الْمَا لَ بِمَا نَوَّاتٌ مِنَ الْإِبْرَاقِ (1)

- 3- إضاءة : وقليلاً ما يذهب هذا المذهب من تنبه لحسن تقابل المعاني وتفظن إلى طريق الوضع فيها واعتمده ، أعني أن يبنى أعجاز البيوت على صدورها لأنه أصعب شيء بالنسبة إلى وضع التقابل ، كما أن الأمر في بناء صدور البيوت على أعجازها بالنسبة إلى وضع التقابل أسهل شيء لأن وجود مناظر أو صلة لمناظر ملتزم أن يكون مقطعه حرفاً معيناً في صيغة معينة أعز من وجود مناظر أو صلة له غير ملتزم أن يكون مقطعه حرفاً معيناً بل لا نسبة لأحدهما إلى الآخر في اليسر والعوز والكثرة والقلّة .

(1) البيت من قصيدة بدیعة يمدح بها أبا العشائر الحسن بن علي بن حمدان العدوي ، وطالعتها :
أتراها لكثرة للعشاق تعجب الدمع خلقة في المآقي
البرقوقي ، (1) ، 1 ، 498 .

- 4 - **تنوير** : وإنما يتفق هذا أعني بناء العجز على الصدر لمعتمدي التقابل في الشعر المروى إذا كملت لهم فصول القصائد وحاولوا أن يصلوا بعض الفصول التي لم يتفق أن توصل بدءا (1) ببعض ، فعند ذلك تتقارب هذه الأحوال في الصعوبة لأن القوافي قد انحصرت له وضائق عليه . فإذا بنى على القافية ووضع فيها معنى قد اضطره إليه كون عبارته موافقة للقافية ، وكونها لم تتقدم في قوافي القصيد ، فقد يكون ذلك المعنى بعيدا من جملة نهايات فصول القصيدة فضلا عن الموضع الذي اضطر فيه إليه . فلا يجد له [106 - ب] مناظرا ولا صلة يكون له أولها علقه بما تقدم / إلا على سبيل التكلف . فربما خالف في هذا الموضع عادته في البناء ، فبنى آخر الكلام على أوله ، فوضع المعنى المقابل للمعنى المتقدم قريبا من القافية ، ثم تطلب ما يصله به مما يصلح أن يكون قافية ، ويكون مع ذلك المعنى البيت الذي يلي تلك القافية ويأتي إثرها علقه بها أو بمقابلها أو بما وقع حشوا بينهما أو بمجموع ذلك ، فيبنى البيت حينئذ على غير ما عادته أن يبنيه عليه . وربما ترك ملاحظة التقابل في هذا الموضع بالجملة ونظر طريقا آخر يؤديه إلى القافية غير هذا الطريق .

15

- 5 - **إضاعة** : فأما من لا يقابل بين الكلام ومن شأنه أن يبنى صدور البيوت على أعجازها فإنه يتطلب للكلمة التي يريد وضعها قافية معنى يمكن أن يكون للكلام به علقه بما تقدم ، ثم يحتال في زنة العبارة ووضع أولها وضعاً يليق بما تقدمه ويناسبه .

- 6 - **تنوير** : ومن كان من شأنه أن يبنى أواخر الأبيات على أوائلها فإنه يتطلب معنى يناسب ما تقدم ويمكن في عبارته مع ذلك أن يتأتى في

20

(1) في الأصل بلا همزة .

ما يلائم تلك القافية منها أن تؤخر فتكون القافية . وكثيرا ما تتبع معاني من شأنه هذا ألفاظه في القوافي ، وذلك عيب .

7 - إضساءة : وقد تختلف حال من يبني أوائل الكلام على آخره

بحسب ما يعرض من أحوال الخاطر . فتارة يبني على القافية جميع البيت ، وتارة شطره أو أكثره ، ثم يسدّ الثلثة الباقية بما يناسب الكلام وما تقدمه . وكذلك من يبني آخر الكلام على أوله قد يعرض له نقيض هذه الحال فيبني الكلام من أوله إلى آخره إذا سنحت له القافية يسر ، أو يكمل بناء الشطر الأول أو أكثر من الشطر ، ثم يتم الباقي بما تيسر له فيه القافية .

10 8 - تنوير : فقد تبين أن الشعراء لهم مذهبان في بناء الشعر ، وأن كل مذهب له ثلاثة مأخذ .

فالمذهب المختار - وهو بناء البيت على القافية - يحسن فيه بناء البيت بأسره على القافية إذا لم يحتج فيه إلى مناسبة متقدّم ، أو إذا احتج وتيسر وجه المناسبة ، ويحسن أن يبني عليها من أول الشطر / الثاني أو ما يتصل به مما قبله حيث يكون البيت وُصلة بين فصلين أو طرفي فصل ، ثم يبني الشطر الأول بعد عدم صعوبة القافية على عبارة تليق بما تقدم عليها وتأخر عنها ، وذلك غير عزيز .

[107 - أ]

9 - إضساءة : فأما بناء أكثر البيت على القافية فيقع فيه التكلّف

كثيرا ، لأنه لا يخلو من أن يكون الطرف المتقدّم في المبني من المعنى مناسباً للبيت الذي قبله فيكون ما يقدم عليه لتكميل البيت فضلا لا يحتاج إليه ، وإن لم يكن مناسباً لما تقدم فبعيد أن تقع قبله لفظة أو لفظتان تنسب إليه وإلى ما تقدم انتسابا قويا ، فيقع التكلّف أيضا .

20

10 - تنوير : وأمّا المآخذ الثلاثة في المذهب الثاني فقلّ ما تخلو من التكلّف . وأشدّها إعرافاً في التكلّف ما بني أكثر البيت على أوّله ثمّ استؤنف بعد ذلك النظر في القافية .

11 - إضاءة : وقد يعرض للخواطر في حال جمامها نهزّ في نظم الكلام فينتظم البيت كلّهُ دفعة في غاية السهولة والبعد عن التكلّف .⁵ واتّفاق مثل هذا للمطبوعين كثير . ووجوه اجتلاب الخواطر للكلام وطروء عليها كثيرة . وإنّما ذكرت منها ما تيسر .

ز - معلم دالّ على طرق العلم بما يجب في المطالع والمقاطع على رأي من قال : هي أوائل البيوت وأواخرها .

10 فأما ما يجب في المطالع على رأي من يجعلها استهلالات القصائد فمن ذلك ما يرجع إلى جملة المصراع . وهو أن تكون العبارة فيه حسنة جزلة ، وأن يكون المعنى شريفاً تاماً ، وأن تكون الدلالة على المعنى واضحة ، وأن تكون الألفاظ الواقعة فيه لا سيّما الأولى والواقعة في مقطع المصراع مستحسنة غير كريهة من جهة مسموعها ومفهومها . فإنّ النفس تكون متطلّعة لما يستفتح / لها الكلام به . فهي تنبسط لاستقبالها الحسن أولاً ،¹⁵ [107 - ب] وتنقبض لاستقبالها القبيح أولاً أيضاً .

1 - إضاءة : ومن ذلك ما يرجع إلى الكلمة الواقعة في مقطع المصراع . ويجب أن تكون مختارة متمكّنة حسنة الدلالة على المعنى تابعة له . ويحسن أن يكون مقطعها مماثلاً لمقطع الكلمة التي في القافية ، وأن يكون ما بين أقرب ساكن منها إلى المقطع من الحركات عدداً ما بين أقرب ساكن من²⁰

كلمة القافية وبين نهايتها من الحركات أيضا ، وأن يكون ملتزما فيها من حركة المجرى أو التقييد أو التأسيس والردف والوصل بالضمائر وحروف الإطلاق وغير ذلك مما يلزم القوافي مثل ما التزم في كلمة القافية وسائر قوافي القصيدة التي ذلك المصراع أولها ، ليكون البيت بوجدان الشروط التي ذكرت مصرعا . 5

فإن للتصريح في أوائل القصائد طلاوة وموقعا من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها ، ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتي العروض والضرب وتماثل مقطعيها لا تحصل لها دون ذلك . وقد قال حبيب :

10 وتَقْنُقُوا إِلَى الْجَدْوَى بِجَدْوَى وَإِنَّمَا

يُبْرُوقُكَ بَيْتُ الشَّعْرِ حِينَ يُصْرَعُ (1)

2- تنوير : ويجب أن يلاحظ فيها جميع ما يجب أن يلاحظ في الكلمة الواقعة قافية على ما أذكره بعد (2) ، إن شاء الله .

15 ويكره أن يكون مقطع المصراع الأول على صيغة يوهم وضعها أنها مصراع ثم تأتي القافية على خلاف ذلك ، فيخلف ظن النفس في القافية لذلك . وقد سمعتي هذا تجميعا .

فهذه إشارة إلى ما يجب في اللفظة الواقعة في مقطع المصراع .

(1) البيت من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمدا بن يوسف الثغري طالعها :
أما إنه لولا الخليط المودع وربيع عفا منه مصيف وربيع

التبريزي ، ٢ ، 322 .

(2) انظر لذلك 285 ف . 6 .

3 - إضاءة : فأما ما يرجع إلى مفتتح المصراع فأن يكون دالا على غرض القصيدة ، وأن يكون مع ذلك عذب المسموع ، ولا يكون ذلك مما تردّد على ألسنة الشعراء في المطالع حتى أخلق وذهبت طلاوته كلفظة خليلي ، أو مما اختص به شاعر ولم يتعرض أحد لأخذه منه ، كقول امرئ القيس : « قفا نبك » .

5

4 - تنوير : ويستحسن أن يقدم في صدر المصراع ما يكون / لطيفا محرّكا بالنسبة إلى غرض الكلام كالمنجاة والتذكّر في النسيب وما جرى مجراهما ، وإن قرن ذلك بمعنى من المعاني التي هي أحوال تعترى الإنسان كالتعجب والتشكك نحو قول حبيب : [البسيط - ق - المتراكب]
يا بُعد غايه دمع العين إن بُعدوا (1)

10

وقول المتنبي .
[الخفيف - ق - المتواتر]
أترأها لكثرة العشاق
تحسب الدمع خيلقة في المآقي (2)
كان ذلك منزعا بديعا ومأخذا حسنا .

5 - إضاءة : ويجب أن يكون المصراع الثاني مناسبا للمصراع الأول في حسن عبارته وتامها وشرف معناه بالجملة ، ويكون مقطعه على ما ذكرته وأشارت إليه في مقطع المصراع الأول . فأما صدر المصراع الثاني فلا يشترط فيه كثير مما يشترط فيما جاء في صدر المصراع الأول ،

15

(1) تمام البيت : هي الصباة طول الدهر والسهد . والشاهد طالع قصيدة في مدح محمد ابن يوسف الطائي . الديوان ، (1) ، 49 .
(2) انظر 279 ، تسع 1 .

وإنما حكم صدر المصراع الثاني حكم الألفاظ الواقعة حشوا . وأعني بالحشو هنا ما ليس بمبدأ ولا نهاية قد تميّز كلاهما بأحكام تخصّه .
فهذا إلماع بما يجب في المطالع على الرأي الأوّل .

6- تنوير : فأمّا ما يجب في المقاطع على ذلك الاعتبار وهي أواخر القصائد فإن يُتحرّى أن يكون ما وقع فيها من الكلام كأحسن ما اندرج في حشو القصيدة ، وأن يتحرّز فيها من قطع الكلام على لفظ كرية أو معنى منفّرٍ للنفس عمّا قصّدت إمالتها إليه أو مُميلٍ لها إلى ما قصّدت تنفّرها عنه . وكذلك يتحفّظ في أوّل البيت الواقع مقطعا للقصيدة من كلّ ما يكره ولو ظاهره وما توهمه دلالة العبارة أو لا وإن رفعت الإيهام آخرها ودلت على معنى حسن ، ومن هذا قول المتنبي : [البسيط - ق - المتراكب]
فلا بَلَغْتَ بها إلّا إلى ظَفَرٍ ولا وَصَلْتَ بِهَا إلّا إلى أَمَلٍ (1)
وإنما وجب الاعتناء بهذا الموضع لأنّه منقطع الكلام وخاتمه . فالإساءة فيه مُعْنِية على كثير من تأثير الإحسان المتقدّم عليه في النفس . ولا شيء أقبح من كدّر بعد صفو وترميد بعد إنضاج .

15 فهذا ما يجب في المطالع / والمقاطع بهذا الاعتبار على المذهب المختار . [108 - ب]

7- إضاعة : ومن الشعراء من يأخذ في النقيض من هذا فلا يعتني بالمبدأ ولا المقطع . فيختم كيفما اتفق ويبدأ كيفما تيسّر له . ويعتمد هذا

(1) يروى البيت :

فلا هجمت بها إلّا على ظفر ولا وصلت بها إلّا إلى أمل
وهو من قصيدة طالعها :

أعلى المالك ما يبني على الأسفل والطعن عند محيبن كالقبيل

وبهذه الرواية التي نشير إليها في البيت ورد البيت في نسخ الديوان . الكبير ، (1) ، 47 ، 2 البرقوقى (1) ، 2 ، 43 ، الديوان ، 181 .

مَنْ يريد إعفاء خاطره ، أو من يريد أن يظهر أنه لم يعتمد الروية والتنقيح في كلامه وإنما أخذ الكلام أخذاً اقتضاباً على الصورة التي عن له فيها أولاً . فلا يحفل بعدم التصريح ولا يبالي بوقوع خرم في صدر البيت إن وقع له ، ليُوهم بذلك أنه أعفى قريحته وأن في قوته أن يقول أحسن ممّا قال .

5

8- تنوير : فأما ما يجب في المطالع والمقاطع على رأي من يقول إنها أول الأبيات وأواخرها فإن مطالع الأبيات يجب أن تكون سالمة من الخرم ، غير مفتقرة إلى ما قبلها افتقاراً يجعلها غير مستقلة بأنفسها أو في قوة المستقلة . وأما ما يستحب فيما كان منها رأس فصل أو خاتمة فإنني أذكره بعد - إن شاء الله - في الكلام في تأسيس الفصول وترتيبها .

10

ومحاشاة مطالع الأبيات من كل ما يكره من جهتي المسموعات والمفهومات مستحبة لأنها أول ما يقرع السمع . فهي رائد ما بعدها إلى القلب . فإذا قبلتها النفس تحرّكت لقبول ما بعدها ، وإن لم تقبلها كانت خليقة أن تنقبض عما بعدها . وعلى نحو ما يشترط فيها من جهة المسموع يشترط فيها من جهة المفهوم . فإن النفس تكون مترقبة لما يرد عليها في استئناف كل فيقبضها ما تستقبله من كراهة المسموع أو المفهوم أولاً عن كثير من نشاطها بما يرد بعد . ويحسن ألاّ تكرر الألفاظ الواقعة في المطالع على قرب ما أمكنت المندوحة عن ذلك .

15

وأما ما يجب في المقاطع التي هي أواخر الأبيات فقد ألعنا من الكلام في ذلك بلمحة دالة وقدّنا ذروا من القول فيه ، فليتصفح هنالك ، وبالله التوفيق .

20

/ - المنهج الثالث في الإبانة عما يجب في تقدير الفصول وترتيبها
[109 - أ] ووصل بعضها ببعض وتحسين هيأتها ، وما تعتبر به أحوال النظم في
جميع ذلك من حيث يكون ملائما للنفوس أو منافرا لها .

أ - معلم دالّ على طرق العلم بأحكام مباني الفصول وتحسين هيئاتها
5 ووصل بعضها ببعض .

اعلم أنّ الأبيات بالنسبة إلى الشعر المنظوم نظائر الحروف المقطعة من
الكلام المؤلف ، والفصول المؤلفة من الأبيات نظائر الكلم المؤلفة من
الحروف ، والقصائد المؤلفة من الفصول نظائر العبارات المؤلفة من
الألفاظ . فكما أنّ الحروف إذا حسنت حسنت الفصول المؤلفة منها إذا
رتبت على ما يجب ووُضع بعضها من بعض على ما ينبغي كما أنّ ذلك في
الكلم المفردة كذلك . وكذلك يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان
كما يحسن ائتلاف الكلام من الألفاظ الحسان إذا كان تأليفها منها على
ما يجب . وكما أنّ الكلم لها اعتباران : اعتبار راجع إلى مادتها وذاتها ،
واعتمادا بالنسبة إلى المعنى الذي تدلّ عليه ، كذلك الفصول تعتبر في أنفسها
وما يتعلق بهيأتها ووضعها ، وتعتبر بحسب الجهات التي تضمنت الفصول
15 الأوصاف المتعلقة بها .

وقد تقدّم (1) التعريف بالجهات وأنحائها . وأنّا أخصّ هذا المعلم
بالقول فيما يجب اعتماده في الفصول من جهة ما يرجع إلى موادّها ، وإلى

هيأتها في أنفسها وما يجب في وضعها وترتيب بعضها من بعض . وأفرد
[109 - ب] للكلام في ما يتعلق بذلك من جهة اشتغالها على أوصاف / الجهات وعلى
الأقاويل المخيلة والمقنعة معرّفاً أقفوه به هذا المعلم .

1 - إضاعة : والكلام في ما يرجع إلى ذوات الفصول وإلى ما يجب

في وضعها وترتيب بعضه من بعض يشتمل على أربعة قوانين .

القانون الأول : في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها .

القانون الثاني : في ترتيب الفصول والمواالات بين بعضها وبعض .

القانون الثالث : في ترتيب ما يقع في الفصول .

القانون الرابع : في ما يجب أن يقدم في الفصول وما يجب أن يؤخر

فيها وتختتم به .

2 - تنوير : فأما القانون الأول في استجادة مواد الفصول وانتقاء

جوهرها ، فيجب أن تكون متناسبة المسموعات والمفهومات حسنة الاطراد

غير متخاذلة النسيج غير متميّز بعضها عن بعض التمييز الذي يجعل كل

بيت كأنه منحاز بنفسه لا يشمله وغيره من الأبيات بنية لفظية أو معنوية

يتنزل بها منه منزلة الصدر من العجز أو العجز من الصدر . والقصائد التي

نسجها على هذا مما تستطاب . وينبغي أن يكون نمط نظم الفصل مناسباً للغرض .

فتعتمد فيه الجزالة في الفخر مثلاً والعذوبة في النسيب ، وأن تكون الفصول

معتدلة المقادير بين الطول والقصر . وتقصيرُ الفصول سائغ في المقطعات

والمقاصد التي يذهب بها مذهب الرشاقة ، وتطويلُها مستثقل في ذلك . فأما

القصائد المطولة والمقاصد التي يذهب بها مذهب التهويل والتفخيم فإن

تطويل الفصول سائغ فيها ومحتمل لموافقة مقصد الكلام وكون القصيدة

فيها رحباً لذلك وسعة .

3- **إضاءة** : فأما القانون الثاني وهو ترتيب بعض الفصول إلى بعض ، فيجب أن يقدم من الفصول ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام . ويكون مع ذلك متأنياً فيه حسن العبارة اللائقة بالمبدأ . ويتلوه الأهم فالأهم إلى أن تتصور التفاتة ونسبة بين فصلين تدعو إلى تقديم غير الأهم على الأهم . فهناك يترك القانون الأصلي في الترتيب.

4- / **تنوير** : وتقديم الفصول القصار على الطوال أحسن من أن يكون الأمر بالعكس .

5- **إضاءة** : فأما القانون الثالث في تأليف بعض بيوت الفصل إلى بعض فيجب أن يبدأ منها بالمعنى المناسب لما قبله ، وإن تأتى مع هذا أن يكون ذلك المعنى هو عمدة معاني الفصل والذي له نصاب الشرف كان أبهى لورود الفصل على النفس ، على أن كثيراً من الشعراء يؤخرون المعنى الأشرف ليكون خاتمة الفصل . فأما من يردف الأقوال الشعرية بالخطابية فإن الأحسن له أن يفتتح الفصل بأشرف معاني المحاكاة ويختتمه بأشرف معاني الإقناع . وإلى هذا كان يذهب أبو الطيب المتنبي - رحمه الله - في كثير من كلامه .

6- **تنوير** : ويحسن أن يصاغ رأس الفصل صيغة تدل على أنه مبدأ فصل ، وإن تمكن مع هذا أن يناط به معنى يحسن موقعه من النفوس بالنسبة إلى الغرض كالتعجب والتمني والدعاء وتعدد العهود السوالف وما أشبه ذلك فهو أحسن .

7- **إضاءة** : ويشترط في المذهب المختار أن يكون لمعنى البيت مع كون أوله مبدأ كلام ومصدراً بكلمة لها معنى ابتدائي أن يكون لمعنى البيت علاقة بما قبله ونسبة إليه .

8- **تنوير** : ويجب أن يردف البيت الأوّل من الفصل بما يكون لائقاً به من باقي معاني الفصل مثل أن يكون مقابلاً له على جهة من جهات التقابل أو بعضه مقابلاً لبعضه ، أو (1) يكون مقتضى له مثل أن يكون مسبباً عنه ، أو تفسيراً له ، أو محاكى بعض ما فيه ببعض ما في الآخر ، أو غير ذلك من الوجوه التي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر . وكذلك الحكم في ما يتلى به الثاني والثالث إلى آخر الفصل .

9- **إضاعة** : وربما ختم الفصل بطرف من أغراض الفصل الذي يليه أو إشارة إلى بعض معانيه .

10- **تنوير** : فأمّا القانون الرابع في وصل بعض الفصول ببعض فالتأليف في ذلك على أربعة أضرب :

1 - ضرب متصل العبارة والغرض .

2 - وضرب متصل العبارة دون الغرض .

3 - وضرب متصل الغرض دون العبارة .

4 - وضرب منفصل الغرض والعبارة .

11 - / **إضاعة** : فأمّا المتصل العبارة والغرض فهو الذي يكون [110 - ب]

فيه لآخر الفصل بأوّل الفصل الذي يتلوّه علقه من جهة الغرض وارتباط من جهة العبارة ، بأن يكون بعض الألفاظ التي في أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التي في الآخر من جهة الإسناد والربط .

(1) بالأصل أن يكون بدون أو .

12 - **تنوير** : وأمّا المتّصل الغرض المنفصلُ العبارةُ فهو الذي يكون أوّل الفصل فيه رأس كلام ، ويكون لذلك الكلام علقّة بما قبله من جهة المعنى .

وهذا الضرب إذا نيط برأس الفصل فيه معنى تعجيبى أو دعائى أو غير ذلك ممّا أشرنا إليه هو أفضل الضروب الأربعة ، لكون النفوس تنبسط ويتجدّد نشاطها بإشعارها الخروج من شيء إلى شيء واستئناف كلام جديد لها مع ما يشفع به إليها في قبول الكلام من نيابة ما ذكرناه من تعجيب أو دعاء أو غير ذلك ممّا له بالمعنى علقّة بالكلام وتصديره به . وهذا الضرب على كلّ حال أفضل الضروب الأربعة . وقد يقرن الحرف الرابط بهذا النحو فلا يغضّ من طلاوته ولا ينقص ممّا تجده النفس من حلاوته .

13 - **إضاءة** : فأما الضرب الثالث وهو ما كان منفصل الغرض متّصل العبارة فإنّه منحطٌ عن الضربين اللذين قبله .

14 - **تنوير** : فأما الضرب الرابع وهو الذي لا توصل فيه عبارة بعبارة ولا غرض بغرض مناسبٍ له ، بل يهجم على الفصل هجوما من غير إشعار به ممّا قبله ولا مناسبة بين أحدهما والآخر ، فإنّ النظم الذي بهذه الصفة متشتت من كلّ وجه . وإنّما تسامح بعض المجيدين في مثل هذا عند الخروج من نسيب إلى مديح . وربّما فعلوا ذلك عند خروجهم منه إلى الذم .

وهذا القدر من الإشارة إلى ما يجب في الفصول ، وإن كان قولاً إجمالياً ، مقنع لمن له فكر متصرّف يستدلّ به بما ذكر على ما لم يذكر .

[111 - أ]

ب - معرف دالّ على طرق المعرفة بما يجب / اعتماده في الفصول من جهة اشتمالها على أوصاف الجهات التي هي مسانح أقناص المعاني ومعاودة التخيل فيهما بالإقناع على الوضع الذي يليق بذلك ويحسن به موقعه من النفوس .

- 5 إنّ من الشعراء من يقصد المبالغة في تكثير الأوصاف المتعلقة بالجهة التي القول فيها : فيستقصي من ذلك ما كانت له حقيقة ، وربّما تجاوز ذلك إلى أن يخيّل أوصافا يوهّم أنّ لها حقيقة في تلك الجهة من غير أن يكون كذلك في الحقيقة بل على أنحاء من المجاز والتمويه ليبالغ بذلك في تمثيلها للنفس على أحسن أو أقبح ما يمكن بحسب غرض الكلام من حمد أو ذمّ . ويكون في ذلك بمنزلة من يقصد في المحاكاة والاقتصاصات 10 الكلام التي تعطي المبالغة في الوصف : ومنهم من يقصر في أوصاف الجهات على الحقيقة وما قاربها : كما أنّ فيهم من لا يدلّ بألفاظه إلّا على الحقيقة أو ما قاربها : ومنهم من يتوخّى تضمين الفصل لحقيقة ما في الجهة ، كما فيهم من يتوخّى مطابقة اللفظ لحقيقة ما يدلّ عليه .

- 1 - إضاءة : وكما أنّ في الشعراء من يستوعب أركان المعاني كذلك 15 فيهم من يستقصي الأوصاف التي بها يكمل اتّساق الفصول . وكما أنّ فيهم من يكتفي باستيفاء المقدار الذي منه يلتئم المعنى الذي رتبته في أوّل درجة من الاستقلال وترك ما وراء حدّ الاستقلال ممّا هو كالتميم والتبيين كذلك فيهم من يأخذ من أوصاف الجهة ما يكون فيه إقناع وكفاية فلا يضمّن الفصل أكثر من هذا المقدار .

20

- 2 - تنوير : وكما أنّ فيهم من يخلّ بالمعاني ويترك كثيرا من أركانها ، وربّما أدخل ما ليس منها ، كذلك فيهم من يتخطّى أوصاف

الجهة اللاتفة بمقصده ويذكر من ذلك ما تيسر له - أكيدا كان ذلك بالنسبة إلى غرضه أو غير أكيد - فيكون قد أخلّ بالفصول بالنظر إلى الجهات ، وربما أقحم فيها ما لا يصلح بها .

3- إضاءة : وكما أن في الشعراء من يجعل أكثر معانيه وألفاظه [111 - ب]

5 مخيلة ولا يعرج على الإقناع الخطابي إلا في قليل من / المواضع . وفيهم من يقصد الإقناع في كثير من معانيه - لأن صناعة الشعر تستعمل يسيرا من الأقوال الخطابية كما أن الخطابة تستعمل يسيرا من الأقوال الشعرية لتعتضد المحاكاة في هذه بالإقناع والإقناع في تلك بالمحاكاة . وإنما يعاب الشاعر إذا كان أكثر أقاويله أو ما قارب مساواة الباقي بزيادة قليلة أو نقص خطابية ، والخطيب إذا كانت أقاويله أو ما قارب المساواة بزيادة قليلة أو نقص شعرية . فأمّا إذا استعملت إحداهما الأقل من الأخرى فإن ذلك يحسن لا اعتضاد إحداهما بالأخرى وإراحة النفس وجمومها لتجدد الأقاويل الشعرية بعد الخطابية والخطابية بعد الشعرية عليها وإجمامها بالواحد لتلقى الآخر . - فكذلك في الشعراء أيضا من يجعل أكثر أبياته وما تتضمنه الفصول بالجملة مخيلة ولا يستعمل الإقناع إلا في القليل منها . ومنهم من 15 يستعمل الإقناع في كثير من الأبيات التي تتضمنها فصول القصيدة .

وقد كان أبو الطيب يعتمد هذا كثيرا ويحسن وضع البيت الإقناعي من الأبيات المخيلة لأنه كان يصدر الفصول بالأبيات المخيلة ثم يختتمها بيت إقناعي يعضد به ما قدّم من التخيل ويجمّ النفوس لاستقبال الأبيات 20 المخيلة في الفصل التالي . فكان لكلامه أحسن موقع في النفوس بذلك . ويجب أن يعتمد مذهب أبي الطيب في ذلك ، فإنه حسن .

4- تنوير : والذي يجب أن يعتمد من له قوة يتسنّم بها أية شاء من رتب الشعراء في إعطاء الفصول حقها أو فوق حقها أو دون حقها في

ما هو فيها بالنظر إلى الجهات بإزاء المبالغة والاستيعاب في العبارات بالنظر إلى المعاني ، هو الاختصار في ما كانت موصوفاته في أعلى رتبة من الحسن أو القبح على الحقيقة أو ما قاربها مما هو غير مستحيل . هذا إذا قصد تحسين الحسن وتقييح القبيح .

- وما كان في أدنى رتبة منها وقصد تحسينه أو تقيحه على ذلك النحو 5
[112 - أ] فرائع / للشاعر أن يلحقه بذئ الرتبة العليا ويصفه بمثل ذلك من الأوصاف التي لا يستحيل تصورهما وإن كانت ممتنعة . والمستحسن أن يكون ذلك من الأمور الممكنة .

- وإنما ساغ في الشعر وقوع الكذب في الممكنات ولم يسغ في المستحيلات لأن الأمر إذا كان ممكنا سكنت إليه النفس وجاز تمويهه 10 عليها ، والمحال تنفر عنه النفس ولا تقبله البتة ، فكان مناقضا لغرض الشعر إذ المقصود بالشعر الاحتيال في تحريك النفس لمقتضى الكلام بإيقاعه منها بمحلّ القبول بما فيه من حسن المحاكاة والهيئة بل ومن الصدق والشهرة في كثير من المواضع .

- 5 - إضـاءة : وأما الاستقصاء فإنه مستحسن في الجهات التي معانيها 15 مع شرفها قليلة .

- فأما الجهات التي تكثر معانيها وليست كلّها بشريفة بالنسبة إلى المقصد فإنما يسوغ استقصاؤها في القصائد الطوال كقصائد ابن الرومي . فأما في القصائد القصار والمتوسطة فلا يحسن إلا التخطي إلى الأشرف 20 فالأشرف منها كما وجب التخطي أيضا في المعاني المتناظرات إذا كثرت على ما قدّمته . لكن ذلك قد يستساغ في القصائد الطوال ، ولكل مقام مقال .

6 - **تسويم** : وقد يكون الفصل مشتملا على معاني جهتين أو أكثر ، ويكون تعليق الأوصاف الواقعة في بعضها ببعض على سبيل محاكاة أو التفات أو غير ذلك . وما جاء غير متكلف من هذا القبيل فهو حسن .

- 7 - **إضاءة** : ومن القصائد ما يكون اعتماد الشاعر في فصولها على أن يضمنها معاني جزئية تكون مفهوماتها شخصية ، ومنها ما يقصد في فصولها أن تضمّن المعاني الكلية التي مفهوماتها جنسية أو نوعية ، ومنها ما يقصد في فصولها أن تكون المعاني المضمنة أياها مؤتلفة بين الجزئية والكلية . وهذا هو المذهب الذي يجب اعتماده لحسن موقع الكلام به من النفس . وأحسن ما يكون عليه هيئة الكلام في ذلك أن تصدر الفصول بالمعاني الجزئية وتردّف بالمعاني / الكلية على جهة تمثّل بأمر عام على أمر خاص أو استدلال على [112 - ب] الشيء بما هو أعمّ منه أو نحو ذلك . فكثيرا ما يقع بوضع معاني الفصول على هذه الصفة تعجيب للنفس وانقياد إلى مقتضى الكلام ، لكون المعاني الكلية مظنة لوقوع الاقتداء والائتساء بها للسامع أو عدمها حيث يقصد التأنيس بوجودهما أو التنفير من فقدان ذلك ، ولوقوع المراوحة التي قدّمتنا أن فيها استجماما للنفس . 15

وللكلام في هذا طول لا يحتمله هذا الموضع ، إذ قصدنا اقتضاب ما تيسر من هذه القوانين الكلية واعتماد ما معرفته أكيدة في هذه الصناعة من ذلك ، فلذلك اكتفينا من القول في ما قصدنا الإبانة عنه بهذه الإضاءة بهذه اللمحة الدالة .

- ج - مأمّ من مذاهب البلاغة المستبانة بهذا المنهج وهو مذهب التسويم . 20

إنّ الحذاق من الشعراء - المهتمدين بطباعهم المسدّدة إلى ضروب الهيئات التي يحسن بها موقع الكلام من النفس من جهة لفظ أو معنى أو نظم أو

أسلوب — لما وجدوا النفوس تسأم التماذي على حال واحدة وتؤثر الانتقال من حال إلى حال ، ووجدوها تستريح إلى استئناف الأمر بعد الأمر واستجداد الشيء بعد الشيء ، ووجدوها تنفر من الشيء الذي لم يتناه في الكثرة إذا أخذ مأخذا واحدا ساذجا ولم يتحيل فيما يستجد نشاط النفس لقبوله بتنويعه والافتتان في أنحاء الاعتماد به ، وتسكن إلى الشيء 5 وإن كان متناهما في الكثرة إذا أخذ من شتى مأخذه التي من شأنها أن يخرج الكلام بها في معاريض مختلفة واحتيل في ما يستجد نشاط النفس لقبوله من تنويعه والافتتان في أنحاء الاعتماد به اعتمدوا (1) في / القصائد أن يقسموا الكلام فيها إلى فصول يُنحى بكل فصل منها منحى من المقاصد ليكون للنفس في قسمة الكلام إلى تلك الفصول والميل بالأقويل 10 فيها إلى جهات شتى من المقاصد وأنحاء شتى من المآخذ استراحة واستجداد نشاط بانتقالها من بعض الفصول إلى بعض وتراخي الكلام بها إلى أنحاء مختلفة من المقاصد — فالراحة حاصلة بها لافتتان الكلام في شتى مذاهبه المعنوية وضروب مبانيه النظامية — واعتنوا (2) باستفتاحات الفصول وجهدوا في أن يهيئوها بهيئات تحسن بها مواقعها من النفوس وتوقظ 15 نشاطها لتلقي ما يتبعها ويتصل بها ، وصدروها بالأقويل الدالة على الهيئات التي من شأن النفوس أن تنهيا بها عند الانفعالات والتأثرات لأمر سارة أو فاجعة أو شاجية أو معجبة بحسب ما يليق بغرض الكلام من ذلك ، وقصدوا أن تكون تلك الأقويل مبادئ كلام من جهة ما نُحى بها من أنحاء الوضع أو محكوما لها بحكم المبادئ وإن وصلها بما قبلها وأصل لكونها مستقلة 20 بأنفسها من جهة الوضع الذي يخصها، فيكون استئناف الكلام على ذلك النحو وصوغه على تلك الهيئات مجددا لنشاط النفس ومحسنا لموقع الكلام منها .

(1) خبر إن في أول المام .
(2) معطوف على الخبر الأول .

1- إضاءة : ولما كان اعتماد ذلك في رؤوس الفصول ووجوهها
أعلاما عليها وإعلاما بمغزى الشاعر فيها ، وكان لفواتح الفصول بذلك بهاء
وشهرة وازديان حتى كأنّها بذلك ذوات غرر رأيت أن أسمّي ذلك
بالتسويم وهو أن يعلم على الشيء وتجعل له سيمى يتميّر بها . وقد كثر
5 استعمال ذلك في الوجوه والغرر ، كما قال ابن الرومي :
[الطويل - ق - المتدارك]

سَمًا سَمَوَةٌ نَحْوَ السَّمَاءِ بَغُورَةٌ
مَسْوَمَةٌ قَدِّمًا بِسِيمَى سُجُودِهَا (1)

فلذلك كان هذا اللقب لائقا بما وضع عليه . وأيضا فإننا سمينا تحلية
10 أعقاب الفصول بالأبيات الحكميّة والاستدلاليّة بالتحجيل ليكون / اقتران [113 - ب]
صنعة رأس الفصل وصنعة عجزه نحو من اقتران الغرّة بالتحجيل في الفرس.

2- تنوير : فإذا اطرّد للشاعر أن تكون فواتح فصوله على هذه
الصفة واستوسق له الإبداع في وضع مبادئها على أحسن ما يمكن من ذلك
صارت القصيدة كأنّها عقد مفصل ، وتألّفت لها بذلك غرر وأوضح وكان
15 اعتماد ذلك فيها أدعى إلى ولوع النفس بها وارتسامها في الخواطر لامتيّاز
كلّ فصل منها بصورة تخصّه .

3- إضاءة : وإذا اتّجه أن يكون الانتقال من بعض صدور الفصول
إلى بعض على النحو الذي يوجد التابع فيه مؤكّدا للمعنى المتبوع ومنتسبا إليه
من جهة ما يجتمعان في غرض ومحركا للنفس إلى النحو الذي حرّكها الأوّل

(1) البيت من فرائد المذاهج .

أو إلى ما يناسب ذلك ، كان ذلك أشدّ تأثيراً في النفوس وأعون على ما يراد من تحسين موقع الكلام منها .

4 - تنوير : وممّن كان يحسن الاطراد في تسويم رؤوس الفصول على النحو الذي ذكرته أبو الطيب المتنبّي ، وذلك نحو قوله :

5 [الطويل - ق - المتدارك]

أَغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ ، وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ ، وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ
فضمّن هذا البيت من الفصل الأوّل تعجيباً من الهجر الذي لا يعاقبه وصل ، ثمّ أكّد التعجيب في البيت الثاني الذي هو تنمّة الفصل الأوّل ، ثمّ ذكر من لجاج الأيتام في بُعد الأحباء وقرب الأعداء ، وكان ذلك 10 مناسباً لما ذكر في الهجر .

5 - إضساءة : ثمّ افتتح الفصل الثاني بالتعجّب من وشكّ بينه وسرعة سيره فقال :

وَلِلَّهِ سَيْرِي مَا أَقْلَ تَنْبِيَّةٌ عَشِيَّةٌ شَرْقِيَّ الْحَدَّ إِلَى وَغْرَبُ
فكان هذا الاستفتاح مناسباً للبيتين المتقدمين من جهة التعجّب وذكر 15 الرحيل ، ثمّ بيّن حاله وحال من ودّعه عند الوداع .

6 - تنوير : ثمّ استفتح الفصل الثالث بتذكّر العهد السارة وتعيدها / فقال :

[114 - أ]

وَكَمْ لِيْظْلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ
تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانُويَّةَ تَكْذِبُ 20
فكان هذا مناسباً لمفتتح الفصل الثاني في أنّه تذكّر فيه موطن البين فتلا

ذلك بتذكّر موطن الوصل والقرب في صدر هذا الفصل الثالث ، ثمّ تمّ هذا الفصل بذكر ما اقترن بذلك الوصل من محاذرة الرقة .

7 - إضاءة : ثمّ استفتح الفصل الرابع بتذكّر الحال التي حاذر

فيها الرقة عند رحيله عن سيف الدولة ، فشبه اليوم الذي كان فيه ذلك بليل العاشقين في [الطول] (1) وفي أنهم يحذرون فيه الرقة فقال :

ويوم كليل العاشقين كمنته أراقب فيه الشمس أياّن تغرب
ثم اطرّد كلامه في هذا الفصل في وصف الفرس وانتقل فيه من معان جزئية إلى معان كلية يمكن معها أن يعتقد في الكلام أنه فصل واحد، وأن يعتقد أنه فصلان ويكون رأس الفصل الثاني قوله :

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يجرب 10

8 - تنوير : ثمّ استفتح الفصل الخامس أو السادس على الاعتبار الثاني بدم الدنيا وما تؤول إليه أحوالها وتعقب به صروفها من مثل ما قدّم من ذكر الفراق والبعاد والهجر ومكابدة الأعداء ، وتوجّع مما يصيب كلّ بعيد الهمّ فيها فقال :

لحي الله ذي الدنيا مناخا لراكب فكل بعيد الهمّ فيها معذب (2) 15

فاطرّد له الكلام في جميع ذلك أحسن اطراد ، وانتقل في جميع ذلك من الشيء إلى ما يناسبه وإلى ما هو منه بسبب ويجمعه وإياه غرض . فكان الكلام بذلك مرتباً أحسن ترتيب ومفصلاً أحسن تفصيل وموضوعاً بعضه من بعض أحكم وضع .

(1) بالاصل بياض مقدار كلمة .

(2) هذا البيت وما قبله من الايات الباقية التي أولها : أغالب فيك الشوق والشوق أغلب ، من قصيدة المتنبي يمدح بها كافورا . البرقوقى ، (1) ، 1 ، 123 - 124 .

فعلى هذا النحو يجب أن تكون المآخذ في استفتاحات الفصول ووضع بعضها من بعض . وهذا الفن من الصناعة ركن عظيم من أركان الصناعة [١١٤ - ب] النظامية لا يسمو إليه إلا من قويت / مادته وفاق طبعه . وقد أرشدنا إلى السبيل المؤدية إلى حسن التصرف في ذلك . فمن اتهم بما رسمته في ذلك لم يضل إن شاء الله .

5

د - مأم من المذاهب المستشرقة مما تقدم أيضا ، وهو مذهب التحجيل .

وإذا ذيلت أو آخرُ الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية واتضحَت شَيَات المعاني التي بهذه الصفة على أعقابها . فكان لها ذلك بمنزلة التحجيل . زادت الفصول بذلك بهاء وحسنا ووقعت من النفوس أحسن موقع .

10

١ - إضاعة : ولا يخلو المعنى الذي يقصد تحلية الفصل به وتحجيلة من أن يكون متراميا إلى ما ترامت إليه جملة معاني الفصل إن كان مغزاها واحدا أو يكون متراميا إلى ما ترامى إليه بعضها . فيورد على جهة الاستدلال على ما قبله أو على جهة التمثيل . ويكون منحوا به منحى التصديق أو الإقناع ، مقصودا به إعطاء حكم كلي في بعض ما تكون عليه مجاري 15 الأمور التي للأغراض الإنسانية علة بها مما انصرفت إليه مقاصد الفصل ونحي بها نحوه . فيكون في ورود البيت الأخير الذي يتضمن حكما أو استدلالا على حكم ، إثر المعاني التي لأجلها بيّن ذلك الحكم أو الاستدلال عليه . إنجاد للمعاني الأول وإعانة لها على ما يراد من تأثر النفوس لمقتضاها . فكان ذلك من أحسن ما يعتمد في الفصول وأزينه لها .

20

2- **تنوير** : وهذا الفن من صناعة النظم شريف جدا . وينبغي أن يكون اللفظ والتركيب فيه سهلا جزلا . وأن تورد القافية فيه متمكنة . وإن كانت مراعاة هذه الأشياء واجبة في غير ذلك من أبيات الشعر فإنها في هذه الأبيات / التي تجعل اختتامات للفصول ونصولا على عواملها أوجب . [115 - أ]

5 3- **إضساءة** : ومتمن سبق إلى وضع هذه المعاني المذهوب بها مذهب الحكمة والتمثل في نهايات الفصول ومقاطع القول فيها وسبك القول فيها أحسن سبك زهير ، نحو ما تمثل به في آخر مذهبه :
[الطويل - ق - المتدارك]

أمين* أم* أوفى دمنة لم نكلّم (1)

10 ونحو ما ختم به آخر فصل من قصيدته اللامية . وذلك قوله :
[الطويل - ق - المتواتر]

فما يك من خير أتوه فلما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل (2)
ثم جاء أبو الطيب المتنبي في المولدين فولع بهذا الفن من الصنعة وأخذ
15 خاطره به حتى برز في ذلك وجلّى وصار كلامه في ذلك منتما إلى الطراز الأعلى .

4- **تنوير** : وينبغي ألا يسرف في الاستكثار من هذا الفن من الصنعة ، فإنه مؤد إلى التكلّف وسامة النفس . ولكن يلمع بذلك في

(1) هذا البيت هو طالع المعلقة . انظر الاعلم ، 2 .

(2) البيتان من قصيدة يمدح بها سنان ابن أبي حارثة المري طالعها :
صحا القلب من سلمى وقد كان لا يلو واقفر من سلمى التعانق والبقول
وفي هذا البيت بالديوان تحريف بآخره . انظر الاعلم 23 .

بعض نهايات الفصول دون بعض ، بحسب ما يعنّ للخاطر من ذلك ويسنح من غير استكراه ولا تكلف في وزن أو قافية أو هيئة نظامية بالجملة .

ولأنّما يجب أن يقتضب الخاطر من ذلك ما ناسب الغرض ووسعه مقدار الشعر وتمكّن فيه رويّه ولم يكن قلقا في موضعه من جهة لفظ ولا معنى .
 ٥ ولأنّما يسنح الكلام على هذا في بعض المواضع .

فلذلك كان اعتماد التمثّل والحكمة على أعقاب كلّ فصل دليلا على التكلف وداعيا إليه . ولذلك عيب كلام قوم من قدماء المولّدين حيث اعتمدوا ذلك في أكثر كلامهم ، فدلّ ذلك على التكلف وأوقع في السّامة ، ولم يُبق للحكمة جدّة ولا طراة .

١٥ ولأنّما يحسن الكلام بالمرآحة بين بعض فنونه وبعض والافتنان في مذاهبه وطرقه ، فيزداد حبّ النفس لما يرد عليها من ذلك إذا كانت زيارته غبّا .

/ - المنهج الرابع في الإبانة عن كيفية العمل في إحكام مباني القصائد [115 - ب]
وتحسين هيأتها ، وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث
يكون ملائما للنفوس أو منافرا لها .

أ - معلم دالّ على طرق العلم بإحكام مباني القصائد وتحسين هيأتها
وما تجب العناية بالتأنق فيه من ذلك وما تتأكد العناية به وما تتأكد
فيه عند قوم ولا تتأكد عند آخرين .

إنّ من القصائد ما يقصد فيه التقصير ، ومنها ما يقصد فيه التطويل ،
ومنها ما يقصد فيه التوسط بين الطول والقصر .

فأمّا المقصّرات فإنّ القول فيها إذا كان منقسما إلى غرضين لم يتسع
المجال للشاعر لأن يستوفي أركان المقاصد التي بها يكمل الثام القصائد على
أفضل هيئاتها ، وربّما استوفي ذلك الحذّاق مع ضيق المجال عليهم
باقتضاب الأوصاف الضرورية في الجهات بالنسبة إلى الغرض والتلطّف
في إبداع الثقلة من بعضها إلى بعض على الوجوه الملائمة الموجزة .

فأمّا المتوسّطات والمطوّلات فالمجال فيها متسع لما يراد من ذلك .

15 1 - إضاعة : والقصائد : منها بسيطة الأغراض ومنها مركّبة .
والبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحا صرفا أو رثاء صرفا . والمركّبة
هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين مثل أن تكون مشتملة على نسيب
ومديح . وهذا أشدّ موافقة للنفوس / الصحيحة الأذواق لما ذكرناه من ولع
النفوس بالافتنان في أنحاء الكلام وأنواع القصائد .

2- تنوير : فأمّا كيفية العمل في القصائد المشتملة على نسيب ومديح فإنّ كلّ قول نسيبيّ لا يخلو من أن يكون متعلّقاً بوصف المحبوب ومحاماته أو وصف بعض أحواله وما له بذلك علاقة من زمان أو مكان أو غير ذلك ، أو يكون متعلّقاً بوصف المحبّ أو وصف بعض أحواله وما له بذلك علاقة ، أو يكون متعلّقاً بوصف حال تقاسماها معا .

فأكثر ما تبدأ القصائد الأصليّة بما يرجع من ذلك إلى المحبّ : كالوقوف على الربوع والنظر إلى البروق ومقاساة طول الليل .

وأكثر ما تبدأ بعد هذا بما يرجع إلى المحبّ والمحبوب معا ممّا يسوء وقوعه كوصف يوم الفراق وموقف الوداع .

والافتتاح بما يخصّ المحبوب أقلّ من ذلك .

3- إضاءة : ويستحسن إرداف ما يرجع إلى المحبّ والمحبوب معا ممّا يشجو وقوعه بذكر بعض ما هو راجع إليهما ممّا يسرّ وقوعه ، إذ في ذلك ضرب من المقابلة وتدارك النفوس من إيلاهما بالشايجي الصرف ، بأن تعرض عليها المعاني التي تلتذّ بتخيّل ما يعنى بها وإن آلمها مغيبه أو انقضاؤه .

4- تنوير : وأحسن ما ابتدئ به من أحوال المحبّين ما كان مؤلماً من جهة ملذّة من أخرى كحال التذكّر والاشتياق وعرفان المعاهد . فإنّ هذه الأحوال وإن كانت مؤلمة للنفوس فإنّ لكثير من النفوس في تخيّل ما يتذكّر ويشتاق إليه ويحنّ إلى عهده لذة ما وتشفّياً ، يكاد ينقع الغلة من حيث أذكّاها ويُسّرّ لنفس من حيث أشجاها وأبكّاها . ثمّ يتدرّج من ذلك إلى ذكر ما يؤلم من بعض الأحوال التي لها علاقة بهما معا ، ثمّ إلى ذكر ما يؤلم ويلذّ من الأحوال التي لها بهما أيضا علاقة ، ثمّ ينتقل من

ذلك إلى ما يخصّ المحبوب من الأوصاف والمحاكاة ، ثمّ يحتال في عطف
أعنة الكلام إلى المديح ، فهذا هو الموضع التامّ المناسب . وهو الذي
يعتمده امرؤ القيس في كثير من قصائده / . ولا يحسن أن يبدأ بالمؤلم [116 - ب]
المحض . وقد يقع ذلك لكثير من الشعراء . ويكون الترتيب على غير ما
5 ذكرته ، لكنّ الذي ذكرته أحسن .

5 - إضاءة : فأما المديح المتخلّص إليه من نسيب فالوجه أن يصدر
بتعديده فضائل الممدوح ، وأن يتلى ذلك بتعديد مواطن بأسه وكرمه وذكر
آيائه في أعدائهم . وإذا كان للممدوح سلف حسن تشفيح ذكر مآثره
بذكر مآثرهم ثمّ يختتم بالتمنّ للممدوح والدعاء له بالسعادة ودوام
10 النعمة والظهور على الأعداء وما ناسب ذلك .

والمستثنون أكثر اعتمادا لهذا في مقاطع القصائد من القدماء ، وإن كان
ذلك أيضا موجودا في أشعارهم .

6 - تنوير : فأما القصائد البسيطة فأحسن ما تبدأ به وصف ما
يكون في الحال ممّا له إلى غرض القول انتساب شديد كافتح مدح القادم
15 مرر صاع بهتهته بالقدوم والتمنّ له بذلك ، وكافتح مدح من ظفر بأعدائه
بوسف ذلك وتهنته به ، ثمّ يتبع ذلك بذكر فضائل الممدوح ونشر
شائده ويستمرّ في الأغراض التي تمّ بها من الأنحاء التي لا يوجد للكلام
معها اضطراب ولا تنافر .

7 - إضاءة : ويجب أن تكون المبادئ جزلة ، حسنة المسموع
20 والمفهوم ، دالة على غرض الكلام ، وجيزة ، تامة . وكثيرا ما يستعملون

فيها النداء والمخاطبة والاستفهام ويذهبون بها مذاهب من تعجيب أو تهويل أو تقرير أو تشكيك أو غير ذلك مما تقدّمت (1) الإشارة إليه فيما سلف .

8- **تنوير** : ويجب أن تكون الصدور متناسبة النسيج ، حسنة الالتفاتات ، لطيفة التدرّج ، مشعشة الأوصاف بالتشبيهات . ويجب أن يكون التخلّص لطيفا ، والخروج إلى المدح بديعا . 5

9- **إضاءة** : ويجب أن يكون صدر المديح حسن السبك ، عذب العبارات ، مستطاب المعاني ، ليناسب ما اتصل به من النسيب . ويجب أن تعتمد فيه مع ذلك الجزالة والمبالغة في الأوصاف .

10- **تنوير** : / ومما يجب اعتماده حيث يقع وصف الحرب أن تُفخّم العبارات وتُهوّل الأوصاف ويحسن الاطراد في اقتصاص ما وقع من ذلك ، وأن تراح النفوس حيث يقع التماذي في ذلك بإيراد معاني تستطيعها وتبسط ما قبض منها تهويل وصف الحرب . وتحسن الإحالة على التواريخ في هذا الموضع . [117 - أ]

11- **إضاءة** : فأما الاختتام فينبغي أن يكون بمعان سارة فيما قصد به التهنائي والمديح ، وبمعان مؤسفة فيما قصد به التعازي والثناء . 15 وكذلك يكون الاختتام في كلّ غرض بما يناسبه . وينبغي أن يكون اللفظ فيه مستعذبا والتأليف جزلا متناسبا ، فإنّ النفس عند منقطع الكلام تكون متفرّغة لتفقّد ما وقع فيه غير مشغلة باستئناف شيء آخر .

12- **تنوير** : فأما ما تجب العناية بالتأنيق فيه على الوجه المختار فتحسين المبدأ والتخلّص .

وأما ما تشاكّد به العناية ولا سيما عند من أخذ بمذهب أئمة المحدثين
فتحسين البيت التالي للبيت الأول من القصيدة ليتناصر بذلك حسن المبدأ .
ومثل هذا قول أبي تمام :

شهدتُ لقد أقوتُ مغانيكمُ بعدي
ومحّت كما محّت وشائع من بُردٍ
وأوجدتم من بعد إتهام داركمُ

فيا دمعُ أنجدني على ساكني نَجْدٍ (1)
ومن ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

مَنْ الجاذِرُ في زِيِّ الأعرابِ
حُمْرُ الحُلَى والمطايا والجلابيبِ
إن كنتَ نَسألُ مثلاً في معارفها

فمَنْ بلاك بتسديدٍ وتعذيبٍ (2)
وقوله :

لعينيك ما يلقي الفؤادُ وما لقي
ولاحب ما لم يبقَ مِنِّي وما بقي
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه

ولكن من يُبصِرُ جُفونك يَعْشَقُ (3)
وقوله :

فراقٌ ومن فارقتُ غيرُ مذمّمٍ وآمٌ ومن يَمّتُ غيرُ مُيمّمٍ
وما منزلُ اللذاتِ عندي بمتزلٍ إذا لم أُبَجَلْ عندهُ وأكرمٍ (4)

(1) البيتان طالع قصيدة مدح بها الشاعر أبا المغيث الرافقي . راجع التبريزي . ٢ . 159 .
(2) طالع قصيدة في مدح كافور ، والبيت الثاني يروى بلفظ شكّا بدل مثلاً في الديوان .
البرقوقسي . (1) ، 1 ، 114 ، المكبري ، (1) ، 103 .
(3) طالع قصيدة في مدح سيف الدولة . البرقوقسي . (1) ، 1 ، 457 - 458 .
(4) البيتان طالع قصيدة في مدح كافور . البرقوقسي ، (1) ، ٢ ، 389 ، المكبري ، (1) ،
٣ ، 366 .

[117 - ب] وأكثر ما يتوخّون هذا إذا كان البيت الثاني تَمَّةَ الفصل الأول. فأمّا / إذا

كان الفصل الأول أكثر من بيتين فإنّهم يوجّهون العناية إلى تحسين نهاية الفصل . وكلّما قرب ذلك إلى المبدأ فكان ثانياً أو ثالثاً كان أحسن مثل قول أبي تمام الطائي - رحمه الله - :

أَيْهَا الْبَرْقُ بَيْتٌ بِأَعْلَى الْبُرَاقِ وَاعْدُ فِيهَا بِوَابِلٍ غَيْدَاقٍ 5
وَتَعْلَمُ بِأَنَّهُ مَا لِلْأَنْسَاءِ ثِكَّ إِنْ لَمْ تُرَوِّهَا مِنْ خَلَاقٍ
دِمْنٌ طَالَمَا التَّقْتُ أَدْمَعُ الْمَرْ نِ عَلَيْهَا وَأَدْمَعُ الْعُشَاقِ (1)

وإذا لم يكن البيت الثاني مناسباً للأول في حسنه غَضَّ ذلك من بهاء المبدأ وحسن الطليعة ، وخصوصاً إذا كان فيه قببح من جهة لفظ أو معنى أو نظم أو أسلوب ، وذلك نحو قول أبي الطيّب المتنبي :

[الخفيف - ق - المتواتر] 10
أَتَرَاهَا لِكثْرَةِ الْعُشَاقِ نَحْسَبُ الدَّمْعَ خَلِيقَةً فِي الْمَآقِ
كَيْفَ تَرْتِي الَّتِي رَأَتْ كُلَّ جَفْنٍ رَاءَهَا غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقٍ (2)
وتحسين البيت التالي لبيت التخلّص إلى المدح يجري من بيت التخلّص مجرى تحسين البيت الثاني من البيت الأول في أن إتباع تحسين أحدهما 15 بتحسين الآخر أكيد .

فأمّا ما تتأكّد به العناية عند قوم ولا تتأكّد عند آخرين فمقاطع التّشبيّه ، التّلميح ، التّأويل ، والأشعار ، وذلك من جهة ما يرجع إلى هيئات الوضع والتّأليف ، والأشعار في الألفاظ والمعاني والنظام والأسلوب . فأمّا من جهة

(1) راجع 45 ، تع 2 .

(2) تقدّم ذكر البيتين والإشارة إليهما في 279 تع 1 و في 284 ، والاحالة في التعليق عدد 2 على التعليق السابق .

وقوع لفظ مكروه أو معنى مشنوء في منقطع الكلام فالرأي فيه واحد في أن التحفظ منه واجب على كل ناظم أو ناثر .

فهذه مذاهب الخذاق المطبوعين : تحسين هيئات القصائد وتحسين مبانيها قد أبتتها ، فمن سلك ذلك السبيل وذهب ذلك المذهب فقد سرى على سواء المنهج من هذه الصناعة ، إن شاء الله . 5

ب - مأم من مذاهب البلاغة المستشرقة / بهذا المعلم وهو مذهب الإبداع في الاستهلال . [118 - أ]

وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة ، إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها المنتزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرّة . 10
تزيد النفس بحسنها ابتهاجا ونشاطا لتلقي ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك . وربما غطت بحسنها على كثير من التخون الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وليها .

١ - إضاءة : ولا يخلو الإبداع في المبادئ من أن يكون واجعا إلى ما يقع في الألفاظ من حسن مادة واستواء نسيج ولطف انتقال وتشاكل 15
اقتران وإيجاز عبارة وما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في الألفاظ . أو إلى ما يرجع إلى المعاني من حسن محاكاة لقائمة مفهوم وتعبير متصل بالنسبة إلى الغرض وما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في المعاني ، أو إلى ما يرجع إلى النظم من إحكام بنية وإبداع صيغة ووضع وما ناسب ذلك مما يحسن في النظم ، أو إلى ما يرجع إلى الأسلوب من حسن مترع ولطيف 20
منحى ومذهب وما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في الأساليب .

- 2- **تنوير** : وملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المفتتح مناسباً لمقصد المتكلم من جميع جهاته . فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم ، وإذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعذوبة من جميع ذلك ، وكذلك سائر المقاصد . فإن طريقة البلاغة فيها 5 أن تفتتح بما يناسبها ويشبهها من القول من حيث ذكر .
- 3- **إضاعة** : ومما تحسن به المبادئ أن يصدر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع أو أن يشرب ما يؤثر فيها انفعالا ويثير لها حالا من تعجيب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك مما تقدمت الإشارة إليه.
- 4- **تنوير** : وفي الكلام ما له صورة يصير بها لائقا أن يكون رأس 10 [118 - ب] كلام ومفتتح قول ، ومنه ما لا / يليق بالمبدي ولا يكون له هيئة تصلح لها .
- ويجب أن يجتلب القول للمبادئ من المعدن الأول .
- 5- **إضاعة** : وأحسن المبادئ ما تناصر فيه حُسن المصراعين وحسن البيت الثاني على ما تقدم ذكره في المعلم قبل هذا . 15
- وأكثر ما وقع الإحسان في المبادئ على هذا النحو للمحدثين . فأما العرب المتقدمون فلم يكن لهم بتشجيع البيت الأول بالثاني كبير عناية . وكثيرا ما كانوا يتسلسلون فيه في ذكر المواضع نحو قول امرئ القيس : [الطويل - ق - المتواتر]
- ففتول ، فحلّيت ، فنتي فمنعج إلى عاقل ، فالجُبُّ ذي الأُمَرَات (1) 20

(1) البيت من قصيدة يصف فيها الوحوش وصيدها ، طالعها :
غثيت ديار الحسي بالبكرات فمارمة فبرقة العيارات
السندوبي ، (3) ، 73 .

والرتبة الثانية في حسن المبادي أن يتناصر الحسن في المصراعين دون البيت الثاني ، نحو قول أبي الطيب : [الخفيف - ق - المتواتر] أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي (1) والرتبة الثالثة أن يكون المصراع الأول كامل الحسن ، ولا يكون المصراع الثاني منافرا له وإن لم يكن مثله في الحسن ، ومثل هذا يوجد كثيرا .

6- إضاعة (2) : وقد تكون المبادي ، التي حسن فيها المصراع الأول وكان ما وليه نمطا وسطا في الكلام ، من الشرف بما وقع فيها بحيث تفوق المبادي التي تناصر الحُسن في مصراعيها والبيت التالي لهما ، وذلك نحو قول امرئ القيس : [الطويل - ق - المتدارك]

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحول (3)

فالمصراع الأول في غاية الإبداع ونهاية الانطباع ، وليس المصراع الثاني كذلك ، وإن كان له قسط من الفصاحة لأن كثيرا من الشعراء الفحول يجاريه في مثل صيغة المصراع الثاني ويتمم مبدأه بمثل ما تممه به ، وليس يجاريه أحد في كمال المصراع الأول وشرف ما وقع فيه بالنظر إلى ما يجب أن يفتح به القول في البكاء على الديار .

7- تنوير : وليس يجب أن يعتبر في حسن المبادي ما وقع الإحسان في مصراعه الثاني إذا كان المصراع الأول قبيحا .

(1) راجع 279 تع ، 1 .

(2) الوجه أن يمتون لهذه الفقرة بتنوير ، مخالفة للفقرة قبلها . ولعل ذلك ذهول من الناسخ أو المؤلف .

(3) السلوبى ، (3) ، 143 .

8- إخساءة : ومما اختير من المبادئ قول النابغة :

[الطويل - ق - المتدارك]

[119 - أ] / كليني لهم يا أميمة ناصب (1)

وقول الأعشى :

[الطويل - ق - المتدارك]

5 كفى بالذي تولينه لو تحببًا (2)

وقول القطامي :

[البسيط - ق - المتراكب]

إننا مُحَيِّثُوكَ فاسلِّمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ (3)

وقول بشار :

[الطويل - ق - المتدارك]

أبى طلل بالجزع أن يتكلما (4)

وقول حبيب :

10 [البسيط - ق - المتراكب]

يا بُعدَ غايةٍ دمع العين إن بُعدوا (5)

وقول البحتري :

[الكامل - ق - المتدارك]

عارَضُنَا أُصْلًا فقلنا الرب رب (6)

ومن المراثي قول الشاعر :

[الطويل - ق - المتدارك]

15 أيا جَسَارَتَنَا من يجتمع يتفرق ومن يكُ رهنًا للحوادث يغتلق (7)

(1) 273 ، التتبع 3 .

(2) البيت طالع قصيدة الأعشى الأكبر ، وقامه : شفاء لستم بعد ما كان أشرا ، انظر :
الندويان ، (3) ، 113 عدد 14 .

(3) ر ، هذا الخطر مفردا ، الأغاني (3) ، 3 ، 123 .

(4) عدا صدر أحد بيتين وقامه : وماذا عليه من أجناب شيئا ، الأغاني ، (3) ، 3 ، 143 .

(5) تقدم البيت 284 تم عدد 1 .

(6) صدر البيت طالع قصيدة في مدح اسحق بن إبراهيم ، وقامه : حتى أضاء الاقحوان الاشب .
الندويان ، 2 ، 681 .

(7) البيت من فرائد منهاج .

وقول أوس بن حجر : [الخفيف - ق - التراكب]

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا (1)

وقول حبيب : [البسيط - ق - التراكب]

أَيُّ الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ لَيْسَ بِصَبْرٍ (2)

5 9- تنوير : ومما أستحسنه أنا قول منصور التميمي :

[البسيط - ق - التراكب]

ما تنقضي حيرة منّي ولا جزع إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع (3)

وقول أبي الطيّب : [الطويل - ق - التدارك]

أغالبُ فيك الشوقَ والشوقُ أغلبُ (4)

10 وقول أبي عمر بن درّاج القسطلّي : [البسط - ق - التراكب]

أهلّ بالبين ، فانهلّت مدامعه (5)

وقول يوسف بن هارون : [الكامل - ق - التواتر]

من حاكم بني وبين عذري (6)

(1) صدر البيت من طالع قصيدة مشهورة له يرثي بها فضالة الأسدي . وتماه : أن السبي تحذرين قد وقعا . المعري : الأعيان ، 444 ؛ الخرساني ، 8 ؛ شيعو ، ق 2 ، 492 .

(2) صدر البيت من طالع قصيدة في ، له أبي حميد تماه : وأي نوم عليكم ليس يمتنع . الديوان ، (2) : 371 .

(3) هذا طالع قصيدة له في مدح الرشيد . نورد قطعاً منها ابن المعتز . الطبقات ، 245 .

(4) انظر 299 ، تع 2 .

(5) البيت طالع قصيدة تماه : وآس الفقر فاستكت مسامحه . الديوان ، 137 عدد 41 .

(6) صدر البيت من طالع قصيدة له مدح بها أبا علي اسماعيل بن القاسم عند خواجه الأندلس وتماه : الشجر شجوي والعويل عويل . الحميري ، 347 .

وقول أبي اسحق بن خفاجة :
لك الله من برق تراءى فسَلَمَا (1)

ولو قال قائل : « إنه لم يُستفتح في قافية الهمزة بأحسن من قول أبي
جعفر بن وضّاح :

[الكامل - ق - المتواتر]
يا سرحة العلمين من تيماء حذبت عليك روائمُ الأنواء (2) »
5 لكان حقيقاً أن يصدق وأن يُسلمَ له في ما قال .

ج - مَعَرَفَ دالّ على طرق المعرفة بأنحاء التخلّصات من حيزٍ إلى حيزٍ
وعطف أعينّة الكلام من جهة إلى أخرى ومن غرض إلى غرض .

[119 - ب] / اعلم أن الانعطاف بالكلام من جهة إلى أخرى أو غرض إلى آخر
لا يخلو من أن يكون مقصوداً أولاً ، فيذكر الغرض الأول لأن يستدرج
10 منه إلى الثاني وتجعل مأخذ الكلام في الغرض الأول صالحة مهية لأن يقع
بعدها الغرض الثاني موقعاً لطيفاً وينتقل من أحدهما إلى الآخر انتقالاً مستطرفاً،
أو لا يكون قصد أولاً في غرض الكلام الأول أن يجعل ذكره سبباً
لذكر الغرض الثاني ولا توطئة للصيرورة إليه والاستدراج إلى ذكره بل لا
ينوي الغرض الثاني في أول الكلام ، وإنما يسّح للخاطر سنوفاً بديهاً
15 ويلاحظه الفكر المتصرف بالتفاتاته إلى كلّ جهة ومنحى من أنحاء الكلام.
فما كان من قبيل هذا القسم الثاني فإنه الذي يعرف بالالتفات . وأما
القسم الأول فإنّ منه ما يكون بصورة الالتفات ، ومنه ما لا يكون بتلك

(1) هذا الصدر من طالع قصيدة له أثبتها كرم البستاني وعنون لها بـ « سرحة واد » : وتام البيت :
وصافح رسماً بالعذيب وسلماً . الديوان ، 136 .

(2) البيت من فرائد منهاج .

الصورة . وفي ما لا يبنى الكلام عليه أيضا من أوّل ما لا يكون بصورة الالتفات .

1- إضاءة : والصورة الالتفاتية : هي أن يجمع بين حاشيتي كلامين متباعدي المآخذ والأغراض ، وأن ينعطف من إحداهما إلى الأخرى 5 انعطافا لطيفا من غير واسطة ، تكون توطئة للصيرورة من أحدهما إلى الآخر على جهة من التحوّل .

والانعطاف غير الالتفاتي يكون بواسطة ، بين المنعطف منه والمنعطف إليه ، يوجد الكلام بها مهيتا للخروج من جهة إلى أخرى ، وسبب يجعل سيلا إلى ذلك يشعر به قبل الانتهاء إليه .

10 2- تنوير : وأصناف الالتفاتات كثيرة . وأكثر ما يعني المتكلمون في البديع ، من ضروبه ، ثلاثة أصناف :

1- مما أوهم ظاهره أنّه كريبه وهو مستحب في الحقيقة فإلتفت الشاعر إلى ذكر ما يزيل ذلك ؛ نحو قول عوف بن محلم :

[السريع - ق - المتواتر]

15 إنّ الشمسانين وبلغتَهُما قد أحوجت سمعي إلى ترجمان (1)

2- الثاني أن يلتفت الشاعر عند ذكر شيء إلى ما له في نفسه من

غرض جميل أو / غير ذلك ، فيصرف الكلام إلى جهة ذلك الغرض ، نحو قول جرير :

[الكامل - ق - المتدارك]

طرب الحمامُ بذِي الأراك فهاجني لا زلت في غلّ وأيلك فاضر (2)

(1) البيت من قصيدة قالها عوف بن محلم الشيباني لعبد الله الطاهر . ذلك أن عبد الله دخل عليه وسلم فلم يجبه عوف ، ولما علم بذلك دنا منه وأنشده هذا البيت من قصيدة طالعها :

يا ابن الذي دان له المشرقان طرا وقد دان له المغربان .

الصفدي : الغيث ، 2 ، 57 ؛ العباسي ، (2) ، 1 ، 362 ، عدد 68 .

(2) البيت طالع قصيدة له . الديوان ، 304 .

3- الثالث أن يلتفت إلى نقض خفي داخل عليه في مقصد كلامه أو

بفشي تطرق النقض إليه ، فيحتال في ما يرفع النقض ويزيل التطرق ،
ويشير إلى ذلك ملتفتا كقول طرفة : [الكامل - ق - المتواتر]

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمني (1)

وقول ابن المعتز : [الطويل - ق - المتدارك] 5

صَبِينَا عَلَيْهَا ، ظَالِمِينَ ، سَيَاطِنًا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سَرَّاعٌ وَأَرْجُلُ (2)

3- إضاءة : وإذا قد تبين أن ما قصد به الاستدراج أولاً . أو

سبح فيه الالتفات آخرها ، كلاهما منه ما يترامى فيه من الغرض الأول إلى
الثاني من بعد على سبيل التدرج ، ومنه ما يُخلَص فيه إلى الشيء مما يليه

من الكلام بغير تدرج ، فلنذكر الآن ما أخذ الشعراء فيما يتدرجون إلى
مدحه أو ذمه ، أو يخلصون إليه خلوصاً التفاتياً على جهة الاستطراد ، أو
لا يتدرجون إليه ولا يستطردون بل يهجمون على المدح أو الذم هجوماً . 10

وأهل الربيع يسمون ما كا ، الخروج فيه بتدرج تخلصاً ، وما لم
يكن بتدرج ولا هجوم ولكن بانعطاف طارئ على جهة من الالتفات

استطراداً ، ومثله قول حسّان : [الكامل - ق - المتواتر] 11

إن كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجى الحرث بن هشام (3)

(1) هذا آخر بيت من قصيدة لطرفة يمدح بها قتادة بن سلمة الحنفي . طالعها :
إن أمراً سرف القواد يرى عسلاً بمساء سحابه شمس
الأعلم ، 90 - 93 عدد 71 ؛ شيخو ، 316 .

(2) البيت من قصيدة له طالعها :
أما جيك أم لا بالذويرة منزل يجدهوب الربيع فيه مديان
الديوان ، 59 .

(3) البيت من قصيدة له يذكر فيها الحرث بن هشام المخزومي ، وهزيمته يوم بدر ، ثم حسن
السلامة ، وطالع القصيدة :
نبئت فؤادك في المنام خريصة تسقي الضجيع ببارد بام .
الديوان ، 84 .

وربما اجتمع التخلّص والاستطراد ، كقول مسلم :

[الطويل - ق - المتدارك]

أجيدك لا تدرين أن ربّ ليلة كأنّ دجاها من قرونك تنشر
أرقت لها حتى تجلت بغرة كغرة يحي حين يُذكرُ جعفرُ (1)

5 فتخلّص إلى مدح يحي واستطراد منه إلى ذكر جعفر .

وإنما أخذ هذا اللقب من استطراد الفارس ، وهو أن يريك أنّه فرّ
وإنما يريد بذلك / اغترار من ينقطع في طلبه ، فيسرع الكرّ إذ ذاك عليه . [120 - ب]

ولا ينبغي أن يشترط في الاستطراد ألا يرجع فيه إلى وصف المستطراد
منه ، بل كيف ما وقع الكلام المتحوّل فيه عن جهة إلى أخرى على النحو
الذي ذكرناه مرجوعاً فيه إلى وصف المستطراد منه أو غير مرجوع ،
10 مستطرداً فيه من المستطراد إليه إلى غيره ومن ثا من المستطراد إليها إلى ثالث
أو مقتصر على واحد من المستطراد إليها ، فإنّه استطراد يتنوّع بحسب ما
يتوجّه الكلام بعده إليه .

4 - تنوير : شعراء المحدثين أحسن مأخذاً في التخلّص والاستطراد
15 من القدماء ، لأنّ المتقدّمين إنّما كانت قصاراهم في الخروج إلى المديح
أن يقول : دع ذا ، وعدّ القول في هذا ، أو يصف ناقته ويذكر أنّ
إعمالها إنّما كان من أجل قصد المدح ، وعلى أنّهم كانوا معتمدين في
الخروج على تعذية القول أو تعذية العيس فقد ندر لهم من التخلّص ما
يستحسن ومن الاستطراد ما لا ينكر الإبداع فيه . وقد كان في المحدثين من

(1) البيتان مفردان في مدح يحي بن خالد ، والرواية بصيرت بدل أرقت . الهيدوان ، 316 .

يعني خاطره في الخروج إلى المديح اقتداء بالمتقدمين فيهمج على المديح
من غير توطئة له كقول البحري : [الكامل - ق - المتدارك]
تأبى رباه أن تجيب ، ولم يكن مستخبرٌ ليحجب حتى يفهما
ثم قال :

الله جار بني المدبر كلما ذكر الأكارم ما أعف وأكرما (1) 5

5 - إضاءة : وكلا ضربى الخروج إلى المديح - متصلة بما قبله
ومنقطعة - لا يخلو من أن يقف البيت فيه باسم المدح أو المذموم ، أو
اسم الأب ، أو يوضع ذلك في تضاعيف البيت ويقف البيت بغير ذلك .

وكلما أمكن وضع الاسم في القافية كان أحسن موقعا وأبلغ في اشتها
الاسم ، والناس يسمون هذا النوع الشق على الاسم ، كقول البحري : 10
[الكامل - ق - المتواتر]

ولو أتني أعطيت فيهن المنى لَسَقَيْتُهُنَّ بكف إبراهيم (2) .

6 - تسوير : فالذي يجب أن يعتمد في الخروج من غرض إلى غرض
أن يكون / الكلام غير منفصل بعضه من بعض ، وأن يُحتال في ما يصل [121 - أ]
بين حاشيتي الكلام ويجمع بين طرفي القول حتى يلتقي طرفا المدح 15
والنسب أو غيرهما من الأغراض المتباينة التقاء محكما ، فلا يختل نسق

(1) البيتان متواليان من قصيدة في مدح أحمد وإبراهيم أبي المدبر طالما :

أحلتني سلمى بكاطمة سلما وتعلما ان الجوى منا هجما
الديوان ، 1 ، 229 .

(2) البيت في الديوان مفتتح بفاء لا بواو ، وهو من قصيدة له في مدح إبراهيم بن الحسن بن سهل
طالما :

أحرى الخطوب بأن يكون عظيما قول الجهول الا تكون حليما
المرجع السابق ، 1 ، 286 .

الكلام ولا يظهر التباين في أجزاء النظام ؛ فإنّ النفوس والمسامع إذا كانت مقدرّة من فنّ من الكلام إلى فنّ مشابه له ، ومنتقلة من معنى إلى معنى مناسب له ، ثمّ انتقل بها من فنّ إلى فنّ مباين له من غير جامع بينهما وملائم بين طرفيهما وجدّت الأنفس في طباعها نفورا من ذلك ونبت عنه . وكانت بمنزلة المستمرّ على طريق سهل ، بينما هو يسير فيه عفوا إذ تعرّض له في طريقه ما ينقله من سهولة المسلك إلى حزونه ومن لينه إلى خشونته . وكذلك النفوس والأسماع إذا قرعها المديح بعد النسيب دفعة من غير توطئة لذلك ، فإنّها تستصعبه ولا تستسهله ، وتجدر نبوة ما في انتقالها إليه من غير احتيال وتلطّف في ما يجمع بين حاشيتي الكلام ويصل بين طرفيه الوصل الذي يوجد للكلام به استواء والثام .

د - مأم من مذاهب البلاغة المستشرقة بهذا المعرف وهو مذهب الإبداع في التخلّص والاستطراد .

وطريقة التخلّص ينحى بها أبدا نحوان : نحو يتدرّج فيه إلى ما يراد التخلّص إليه وينتقل بتلطّف إليه ممّا يناسبه ويكون منه بسبب ؛ ونحو لا يكون التخلّص فيه بتدرّج وانتقال من الشيء إلى ما يناسبه ويشبهه ولكن بالتفات خاطر حيّزا من حيّز وملاحظته طرفا من طرف ، فيعطف إلى ما يريد التخلّص إليه بما يكون / مناقضا له أو مخالفا أو شك انعطاف من [121 - ب] غير مقدّمة تُشعر بذلك أو واسطة تنظم بين الطرفين ولكن بالخروج من أحدهما والتخلّي عنه دفعة إلى الآخر على جهات من المآخذ . وذلك بأن يلاحظ في المتخالفين صفة يجتمعان فيها من حيث لا يشعر فيكون ذلك طريق النقلة من أحدهما إلى الآخر على سبيل تشبيه أو محاكاة ، أو بأن

يضرب عن أحدهما في مقصد ويعتد بالآخر فيه ، أو بأن يسلب عن أحدهما ما أوجب للآخر . وقد يكون المأخذ في ذلك على غير هذه الأنحاء مما يعرف في مواضع آخر من هذا الكتاب .

1 - إضاءة : ولا يخلو التخلّص من أن يكون في شطر بيت أو في بيت بجملة أو في بيتين . وكلّما قرب السبيل في ذلك كان أبلغ .
5 وقد يستحسن التخلّص الواقع في البيت بأسره ويقع من النفوس أحسن موقع ، وذلك حيث يقصد التفخيم وزيادة المعنى بها . فربّما قدّرت العبارة لذلك على المعاني تقديرا إضافيا ، فحسّن ذلك .

2 - تنوير : ولا يخلو المتخلّصُ إليه من أن يرد في مبنى القافية ونهاية الكلام الموزون ، أو يقع حشوا وتكون التقفية بمعنى آخر .
10

وإذا وقع ما يراد التخلّص إليه في القافية كان أشهر له وأحسن موقعا من النفس . وليس يحسن ما وقع حشوا من ذلك حُسْنٌ ما وقع نهاية . وإذا قُفّي البيت بما يكون تميما لما وقع من ذلك حشوا كان أحسن من أن يقفّي بما ليس له إليه نسبة . وإذا وقع الشيء المتخلّص إليه في القافية فهو الذي يسمّيه الناس الشقّ على الاسم ، وقد تقدّم ذكره (1) .
15

3 - إضاءة : ولا يخلو الاسم في ذلك من أن يكون بسيطا أو مركّبا . والمركّب لا يخلو من أن يكون في أدنى تركيب ، أو يكون في أقصى ما تحتمله الأوزان في ذلك ، أو يكون في رتبة وسط بين الطرفين .

وما كان في أقصى الرتب من ذلك وما يليها من الأوساط فهو الذي

[122 - أ] يسمّى الاطراد ، / نحو قول دريد بن الصمّة : [الطويل - ق - المتدارك]
20

ذُوأَبَ بنِ أَسْمَاءَ بنِ زَيْدِ بنِ قَارِبِ (1)

وربما كان الاطراد على أنحاء آخر من التسلسل في الكلام المتعلق بعضه ببعض ، ولا يقال إلا في ما يحسن من ذلك .

4- **تسوير :** والأمور التي يجب اعتمادها في التخلص هي التحرزُ من انقطاع الكلام ومن التضمين والحشو والإخلال واضطراب الكلام وقلة تمكّن القافية والنقطة بغير تلطّف والاضطرار في ذلك إلى الكناية عما يجب التصريح به والإبانة عنه ، والتلطّف في ما يوقع الكلام أحسن مواقعهِ ويُجرّيه على أقوم مجاريهِ من أضداد هذه الأشياء .

5 - إضاءة : ومما يجب اعتماده في التخلص : أن يجهد في تحسين البيت التالي لبيت التخلص ، فإنه أوّل الأبيات الخالصة للحمد أو الذم ، وأوّل منقلة من مناقل الفكر في ما تخلّصت إليه ، فيجب أن يعتمد فيه ما يكون محرّكا للنفس لتستأنف هزّة ونشاطا لتلقّي ما يرد ، فإنّ العناية بهذا البيت نحوّ من العناية بالبيت الثاني من مطلع القصيدة ، بل ربّما كانت الحاجةُ إلى استثارة الهزّة عند الانعطاف آكدَ منها في استثارة ذلك عند المبدأ ، لكون صدر القصيدة وسماعه يذهب بقسط من نشاط النفس ربّما لم يكن يسيرا ، فكانت الحاجةُ إلى استثارة النشاط عند أخذه في الضعف آكدَ من الحاجة إلى استثارته في حال توفّره وجمومه .

(1) البيت ثالث أبيات ثلاثة أولها :

جزينا بنى عبس جزاء موفرا بمقتل عبد الله يوم الذنائب
ولولا سواد الليل أدرك ركضنا بذى الرمث والارضى عياض ين ناشب

6- تنوير : وقد قسم الناس الخروج من جهة ما ينحى به منحى التدرج ، أو الانعطاف من غير تدرج ، إلى تخلص واستطراد . وتخيروا مما وقع للشعراء في ذلك فصولا وأبياتا .

فمما اختاروه من باب التخلص قول البحتري :

5 [الطويل - ق - المتدارك]

شقائق يحملن الندى فكأنته دموع التصابي في حدود الخرائد
[122 - ب] / كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت تليها بتلك البارقات الرواعد (1)

وقول محمد بن وهيب :

ما زال يلثمني مرأشفه ويعلني الإبريق والقذح
حتى استردّ الليل خلعتة وبدا خلال سواده وضح
وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح (2)

ومما ذهب به مذهب الاستطراد من ذلك قول همام بن غالب الفرزدق :

[الطويل - ق - المتدارك]

وركب كأنّ الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخطون الريح وهي تلفهم إلى شعب الأكوار ذات الحقائق
إذا أنسوا نارا يقولون : ليتها ، وقد خصرت أيديهم ، نار غالب (3)

(1) البيتان في القصيدة ليا على التوالي ، وبينهما أربعة أبيات . والقصيدة في مدح الفتح بن خاقان وأبنة ، وطالها :

مثالك من طيف الخيال المعاد إلى بنا من أفقه المتباعد
الديوان ، 1 ، 54 .

(2) الأبيات من قطعة شريفة له يمدح بها المأمون ، طالها :

المذر إن أنصفت متضح وشهد حبك أدمع سفح
الغاني ، (3) ، 17 ، 148 .

(3) يروى البيت الثاني بلفظ الليل مكان الريح ، وبعل شعب الأكوار من كل جانب بدل إلى شعب الأكوار ذات الحقائق . والبيت الثالث بلفظ إذا ما راوا بدل إذا أنسوا وبين البيت الأول والثاني بيت ساقط هنا مثبت بالديوان .

يعضون أطراف العصي كأنها تخزم بلاطراف شوكة العقارب
الديوان ، 1 ، 30 - 31 .

ومما اختير من ذلك قول جرير :

لَمَّا وَضَعْتَ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسْمِي

وَعَلَى الْبَيْثِ جَدَعْتَ أَنْفَ الْأَخْطَلِ (1)

ومن جيد الاستطراد قول حبيب في وصف الفرس :

[البسيط - ق - المتواتر]

5

فَلَوْ تَرَاهُ مَشِيحًا وَالْحَصَى زَيْمٌ^٥ مَا بَيْنَ رَجْلَيْهِ مِنْ مِثْنَى وَوَحْدَانِ

أَيَقْنَتَ إِنْ لَمْ تُثَبِّتْ أَنْ حَافِرَهُ مِنْ صَخْرٍ تَدْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عَثْمَانَ (2)

هـ - معلّم دالّ على طرق العلم بالفرق بين المقصد والمقطع .

إذا كان (3) الشاعر مقتدرا على النفوذ من معاني جهة إلى معاني جهة أو

جهات بعيدة منها من غير ظهور تشتت في كلامه ، وكان حسن المأخذ في ما

يعضد به المعاني التي هي عمدة في كلامه من الأشياء التي يحسن اقترانها

بها ، بصيرا بأنحاء التدرج من بعض الأغراض والمعاني إلى بعض ، بالغاً

الغاية القصوى في التهدي إلى أحسن ما يمكن أن تكون / بنية غرضه وكلامه [123 - أ]

(1) البيت يروى وضفاً البيث بدل وعلى ، وهو من قصيدة يهجو بها الفرزدق طالعها :
لَمَنْ الدِّيارَ كَأَنَّهَا لَمْ تَحْلُلْ بَيْنَ الْكُنَاسِ وَبَيْنَ طَلْعِ الْأَعْزَلِ
الديوان ، 443 .

(2) البيتان من قصيدة في عثمان بن ادريس السامي ، طالعها :
وَسَابِغٌ مَطْلُ التَّمْدَادِ هَتَانِ عَلَى الْجَرَادِ أُمُونٌ غَيْسِرُ خَوَانِ
ورواية البيتين مخالفة لما في الاصل ، وهي بهذا الوجه :
فَلَوْ تَرَاهُ مَشِيحًا وَالْحَصَا قَلَقٌ بَيْنَ الْمَنَابِكِ مِنْ مِثْنَى وَوَحْدَانِ
حَلَفْتَ إِنْ لَمْ تُثَبِّتْ أَنْ حَافِرَهُ مِنْ صَخْرٍ تَدْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عَثْمَانَ
الديوان ، (1) ، 201 .

(3) فعل إذا وجوابها يأتي عقب المعلومات عليه .

عليه من المعاني الشديدة العلفة بغرضه والانتساب إلى مقصده وإلى أحسن ما يمكن أن يزيّن به تلك المعاني المعتمدة ويهيئها ممّا يكون فيه إفادة مناسبة لما أفادته تلك المعاني فيكون في ذلك تقويةً وتكميلٌ لما اعتمد من المعاني الأوّل أو حياطة لها من الضعف والنقص . ويكون مع ذلك موفياً للمعاني المعتمدة وما بني عليها وألحق بها حقّها من المبالغات وحسن الوضع ، وكان مع ذلك مقتبداً على وضع العبارات عن جميع ذلك على أحسن ما يمكن أن توضع عليه حتّى يتناصر إبداعه في المعاني بإبداعه في العبارات عنها ، قيل (1) فيه إنّه بعيد المرامي . وهذا إنمّا يتفق بقوة العارضة ومعاينة الطبع وكمال تصرف الفكر . وهؤلاء هم المقصدون من الشعراء المقتدرون على تعليق بعض المعاني ببعض واجتلابها من كلّ مجتلب .

10

١ - إضاءة: فأمّا من لا يقوى من الشعراء على أكثر من أن يجمع خاطره في وصف شيء بعينه ويحضر في فكره جميع ما انتهى إليه إدراكه من صفاته التي تليق بمقصده ثم يرتب تلك المعاني على الوجه الأحسن فيها ويلاحظ تشكّلها في عبارات منتشرة ثم يختار لتلك العبارات من القوافي ما تجيء (2) فيها متمكّنة ثم ينظم تلك العبارات المنتشرة من غير أن يستطرد من تلك الأوصاف إلى أوصاف خارجة عن موصوفها ، فهذا لا يقال فيه بعيد المرامي في الشعر ، وهؤلاء هم المقطعون من الشعراء .

15

(1) جواب إذا في أول الملم .

(2) بالاصل تجدد .

الأسلوب

/ بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم [123 - ب]

* * * *

القسم الرابع في الطرق الشعرية وما تنقسم إليه وما ينحى بها نحوه من الأساليب ، والتعريف بما أخذ الشعراء في جميع ذلك وما تعتبر أحوال الكلام المخيل المقفى الموزون في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها من القوانين البلاغية . 5

— المنهج الأول في الإبانة عن طرق الشعر من حيث تنقسم إلى جدّ وهزل ، وما تعتبر به أحوالها في كلّ ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

والشعر ينقسم أولاً إلى طريق جدّ وطريق هزل . وله قسمة أخرى من جهة ما تتنوع إليه المقاصد والأغراض ، سأذكرها (1) بعد إن شاء الله . 10

فأمّا طريقة الجدّ فهي مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مروة وعقل بنزاع الهمة والهوى إلى ذلك .

وأمّا طريقة الهزل فإنّها مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مجون وسخف بنزاع الهمة والهوى إلى ذلك .

وأنا أذكر ما تختصّ به كلتا الطريقتين ، وما يسوغ في كلّ واحدة منهما ممّا هو خاصّ أو كالخاصّ بالأخرى . 15

(1) راجع تفصيل ذلك في ق . ٤ . 2 ، أ ، 336 - 341 .

أ - معلم دال على طرق العلم بما يجب اعتماده في طريقة الجدل .

[124 - أ]

/ فأما ما يجب في طريقة الجدل فالأولى ينحرف في ما كان من الكلام على الجدل إلى طريقة الهزل كبير انحراف ، أولاً ينحرف إلى ذلك بالجملة ، لأن الكلام المبني على الجدل إنما قصد به إلقاؤه بمحلّ القبول من أهل الجدل . وكثير من أهل الجدل يكره طرق الهزل ، ومن لا يكرهها منهم 5 كبير كراهة لا ينغصه خلوة الكلام منها ؛ فكان وجودها في الكلام منغصاً على بعضهم وفقدانها غير منغص على جميعهم ، فلذلك يجب ألا يتعرض إليها كبير تعرض ، أو لا يتعرض إليها بالجملة في طرق الجدل .

1 - إضاعة : وجملة ما يجب أن يتجنب في ذلك هي الجهات المختصة بالهزل ، والمعاني الواقعة في تلك الجهات ، والعبارات عن تلك 10 المعاني ، والجزء الواحد من العبارة الواقعة في ذلك إذا كانت قد وقعت لشهرة بجهة من جهات الهزل .

ويجب أيضاً أن يتحفظ بالنظم الجدي من أن يكون التأليف فيه على صيغة تأليف قد اشتهر وقوعه في طريقة هزلية كأنما قد حذى بذلك 15 حذو هذا .

وجملة الأمر ألا يتعرض فيها إلى منحى من مناحي الهزل - ولو بإشارة - إلا حيث يليق ذلك بالحال والموطن ، فيتصور إذ ذاك التعرض إلى ما خف من الهزل ، ولكل مقام مقال .

2 - تنوير : وتختص الطريقة الجدلية بأن يجتنب فيها الساقط من الألفاظ والمولّد ، ويقتصر فيها على العربي المحض وعلى التصارييف 20 الصريحة في الفصاحة المطردة في كلامهم . ولا يعرج من ذلك على ما لا

يدخل في كلامهم إلاّ بوجوه تستضعف ويتسامح في إيراد الحوشي والغريب فيها في بعض المواضع .

3 - إضاعة : ويجب في معاني الطريقة الجديّة أن تكون النفس فيها طامحة إلى ذكر ما لا يشين ذكره ولا يسقط من مروءة المتكلم ، وأن تكون واقفة دون أدنى ما يحشيم من ذكره ذو المرأة أو يسكب نفسه عنه ، وأن تطرح من ذلك ما له ظاهر شريف في الجيد وباطن خسيس في الهزل .

4 - / تنوير : ومما تختص به العبارات في الطريقة الجديّة أن [124 - ب] يتحرّى فيها المتانة والرصانة كما تتحرّى في طريقة الهزل الخلاوة والرشاقة . وقد تأخذ الطريقة الجديّة بطرف من الرشاقة كما تأخذ الطريقة الهزلية بطرف من المتانة . 10

ب - معرف دالّ على طرق المعرفة بما يجب أن يُعتمد في طريقة الهزل

لما كان (1) أهل طريقة الهزل يشاركون أهل طريقة الجيد في كثير من المعاني والعبارات ويستعملون ذلك في كلامهم وطريقتهم بساطا إلى ما يريدونه من معاني الهزل التي هي غاية طريقتهم ، وتلك المعاني والعبارات المشتركة 15 فيها هي التي هي في أنفسها كلام جدّي ليس فيه تعرّض لما يقدح في الطريقة الهزلية ، ولم يحنج في طريقة الجيد إلى شيء يكون لها بساطا من معاني الهزل ، وكانت طريقة الهزل بجملتها منافية لأهل طريقة الجيد ، ولم تكن طريقة الجيد بجملتها منافية لأهل طريقة الهزل وجب (2) أن تأخذ

(1) فعل لما وجوابها يأتي بعد المعطوفات على فعلها الأول .

(2) جواب لما في أول المعرف .

- طريقة الهزل من طريقة الجيد أخذًا خاصًا ، وألا تأخذ طريقة الجيد من طريقة الهزل شيئًا — اللهم — إلا أن يشير مشير إلى غرض من أغراضها مما لا يقدح في طريقة الجيد كبير قدح وتكون مع ذلك إشارته في المظنة اللاتقة بها ، فإن ذا الجيد قد يأتي من الهزل بما يخف في بعض المواضع — فإن الكريم قد يطرب ، وقد يحتاج إلى إطرابه ، ولكل مقام مقال — 5 لكنه يحتاج من بنى كلامه على الجيد — ثم أراد أن يلّم بشيء من الهزل — أن يتلطف في التدرج من الجيد إلى الهزل ، وأن يشعر بأن ما ألم به من ذلك شيء لا حقيقة له ، وإنما هو على جهة المزح والدعابة ليبسط بذلك من النفوس ويحرك . فكثير من معاني الهزل تحرك ذا الجيد وتطر به وإن لم يكن من شأنه . وقد / قال ابن الرومي معذرا عن شيء وقع له من 10 الهزل في قصيدة مدحية : [الخفيف — ق — المتواتر]
- وأرى أن معشرا سيقولون : سخي من الرجال لعبوب
أين عنه ، وأين ما يدعيه من علوم لحاملها قطوب
ولعمري إن الحكيم وقور ولعمري إن الكريم طروب (1)
- وقد قال سقراط : « حكاية الهزل لذينة سخي أهلها ، وحكاية الجد 15 مكروهة ، وحكاية المزوج منهما معتدل . ولا يُقبل شاعر يحكي كل جنس ، بل نطرده وندفع ملاحته وطيبه ، ونقبل على شاعرنا الذي يسلك مسلك الجيد فقط » .

(1) يروي صدر البيت الثاني بلفظ أين عنه وقار ما يدعيه ، والابيات من قصيدة مطولة كتب بها ابن الرومي إلى القاسم بن عبيد الله ، طالعها :

سيدي أنت شاخص مصحوب وضياعي اليكم منسوب
الديوان ، 2 : 1 ، 539 .

1- **إضاعة** : ومما تختص به طريقة الهزل ويجب اعتماده فيها أن تكون النفس في كلامها مُسِفَّة إلى ذكر ما يقبح أن يوتر ، وألا تقف دون أقصى ما يوقع الحشمة ، وألا تكبر عن صغير ولا ترتفع عن نازل ، وألا تطرح ما له باطن هزلي وإن كان له ظاهر جدي ، وأن ترد ما يفهم منه الجد إلى ما يفهم منه الهزل بتخليص ذلك إلى حيز الهزل بما يجعل مخلصا إلى ذلك من توطئة أو غير ذلك . ويقع مثل هذا بتضمين ، ويقع بغير تضمين . وأكثر ما يتفق هذا مع اللفظ المشترك .

ومن هذا النوع تضمين بعضهم قول مهلهل : [الوافر - ق - المتواتر]
فلولا الريح أسمع من بنجد صليل البيض تُقرع بالذكور (1)
10 أبيات هجاء ، فصرف البيت إلى غير مقصد مهلهل حيث وجد الألفاظ المشتركة صالحة لأن يدل بها على ذلك .

2- **تنوير** : ومن ذلك أن تتحرى في عباراتها الرشاقة ، وألا يتسامح في كثير من التكلف المتسامح فيه في طريقة الجد .

3- **إضاعة** : ومن ذلك شيوع استعمال العبارات الساقطة والألفاظ الخسية ككثير من ألفاظ الشطار المتماجنين وأهل المهن والعوام والنساء والصبيان على الوجه الذي تقبل به الطريقة ذلك ، وربما أوردوا ذلك على سبيل الحكاية . وهذا موجود (2) في مجون أبي نواس كثيرا وغير منقود عليه ، ذلك لأنه لائق بالموضع الذي أورده فيه من أشعاره التي يقصد بها

(1) البيت من قصيدة ، طالعها :

أيلتنا بذي حم أنيري إذا أنت انقضيت فلا تعوري
شيخو ، 170 .

(2) راجع الديوان ، (2) ، 567 . وغير هذا كثير حذفه الناشر .

[125 - ب] الهزل . وليس يسوغ لإيراد شيء من ذلك / ولا حكايته لمن طريقته الجدة .

فقد عاب بعض المتكلمين (1) في هذه الصناعة قول أبي نصر ابن نباتة :
[الوافر - ق - المتواتر]

وقال لنا الزمان : ظلمتموهم فقلنا للزمان : دع الفضولا (2)

لأنّ هذا ليس من نمط ما بنى عليه كلامه من الجدة ، وهو أشبه
بكلام الشطّار . ولو ورد مثل هذا في شعر ابن حجاج وأضرابه من أهل
الهزل والمجون لكان مرضيا مختارا بالنسبة إلى طريقته .

4 - تنوير : ويستساغ في طريقة الهزل استعمال التصارييف التي

شاعت في ألسن الناس وتكلم بها المحدثون وإن لم تقع في كلام العرب إلا

على ضعف وقلة . فأما العبث في العبارات والزيادة في حروف الكلم على
ما سمع من العرب كقول بعضهم : [الهزج - ق - المتواتر]

شَرِبْ بِرَبْرَبْتُ بِمَا خُور عِلى دُفٍّ وَطَنْبُور (3)

فليس يقع مثل هذا لمن يقصد أن يكون كلامه عربيا . وإنما يقع لمن

قصده العبثُ وشوب الفصاحة باللكنة والعروبة بالعُجمة . فليس على مثل

هذا كلام . 15

(1) يريد النقاد والادباء .

(2) البيت من قصيدة طويلة له يمدح بها سيف الدولة لانتصاره في بعض وقائعه وذلك سنة 355 هـ . وطالع هذه القصيدة :

أقم في القول من نفسي دليلا لأن الصدق ما زرع القبول
وأكدار المشارب ليس يشني غليل فتى يعاف السليلا

الديحوان ، مخط . و . 12 ، س 6 ، 7 .

(3) محل الشهادة فيه اللفظ الاول بما وقع فيه من زيادة وتغيير في استعمال العامة . واصله في غير الغناء شربت .

ج - معلم دالّ على طرق العلم بما تأخذه طريقة الجدّ من طريقة الهزل.

فأمّا ما تأخذه طريقة الجدّ من طريقة الهزل فهي المعاني التي في ذكرها في بعض المواضع إطراب وبسط للنفوس ومذهب في ما خفّ من الإحماض بحسب الأحوال التي تكون بها مستعدّة لقبول ذلك .

5 1 - إضاءة : وهذه المعاني منها ما لا يقدح في طريقة الجدّ كبير قدح ، ومنها ما يقدح فيها أعظم القدح .

ومزايا القدح يختلف اعتبارها بحسب ما تكون عليه النفوس من التصميم في الجدّ أو الاقتصاد والاعتدال فيه . فيجب عند تسامح من طريقته الجدّ / في الإحماض أن يورد من المعاني اللاتقة بذلك مقدار ما يناسب طبع المخاطب ، فربّما عظم ما لم يكن فيه كبير قدح عند المصمّم في الجدّ ، وربّما صغر عند المقتصد في الجدّ والمعتدل فيه ما قدحّه كبير في ذلك . ولكن يجب على من طريقته الجدّ أن يكون ما يُلَمّ به من الإحماض في تفاريق كلامه والفلتات من أحواله ممّا لا يعظم قدحه في طريقة الجدّ . فيجب أن يضرب بها عن الإلمام بالمعاني العظيم قدحها ، وعن التعرّض لجهات تلك المعاني . وقد تقدّم معنى الجهة في ما تقدّم (1) .

15

2 - تنوير : وتشارك طريقة الجدّ طريقة الهزل في أن ينحى بعباراتها نحو الرشاقة في المواضع التي يحسن ذلك فيها ، أو يقال إنّ طريقة الجدّ تأخذ هذا من طريقة الهزل لأنّ طريقة الهزل به أخلق وهو بها أوّلَى وأليق .

(1) راجع 61 ، 1 . ولا تلبس عليك معاني الجهات بالنسبة للمعاني بمعاني الجهة بالنسبة الى اللفظ أو القافية المبحوثين في 216 وفي 222 - 225 .

3- إضاعة : وكلّ كلام اعتمدت فيه المزاوغة بين المعاني الجديدة وما لا ينافيها كلّ المنافاة من معاني الهزل فإنه من القسم الممتزج من جيد وهزل . وهو الذي تقدمت الإشارة إليه في قول سقراط (1) .

د - معرف دالّ على طرق المعرفة بما تأخذه طريقة الهزل من طريقة الجيد .

5 فأما ما تأخذه طريقة الهزل من طريقة الجيد ، فتأخذ منها المعاني التي ليس فيها تعرض للقدح فيها وجميع ما يتعلق بها من جهات وعبارات ليجعل ذلك بساطا للتدرّج إلى الهزل .

1- إضاعة : وقد تأخذ من معانيها أيضا ما يقدح فيها لكن على جهة حكائيتها والردّ عليها والتنفيذ لها بعد التقرير . وأما أخذ جميع ذلك على جهة صرفه إلى طريقة الهزل بما في العبارة الجديدة لذلك من الاحتمال يكون العبارة الجديدة يمكن فيها أكثر من مفهوم من قبل اشتراك يكون في بعض / العبارات أو إيهام اشتراك يعرض في التركيب أو غير ذلك من الوجوه التي لا يكون الكلام بها نصّا على معنى واحد فسائغ فيها . [126 - ب]

2- قنوس : ومما تأخذه طريقة الهزل من طريقة الجيد أيضا إيراد بعض المعاني العلمية على نحو من الإحالة عليها ببعض معاني الهزل والمحاكاة بها ، كقول أبي نواس : [السريع - ق - المتواتر] صرت له رفعا على الابتداء وصار لي نصبا على الحال (2)

(1) انظر 330 .

(2) البيت غير موجود فيما جمع من شعرائي نواس . وقد ورد منسوباً تغليطا للفرزدق في اختراع الحمصدي . وهو مسيق بيت . ونصهما :

ان زارني يوما على خلوة أو زرته في موضع خال
قمت له رفعا على الابتداء وقام لي نصبا على الحال

انظر الحمصدي . مخط . العاشورية ، 103 ب س . 26 - 104 أ س 1 .

3- إضاعة : وتشارك طريقة الهزل طريقة الجد في الأخذ بطرف من المثانة ، أو يكون ذلك مما تأخذه طريقة الهزل منها لأنه أليق بطريقة الجد وأنجعُ فيها وأكثر استصحابا لها .

4- تنوير : فهذه قوانين مقنعة فيما يتعلق بالطريقة الجدّية وما يتعلق بالطريقة الهزلية وما يتعلق بهما معا . ومعرفتها أكيدة في صناعة النقد والبصيرة بطرق الكلام وما يجب فيها . فكثير من وجوه النقد والنظر في هذه الصناعة يتعلق بها . وأيضا فإنه إذا أريد الحكم بين شاعرين متماجرين أيتهما أشعر أو بين جادّ وماجن أيتهما أمضى في طريقته وأبرع فيها لم يكن بدّ من معرفة هذه القوانين في الطريقتين ، إذ بها يتبيّن نمط كلامه وإعراقه في الطريقة التي هو مبنيّ عليها وسلامته بحسب ما يجب فيها . 10
فلهذا أُلعت إلى ما يجب في الطريقتين ببعض القول ، فمن تفهّم ذلك وكان اعتباره بحسبه يُصب إن شاء الله .

– المنهج الثاني في الإبانة عن طرق الشعر من حيث تنقسم إلى فنون الأغراض ، وما تعتبر به أحوال الشعر في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

[127 – أ] / أ – معلم دالّ على طرق العلم بما ينقسم إليه الشعر بحسب ما قصد به من الأغراض .

5

اختلف الناس في قسمة الشعر . فقسّمه بعض من (1) تكلم في ذلك إلى ستة أقسام : مدح وهجاء ونسيب ورثاء ووصف وتشبيه .

وقال بعضهم (2) : الصحيح أن تكون أقسامه خمسة لأنّ التشبيه راجع إلى معنى الوصف .

وممكن أيضا أن يقول قائل : إنّ قسم الوصف أيضا داخل في قسم الحمد أو قسم الذمّ ، وإن كان جاعل الوصف قسما إنّما يعني الأوصاف التي ليس بالإنسان حاجة إلى حمد. موصوفاتها ولا إلى ذمتها ولا هي أيضا يصل إليها من ذلك شيء ، وإنّما القصد بوصفها سبر الخواطر ورياضتها . وقد يكون الباعث على ذلك اعتبار أو استغراب .

وقال بعضهم (3) : أركانُ الشعر أربعة : الرغبة والرغبة والطرب والغضب . وقال بعضهم (4) : « الشعر كلّهُ في الحقيقة راجع إلى معنى الرغبة والرغبة » .

(1) قداسة ، (3) ، 23 .

(2) هو قول الرماني . انظر ابن رشيق ، 1 ، 78 .

(3) انظر ابن رشيق ، 1 ، 77 .

(4) انظر ابن رشيق ، 1 ، 78 .

وهذه التقسيمات كلها غير صحيحة لكون كل تقسيم منها لا يخلو من أن يكون فيه نقص أو تداخل .

وأنا أذكر الوجه الصحيح والمأخذ المستقيم في القسمة التي لا نقص فيها ولا تداخل .

- 5 1- إضاعة : فأمّا طريق معرفة القسمة الصحيحة التي للشعر من جهة أغراضه فهو أنّ الاقاويل الشعرية لما كان (1) القصد بها استجلاب المنافع واستدفاع المضارّ بيسطها النفوس إلى ما يراد من ذلك وقبضها عما يراد بما يخيّل لها فيه من خير أو شرّ ، وكانت الأشياء التي يرى أنّها خيرات أو شرور منها ما حصل ومنها ما لم يحصل . وكان حصول ما من شأنه أن يطلب يسمّى ظفرا ، وفوته في مظنة الحصول يسمّى إخفاقا ، وكان حصول ما من شأنه أن يُهرب عنه يسمّى أذاة أو رزءا ، وكفايته في مظنة الحصول تسمّى نجاة ، سمي (2) / القول في الظفر والنجاة [127 - ب]
- تهنئة . وسمّي القول بالإخفاق إن قصد تسليّة النفس عنه تأسّيا ، وإن قصد تحسّرها تأسّفا ، وسمّي القول في الرزء إن قصد استدعاء الجملد على ذلك تعزية ، وإن قُصِدَ استدعاء الجزع من ذلك سمي تفجيعا . فإن كان المظفور به على يدي قاصد للنفع جوزي على ذلك بالذكر الجميل وسمّي ذلك مديحا ، وإن كان الضارّ على يدي قاصد . لذلك فأدّى ذلك إلى ذكر قبّيع سمي ذلك هجاء ، وإذا كان الرزء بفقد شيء فندب ذلك الشيء سمي ذلك رثاء .

(1) فعل لما وبعده سائر المعطوفات عليه .

(2) جواب لما .

2- **تنوير** : ولما كانت (1) المنافع كأنها تنقسم إلى ما يكون بالنسبة والملاءمة مثل ما يوجد من مناسبة بعض الصور لبعض النفوس فيحصل لها بمشاهدة تلك الصورة المناسبة لها نعيم وابتهاج - وذلك الابتهاج نوع من المنافع لتلك النفس - وإلى ما يكون بالفعل والاعتماد مثل ما يعتمد الإنسان من إسعاف آخر بطيبته فيكون في إسعافه بها منفعة⁵ له ، وإلى ما يكون منفعة بالقوة والمال أو بتشفي النفس فقط مثل ما تحل مضرة⁶ بعدو⁷ إنسان فتتفع ذلك الإنسان بأن تضعفه له وتقويه على مقاومته والانتصاف منه ، وربما لم يتتفع من ذلك إلا بسرور التشفي فقط ، وكانت المضار⁸ أيضا تنقسم إلى أضداد ما ذكرته اقتضى (2) ذلك انقسام الذكر الجميل إلى ما يتعلق من المنافع بالأشياء المناسبة لهوى النفس وسمي¹⁰ ذلك نسيبا ، وإلى ما يتعلق بالأشياء المستدعية رضى النفس وسمي ذلك كما تقدم مديحا ، وكان ما يتعلق من الذكر القبيح بالأشياء المنافرة لهوى النفس والأشياء المباعدة عن رضاها كلاهما داخل تحت قسمة واحدة وهي الهجاء .

3- **إضناءة** : فالطرق قد تختلف بحسب اختلاف المنافع وكذلك بحسب اقتران الأحوال التي للقائلين والمقول فيهم ، مثل أن يقترن في القول وصف⁹ حال / مرتاح بحال مرتاح له أو حال مكترث بحال مكترث له ، فتختلف الطرق أيضا بحسب اختلاف ذلك . ألا ترى أن الميزة بين المديح والنسيب إذا لم يتعرّض المشبّ لوصف حاله إنما هو بأن¹¹ النسيب يكون بأوصاف مناسبة لهوى النفس ويكون مع ذلك مقترنا به²⁰

[128 - أ]

(1) فعل لما ، وجوابها يأتي بعدما عطف على الفعل الأول من قوله بعد وكانت المضار .

(2) جواب لما كانت المنافع في أول التنوير وكانت المضار المعطوفة عليهما .

وصف حال توجّع المشبّب في كثير من الأمر ، والمديح يكون بأفعال شريفة دالة على كمال الإنسان مستدعية لرضى النفوس من غير أن يقرن بذلك من صفة حال القائل ما اقترن بالتشبيب . والفرق بين النسب المقترن به وصف حال توجّع القائل ورثاء النساء المقترن به حال توجّعه أيضا أن النسب بـمَوْجود والرتاء لفقود . فهذه أيضا من الجهات التي تختلف الطرق بها .

4 - تنوير : ولما كان ما يهرب منه قد يقع ممن يحتمل منه ذلك ولو أدنى احتمال - فلا يؤاخذ به جملة أو لا يؤاخذ به كبير مؤاخذه ، ومنهم من يؤاخذ به أشدّ المؤاخذه - سمّي ما يتعلّق من القول بذلك بحسب طبقات من يقع ذلك منهم ونسبتهم إلى القائل معاتبّة وتعديدا وتوبيخا وتقريعا . فإن صدر ما يكون منه الهرب من القائل إلى المخاطب ثمّ أعفاه منه وتعلّق القول بذلك سمّي إعتابا . فإذا تنقسم الأقوال فيما حصل ممّا شأنه أن يطلب أو يهرب عنه إلى تهانٍ وما معها ، وتعازٍ وما معها ، ومدائح وما معها ، وأهاجٍ وما معها .

5 - إضاعة : ولا يخلو الشيء الحاصل ممّا شأنه [أن] يطلب أو يهرب عنه من أن يكون ذو العناية به واحدا - كان القائل أو غيره - ويكون هو حاكيا ذلك عنه ، أو يكون قد عُنِيَ به متنازعان في استجلابه أو مدافعته - كان القائل أحد المتنازعين أو لم يكن - غير أنّه يحكي حالهما أو يكون حاكما بينهما ، فيكون الكلام على هذا إمّا اقتصاصا وإمّا مشاجرة وإمّا فصلا في مشاجرة ، وقد تكون المشاجرة والفصل فيها متعلقين بما يستقبل .

[128 - ب] 6 - / **قنوير** : فأما الأمور التي لم تحصل مما شأنه أن يطلب أو يهرب عنه فلا يخلو من أن يكون المتكلم هو الطالب لها أو الهارب منها من تلقاء السامع ، أو يكون السامع هو الطالب لها أو الهارب عنها من تلقاء المتكلم . فما كان من المتكلم إلى السامع مما شأنه أن يطلب يسمى إذا لم يعلم رأيه فيه غرضاً . وما كان من تلقاء السامع إلى المتكلم وكان طلباً جزماً سمّي اقتضاء . فإن كان بتلطّف سمّي استعطافاً . وإن كان يرى أنه قد جاوز الوقت الذي كان يجب فيه سمّي استبطاءً . فإن كان مما شأنه أن يهرب منه وأنذّر به المتكلم من تلقاء نفسه أو من غيره سمّي ذلك إيعاداً وتهديداً وإنذاراً وتخويفاً ونحو ذلك . فإن خافه من تلقاء السامع واستدفعه إيّاه سمّي ذلك استعفاء أو استقالة أو ترضياً أو نحو ذلك . 10

فقد حصل بهذا الاعتبار إذن أقاويلٌ عرضيات وترهيات وتخويفيات واستدفاعيات ومنها الإطماعيات أيضاً ومقابلتها وهو ما أطمع القائل فيه أو أياس منه .

7 - **إضاعة** : وقد يكون الشيء المطلوب أو المهروب منه أحد شيئين فيشكل على القائل أو السامع فيما يجب أن يطلب وأيّهما يجب أن يهرب منه ، أو يشكل الطريق الهادي إلى ذلك فيشير القائل على غيره بالواجب طلبه من ذلك أو يستشير غيره فيكون الكلام على هذا إشارة أو استشارة . وقد يستشير أيضاً في الفضل بين المتنازعين فينقسم القول على هذا إلى قصص ومشاجرة وحكم وإشارة واستشارة وغرض واقتضاء وكفاية واستكفاء وترغيب وترهيب وإطماع وإياس . وفي كلّ نحو من هذه 20 المقاصد يطلب ما يجلب سروراً أو حمداً أو يهرب مما يجتلب حزناً أو ذماً .

فقد تبيّن أنّ أمّهات الطرق الشعرية أربع ، وهي التهاني وما معها ،
[129 — أ] والتعازي وما معها ، والمدائح وما معها ، / والأهاجي وما معها ، وأنّ كلّ
ذلك راجع إلى ما الباعث عليه الارتياح ، وإلى ما الباعث عليه الاكتراث ،
وإلى ما الباعث عليه الارتياح والاكتراث معا .

5 ب — معرف دالّ على طرق المعرفة بما يوجد لبعض الخواطر من
قوة على التشبّه فيما لا يجري على السجّية — من تلك الأغراض — بما
يجري على السجّية من ذلك .

1 — إضاءة : (1) اعلم أنّ خير الشعر ما صدر عن فكر وّليع
بالفنّ والغرض الذي القول فيه . مرتاح للجهة والمنحى الذي وجه إليه
10 كلامه لإقباله بكليته على ما يقوله وتوفير نشاط الخاطر وحدثه بالانصباب
معه في شعبه والميل معه حيث مال به هواه . ولهذا كان أفضل النسيب ما
صدر عن سجّية نفس شجيّة وقريحة قريحة . وكذلك الإخوانيات والمراثي
وما جرى هذا المجرى .

2 — تنوير : وقد توجد لبعض النفوس قوة تشبّه بها في ما جرت
15 فيه من نسيب وغير ذلك على غير السجّية بما جرى فيه على السجّية من
ذلك . فلا تكاد تفرّق بينهما النفوس ولا يُمّاز المطبوع فيها من المتطبع ،
فإذا اتفق مع هذا حسن النظم تناصر الحسن في النظام والمنحى واعتّم فلم
يكن فيه مقدح .

(1) يظهر تبعاً لتصحيح ورد في الأصل يقتضي أن تكون الفقرة الموالية تنويراً أنه وقعت
الغفلة عن العنونة هنا بلفظ إضاءة .

3 - **إضاءة** : واعلم أن المنحى الشعري نسبيا كان أو مدحا أو غير ذلك فإن نسبة الكلام المقول فيه إليه نسبة القلادة إلى الجيد ، لأن الألفاظ والمعاني كاللآلي ، والوزن كالسلك ، والمنحى الذي هو مناط الكلام وبه اعتلاقه كالجيد له . فكما أن الحلّي يزداد حسنه في الجيد الحسن ، فكذلك النظم إنما يظهر حسنه في المنحى الحسن . فلذلك وجب أن يكون ممن له 5 قوة التشبيه المذكورة أكمل في هذه الصناعة ممن ليست له تلك القوة .

4 - **تنوير** : وكل من قويت فيه هذه القوة فلا يبعد عليه أن يلتفت إلى بعض مناحي شكاة الهوى في / أشعارهم الجارين على سجاياهم مما [129 - ب] لطف أسلوبه وظرف مترعه ، وإن وقع ما كان بهذا الوصف تفاريق في تلك الأشعار ، فيحضر ما كان بهذا الوصف في خاطره ، ويسلط الفكر 10 والتصور على استبانة الطرق التي من أجلها حسن الكلام في منحاه وأسلوبه ومترعه . فإذا استبان تلك الطرق على ما بها من الخفاء على كثير من الأفكار استظهر بالقوة التشبيهية على انتهاج مثل تلك الطرق في كلامه ، ونصب ما قام بخاطره من تصورهما تمثالا يصوغ كلامه بحسبه ومنوالا ينسج نظامه عليه ، جاء كأنه هو . 15

5 - **إضاءة** : وربما اقتفى من له هذه القوة في منحى كلامه وأسلوبه ومترعه آثار شعراء لم يتواطأوا في مجموع ذلك ، لكن حسن منحى كلام هذا ولطف أسلوب كلام ذلك ومترع كلام الآخر ، فأخذ هو من كل واحد منهم ما اختص به وبني على مجموع ذلك كلامه ، وما أجدر أبا الحسن مهيّارا الديلمى بأن تكون هذه صفته . 20

6 - **تنوير** : وهذه القوة تتفاوت في الشعراء . فمنهم من له قوة على التشبيه في جميع كلامه أو أكثره ، ومنهم من لا ينسحب تأثير تلك

القوة على جميع كلامه ولا أكثره بل يكون ذلك في بعضه على سبيل الإلماع والندور أو فوق ذلك قليلا .

7- إضاءة : فأما من ينسحب تأثير تلك القوة على جميع كلامه أو أكثره فهم الذين لا تحتاج فيهم تلك القوة إلى معاونة من أمر خارج 5 عن الذهن من الأمور الباعثة على قول الشعر ، لتوفير تلك القوة فيهم على كل حال . ومن أئمة هذا الصنف : الشريف ومهيار وابن خفاجة .

وأما من لا ينسحب تأثير تلك القوة التشبيهية إلا على الأقل من كلامه فهم الذين تحتاج تلك القوة فيهم إلى معاونة بالأمور الباعثة على قول الشعر . فقد توجد تلك البواعث وقد لا توجد ، وقد تتوفر في / وقت وقد تقل 10 في وقت .

8- تنوير : واعلم أن هذه القوة لا تُدرَك بحرص ولا تُنال بجُهد بل قد يُمنَعُها الحريصُ ويُمنَحُها غيرُ الحريص . واعتبر ذلك بجرير والفرزدق - فإن جريرا على عفّته ، نسيبه في غاية الرقة وحسن الأسلوب ، والفرزدق على عهره وشدة ولوعه بالنساء ، نسيبه في نهاية الجفاء 15 وقبح الأسلوب ، مع حرصه على أن يُرِقّه ويُحَسِّنَ أسلوبه - وحسده لجرير حيث أنشد له فصولا من نسيب منها : [الوافر - ق - المترادف]

متى كان الخيام بذى طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام (1)
فقال : « قاتله الله ! ما كان أحوجني مع فسق إلى رقة شعره وما كان أحوجّه مع عفّته إلى خشونة شعري ! » . وكان الفرزدق قد أجّل عاما في 20 أن يصنع بيتا رقيقا في النسيب ، فقال بعد حول : [الكامل - ق - المتدارك]

(1) البيت طالع قصيدة له ، الديوان ، 512 .

يا أخت ناجية بن مرة إنني أخشى عليك بنسي إن طلبوا دمي (1)
فغلبه بعد هذه المطاولة طبعه واعتاص عليه ما ليس في قوته .

- 9- إضفاء : وقد تحصل بحفظ الكثير مما حسن منحاه وأسلوبه
ومترعه ، ورِيَّ الذكر من ذلك ، وتعليل النفس به أبداً ، ومطارحتها
القول على نحو من ذلك ، والترامي بالخاطر أبداً إلى جهات من المعارضة
لذلك ، دربةً يوصل بها أيضاً إلى التشبه ، ولا سيما إذا تفهّم ما قلته في
الوجوه التي بها تحسين الأساليب والمنازع . فكانت تلك الوجوه متحصلة
في ذهنه . فهذه بعض منافع القول في الأساليب والمنازع . لكن من لم
يتوصل إلى التشبه إلا بالدربة من غير أن تكون له القوة التي ذكرت فربما
وقع له ما يعدّه ذو القوة البصير بطرق النقد متكلفاً أو فاتراً ، وإن خفي 10
ذلك على أكثر الناس .

[130 - ب] ج - معلم دال على طرق العلم بما ينقسم إليه / الشعر بحسب اختلافات
أنحاء التخاطب .

- لما كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلاً على المعاني التي احتاج
الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجهم إلى مُعاونة بعضهم بعضاً على تحصيل 15
المنافع وإزاحة المضار وإلى استفادتهم حقائق الأمور وإفادتها وجب أن
يكون المتكلم يتغني إما إفادة المخاطب ، أو الاستفادة منه . إما بأن يلقي
إليه لفظاً يدلّ المخاطب إما على تأدية شيء من المتكلم إليه بالفعل أو
تأدية معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول ، وإما بأن يلقي إليه لفظاً يدلّه

(1) البيت طالع قصيدة له . وهو في الديوان بلفظ ابن سامة . الديوان ، ٢ ، 778 .

على اقتضاء شيء منه إلى المتكلم بالفعل أو اقتضاء معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول ؛ وكان الشيء المؤدّي بالقول لا يخلو من أن يكون بيتنا فيقتصر به على الاقتصاص أو يكون مشتملا فيؤدّي على جهات من التفصيل والبيان والاستدلال عليه والاحتجاج له .

5 فكلّام المتكلم فيما يؤدّيه قسمان : قسم يقع فيه الاستدلال وقسم الاستدلال فيه .

وكلامه فيما يقتضيه من المخاطب قسم واحد في أكثر الأمر ، لأنّ الإجابة بالاستدلال أو عدمها في ذلك للمخاطب . وليس ذلك من كلام المتكلم إلاّ أن يحكي ما دار بينه وبين مخاطبه ، فيكون ذلك كالتركيب من القسمين ، وليس به على الحقيقة لكون ذلك ليس من كلام واحد . 10

1 - إضاءة : ولا يخلو في ما حكاه من ذلك أن يكون مُسلّماً أو محاجّاً . فإن كان مُسلّماً فهو الذي أشرنا إليه ، وإن كان محاجّاً كان ذلك من باب المشاجرة . وهو متركّب من تأديّة المخاطب نقيض ما أدّاه المتكلم ، والمتكلم نقيض ما أدّاه المخاطب ، كما أنّ باب الإشارة أيضاً متركّب من تأديّة واقتضاء ، لأنّ المتكلم يؤدّي إلى المخاطب رأيه ويقتضي قبوله . 15

2 - تنوير : وجملّة ما ينقسم إليه الكلام من جهة ما يقع فيه من تأديّة واقتضاء باعتبار البساطة فيهما والتركيب / ستّة أقسام :

[131 - أ]

1 - تأديّة خاصّة .

2 - أو اقتضاء خاصّة .

3 - أو تأديّة واقتضاء معا . 20

4 - وتأديتان من المتكلم والمخاطب .

5 — 5 — أو اقتضاء ان منهما : فكان هذا يكون على جهة من الحيدة بأن يقتضي المتكلم من المخاطب شيئا فيقتضي المخاطب من المتكلم شيئا آخر قبل أن يؤدي إلى المتكلم ما اقتضاه .

6 — أو يكون مركبا من اقتضاء المتكلم تتبعه تأدية من المخاطب

على جهة السؤال والجواب .

فإذا حكى المتكلم كلام المخاطب مع كلامه ، أو حكى كلامهما معا غيرهما ، وجد الكلام ينقسم على هذا الاعتبار بحسب البساطة والتركيب ستة أقسام .

د — معرف دال على طرق المعرفة بما ينقسم إليه الشعر بحسب إيقاع

الحيل الشعرية فيه .

والأقاويل الشعرية أيضا تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحيل التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه أو التي هي أعوان للعمدة . وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه ، أو ما يرجع إلى القائل ، أو ما يرجع إلى المقول فيه ، أو ما يرجع إلى المقول له . والحيلة فيما يرجع إلى القول وإلى المقول فيه وهي محاكاته وتخيله بما يرجع إليه أو بما هو مثال لما يرجع إليه هما عمودا هذه الصناعة ، ومما يرجع إلى القائل والمقول له كالأعوان والدعامات لها .

1 — إحصاءة : وتفصيل هذه الجملة أن القول في شيء يصير مقبولا

عند السامع في الإبداع في محاكاته وتخيله على حالة توجب ميلا إليه أو نفورا عنه بإبداع الصنعة في اللفظ وإجادة هيأته ومناسبته لما وضع بإزائه

وبإظهار القائل من المبالغة في تشكيه / أو تظلمه أو غير ذلك وإشراب [131 - ب] الكآبة والروعة وغير ذلك كلامه ما يوهم أنه صادق . فيكون ذلك بمنزلة الحال فيمن ادعى أن عدوا وراءه وهو مع ذلك سليب ممتنع اللون ، فإن النفوس تميل إلى تصديقه وتقنعها دعواه ، أو بأن يحتال في انفعال السامع لمقتضى القول باستلطافه وتقريظه بالصفة التي من شأنها أن يكون عنها الانفعال لذلك الشيء المقصود بالكلام ومدحه إياه بأن تلك عادته وأنها من أفضل العادات .

2 - تنوير : وقد تُعضد هذه الأشياء باستدلالات خطيبة محضة أو موجود فيها شروط الشعر والخطابة معا بكون المحاكاة توجد فيها مع الإقناع ؛ وما كان بهذه الصفة فهو أفضل موقعا في الشعر ، والصنف الآخر أيضا قد يقع في الشعر ولا يقدح ذلك فيه لأن صناعة الشعر لها أن تستعمل شيئا من الإقناع كما أن صناعة الخطابة لها أن تستعمل شيئا يسيرا من المتخيلات .

3 - إضاعة : وإذا قد تبين أن الكلام يهيا للقبول من جهة ما يرجع إليه وما يرجع إلى القائل وما يرجع إلى المقول فيه والمقول له فواجب أن يُعلم أن للكلام في كل مأخذ من تلك المأخذ التي بها تغتر النفوس لقبوله هيآت من جهة ما يلحقه من العبارات وما يتكرر فيه من المسموعات الدالة على مأخذ مأخذ من ذلك . فربما أدّى الاطراد على نحو من ذلك إلى تكرار يستثقل ويزول به طيب الكلام . وأنا أنبه على ما يكثر في مأخذ مأخذ من ذلك .

4 - تنوير : فأما المأخذ الذي من جهة الحيلة الراجعة إلى القائل فمن شأنه أن تقع معه الكلم المستندة إلى ضميري المتكلم كثيرا . فأما ما يرجع

[132 - أ] إلى السامع من ذلك فكثيرا ما تقع فيها الصيغ الأمرية وما بإزائها . وبالجمله
تكثر فيها المسموعات التي هي أعلام على المخاطبة . فأما ما يرجع إلى
المقول به فكثيرا ما تقع / فيها الأوصاف والتشبيهات . وأكثر ما يستعمل
ذلك مع ضمائر الغيبة . وهم يسامون الاستمرار على ضمير متكلم أو
ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة ، وكذلك أيضا يتلاعب
المتكلم بضميره فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه وتارة يجعله
كافا أو تاء فيجعل نفسه مخاطبا وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب .
فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلم أو مخاطب لا يستطاب ،
ولأنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض .

- 5 - إضاءة : وكذلك لا ينبغي أن يستمر في كلام طويل على
وصف حالة ساذجة ، بل التركيب في الأحوال واقتران بعضها ببعض مما
يجب أن يعتمد ، مثل اقتران وصف حالة المحب بوصف حالة المحبوب ؛
فإن التراخي بالكلام إلى أنحاء شتى في جهة جهة وتركيب تركيب
وصيغة صيغة وضرب بعضه ببعض على الهيئات الملائمة في كل مذهب
يذهب فيه ونحو ينحى به ألد وأطيب من الجمود به على حالة واحدة في
كل نحو من أنحاء الكلام .

- 6 - تنوير : وبحسب الميل به إلى نحو نحو من جميع ما ذكرناه
من أنحاء الأقاويل الشعرية وما توجه إليه وتجري عليه من الجهات والمجاري
التي أشرت إليها اختلفت طرق الناس في الشعر ، ووُجد لكل شعر ذوق
يخصه وسمة يمتاز بها من غيره . فتباينت طرق الناس وأساليبهم ومنازعهم
ومآخذهم في جميع ذلك ، لأن طرق التركيب في جميع ذلك لا تنحصر ،

فلذلك ينبغي أن يقتصر من قسمة الشعر على أربعة الأقسام (1) التي ذكرنا .
وأما من قسمه إلى مديح ونسيب وهجاء ورثاء فإنما قسمه بحسب الأهم
فالأهم والأوقع فالأوقع من الأغراض التي هي أصول بأنفسها أو فروع
عن غيرها . لأن وقوع الأقاويل الشعرية في هذه الأغراض أكثر من

5 وقوعها في / غيرها . [132 - ب]

7 - إضاءة : ولما كان الأكثر وقوعاً من أغراض الشعر (.....)

(2) مقاصدهم أشدّ كان من تلك الأغراض ما يكثر
وقوعه وما يقلّ وما يتوسط . فأما ما كثر وقوعه فكان النسيب والمديح
والرثاء [وأما ما قلّ فكان المنافرات ومشائج جرات الأعداء ومفاخرتهم
ومهاجاتهم . على أن بعضهم قد يكثر من هذا ، وأما ما توسط فكان المعانيات
والاستعطافات والاستعدادات .

10

ه - معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في كلّ غرض من
أغراض الشعر المتقدم تقسيمه إليها .

قد أشرنا إلى كيفية انقسام الشعر بحسب البساطة والتركيب ، ولم
يمكن استقصاء أنواع التركيب إذ لا جدوى لذلك . وإنما الواجب أن
يعرف الإنسان طرق التركيب ، وأن يعرف أمّهات تلك الطرق ، ويعرف
جميع ما يجب في ذلك بالنظر إلى بساطته أو إلى تركيبه ولما هو متركّب
منه . فيجري كلاً على ما يجب فيه ويعتبر فيه ما يليق به .

15

(1) انظر 341 ، س 1 - 4 .

(2) بياض مقدار ثلاث كلمات .

1- **إضاءة** : فمّا يجب تأصيله في هذا المعلم إعطاء قانون فيما يحسن وما يقبح من الجمع بين كلّ غرضين متضادّين من هذه الأغراض. ويقبح من ذلك أن يكون الغرضان المتضادّان كالحمد والذمّ أو الإيباء والإطراب قد جمع بين أحدهما والآخر من جهة واحدة ونيطاً بمحلّ واحد وكان ظاهرهما وباطنهما متساويين في التناقض ، مثل أن يحمّد الإنسان شيئاً ويذمّه من جهة واحدة ويكون ظاهر الكلام يعطي الحمد والذمّ معا ، وكذلك باطنه .

2- **تنوير** : وأمّا ما يسوغ ويحسن في كثير من المواضع فإن يكون المقصد أن غير منصرفين إلى محلّ واحد أو غير منبعثين من محلّ واحد .

3- **إضاءة** : وأمّا ما يحسن من ذلك ويعدّ بديعاً فإن يكون أحد المتضادّين يُقصد به في الباطن غيرُ ما / يقصد به في الظاهر . فيكون في الحقيقة موافقاً لمضادة فيما يدلّ عليه على جهة من المجاز والتأويل ، وذلك نحو قول النابغة :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب (1)
فجمع بين الحمد وما يوهّم أنّه ذمّ ، وهو في الحقيقة مدح .

ونقيضه قول ابن الرومي :

خيرٌ ما فيهم* ، ولا خيرَ فيهم ، أنهم غير آثمٍي المغتاب (2)
فجمع بين الذمّ وما أوهم قبل استيفاء العبارة بصفته أنّه حمد وهو في الحقيقة من أكبر الذمّ .

(1) البيت من قصيدة له سبقت الإشارة إلى طالعها 272 تع 3 ، 312 تع 1 ، الديوان ، 11 .

(2) البيت من مطولة له قالها في أبي سهل بن نوبخت . الديوان ، (2) ، 1 ، 442 .

4- تنوير : وأنا أشير إلى بعض ما يجب اعتماده في ما يكثر استعماله من أغراض الشعر وتتعاوره القرائح من فنون الطرق الشعرية البسيطة والمركبة . وأذكر في غرض غرض من ذلك طرفا يستدل به على ما سواه .

5 فمن ذلك طريقة المدح . ويجب فيها السمو بكل طبقة من الممدوحين إلى ما يجب لها من الأوصاف ، وإعطاء كل حقه من ذلك ؛ ويجب أن يتوسط في مقادير الأمداح التي لا يحتاج فيها إلى إطالة في وصف فتح وما يجري مجرى ذلك مما قد تحتل الإطالة فيه ؛ فإن الإطالة مدعاة إلى السآمة والضجر . وخصوصا إذا كان الممدوح من غلبة نعيم الدنيا عليه بحيث يقل احتمال له لذلك ويتأذى به ؛ ويجب ألا يمدح رجل إلا بالأوصاف التي تليق به ؛ ويجب أن تكون ألفاظ المديح ومعانيه جزلة مذهبها مذهب الفخامة في المواضع التي يصلح بها ذلك ، وأن يكون نظمه متينا ، وأن تكون فيه مع ذلك عذوبة .

5- إضاعة : وأما النسيب فيحتاج أن يكون مستعذب الألفاظ حسن السبك حلو المعاني لطيف المتنازع سهلا غير متوعتر ، وينبغي أن يكون مقدار التغزل قبل المدح قصدا لا قصيرا مخللا ولا طويلا مملا .

6- تنوير : وأما الرثاء فيجب أن / يكون شاحي الأقاويل مبكي [133 - ب] المعاني مثيرا للتباريح ، وأن يكون بالألفاظ مألوفة سهلة في وزن متناسب ملذوذ ، وأن يستفتح فيه بالدلالة على المقصد ولا يصدّر بنسيب لأنه مناقض لغرض الرثاء ، وإن كان هذا قد وقع للقدمات نحو قصيدة دريد يرثي أخاه التي أولها : [الطويل - ق - المتدارك]

أرثَ جديداً الوصل من أمّ معبد (1)

وقصيدة النابغة يرثي بعض آل جفنة : [الطويل - ق - المتدارك]

دعاكَ الهوى واستجهلتك المنازل (2)

وقصيدة عديّ بن زيد يرثي ولده علقمة : [السريع - ق - المتواتر]

أعرفتَ أمس من ليس طلل (3)

7- إضاعة : فأما الفخر فجار مجرى المديح ولا يكاد يكون

بينهما فرق إلا أن الافتخار مدح يعيده المتكلم على نفسه أو قبيله . وأنّ المادح يجوز له أن يصف ممدوحه بالحسن والجمال ولا يسوغ للمفتخر أن يصف نفسه بذلك .

8- تنوير : فأما طرق الاعتذار والمعاتبات والاستعطافات وما جرى

مجراها فملاك الأمر فيها التلطّف والإثلاج إلى كلّ معتذر إليه أو معاتب أو مستعطف من الطريق الذي يعلم من سجيته أو يقدر تأثيره لذلك .

9- إضاعة : وطريق الهجاء أيضا يقصد فيه ما يعلم أو يقدر أن

المهجوّ يجزع من ذكره ويتألّم من سمعه ممّا له به علقه .

10- تنوير : فأما طرق التهاني فيجب أن تعتمد فيها المعاني السارة

والأوصاف المستطابة ، وأن يستكثر فيها من التيمّن للمهنّة ، وأن يؤتى في ذلك بما يقع وفقه ، ويتحذّر من الإلمام بما يمكن أن يقع منه في نفس

(1) تمام البيت : بعاقبة أم أخلفت كل موعد . شيخو ، 756 .

(2) تمام البيت : وكيف تصابي المرء والشيب شامل . الديوان ، (2) ، 87 .

(3) الرواية في الأغاني :

تعرف أمس من ليس الطلل مثل الكتاب المدارس الاحول

الأغاني ، (3) ، ٢ ، 153 .

المهنتى شيء ، ويجتنب ذكر ما في سمعه تنغص له . ويحسن في التهانى
أن تستفتح بقول يدل على غرض التهنة ، فإن موقع ذلك حسن من
النفوس .

- فهذه إشارة إلى بعض ما يجب في الطرق الشعرية اكتفينا بها عن بسط
الكلام في ذلك ، إذ لا يخفى / على من له أدنى نظر في هذه الصناعة أن ذلك
محوج إلى إطالة كثيرة ، وكل ما أدنى إلى ذلك فإنما أشرنا إليه بقوانين
كلية ، يعرف بها أحوال الجزئيات من كانت له معرفة بكيفية
الانتقالات من الحكم في بعض الأشياء إلى الحكم به في بعض ، إذا كان
المنتقل إليه مما يشتمل عليه المنتقل منه ، أو كانا مشتركين في علّة الحكم ،
أو كانا متماثلين أو متناسبين أو متشابهين . فإنه يحكم للشيء بمثل حكم
مماثلة ، وبمناسب حكم مناسبه . وبمشابه حكم مشابهه ، وكذلك بمضاد
حكم مضاده . فعلى هذه الأنحاء يجب أن تكون نقلة الناظر في هذه الصناعة
مما ذكرناه إلى ما لم نذكره ، وبالله التوفيق .
- 5
- 10
- [134 - أ]

– المنهج الثالث في الإبانة عن الأساليب الشعرية وأنحاء الاعتمادات فيها ، وما يجب أن تعتبر به أحوالها في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

أ – معلم دالّ على طرق العلم بالأساليب الشعرية وما تتنوع إليه ، وينحى بها نحوه .

5

إنّ أساليب الشعر تتنوع بحسب مسالك الشعراء في كلّ طريقة من طرق الشعر ، وبحسب تصعيد النفوس فيها إلى حزونة الخشونة أو تصويبها إلى سهولة الرقة أو سلوكها مذهبا وسطا ، بين / ما لان وما خشن من ذلك . [134 – ب] فإنّ الكلام منه ما يكون موافقا لأغراض النفوس الضعيفة الكثيرة الإشفاق ممّا ينوبها أو ينوب غيرها ، ومنه ما يكون موافقا لأغراض النفوس الخشنة 10 القليلة المبالاة بالأحداث ، ومنه ما يكون موافقا للنفوس المقبلة على ما يبسط أنسها المعرضة عمّا (....) (1) به كلا الفريقين .

1 – إضاعة : فللكلام بحسب هذه الأنحاء المترتبة في الأسلوب ثلاثة أساليب ينحى بالكلام فيها بحسب البساطة والتركيب عشرة أنحاء يختلف الناس فيما تميل بهم أهواؤهم إليه من ذلك بحسب اختلاف طباعهم 15 وتلك الأنحاء هي : 1 – أن يكون أسلوب الكلام مبنيا على الرقة المحضة ، 2 – أو على الخشونة المحضة ، 3 – أو على المتوسط بينهما ، 4 – أو يكون الكلام مبنيا على الرقة ويشوبه بعض ما هو راجع إلى الأسلوب الوسط ، 5 – أو يكون مبنيا على الوسط ويشوبه بعض ما

(1) كلمة غير واضحة بالاصل .

هو راجع إلى الرقة ، - 6 - أو بعض ما هو راجع إلى الخشونة ، - 7 - أو يكون مبنياً على الخشونة ويشوبه بعض ما يرجع إلى الأسلوب الوسط ، - 8 - أو يكون مبنياً على الرقة ويشوبه بعض خشونة ، - 9 - أو على الخشونة ويشوبه بعض رقة ، - 10 - أو يكون مبنياً على الأسلوب المتوسط ويشوبه بعض ما هو راجع إلى الطرفين . 5

2 - تنوير : فأما الأنحاء الثلاثة الأخيرة وهي التي وقع في جميعها الجمع بين طرفين بأن تسلط الطرفان أعني الخشونة والرقة على شيء واحد ، وكان انبعاثهما من ضمير واحد . فإنّ هذا يقبح مثل إرداف الرقة في الحب بالخشونة فيه ، فإن انصرف أحدهما إلى غير ما انصرف إليه الآخر ، وتعلق بغير ما تعلق به ساغ ذلك ، مثل ما نجمع بين التغزل والحماسة في شعر واحد . وذلك يكون على ثلاثة أنحاء :

1 - مقابلة معنى بيت أو شطر / بيت غزليّ بمعنى بيت أو شطر بيت حماسي . [135 - أ]

2 - والنحو الثاني على جهة الالتفات ، وذلك أن يكون مثلاً يتغزل ويصف نفسه بالإفراط في الرقة والصبابة ، فيتوقع أن يظنّ ظاناً أنّ ذلك لضعف نفس منه ، فإلتفت إلى ما يدرأ عنه ذلك الظنّ ويشير إلى ما يدلّ على ذلك بلفظ مختصر يلحقه في تضاعيف كلامه أو عقبه ، وذلك مثل قول الشريف :

مالوا على شعب الرجال وأسندوا أيدي الطعان إلى قلوب تخفق (١)

(١) البيت روايته خروا بدل مالوا ، وهو من قصيدة له في الخليفة القادر ، طالعها : لمن الحدوج تهزهز الأنيق والركب يطفو في السراب ويفرق الديوان ، ٢ ، 541 .

فأشار إلى الشجاعة أثناء الوصف بالرقعة بأوجز لفظ وهو قوله :
« أيدي الطعان » .

3 - والنحو الثالث ، أن يتحوّل الشاعر عمّا له فيه رقّة إلى ما له فيه خشونة ، وينصرف عن أحد الغرضين إلى الآخر بالجملة ، فيصير غرض كلامه .

5

فهذه القوانين، يعتبر أسلوب الكلام ، فإن كلّ كلام شعريّ لا ينفك عن أحد هذه الأنحاء . فمن يتأملها يجدها كما ذكرت ، إن شاء الله .

ب - معرف دالّ على طرق المعرفة بما ينحى بالأساليب نحوه من جهة ما يقصد حسن موقعها من النفوس .

- لما كان (1) الناس بحسب تصاريف أيتامهم وتقلب أحوالهم كأنهم
ثلاثة أصناف : 1 - ... فصنف عظمت لذاته . وقلّت آلامه حتّى كأنه
لا يشعر بها . 2 - ... وصنف عظمت آلامه . وقلّت لذاته حتّى كأنه
لا يشعر بها . 3 - ... وصنف تكافأت لذاتهم وآلامهم ، [و] كانت (2)
أحوال الصنف الأوّل أحوالا مفرحة وأحوال الصنف الآخر أحوالا
مُفجعة وأحوال الصنف الوسط في كثير من الأمر شاجية ، وجب (3) أن
تكون الأقاويل منقسمة بهذا الاعتبار بحسب البساطة والتركيب إلى سبعة
أقسام : 1 - أقوال / مفرحة - 2 - وأقوال شاجية - 3 - وأقوال
مفجعة - 4 - وأقوال مؤتلفة من سارة وشاجية - 5 - ومن سارة ومفجعة

(1) فعل لما وما عطف عليه .

(3) جواب لما .

— 6 — ومن شاجية ومفجعة — 7 — ومؤلفة من الثلاث ، وكانت (1) النفوس تختلف فيما تميل إليه من هذه الأقسام بحسب ما عليه حالها ، فإنها ليست تميل إلاّ إلى الأشبه بما هي فيه ، فيجب (2) أن يُمال بالقول إلى القسم الذي هو أشبه بحال من قُصد بالقول وصُنِع له ، وإن لم يقصد به قصد إنسان فليقتصر به على ذكر الأحوال السارة المستطابة والشاجية ، فإنّ أحوال جمهور الناس والمتفرّغين لسماع الكلام حائمةٌ حول ما ينعم أو يشجو .

1 — إضاءة : فأما ما يجب اعتماده في تحسين موقع الأسلوب من النفوس فذكر أفضل الأحوال الطيبة والسارة وأجدرها بيسط النفوس ، وذكر أعلق الأحوال الشاجية بالنفوس وأجدرها بأن ترقّ لها النفوس ، وذكر أدعى الأحوال المفاجعة إلى الإشفاق والجزع حيث يُقصد قصدٌ ذلك.

2 — تنوير : والأحوال المستطابة هي التي تكون فيها المدركات مُنعمّة . والتي عليها مدار الشعر من ذلك هي مدركات الحسّ ، مثل أن يذكر العناق واللثم وما ناسب ذلك من الملموسات ، والماء والخضرة وما يجري مجراهما من المُبصّرات ، ونسيم الطيب والروض ونحو ذلك من المشمومات ، وذكر الخمر ونحوها من المطعومات ، وذكر الغناء والزممر والعزف ونحو ذلك من المسموعات . وهذه تدخل في الأحوال السارة .

3 — إضاءة : والأحوال السارة نحو مجالس الأُنس ومواطن السرور ومشاهد الأعراس والأعياد والمواسم وما ناسب ذلك .

(1) فعل مستأنف للمّا .

(2) جواب لما مقترن بالغاء .

[136 - أ]

4- قنوير : والأحوال الشاجية : منها أحوال أعقبت فيها الوحشة من الأنس والكدر من الصفاء ، نحو إعقاب التنعم بالحبيب بالتألم لفراقه / وإعقاب التنعم بالشبيبة بالتألم لفراقها ، وإعقاب التنعم بالوطن المؤنس بالتألم لفراقه ، وإعقاب التنعم بالزمن المسعد بالتألم لفراقه ؛ ومنها أحوال كان الجور فيها وضع موضع العدل والإساءة موضع الإحسان ، فهي شاجية أيضا . ومن هذا تشكسي جور الزمان وخون الإخوان وجري الأمور على غير ما يلائم ذا الفضل .

وكثيرا ما كان أبو الطيب المتنبي يقصد هذا الضرب والذي قبله من الشاجية . فكان ذلك مما حسن موقعه من النفوس ، إذ أكثر الناس لا يخلو عن بعض هذه الأحوال .

10

5- إساءة : والأحوال المفجعة هي التي يذكر فيها الإنسان ما يلحق العالم من الغيّر والفساد ومآل بني الدنيا إلى ذلك .

وكان أبو العتاهية يلمّ بذكر هذه الأحوال كثيرا في شعره ، بل كان يعتمد عليها وذلك كثير موجود في شعره .

6- قنوير : ويجب أن تؤنس النفوس عند استجمامها من توالي المعاني التي من شأنها أن تقبضها بمعان يناسب بينها وبين تلك مما شأنه أن يبسطها .

وكذلك لا ينبغي أن يُنحى بالمعاني أبدا منحى واحدا من التخيل أو الإقناع ولكن تردف التخيلية في الطريقة الشعرية بالإقناعية ، والإقناعية في الخطابة بالشعرية .

20

فبالتصوّف في المعاني على هذه الأنحاء يحسن موقع الأساليب من النفوس .
فمن نحا هذا النحو وحمل كلتا الصناعتين من الأخرى ما تحتمله ، وسلك
في الطرق والأساليب المسالك المؤثرة المتقدّم ذكرها ، وذهب بها المذاهب
الملائمة للأغراض ، وآنس بعض المعاني ببعض ، وراوح بينها على النحو
المشار إليه ، كان جديرا أن ترتاح النفوس لأستوّه وأن يحسن موقعه منها . 5

ج - مأمّ من المذاهب المستشرقة بهذا المعرف / وهو مذهب تأنييس [136 - ب]
المعاني بعضها ببعض .

إنّه إذا تمادى استمرار الشاعر في الأسلوب على معانٍ من شأن النفس
أن تنقبض عنها وتستوحش منها فقد يحقّ عليه أن يؤنس النفوس من
استيحاشها ويبسطها من قبضها بمعانٍ يكون حال النفس بها غير تلك الحال 10
لكونها ملائمة للنفوس بأسطة لها . فيميل بالأسلوب في صغوها ويلتفت من
جهات تلك المعاني الموحشة إلى جهات هذه المونسة ويتلطّف فيما يجمع بين
القبيلين من بعض الوصل والمآخذ التي بها ينتقل من بعض المعاني إلى بعض ،
على ما تقدّمت الإشارة إليه في مواضع .

15 1 - إضاعة : وإنّما تتوالى المعاني الموحشة في الأساليب التي تذكر
فيها أحوال لا تستطاب إلا لغرض . وذلك مثل ما يذكر من أحوال
الخطوب وأوصاف الحروب . فقد يستطيب الإنسان ذكر إيقاع له بأعدائه ،
وليس كلّ إنسان يتشفيّ بذلك تشفيّه ، وكذلك المراثي قد يقع الإفراط
في ذكر المعاني المفجعة فيها من خلصان المراثي أشفى موقع .

20 2 - تنوير : وليس يستعمل الكلام بالنظر إلى من قصد بالقول
أولى ممّن اتفق له بالعرض سُكونُ نفس إلى ما لا تسكن النفوس إليه خاصّة

بل بالنظر إليه وإلى غيره ممتن يقدر مرور ذلك الكلام على سمعه عامة .
 فلذلك ينبغي أن يشعشع المعاني الموحشة من جهة ما يُراد إلقاؤه بمحلّ
 القبول من كلّ سامع بمعانٍ مؤنسة تتعلّق بغير الجهة التي تعلّقت الموحشة
 بها ، لكن يتلطّف فيما يجمع بين القبيلين على النحو الذي أشرنا إليه أولاً ،
 حتّى لا يكون الكلام بذلك منافراً من قصّد به قصداً أولياً خاصاً أو 5
 قصداً ثانياً عاماً .

ومثل هذا قول المتنبي في ما تعلّق بصفة الحرب :

[البسيط - ق - المتراكب]

ما زال طِرفُك يجري في دمائهمُ

10 حتّى مشى بك مَشْيَ الشاربِ الثمِلِ (1)

[137 - أ] / ومن ذلك تصوير الشريف الرضي ما يبسط النفس من ذكر الكون
 والنشء والحمل والرضاع في مظنة ما يقبضها من حالي البلى والهمود ،
 وذلك قوله :

أرسيّ النسيمُ بواديكم ، ولا برّحتِ حوامل المزن في أجداثكم تَضَعُ

15 ولا يزال جنينُ النبت ترضعه على قبوركم العراصة الهمعُ (2)

3- إضاعة : وينبغي ألاّ يطرد في هذه المعاني المؤنسة اطرادا
 كثيرا ، فإنّه خروج بالأسلوب عن مهيعه ، ولكن يؤتى من ذلك بالمعنى
 والمعنيين ونحو ذلك في الفصل بعد الفصل ويُلَمَعُ كذلك في الموضع بعد
 الموضع .

(1) تقدمت الإشارة الى موضع هذا الشاهد ، 285 .

(2) البيت الثاني للعراصة بدل العراصة ، والبيتان من قصيدة في الرثاء طالعها :
 قف موقف الشك لا يأس ولا طمع وغالط العيش لا صبر ولا جزع

الديوان ، 1 ، 493 .

د — مأم من المذاهب المستشرقة بالمعلم المتقدم أيضا ، وهو مذهب المروحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية .

قد تقدم الكلام في أن التخيل هو قوام المعاني الشعرية والإقناع هو قوام المعاني الخطابية (1) . واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية سائغ ، إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضوع بعد الموضوع ، كما أن التخيل سائغ استعمالها في الأقاويل الخطابية في الموضوع بعد الموضوع . وإنما سائغ لكليهما أن يستعمل يسيرا فيما تنقوم به الأخرى ، لأن الغرض في الصناعتين واحد ، وهو إعمال الخيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحلّ القبول لتأثير لمقتضاه . فكانت الصناعتان متواخيتين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما .
10 فلذلك سائغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه ، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه .

1 — إضاءة : ولما كانت النفوس تحبّ الافتتان / في مذاهب [137 — ب] الكلام ، وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض ، ليتجدّد نشاطها بتجدّد الكلام عليها ، وكانت معاونة الشيء على تحصيل الغاية المقصودة به بما يجدي في ذلك جدواه أدعى إلى تحصيلها من ترك المعاونة ، كانت المروحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية أعود براحة النفس ، وأعون على تحصيل الغرض المقصود . فوجب أن يكون الشعر المرواح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مروحة فيه ، وأن تكون الخطبة التي وقعت المروحة بين معانيها أفضل من التي لا مروحة فيها . ولتواخي الصناعتين 20 وتداخل أقاويل كليهما على الأخرى قال القائل : [الطويل — ق — المتدارك] وما الشعر إلا خطبة من مؤلّف يجيء بحق أو يجيء بباطل (2)

(1) انظر 62 — 71 .

(2) البيت من فرائد المنهاج .

2- **تنوير** : وينبغي أن تكون الأقاويل المقتنعة ، الواقعة في الشعر ، تابعة لأقاويل مخيَّلة ، مؤكَّدة لمعانيها ، مناسبة لها في ما قصد بها من الأغراض ، وأن تكون المُخيَّلةُ هي العمدة . وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيَّلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها مؤكَّدة لمعانيها ، وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة .⁵

3- **إضاعة** : وينبغي ألا يستكثر في كلتا الصناعتين مما ليس أصيلاً فيها كالتخييل في الخطابة ، والإقناع في الشعر ، بل يؤتى في كليهما باليسير من ذلك على سبيل الإلماع .

4- **تنوير** : فإن ساوى بعض الناس بين المخيَّلات والمقنعات في كلتا الصناعتين ، أو حام حول مساواة المخيَّلات بالمقنعات في الشعر ، أو مساواة المقنعات بالمخيَّلات في الخطابة ، كان قد أفرط في كلتا الصنعتين في الاستكثار مما ليس أصيلاً فيه ولا (.....) (1) مع ذلك مقبولا.

5- **إضاعة** : فإن جاوز حدَّ التساوي في كليهما ، فجعلَ عامَّة الأقاويل / الشعرية خطابية ، وعامَّة الأقاويل الخطابية شعرية ، كان قد أخرج كلتا الصناعتين عن طريقتيهما ، وعدل بها عن سواء مذهبها ، ووجب ردُّ قوله (.....) (2) ولنسبة كلامه إلى ما ذهب به من المذاهب المعنوية ، لا إلى ما هيَّأه به من الهيئات اللفظية . وأن تعدَّ الخطابة في ذلك شعراً ، والشعر خطابة ، فيكون ظاهر الكلام وباطنه متدافعين ، وهو مذهب مذموم في الكلام .

[138 - أ]

(1) بياض مقدار كلمتين بالأصل .

(2) بياض مقدار كلمتين بالأصل .

وكان أبو الطيّب المتنبي يعتمد المراوحة بين معانيه ، ويضع مقنعاتها من مخيلاتها أحسنَ وضع ، فيتمّ الفصول بها أحسن تهيئة ، ويقسم الكلام في ذلك أحسن قسمة . ويجب أن يؤتمّ به في ذلك ، فإنّ مسلكه فيه أوضح المسالك .

5 هـ - معلم دالّ على طرق العلم بكيفية الاستمرار في الأساليب والاطراد عليها وما يحسن اعتماده فيها .

لما كانت (1) الأغراض الشعرية يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد ، وكانت (2) لتلك المعاني جهات فيها توجد ومائل منها تقتنى كجهة وصف المحبوب وجهة وصف الخيال وجهة وصف الطلول 10 وجهة وصف يوم النوى وما جرى مجرى ذلك في غرض النسيب ، وكانت (3) تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات والنقلة من بعضها إلى بعض وبكيفية الاطراد في المعاني صورة " وهيأة تسمى الأسلوب ، وجب (4) أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ ، لأنّ الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة جهة من 15 جهات غرض القول وكيفية الاطراد من أوصاف جهة إلى جهة . فكان بمنزلة النظم في الألفاظ الذي هو صورة كيفية / الاستمرار في الألفاظ [138 - ب] والعبارات والهيئة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها إلى بعض وما يُعتمد فيها من ضروب الوضع وأنحاء الترتيب .

1 ، 2 ، 3 أفعال لما .

4 جواب لما .

فالأسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية ، والنظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية .

1- إضساءة : ولما كان الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ وجب أن يلاحظ فيه من حسن الاطراد والتناسب والتلطّف في الانتقال عن جهة إلى جهة والصيرورة من مقصد إلى مقصد ما يُلاحظ في النظم من 5 حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض ومراعاة المناسبة ولطف النقلة .

2- تنوير : ومما يجب أن يكون حال الأسلوب فيه على نحو ما يكون النظم عليه ملاحظة الوجوه التي تجعلهما معا مخيلين للحال التي يريد تخيلها الشاعر من رقّة أو غلظة أو غير ذلك .

فإنّ النظام اللطيف المأخذ ، الرقيق الحواشي ، المستعمل فيه الألفاظ 10 العرفية في طريق الغزل ، تخيل رقّة نفس القائل . ولو وقع ذلك مثلاً في طريقة الفخر لم تُخيّل الغرض ، بل تخيل ذلك الألفاظ الجزلة والعبارات الفخمة المتينة القويّة . وكذلك لطف الأسلوب ورقته يخيّلان لك أنّ قائله عاشق ، وخشونة الأسلوب وجفأؤه لا يخيّلان ذلك نحو أسلوب الفرزدق في النسيب . 15

3- إضساءة : وإتّما وجب أن يستعمل في كلّ طريق الألفاظ المستعملة فيه عرفاً ، لأنّ ما كثر استعماله في غرض ممّا واختصّ به أو صار كالمتخصّ لا يحسن إيرادُه في غرض مناقض لذلك الغرض ، ولأنّه غير لائق به لكونه مألوفاً في ضده وغير مألوف فيه ، وذلك مثل استعمال السالفة والجيد في النسيب ، واستعمال الهادي والكاهل في الفخر والمديح 20 ونحوهما ، واستعمال الأخدع والقذال في الذمّ .

[139 - أ] / المنهج الرابع في الإبانة عن المنازع الشعرية وأنحائها وطرق المفاضلة بين الشعراء في ذلك وغيره من أنحاء التصاريح في هذه الصناعة وما يعتبر به أحوال الكلام وأحوال القائلين في جميع ذلك .

أ - معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في المنازع الشعرية التي يكون للكلام بها حسنٌ موقعٌ من النفوس .

ومنازع الشعراء في الشعر تختلف . ويجب أن نبيّن أولاً ما المتزع ؟ ثم نبيّن مذاهب الشعراء في ذلك . فأقول :

إنّ المنازع هي الهيئات الحاصلة عن كيفيات مآخذ الشعراء في أغراضهم ، وأنحاء اعتماداتهم فيها ، وما يميلون بالكلام نحوه أبداً ، ويذهبون به إليه ، حتّى يحصل بذلك للكلام صورة تقبلها النفس أو تمتنع من قبولها . والذي تقبله النفس من ذلك ما كانت (1) المآخذ فيه لطيفة ، والمقصود فيه مستطرفاً . وكان للكلام به حسن موقع من النفس . والمعين على ذلك أن يتزع بالكلام إلى الجهة الملائمة لهوى النفس من حيث تسرها أو تعجبها أو تشجوها . حيث يكون الغرض مبنيّاً على ذلك ، نحو متزع عبد الله ابن المعتز في خمرياته ، والبحثري في طيفياته ، فإنّ متزعهما ، فيما ذهبا إليه من الأغراض ، متزع عجيب .

1 - إضاءة : والذي لا تقبله النفس من ذلك ما كان بالضدّ ممّا ذكرته .

(1) بالأصل كان بالتذكير .

والناس يختلفون في هذا . فيستحسن بعضهم من المنازع ما لا يستحسنه آخر . وكلّ منهم يميل إلى ما وافق هواه .

- 2- **تنوير** : ومن الشعراء من يمشي على نهج غيره في المنزع [139 - ب] ويقتفي في ذلك / أثر سواه ، حتّى لا يكون بين شعره وشعر غيره ممّن هذا حذوه في ذلك كبيرُ ميزة ، ومنهم من اختصّ بمنزِع يتميّز به شعره 5 من شعر سواه ، نحو منزِع مهيار ومنزِع ابن خفاجة .

وهذا الامتياز يكون بأحد طريقتين : إمّا بأن يوتر في شعره أبدا الميل إلى جهة لم يوتر الناس الميل إليها ولم يأخذوا فيها مأخذَه ، فيتميّز شعره بهذا عن شعرهم ، وإمّا بأن لا يسلك أبدا في جميع الجهات التي يميل بكلامه إليها مذهبَ شاعر واحد ولكن يقتفي أثرَ واحد في الميل إلى جهة 10 وأثر آخر في الميل إلى جهة أخرى : وكذلك في جهة جهة يأخذُ بمذهب شاعرٍ شاعرٍ ، فتكونُ طريقته طريقةً مركّبةً ، فيتميّز كلامه بذلك وتصيرُ له صورةٌ مخصوصة .

- 3- **إضاعة** : وقد يعنى بالمنزِع أيضا كيفيةُ مأخذ الشاعر في بنية نظمه وصيغة عباراته وما يتخذُه أبدا كالقانون في ذلك كماخذُ أبي الطيّب 15 في توطئة صدور الفصول للحكّم التي يوقعها في نهاياتها ، فإنّ ذلك كلّهُ منزِع اختصّ به أو اختصّ بالإكثار منه والاعتناء به .

وقد يعنى بالمنزِع غير ذلك إلاّ أنّه راجع إلى معنى ما تقدّم ، فانه أبداً لطف مأخذ في عبارات أو معان أو نظم أو أسلوب .

- ويستحسن من جميع ذلك ما حسن موقعه من النفوس . ولا يحسن ما 20 كان بالضدّ من ذلك .

4- **تنوير** : ولا يخلو لطف المأخذ في جميع ذلك من أن يكون
 1- من جهة تبديل - 2- أو تغيير - 3- أو اقتران بين شيئين - 4- أو
 نسبة بينهما - 5- أو نقلة من أحدهما إلى الآخر - 6- أو تلويح به إلى
 جهة وإشارة به إليه .

5 وهذه الأنحاء الستة من التصرف لا يخلو من أن تكون متعلقة - مما
 يرجع إلى المعاني الذهنية - بالتصورات منها ، أو بالنسبة الواقعة بين بعضها
 وبعض ، أو بالأحوال المنوطة بها ، أو بجهة الأحكام فيها ، أو بالمحددات
 لها ، أو بأنحاء التخاطب المتعلقة بها .

[140 - أ]

وقد تقدم ذكر ذلك / كله (1) .

10 5- **إضاعة** : وهذه الأنحاء التي ينزع بالمعاني إليها : منها ما يتيسر
 التهدي إليه على أكثر الشعراء ، ومنها ما لا يتيسر التهدي إليه إلا على
 بعضهم .

والذي لا يتهدى إليه إلا بعضهم : منه ما يشترك فيه العربي والمحدث ؛
 ومنه ما لا يكاد يوجد إلا في شعراء المحدثين . وذلك مثل إسنادهم
 15 وإضافتهم ضد الشيء إليه ، وكإعمالهم الشيء في مثله ، وكإقامتهم
 الشيء مقام ضده وتنزيلهم له منزلة على جهة من الاعتبار .

فأما إضافة ضد الشيء إليه ، فتحو قول أبي الطيب رحمه الله :

[الخفيف - ق - المتواتر]

صلة الهجرني ، وهجر الوصال (2) .

(1) راجع 216 وما بعدها .

(2) أبيت طالع قصيدة في مدح عبد الرحمن بن المبارك الانطاكي . وهو بتمامه :
 صلة الهجرني وهجر الوصال نكاسني في القم نكس الهلال
 العكبري ، (1) ، ٢ ، 141 .

وأما إعمالهم الشيء في مثله فنحو قوله أيضا : [الكامل - ق - المترادف]
أسقي على أسقي الذي دلتهني عن علمه فيه علي خفاء (1)
وقوله : [الطويل - ق - المتدارك]

لبست لها كدر العجاج كأنما

تري غير صاف أن ترى الجو صافيا (2)

ومن قول الشيباني :

[الرجز - ق - المتواتر]

واصدد كصدتي عن طويل الصدد (3)

وأما تنزيل الشيء منزلة ضده على جهة من الاعتبار ، فنحو قول المتنبي
[الكامل - ق - المتواتر]

10 وشكيتي فقد السقام ، لأنه قد كان لما كان لي أعضاء (4)

ومنه قول الحسين بن الضحاك : [مجزوء الخفيف - ق - المتدارك]

كبدني في هواك أسقم من أن تقطعا

لم تدع سورة الضنما في السقم موقعا (5)

وكان أبو الطيب المتنبي يستعمل هذه الأنحاء الثلاثة في المعاني ويقصدها في

مواضع كثيرة من شعره .

15

(1) البيت من قصيدة يمدح بها ابن علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي لكاتب ، طالعها :
أمن إزدبارك في الدجى الرقباء إذ حيث كنت من لظلام ضياء
المكبرى ، (1) ، 1 ، 11 .

(2) البيت من قصيدة في مدح كافور طالعها :
كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحب المنايا أن يكن أمانيا
المرجع السابق ، (2) ، 4 ، 291 .

(3) البيت من فرائد المنهاج .

(4) البيت من القصيدة المشار إليها في التبع 1 فلترجع في المصدر نفسه .

(5) يروي البيت الأول بلفظ من هواك بدل في هوالك والبيت الثاني بلفظ موضع بدل موقعا .
وهو من قطعة صغيرة ذات أربعة أبيات أولها : لا وحببك لا اصافح بالدمع مدمعا .
الأغاني ، (3) ، 7 ، 175 .

6 - تنوير : فأما إسناد الفعل إلى ما اشتق منه نحو قول المتنبي :

[الطويل - ق - المتواتر]

أما الموت ؟ أم دعر الذعر ؟ (1)

فإنه يوجد في كثير من كلام العرب .

5 وأكثر ما يقع أيضا في كلام العرب أن يوصف المصدر بالصفة المشتقة

لفاعله ، وذلك على جهة الاتساع والتجوز كقولهم شعر شاعر . وقد تصف

العرب المصدر بصفة نقيضه أو بصفة فاعل نقيضه نحو قول (.....) (2) :

[الطويل - ق - المتدارك]

ألا يا لقومي للرقاد المسهد (3)

10 / فيكون هذا على أنحاء من التأويل : إما أن يريد للرقاد المصير سهادا ، [140 - ب]

وإما أن يريد للرقاد (.....) (4) وقطع به اتصاله ، وإما أن

يريد للرقاد الذي شرد وسهد صاحبه فيكون في الكلام حذف مضاف .

وهذا التأويل (.....) (5) سائغ في ما قبله .

7 - إضاءة : ويجب أن يستعمل من هذه المجازات وأن يذهب من

15 هذه المذاهب في (.....) (6) بعيدا من الفهم ولا قلقا في التصور .

(1) تمام البيت :

تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم دعر الذعر!

وهو من قصيدة في مدح علي بن أحمد الانطاكي . طالعها :

اطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيدا وما قولي كذا ومعني الصبر

البرقوقي ، (2) . ٢ . 2 - 3 .

(2) بياض مقدار كلمة في الاصل .

(3) لم نقف على بقية البيت ، وهو من فرائد المنهاج .

(4) بياض مقدار ثلاث كلمات .

(5) بياض مقدار كلمتين ونصف .

(6) بياض مقدار كلمتين .

وإن لم يكن من شأن العرب أن تستعمل ذلك ، لأنّ المعنى إذا تصوّر وكان صحيحاً ساغ أن يستعمل في الكلام المصوغ على قوانين العرب ، وإن لم يكن لذلك المعنى نظير في كلامهم .

ولأنّما يجب أن يلتزم في الكلام الجاري على قانون كلام العرب أن تكون مجاري أواخر الكلم وتصاريدها وإسناداتها على حدّ ما وقعت عليه في 5 كلام العرب بحسب موضع موضع ، وأن يوقع كلّ منها على ما أوقعته العرب ، وأن يكون متصلاً بما وصلته العرب ، إن كان ممّا شأنه أن يوصل بغيره .

فيتحرّز من مثل ما يقع لكثير من أهل هذا الزمان من استعمالهم الباء في مثل قولهم : استبدل كذا بكذا أو أبدل كذا بكذا في غير موضعها ، 10 فإنّ الناس يدخلون الباء على الشيء الذي هو بدل من الآخر ، والعرب ليس تدخل الباء في مثل هذا إلاّ على المبدل منه لا على البدل نحو قوله :

[المتقارب - ق - المتواتر]

تبدّل بالأنس صوت الصدا وسجع الحمامة تدعو هديلاً (1) وعلى مثل هذا استعمله فحول المحدثين كقول أبي تمام : 15

[الكامل - ق - المتواتر]

فاسلم . أمير المؤمنين لأمة أبدلتها الإمراع بالإمحال (2)

ومن تتبّع مثل هذا الاستعمال ممّا انحرف الناس فيه عن الاستعمال العربيّ وجده ، فليتحرز من ذلك .

(1) البيت من فرائد المنهاج .

(2) البيت من قصيدة طويلة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الخرمية ، طالعها : آلت أمور الشريك شرّ مآل وأقرب بعد تخبط وصيال

تبريزي ، ٣ ، 144 .

ب - معرف دالّ على طرق المعرفة / بالمآخذ اللطيفة في المنازع التي [141 - أ]
ربّما خفي الوجه الذي لأجله حسن الكلام بها .

وحسن المآخذ ، في المنازع التي يُترع بالمعاني والأساليب نحوها ،
يكون بلطف المذهب في الاستمرار على الأساليب والاطراد في المعاني
والإثلاج إلى الكلام من مدخل لطيف . فيوجد للكلام بذلك طلاوة وحسن
موقع من النفس لا توجد مع وضعه على خلاف تلك الهيئة والإثلاج إليه
من غير ذلك المدخل . وهذا النوع من الكلام لا يكاد يميّزه إلا الناقد
البصير الجيّد الطبع .

ولك أن تعتبر حسن المآخذ في المعاني والعبارات عنها بقول أبي تمام :
[البسيط - ق - المتراكب]

10

يا بعد غاية دمع العين إن بعدوا (1) .

فلو أخلّى المعنى من التعجب واقتصر على إيجاب بعد غاية الدمع لبعدهم
لم يكن له من حسن الموقع ما له في هذه العبارة التي أورده فيها . وكذلك
أيضا لو عبّر عن معنى التعجب بغير هذه العبارة فقال : « ما أبعد غاية
دمع العين إن بعدوا » لم يكن له من حسن الموقع ما له في هذه العبارة التي
أورده فيها باقتران التعجب بالمعنى في صورة النداء حسن مترع في الكلام
ولطف مأخذ فيه .

15

1 - إضاعة : وقد يرد من حسن المآخذ ما لا يقدر أن يعبر عن الوجه
الذي من أجله حسن ولا يعرف كنهه ، غير أنه يعرف أنه مأخذ حسن في
العبارة من حيث إنك إذا حاولت تغيير العبارة عن وضعها والإثلاج إليها

20

من غير المهيع الذي منه أثلج واضعها وجدت حسن الكلام زائلا بزوال ذلك الوضع والدخول إليه من غير ذلك المدخل . واعتبر ذلك بقول أبي سعيد المخزومي :

ذنبني إلى الخيل كرتي في جوانبها إذا مشى الليث فيها مشي مُختل (1)

[141 - ب] / فإنك لو غيرت صيغة هذا البيت وأزلتها عن موضعها ، فقلت مثلا : 5
« كم أذنبت إليّ الخيل بكرتي في جوانبها » أو غيرته غير هذا التغيير لم تجد له من حسن الموقع من النفس . ما له في صيغته ووضعه الذي وضعه عليه المخزومي .

2 - تنوير : وقد جارانا الكلام في هذا الباب الفقيه العلامة أبو

الحسن سهل بن مالك ، وكان إماما في هذه الصناعة . وهناك الكاتب الأبرع 10
أبو المطرف ابن عميرة نسيج وحده في البلاغة .

فقال أبو الحسن : « إن من المعاني المعبر عنها بالعبارات الحسنة ما تدرك له مع تلك العبارة حسنا لا تدركه له في غيرها من العبارات ولا تقدر أن تعبر عن الوجه الذي من أجله حسن إيراد ذلك المعنى في تلك العبارة دون غيرها ولا تعرب عن كنه حقيقته . إنما هو شيء يدركه الطبع السليم 15
والفكر المسدد ولا يستطيع فيه اللسان مجازاة الهاجس » . قال : « وهكذا يتمق في المحسوسات : فإني شهدت ذات مرة مناداةً على جارية ، وقد بلغت مثني دينار ، فتواقف الناس فيها عن الزيادة ، وظهر من الحاضرين فيها بعض زهادة ، فدنا إليها سيدها فأسر إليها كلاما فمالت عنه متلعة 20
بردنها وازدادت بما فعلته حسنا إلى حسنها . فأبدت من الحسن كل

(1) البيت من فرائد منهاج .

سرّ لطيف ، واتّقت بأحسن من يد المتجرّدة عند إسقاط النصف ، فعَلَّت بما فعَلَّت قيمتها وزادت ، حتّى تضاعفت أو كادت ، ليس إلّا لحسن ذلك الدّلّ والإشارة . وذلك شيء وإن أدركه الحس فغيرُ معربة عن كنهه العبارة » .

5 فقال لي أبو المطرّف : « لو سمع منك هذا أبو الفرج الجوزي لصنع في ذلك فصلاً وركّب على عامله نصلاً » .

3 — إضاءة : قد أشرنا إلى بعض ما ينحو الشعراء نحوه فيما يرجع إلى أمور لفظيّة أو معنويّة أو نظميّة أو أسلوبيّة ، وأومات / إلى مذاهبهم في ذلك . وكان ما تعلّق من ذلك بالأسلوب هو المعتمد ذكره في هذا 10 المعروف . وكان ذكر ما ليس راجعاً إلى الأسلوب من ذلك على جهة التبعيّة ، وذكر الشيء مع ما يناسبه جرياً على عادتنا في مواضع كثيرة من هذا الكتاب . فإنّا قد نلّمع في المعلم الواحد بالإشارة إلى مذاهب جمّة من مذاهب البلاغة ، ونوميء إلى كلّ مذهب من ذلك بقول كلّي ، إذ لو 15 أفردنا لكلّ مذهب من ذلك تبويهاً وترجمة عليه ، وسرّحنا عنان الكلام في مذهب مذهب من ذلك بعض تسريح لا تتسع مجال القول وعظم حجم الكتاب ، ولم نقصد ذلك ، وإن كنّا قد بلغنا به مبلغاً (1) كاد أن يخرج بنا إلى الإرباء على ما يجب ، إذ أوقات التخلّي والنظر لا تنفسح لاستقصاء العلوم . ولكن يجب ، أن تناط العناية منها بالمتأكّد فالمتأكّد . فلذلك اكتفينا من هذا العلم بما لم يكن بدّ من معرفته لمن أراد النظر فيه .

(1) إشارة من المؤلف الى فراغه بهذه الفصول من تأليفه .

ج - معلم دالّ على طرق العلم بما يجب أن يعتقد ويقال في المفاضلة بين الشعراء ، بحسب اختلاف الأزمنة والأحوال المهيأة لقول الشعر والباعثة عليه .

- إنّ المفاضلة بين الشعراء الذين أحاطوا بقوانين الصناعة وعرفوا مذاهبها لا يمكن تحقيقها ، ولكن إنّما يُفاضل بينهم على سبيل التقريب وترجيح الظنون . ويكون حكم كلّ إنسان في ذلك بحسب ما يلائمه ويميل إليه طبعه . إذ الشعر يختلف في نفسه بحسب اختلاف أنماطه وطرقه ، ويختلف بحسب اختلاف الأزمان وما يوجد فيها ممّا شأن القول الشعريّ أن يتعلق به . ويختلف بحسب اختلاف الأمكنة وما يوجد فيها ممّا شأنه أن يوصف ، [142 - ب] ويختلف بحسب الأحوال / وما تصلح له وما يليق بها وما تحمل عليه ، ويختلف بحسب اختلاف الأشياء فيما يليق بها من الأوصاف والمعاني ، ويختلف بحسب ما تختصّ به كلّ أمة من اللغة المتعارفة عندها الجارية على ألسنتها .

- 1- إضاءة : ولأنّ الشعر يختلف بحسب اختلاف أنماطه وطرقه نجد شاعرا يُحسن في النمط الذي يقصد فيه الجزالة والمتانة من الشعر ولا يحسن في النمط الذي يقصد به اللطافة والرقّة ، وآخر يُحسن في النمط الذي يقصد به اللطافة والرقّة ولا يحسن في النمط الذي يقصد به الجزالة والمتانة . ونجد بعض الشعراء يحسن في طريقة من الشعر كالنسيب مثلاً ولا يحسن في طريقة أخرى كالهجاء مثلاً . وآخر يكون أمره بالضدّ من هذا

- 2- تنوير : ولأنّ الشعر أيضاً يختلف بحسب اختلاف الأزمان وما يوجد فيها وما يولع به الناس ممّا له علاقة بشؤونهم ، فيصفونه لذلك ويكثرون

رياضة خواطرهم فيه ، نجد أهلَ زمان يعنون بوصف القيان والخمر وما
 قاسب ذلك ويجيدون فيه ، وأهلَ زمان آخر يعنون بوصف الحروب
 والغارات وما ناسب ذلك ويجيدون فيه ، وأهلَ زمان آخر يعنون بوصف
 تيران القرى وإطعام الضيف وما ناسب ذلك ويجيدون فيه .

5 3- إضاعة : ولأنّ الشعر أيضا يختلف بحسب اختلاف الأمكنة
 وما يوجد فيها ممّا شأنه أن يوصف من الأشياء المصنوعة أو المخلوقة - وكلّ
 يدخل تحت المخلوقة ولكن الناس قد فرقوا هذه التفرقة - نجد بعض
 الشعراء يحسن في وصف الوحش ، وبعضهم يحسن في وصف الروض ،
 وبعضهم يحسن في وصف الخمر ، وكذلك في وصف شيء شيء فإنّهم
 10 يختلفون في الإحسان فيه ويتفاوتون في محاكاته ووصفه على قدر قوّة ارتسام
 نعوت الشيء في خيالاتهم بكثرة ما ألفوه وما تأملوه .

4- تنبؤير : ولأنّ الشعر / أيضا يختلف بحسب اختلاف أحوال
 القائلين وأحوال ما يتعرّضون للقول فيه ، وبحسب اختلافهم في ما يستعملونه
 من اللغات ، نجد واحدا يحسن في الفخر ولا يحسن في الضراعة ، وآخر
 15 يحسن في الضراعة ولا يحسن في الفخر ، ونجد واحدا يحسن في مدح
 الطبقات الأعلى ولا يحسن إلاّ في أمداح الطبقات الأدنى ،
 ونجد واحدا يحسن في النظم المصوغ من الألفاظ الحنوشية والغريبة وآخر
 لا يحسن إلاّ في نظم اللغات المستعملة .

5- إضاعة : وإذا كان الأمر على ما قدّمته فواجب أن يضاعف
 20 الثناء على الشاعر إذا أحسن في وصف ما ليس معتادا لديه ولا مألوفا في
 مكانه ولا هو من طريقه ولا ممّا احتنك فيه ولا ممّا ألبأته إليه ضرورة ،
 وكان مع ذلك متكلمًا باللغات التي يستعملها في كلامه . وبالجملّة إذا أخذ

في مأخذ ليس مما ألفه ولا اعتاده فإن الشاعر إذا أخذ في مأخذ ليس مما ألفه ولا اعتاده فساوى في الإحسان فيه من قد ألفه واعتاده ، كان قد أربى عليه في الفضل إرباء كثيرا ، وإن كان شعرهما متساويا .

- 6- **تنوير** : فتحرى الحقيقة في الحكم بين شعراء الأعصار والأمصار مما لا يتوصل إلى محض اليقين فيه ، ولكن يرجح بعضهم على 5 بعض على سبيل التقريب . وكذلك الحكم بين شاعر وشاعر ، فإنه معي على من طالب نفسه بتحرى التحقيق وتحصيل اليقين فيه . فإن أحدهما قد يساعده الزمان والمكان والحال والباعث على التغلغل إلى استشارة تخايل ومحاكاة في شيء لا يساعد الآخر شيء من ذلك عليه . وقد تكون حال الآخر في غير ذلك الشيء بمنزلة حال صاحبه في ذلك الشيء . وقد 10 تختلف حالهما في اللغة . وتختلف حالهما في الروية ، ومقدار جمام خاطر كل واحد منهما ونشاطه للقول في حال الروية . ولذلك قد يعسر الحكم في / المفاضلة بين الشاعرين في جودة الطبع وفضل القريحة ، ولكن [143 - ب] تمكن المفاضلة بين قولهما إذا اجتمعا في غرض ووزن وقافية .

- 7- **إضاءة** : ولما في المفاضلة بين الشعراء من الإشكال وتوعر 15 سبيل التوصل إلى التحقيق في ذلك اختلفت آراء العلماء في ذلك ، وتوقف بعضهم عن القطع فيه بخكم لا تبقى له معه شبهة ولا مريية ، حتى إن أمير المؤمنين عليا ابن أبي طالب ، رضي الله عنه ، لم يقض في ذلك قضاء جزما . وحسبك برأي أفصح الأمة وأعلمها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إماما يقتدى به وعلمًا يهتدى عليه . وأنا أورد خبره ، رضي 20 الله عنه ، في ذلك .

قال أبو الفرج الأصبهاني : أخبرني عمّي ، قال : حدثنا جعفر بن محمد العاصمي قال حدثني عيينة بن المنهال قال حدثني شدّاد بن عبيد الله قال حدثني عبيد الله بن الحر العتري القاضي عن أبي عرّادة قال :

« كان عليّ عليه السلام يُفطر الناس في شهر رمضان ، فإذا فرغ من العشاء تكلم فأقلّ وأوجز وأبلغ . فاختمهم الناس ليلة حتّى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس . »

— فقال عليّ لأبي الأسود الدؤلي : قل يا أبا الأسود .

— فقال أبو الأسود ، وكان يتعصب لأبي دؤاد : أشعرهم الذي يقول :
[الخفيف — ق — المتواتر]

10 ولقد أغتدي بدافع ركني أحوذِي ذو مِعة إضربجُ
مِخلَط مِزبَلٌ مِكرٌ مِفرٌ مِنفَح مِطرَح سبوح خروجُ
سَلَهَب شرجَب كأنَ رماحا حملته ، وفي السّراة دُمُوجُ

فأقبل عليّ — عليه السلام — فقال : كل شعرائكم محسن ، ولو جمّعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيّهم أسبق إلى ذلك . وكلّهم قد أصاب الذي أراد وأحسن ؛ فإن يكن أحد فضّلهم فالذي
15 لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر ، فإنّه كان أصحّهم / بادرة وأجودهم نادرة» (1) .

[144 — أ]

فانت ترى كيف جعل عليّ ، رضي الله عنه ، اختلاف الأزمنة وتفاوت الغايات وتباين المذاهب عائقة عن التوصل إلى التحقيق في ذلك .

(1) البيت الثالث من شعرا أبي دؤاد هنا ورد بلفظ سرجب بدل شرجب . الاغانى ، (3) ، ١٥ .

8- **تنوير** : فأما من يذهب إلى تفضيل المتقدمين على المتأخرين بمجرد تقدم الزمان فليس ممن تجب مخاطبته في هذه الصناعة . لأنه قد يتأخر أهل زمان عن أهل زمان ثم يكونون أشعر منهم لكون زمانهم يحوش عليهم من أقناص المعاني بسفوره لهم عن أشياء لم تكن في الزمان الأول . ولتوفر البواعث فيه على القول وتفرغ الناس له . كالحال في 5
إجادة الشعراء (1) الذين كانوا في زمان ملوك آل جفنة (2) وملوك لخم ، ومن كان في زمانهم من ملوك العرب (3) وأجوادها (4) ، فإن تلك الحلبة تقدمت بالإحسان من تقدمها (5) بالزمان ، والسبب في ذلك ما ذكرته . وهذه الحلبة هي حلبة زهير والنابعة والأعشى ومن جرى مجراهم وانخرط في سلكهم .

10

وقد وقعت في المفاضلة بين الشعراء أقوال لا [يعتد بها] وآراء لا يحسن الاشتغال بذكرها والرد عليها عما هو أهم من ذلك . فإن تلك الآراء أظهر فسادا لمن له أدنى معرفة بهذه الصناعة من أن يحتاج في ذلك إلى تكلف حجة أو استدلال ، وإنما الرأي الصحيح الذي عليه [المعول] من أن الشعر اعتبارات في الأزمنة والأمكنة والأحوال ، فلا يجب أن يقطع 15
بفضل شاعر [على آخر] بأنه ساواه في جميع ذلك ، ثم فضله بالطبع والقريحة . وهذا أمر يتعذر تحرري [اليقين فيه ، وإنما] يمكن التقريب والترجيح بينهما بحسب ما يغلب على الظن .

(1) انظر بلاشار ، 86 - 90 ؛ نلينو ، 40 - 61 .

(2) انظر بلاشار ، 86 - 90 ؛ نلينو ، 40 - 61 .

(3) النعمان بن المنذر وعمر بن هند وامثلهم .

(4) منهم حاتم بن عبد الله الطائي .

(5) حول الشعراء المتقدمين انظر وهب بن منبه .

9 - إضاءة : فأما المفاضلة بين جماهير شعراء توفرت لهم الأسباب المهيئة لقول الشعر والأسباب الباعثة على ذلك ، وقد أومأت إليها في صدر الكتاب (1) ، وبين جماهير شعراء لم تتوفر لهم الأسباب المهيئة ولا البواعث ، فلا / يجب أن نتوقف فيها بل نحكم حكما جزما أن الذين [144 - ب] توفرت لهم الأسباب المهيئة والباعثة أشعر من الذين لم تتوفر لهم . وذلك كما نفضل شعراء العراق على شعراء مصر . ولا نتوقف في ذلك ، إذ لا مناسبة بين الفريقين في الإحسان في ذلك ، كما لا تناسب بينهم في توفر الأسباب ، وإن كان أكثر تلك الأسباب أيضا في الصقع العراقي قد تغير عما كان عليه في الزمان المتقدم .

10 د - معرف دال على طرق المعرفة بمبلغ هذا الكتاب من أصول هذه الصناعة .

قد تكلمنا من هذه الصناعة في جملة مقنعة . وبقيت أشياء لا يمكن تتبعها لكثرة تشعبها وتعذر استقصائها ، وأشياء يمكن استقصاؤها أو استقصاء عامتها بعد طول .

15 فأما ما يعز استقصاؤه فذكر ما به يكون كمال الشعر وتفصيل القول في المهيئات له والأدوات والبواعث عليه . ومن ذلك اعتبار كل نمط من أنماط اللفظ بكل نمط يوقع فيه من أنماط المعاني والنظام والأساليب والأوزان ، واعتبار كل نمط من المعاني بكل نمط يصلح به من أنماط اللفظ والنظام والأساليب والأوزان ، واعتبار كل نمط من النظم بما يصلح

به من أنماط اللفظ والمعاني والأساليب والأوزان . واعتبار كل نمط من أنماط الأساليب بما يصلح به من أنماط الألفاظ والمعاني والنظام والأوزان، واعتبار كل نمط من أنماط الأوزان بما يصلح به من أنماط اللفظ والمعنى والنظم والأسلوب ، والتمييز بين ما يكون ملائماً لما وضع بإزائه من جميع ذلك وما يكون منافراً لوضعه (1) (.....)

5

(1) هذا آخر النسخة . والكلام بقية قليلة يتم بها تصوير الغرض من التأليف الذي يصرح حازم بتمام انجازه ووصوله فيه الى الغاية من ذلك .

مُحَقَّق

من كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (1) .

1 — قال حازم في المنهاج :

« الضرائر الشائعة منها المستقبح وغيره ، وهو ما لا تستوحش منه النفس ،
5 كصرف ما لا ينصرف ، وقد تستوحش منه النفس في البعض كالأسماء
المعدولة ، وأشد ما تستوحشه النفس تنوين أفعل منه ، ومما لا يستقبح قصر
الجمع الممدود ، ومد الجمع المقصور ، ويستقبح منه ما أدّى إلى التباس
جمع بجمع مثل ردّ مطاعم إلى مطاعم أو ردّ مطاعم إلى مطاعم ، فإنه
يؤدّي إلى التباس مطعم بمطعام . وأقبح ضرائر الزيادة المؤدّية لما ليس
10 أصلاً في كلامهم كقوله :

من حوثما نظروا أدنو فأنظور

أي أنظر . أو الزيادة لما يقلّ في الكلام كقول امرئ القيس في بعض
الروايات : طأطأت شيمالي ، أراد شمالي . وكذلك يستقبح النقص
المجحف كقول لبّيد :

15 درس المنا بمتّال فأبان

أراد المنازل ، وكذلك العدول عن صيغة لأخرى كقول الخطيئة :
فيها الزجاج وفيها كلّ سابعة جدلاء محكمة من نسج سلام
أراد سليمان عليه السلام (2) .

السبكي ، 1 ، 88 س 14 — 89 س 7 .

(1) اعتمد السبكي في شرحه كثيراً من كتب البلاغة والنقد ، من بينها كتاب حازم وسماه
منهاج البلغاء وسراج الأدباء . انظر الشرح ، 1 ، 29 .

(2) هذا النص منقول بتصرف . انظر السيوطي : التزهر ، (2) ، 1 ، 188 س 19 — 189 س
11 ؛ الاقتراح مخط . 73 أس 11 — 12 .

2 - قال حازم :

«المفرط في القصر ما كان على مقطع مقصور، والذي لم يفرط ما كان على سبب، والمتوسط ما كان على وتد أو على سبب ومقطع مقصور أو على سببين. والذي لم يفرط في الطول ما كان على وتد وسبب، والمفرط في الطول ما كان على وتدين أو على وتد وسببين» .

5

السبكي ، 1 ، 91 س 12 - 15 .

3 - قال حازم أيضا :

«إنّ الطول تارة يكون بأصل الوضع وتارة تكون الكلمة متوسطة فتطيلها الصلة وغيرها ، كقول المتنبي :

خلت البلاد من الغزاة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا
وقول أبي تمام :

ورفعت للمستنشدين لوائي

السبكي ، 1 ، 91 س 15 - 19 .

4 - وفي بيت المتنبي :

عِشْ ابقَ اسْمُ سُدْ قَدْ جُدْ مُرَانَهُ رِفِ اسْرِ نَلْ
غِظَارُمِ صِبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ اثْنِ نُلْ

15

قبال حازم :

«إنّ بيت المتنبي إنّما قبح لقصر كلماته المتوالية التي على حرفين . وينبغي أن يذكر هذا في شروط فصاحة الكلام» .

السبكي ، 1 ، 93 س 6 - 9 . 20

5 — قسم حازم في المنهاج الابتذال والغرابة . فقال ما ملخصه :
« الكلمة على أقسام :

الأول : ما استعملته العرب دون المحدثين ، وكان استعمال العرب له كثيرا في الأشعار وغيرها ، فهذا حسن فصيح .

5 الثاني : ما استعملته العرب قليلا ، ولم يحسن تأليفه ولا صيغته ، فهذا لا يحسن لإيراده .

الثالث : ما استعمله العرب وخاصة المحدثين دون عامتهم ، فهذا حسن جدا ، لأنه خلص من حوشية العرب وابتذال العامة .

الرابع : ما كثر في كلام العرب وخاصة المحدثين وعامتهم ، ولم يكثر في السنة العامة ، فلا بأس به . 10

الخامس : ما كان كذلك ، ولكنه كثر في السنة العامة ، وكان لذلك المعنى اسم استغنت به الخاصة عن هذا ، فهذا يقبح استعماله لابتذاله .

السادس : أن يكون ذلك الاسم كثيرا عند الخاصة والعامة ، وليس له اسم آخر ، وليست العامة أحوج إلى ذكره من الخاصة ، ولم يكن من الأشياء التي هي أنسب بأهل المهن ، فهذا لا يقبح وليس يعد مبتذلا مثل لفظ الرأس والعين . 15

السابع : أن يكون كما ذكرناه إلا أن حاجة العامة له أكثر ، فهو كثير الدوران بينهم كالصنائع ، فهذا مبتذل .

الثامن : أن تكون الكلمة كثيرة الاستعمال عند العرب والمحدثين لمعنى ، وقد استعملها بعض العرب نادرا لمعنى آخر ، فيجب أن يجتنب هذا أيضا . 20

التاسع : أن يكون العرب والعامّة استعمالوها دون الخاصّة ، وكان استعمال العوامّ لها من غير تغيير ، فاستعمالها عل ما نطقت به العرب ليس مبتذلاً ، وعلى التغيير قبيح مبتذل (1) .

السبكي ، 1 ، 93 س 12 — 24 .

ثمّ اعلم أن الابتذال في الألفاظ وما يدل عليه ليس وصفا ذاتياً ولا عرضاً لا زماً ، بل لاحقاً من اللواحق المتعلقة بالاستعمال في زمان دون زمان وصقع دون صقع (2) .

6 — قال حازم في المنهاج :

« شرط في جواز عكس التشبيه أن يجتمع في المتشابهين أوصاف ثلاثة أو اثنان منها . وهو المقدار واللون والهيئة . »

10

السبكي ، 3 ، 410 س 4 ، 5 .

7 — وقال أيضاً :

« إنّه إذا استويا في وجه الشبه ، وأحدهما في نفسه عظيم والآخر حقير ، شبه الحقير بالعظيم عند إرادة التعظيم وشبه العظيم بالحقير عند إرادة التحقير . »

15

السبكي ، 3 ، 410 ص 6 ، 7 .

8 — قال أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم في كتاب منهاج البلغاء

وسراج الأدباء :

« التشبيه بغير حرف شبه بالاستعارة في بعض المواضع . والفرق بينهما أن الاستعارة وإن كان فيها معنى التشبيه فتقدير حرف التشبيه لا يسوغ فيها ،

(1) هذه نهاية كلام حازم . انظر السبكي ، 1 ، 93 س 24 .

(2) هذه الجملة أخفها السيوطي في الزهر بكلام حازم ، (2) ، 1 ، 191 س 11 — 13 . وليست منه ، ولكنها تعقيب من السبكي . وقد نقل الفقرة كلها في هذا المكان من الزهر .

والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك ، لأنّ تقدير حرف التشبيه واجب فيه ،
ألا ترى إلى قول الوأواء الدمشقي :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعصّت على العناب بالبرد
يسوغ لك أن تقدّره وعصّت على مثل العناب بمثل البرد . وكذلك سائر
5 ما في البيت ، ولا يسوغ ذلك في الاستعارة نحو قول ابن نباتة :

حتى إذا بهر الأباطح والربى نظرت إليك بأعين النوار
لأنّه لا يصحّ أن تقدّر نظرت اليك بمثل أعين النوار .

السبكي ، ٤ ، 57 س 3 — 58 س 3 .

ملاحظة :

10 يضاف إلى مثل هذه الأنقال الكثيرة التي ذكرناها للسبكي عن كتاب
منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم إحالات له عليه . فمن ذلك :

1 — استهجان حازم في المنهاج تتابع الكسرات وحروف العلة نحو
الكيمياء . السبكي ، 1 ، 94 س 5 .

2 — وسيأتي في التكرار والتصريح من كلام حازم في المنهاج بأنّ ما
15 لعله يعزى لهذا البيت من الثقل إنّما هو من التكرار في أمدحه وفي لمّته .
السبكي ، 1 ، 101 س 2 — 4 .

3 — ونقل حازم عن جماعة أنّ التكرار يحسن في مواضع الشوق
والمدح والهجاء . السبكي ، 1 ، 117 س 15 .

من كتاب البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله
الزركشي المصري :

1 - وحكى حازم في منهاج البلغاء خلافا غريبا فقال :

« وللناس في الكلام المنثور من جهة تقطيعه إلى مقادير تتقارب في الكمية ،
وتتناسب مقاطعها على ضرب منها ، أو بالنقلة من ضرب واقع في ضربين 5
أو أكثر ، إلى ضرب آخر مزدوج ، في كلّ ضرب ضرب منها أو يزيد
على الازدواج ، ومن جهة ما يكون غير مقطع ، إلى مقادير يقصد تناسب
أطرافها ، وتقارب ما بينها في كمية الألفاظ والحروف ثلاثة مذاهب :
منهم من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف ، غير متقاربة
في الطول والقصير لما فيه من التكلّف ، إلاّ ما يقع به الإلمام في النادر من 10
الكلام .

والثاني أنّ التناسب الواقع بإفراغ الكلام في قوالب التقفية وتحليلتها
بمناسبات المقاطع أكيد جدا .

والثالث - وهو الوسط - أن السجع لما كان زينة للكلام ، فقد يدعو
إلى التكلّف ، فرأى ألاّ يستعمل في جملة الكلام ، وأن لا يخلو الكلام 15
بالجملة منه أيضا ، ولكن يقبل من الخاطر فيه ما اجتلبه عفوا ، بخلاف
التكلّف ، وهذا رأى أبي الفرج قدامة .

قال حازم : وكيف يعاب السجع على الإطلاق ! وإنّما نزل القرآن
على أساليب الفصيح من كلام العرب ، فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود
الأسجاع في كلام العرب ، وإنّما لم يجيء على أسلوب واحد ، لأنّه لا 20

يحسن في الكلام جميعاً أن يكون مستمراً على نمط واحد ، لما فيه من التكلّف ، ولما في الطبع من الملل عليه . ولأنّ الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد ، فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع ، وبعضها غير متماثل .

الزرکشي : النوع الثالث معرفة الفواصل

5

ورؤوس الآي : 1 ، 59 س 10 —

60 س 15 .

2 — وقال حازم في كتاب منهاج البلغاء :

« وأما الحكم والأمثال ، فلمّا أن يكون الاختيار فيها بجري الأمور على المعتاد فيها ، وإمّا بزوالها في وقت عن المعتاد ، عن جهة الغرابة أو الندور فقط ، لتوطن النفس بذلك على ما لا يمكنها التحرّز منه ، إذ لا يحسن منها التحرّز من ذلك ، ولتحذر ما يمكنها التحرّز منه ويحسن بها ذلك ، ولترغب فيما يجب أن يرغب فيه ، وترهب فيما يجب أن ترهبه ، وليقرب عندها ما تستبعده ، ويبعد لديها ما تستقربه ، وليبين لها أسباب الأمور ، وجهات الاتفاقات البعيدة الاتفاق بها . فهذه قوانين الأحكام والأمثال ، قلّما يشذّ عنها من جزئياتها شيء » .

الزرکشي : النوع الحادي والثلاثون

معرفة الأمثال الكائنة فيه ، 1 ، 491

س 3 — 9 .

3 — العاشر : وهو قول حازم في منهاج البلغاء :

20

« إنّ الإعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمراراً لا توجد له فترة ، ولا يقدر عليه أحد من البشر ،

وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمرّ الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلاّ في الشيء اليسير المعداد ، ثم تعرض الفترات الإنسانية ، فتقطع طيب الكلام ورونقه ، فلا تستمرّ لذلك الفصاحة في جميعه ، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه (1) . والفترات في الفصاحة تقع للفصيح ، إمّا بسهولة يعرض له في الشيء من غير أن يكون جاهلاً به ، أو من جهل به ، أو من سامة تعترى فكره ، أو من هوى للنفس يغلب عليها فيما يحوش عليها خاطره ، من اقتناص المعاني سمينا كان أو غشاً . فهذه آفات لا يخلو منها الإنسان الفاضل الطبع الكامل (2) ، وهو قريب ممّا ذكره ابن الزمكاني وابن عطية .

10 الزركشي : بيان الأقوال المختلفة
في وجوه الإعجاز ، ٢ ، 101 س
1 - 9 .

4 - وقال الإمام في نهاية الإيجاز :

« اشترك الكاف وكانّ في الدلالة على التشبيه ، وكانّ أبلغ . وبذلك جزم حازم في منهاج البلغاء . وقال : وهي إنّما تستعمل حيث يقوى الشبه ، حتى يكاد الرائي يشك في أنّ المشبه هو المشبه به أو غيره ، ولذلك قالت بلقيس : (كأنّه هو) » .

الزركشي : فصل في أدوات التأكيد
٢ ، 408 س 5 - 8 .

(1) اقتصر السيوطي على نقل هذه الفقرة من هذا النص . انظر الاتفاق ، ٢ ، 119 من 20 - 25 .
(2) يبدو أن كلام حازم ينتهي هنا . الجملة بعد هذا تعليق من الزركشي ، فليتأمل .

5 — ومنه زيادة « أصبح » قال حازم :

« إن كان الأمر الذي ذكر أنه أصبح فيه لم يكن أمسى فيه ، فليست زائدة ، وإلا فهي زائدة ، كقولك : أصبح العسل حلوا » .

الزركشي : القسم السادس والعشرون

الزيادة ، ٣ ، 71 س 9 و 10 .

5

6 — ومنها التفخيم والإعظام ، قال حازم في منهاج البلغاء :

« إنما يحسن الحذف ما لم يشكل به المعنى ، لقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد أشياء ، فيكون في تعدادها طول وسامة ، فيحذف ويكتفى

بدلالة الحال عليه ، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال . قال : وبهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها

التعجب والتهويل على النفوس ، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة : (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) فحذف الجواب ، إذ كان وصف ما

يجدون ويلقونه عند ذلك لا يشأه ، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، وتركت النفوس تقدر ما شأنه ، ولا يبلغ مع

ذلك كنه ما هنالك ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

الزركشي : أسباب الحذف ، ٣ ،

105 س 20 — ص 106 س 8 .

7 — وفي كونه [أي القلب] من أماليب البلاغة خلاف ، فأنكره

20 جماعة ، منهم حازم في كتاب منهاج البلغاء وقال : « إنه مما يجب أن ينزه كتاب الله عنه ، لأن العرب إن صدر ذلك منهم فبقصد العبث أو

التهكم أو المحاكاة أو حال اضطرار ، والله متره عن ذلك » .

الزركشي : القلب ، ٣ ، 288 س 2 — 4 .

8 - قال حازم في منهج البلقاء :

« وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب ،
 فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة . وكذلك أيضا يتلاعب المتكلم بضميره
 فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه ، وتارة يجعله كافا فيجعل نفسه
 مخاطبا وتارة يجعله هاء ، فيقيم نفسه مقام الغائب . فلذلك كان الكلام
 المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب ، وإنما يحسن الانتقال
 من بعضها إلى بعض . وهو ثقل معنوي لا لفظي ، وشرطه أن يكون
 الضمير في المتنقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه ، ليخرج نحو
 أكرم زيدا ، وأحسن إليه ، فضمير (أنت) الذي هو (في) (أكرم) غير
 الضمير في (إليه) » (1) .

10

الزركشي : الالتفات ، ٣ ، 314
 س 8 - 15 .

9 - وقال حازم في منهاجه :

« يبدأ في الحسن بما ظهور الحسن فيه أوضح ، وما النفس بتقديره أعنى ،
 ويبدأ في الذم بما ظهور القبح فيه أوضح ، والنفس بالالتفات إليه أعنى ،
 وينتقل في الشيء إلى ما يليه من المزية في ذلك ، ويكون بمنزلة المصور
 الذي يصور أولا ما حل من رسوم تخطيط الشيء ، ثم ينتقل إلى الأدق
 فالأدق » (2) .

الزركشي : نفي الشيء رأسا ، ٣ ،

20

407 س 2 - 5 .

(1) ق 4 ، المنهج 2 معرف د ، تنوير 4 ، 348 س 4 - 9 . وكلام حازم في نص المنهج
 ينتهي بقوله إلى بعض . ولعل ما ذكر بعد ذلك إنما هو تعقيب من الزركشي .

(2) ق ٢ ، المنهج 3 معرف و ، تنوير 4 ، 101 س 6 - 10 .

ملاحظة :

بالإضافة إلى الأقال التي أوردناها من كتاب البرهان نذكر مكانا وقع التصريح فيه أيضا باسم مؤلف حازم كاملا :

10 -- « ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع ، وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة ، وأجمعها ما جمعه الشيخ شمس الدين محمد بن النقيب في مجلدين قدمهما أمام تفسيره ، وما وضعه حازم الأندلسي المسمى بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء . »

الزرکشي : النوع الحادي والعشرون
معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن
وأفصح ، 1 ، 311 س 3 - 5 .

فهرس الموضوعات

الصحيقة

5 المناهج الأدبية.
7 المعاني
9 القسم الثاني الباحث في المعاني وما تعرف به أحوالها من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.
9 المنهج الأول في الإبانة عن ماهيات المعاني وأنحاء وجودها ومواقعها والتعريف بضروب هيئاتها وجهات التصرف فيها وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.
9 أ — معلم دالّ على طرق العلم بالمعاني وحقائقها وأنحاء النظر فيها وما ينبغي ان تعتبر به أحوالها ، من جهة ما يرجع إليها وما هو خارج عنها.
11 المنهج الثاني في الإبانة عن طرق اجتلاب المعاني وكيفيات الثامها وبناء بعضها على بعض وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.
11 أ — معلم دالّ على طرق العلم باقتباس المعاني وكيفية اجتلابها وتأليف بعضها إلى بعض.
11 إضاءة 1
12 تنوير 2
13 إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5
14 تنوير 6 ، إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9

الصحيفة

- تنوير 10 ، إضاءة 11..... 15
- تنوير 12 ، إضاءة 13..... 16
- تنوير 14 ، إضاءة 15..... 17
- تنوير 16..... 18
- ب - معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء وجود المعاني..... 18
- إضاءة 1 ، تنوير 2..... 19
- ج - معلم دالّ على طرق العلم بكيفيات مواقع المعاني من النفوس من جهة
ما تكون قوية الانتساب إلى طرق الشعر المألوفة والأغراض المعروفة
عند جمهور من له فهم بالطبع أو ضعيفة الانتساب إلى ذلك..... 19
- إضاءة 1..... 20
- تنوير 2 ، إضاءة 3 ، تنوير 4..... 21
- إضاءة 5 ، تنوير 6..... 22
- إضاءة 7 ، تنوير 8..... 23
- إضاءة 9 ، تنوير 10..... 24
- إضاءة 11..... 26
- تنوير 12 ، إضاءة 13..... 27
- تنوير 14 ، إضاءة 15 ، تنوير 16..... 28
- إضاءة 17..... 29
- تنوير 18..... 30
- إضاءة 19..... 31
- د - معرف دالّ على طرق المعرفة بكيفيات تركيب المعاني وتضاعفها..... 32
- إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3..... 33
- تنوير 4 ، إضاءة 5..... 34
- تنوير 6..... 35

الصحيفة

36	إضاءة 7 . تنوير 8
37	إضاءة 9
37	هـ — معلم دالّ على طرق العلم باستثارة المعاني من مكانها ، واستنباطها من معادنها
38	إضاءة 1
39	تنوير 2 ، إضاءة 3 ، تنوير 4
40	و — معرف دالّ على طرق المعرفة بما توجد المعاني معه حاضرة منتظمة في الذهن ، على ما يجب أن يكون من بعض عائد إلى بعض . وما به يكون كمال التصرف فيها ، وفي سائر أركان هذه الصناعة . على المذهب المختار
42	إضاءة 1 . تنوير 2
43	إضاءة 3
44	ز — معلم دالّ على طرق العلم بالمناسبة بين بعض المعاني وبعض ، والمقارنة بين ما تناظر منها
44	إضاءة 1 ، تنوير 2
45	إضاءة 3 ، تنوير 4
46	إضاءة 5 ، تنوير 6
47	إضاءة 7
48	ح — مأمّ من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعلم . وما تقدّم في المعلم المفتوح به هذا المنهج الذي فيه القول ، وهو المذهب الذي يقصد فيه المطابقة ..
48	إضاءة 1
50	تنوير 2
51	إضاءة 3

الصحيفة

- ط — مأمّ من المذاهب المستشرقة بالمعلم المتقدم أيضا وهو مذهب المقابلة..... 52
- إضاءة 1 ، تنوير 2 . إضاءة 3..... 52
- تنوير 4..... 54
- إضاءة 5..... 55
- ي — مأمّ من المذاهب المستشرقة بالمعلم المتقدم أيضا وهو مذهب التقسيم..... 55
- إضاءة 1 ، تنوير 2..... 56
- يا — مأمّ من المذاهب المستشرقة بما تقدم أيضا . وهو مذهب التفسير..... 57
- إضاءة 1 ، تنوير 2..... 58
- يب — مأمّ من المذاهب المستشرقة بالمعلم المتقدم أيضا وهو مذهب التفريع.. 59
- إضاءة 1..... 60
- تنوير 2 ، إضاءة 3..... 61
- المنهج الثالث ، في الإبانة عما به تتقوم صنعا الشعر والخطابة من التخيل والإقناع ، والتعريف بأنحاء النظر في كلتا الصنعتين ، من جهة ما به تقوّمت ، وما به تعتبر أحوال المعاني في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للتفوس أو منافرة لها..... 62
- أ — معلم دالّ على طرق العلم بما تتقوم به صناعة الشعر من التخيل . وما به تتقوم صناعة الخطابة من الإقناع ، والفرق بين الصناعتين في ذلك..... 62
- إضاءة 1 ، تنوير 2..... 63
- إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5..... 64
- تنوير 6 ، إضاءة 7 ، تنوير 8..... 65
- إضاءة 9 ، تنوير 10..... 66
- إضاءة 11 ، تنوير 12 ، إضاءة 13..... 67
- تنوير 14..... 68
- إضاءة 15 ، تنوير 16..... 70

الصحيفة

71	ب - معرف دالّ على المعرفة بماهيّة الشّعر وحقيقته.....
71	إضاءة 1.....
72	تنوير 2 ، إضاءة 3.....
73	تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6.....
76	إضاءة 7.....
77	تنوير 8 ، إضاءة 9.....
78	تنوير 10.....
79	إضاءة 11.....
80	تنوير 12.....
81	إضاءة 13.....
82	تنوير 14.....
83	إضاءة 15.....
84	تنوير 16.....
85	إضاءة 17.....
86	تنوير 18.....
88	إضاءة 19.....
89	ج - معلم دالّ على طرق العلم بالاشياء المخيّلة.....
89	إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3.....
	د - معرف دالّ على طرق المعرفة بجهات مواقع التّخييل من الأقاويل وما
	بإزائها من المعاني ، وما يحسن أن ينحى بالمحاكاة نحوه من ذلك وما
90	لا يحسن.....
90	إضاءة 1 ، تنوير 2.....
91	إضاءة 3.....
91	هـ - معلم دالّ على طرق العلم بما تنقسم إليه المحاكاة.....
92	إضاءة 1 ، تنوير 2.....

الصحيفة

93	إضاءة 3
94	تنوير 4
95	إضاءة 5 ، تنوير 6
96	إضاءة 7
97	تنوير 8 ، إضاءة 9 ، تنوير 10 ، إضاءة 11
	و — معلم دالّ على طرق المعرفة بأحكام المحاكيات وما يجب أن يعتبر فيها، والاستبانة لمناقل الفكر في التخيّلات الشعرية وكيفية التهدي إلى التحسينات والتقيّحات التي ينحى بالأقاويل المخيلة نحوها.....
98	
99	إضاءة 1 ، تنوير 2
100	إضاءة 3
101	تنوير 4
103	إضاءة 5 ، تنوير 6
104	إضاءة 7 ، تنوير 8
105	إضاءة 9
106	تنوير 10
107	إضاءة 11
108	تنوير 12 ، إضاءة 13
109	تنوير 14
110	إضاءة 15
111	تنوير 16
111	ز — معلم دالّ على طرق العلم بما يخصّ المحاكاة التشبيهية من الأحكام
112	إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3
113	تنوير 4 ، إضاءة 5
114	تنوير 6
115	إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9

الصحيفة

- ح — معرف دالّ على طرق المعرفة بالوجود التي لأجلها حسن موقع المحاكاة
 116 من النفس.....
- إضاءة 1..... 116
- تنوير 2..... 118
- إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5..... 121
- تنوير 6..... 122
- إضاءة 7..... 123
- تنوير 8 ، إضاءة 9..... 124
- تنوير 10..... 125
- إضاءة 11..... 126
- تنوير 12..... 127
- إضاءة 13..... 128
- تنوير 14..... 129
- المنهج الرابع في الإبانة عن الأحوال التي تعرض للمعاني في جميع مواقعها من
 130 الكلام ، فتوجد بها ملائمة للنفس أو منافرة لها.....
- أ — معلم دالّ على طرق العلم ، بأنحاء النظر في أحوال المعاني وما يجب
 اعتباره فيها من جهة ما يرجع إليها في أنفسها أو من جهة ما يقترن
 بها ، ويكون لها به علاقة..... 130
- إضاءة 1 ، تنوير 2..... 130
- إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6..... 131
- إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9..... 132
- ب — معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النظر في صحة المعاني وسلامتها
 133 من الاستحالة الواقعة بالإفراط في المبالغة.....
- إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3..... 133

الصحيفة

134	تنوير 4.....
135	إضاءة 5.....
136	تنوير 6.....
	ج - معلم دالّ على طريق العلم بأنحاء النّظر في صحّة المعاني وسلامتها
137	من الإستحالة الواقعة بفساد التقابل.....
137	إضاءة 1 ، تنوير 2.....
138	إضاءة 3.....
139	تنوير 4.....
141	إضاءة 5.....
142	تنوير 6.....
	د - معرف دالّ على طرق المعرفة بما يوضع من المعاني وضع غيره من حيث
	تكون واجبة أو ممكنة أو ممتنعة ، ولا يجوز أن يوضع غيره
145	من ذلك.....
145	إضاءة 1 ، تنوير 2.....
146	إضاءة 3 ، تنوير 4.....
	هـ - معلم دالّ على طرق العلم بالوجوه التي بها يقع التّدافع بين بعض
147	المعاني وبعض.....
147	إضاءة 1.....
148	تنوير 2 ، إضاءة 3.....
149	تنوير 4.....
150	إضاءة 5.....
151	تنوير 6.....
152	إضاءة 7 ، تنوير 8.....
153	إضاءة 9.....

الصحيفة

154	و — معرف دالّ على طرق المعرفة بما تكون عليه المعاني من كمال أو نقص
154	إضاءة 1
156	تنوير 2 ، إضاءة 3
158	ز — معلم دالّ على طرق العلم بوقوع المعاني المتقاربة متمكنة
159	إضاءة 1
160	تنوير 2
161	إضاءة 3 ، تنوير 4
	ح — معرف دالّ على طرق المعرفة بما يكون من المعاني أصيلاً في بابي المدح والذمّ ، وما ليس منها أصيلاً في ذلك
162	إضاءة 1
163	تنوير 2
164	إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5
165	تنوير 6
167	إضاءة 7 ، تنوير 8
168	إضاءة 9
169	تنوير 10
	ط — معلم دالّ على طريقة العلم بما يجب أن يعتمد في مدح صنف صنف من الناس
170	إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3
171	تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6
172	ي — معرف دالّ على طرق المعرفة بما يكون به وضوح المعاني أو غموضها ..
172	إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3
173	تنوير 4
174	إضاءة 5

الصحيفة

175	تنوير 6 ، إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9.....
176	تنوير 10 ، إضاءة 11.....
177	يا — معلم دالّ على طرق العلم بما يزيل الغموض والإشكال العارضين في المعاني ، من حيث ذكر في المعروف الفارط.....
177	إضاءة 1 ، تنوير 2.....
178	إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5.....
179	تنوير 6.....
180	إضاءة 7.....
181	تنوير 8.....
182	إضاءة 9.....
184	تنوير 10 ، إضاءة 11.....
185	تنوير 12.....
186	إضاءة 13.....
187	تنوير 14 ، إضاءة 15.....
188	يب — معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النظر في المعاني من حيث يكون فهمها متوقفاً على أمر ما من صناعة أو غيرها أو تكون غير متوقفة على شيء من ذلك.....
188	إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3.....
189	تنوير 4 ، إضاءة 5.....
190	تنوير 6 ، إضاءة 7 ، تنوير 8.....
192	بج — معلم دالّ على طرق العلم بأنحاء النظر في المعاني ، من حيث تكون قديمة متداولة ، أو جديدة مخترعة.....
192	إضاءة 1.....
193	تنوير 2.....
194	إضاءة 3 ، تنوير 4.....

الصحيفة

195	إضاءة 5 ، تنوير 6.....
196	إضاءة 7.....
197	المباني.....
199	القسم الثالث في النظم وما تعرف به أحواله من حيث يكون ملائما للنفوس أو منافرا لها من قوانين البلاغة.....
199	المنهج الأول في الإبانة عن قواعد الصناعة النظمية والمآخذ التي هي مداخل إليها ، وما تعتبر به أحوال الصناعة في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.....
199	أ - معلم دالّ على طرق العلم بقواعد الصناعة النظمية التي عليها تقوم مباني النظم وتبصر الخواطر فيها على ما يجب أن تلثم صناعة النظام الشعري على الكمال.....
201	إضاءة 1.....
202	تنوير 2 ، إضاءة 3.....
202	ب - معرف دالّ على طرق المعرفة بكيفيات مآخذ الشعراء في نظم الكلام وإنشاء مبانيه وما يقدمونه بين يدي ذلك من تصوّر أغراض القصائد اللاتقة بتلك الأغراض وتصور المعاني المنتبة الى تلك المقاصد والمنتمية إليها وصور العبارات اللاتقة بجميع ذلك وإعمال الحيل في تقفيتها ووزنها والإعلام بما يتسبّبون به إلى درك البغية في جميع ذلك.....
204	إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3.....
205	تنوير 4.....
206	إضاءة 5 ، تنوير 6.....
207	إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9.....

الصحيفة

208	تنوير 10
209	إضاءة 11
210	تنوير 12 ، إضاءة 13 . تنوير 14
211	إضاءة 15 . تنوير 16 . إضاءة 17 ، تنوير 18
212	إضاءة 19 . تنوير 20 . إضاءة 21
213	ج — معلم دالّ على طرق العلم بكيفية العمل المروى والمرتبجل
214	إضاءة 1 . تنوير 2
215	إضاءة 3 ، تنوير 4
216	د — معرف دالّ على طرق المعرفة بكيفية التصرف في مقاصد الشعر وجهاته
216	إضاءة 1 ، تنوير 2
217	إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5
218	تنوير 6
219	إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9
220	تنوير 10 . إضاءة 11 ، تنوير 12
221	إضاءة 13 ، تنوير 14
222	هـ — معلم دالّ على طرق العلم بتحسين هيات العبارات والتأنيق في اختيار موادّها ، وإجادة وضعها ووصفها
222	إضاءة 1
223	تنوير 2 ، إضاءة 3
224	تنوير 4 ، إضاءة 5
225	تنوير 6

المنهج الثاني في الإبانة عن أنماط الأوزان في التناسب ، والتنبيه على كميّات مباني الكلام وعلى القوافي وما يليق بكلّ وزن منها من الأغراض والإشارة الى طرف من أحوال القوافي وكيفية بناء الكلام عليها وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائما للتنفوس أو منافرا لها

الصحيفة

- أ - معلم دالّ على طرق العلم بمجاري الأوزان وأبنيتها وضروب تركيباتها
 ووضعها 226
- إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3 227
- تنوير 4 229
- إضاءة 5 231
- تنوير 6 233
- إضاءة 7 235
- تنوير 8 237
- إضاءة 9 ، تنوير 10 ، إضاءة 11 240
- تنوير 12 241
- إضاءة 13 242
- تنوير 14 ، إضاءة 15 ، تنوير 16 243
- إضاءة 17 ، تنوير 18 244
- ب - معرف دالّ على طرق المعرفة بما وقع في أوزان الشعر من ضروب
 التركيبات المتلازمة ، وأنواع الترتيبات المناسبة وما لوحظ فيها مما
 حسن عندهم أن يهيئوها بهيئته ، وبمقدار ما أوقعوه في وزن وزن من ذلك
 إضاءة 1 245
- تنوير 2 247
- إضاءة 3 248
- تنوير 4 249
- إضاءة 5 250
- تنوير 6 ، إضاءة 7 252
- تنوير 8 ، إضاءة 9 ، تنوير 10 253
- إضاءة 11 ، تنوير 12 254
- إضاءة 13 ، تنوير 14 255

الصحيفة

257	إضاءة 15
258	تنوير 16 ، إضاءة 17
259	ج - معلم دالّ على طرق العلم بمقادير تناسب الأوزان وما يسوغ فيها من التغاير وما لا يسوغ على الوجه المختار
260	إضاءة 1 تنوير 2
261	إضاءة 3
262	تنوير 4
263	إضاءة 5
264	تنوير 6
265	إضاءة 7
265	د - معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النظر في بناء الأشعار على أوفق الأوزان لها
266	إضاءة 1
267	تنوير 2 ، إضاءة 3
268	تنوير 4
269	إضاءة 5 ، تنوير 6
270	إضاءة 7 ، تنوير 8
271	هـ - معلم دالّ على طرق العلم بما قصد في أبنية القول في أنحاء التناسب وذهب فيها من مذاهب البلاغة التي يكون لها بها تحصين في الوضع وتحسين في السمع
271	إضاءة 1 ، تنوير 2
272	إضاءة 3 ، تنوير 4
273	إضاءة 5 ، تنوير 6 ، إضاءة 7
274	تنوير 8

الصحيفة

- إضاءة 9 ، تنوير 10..... 275
- إضاءة 11..... 276
- تنوير 12 ، إضاءة 13 ، تنوير 14..... 277
- و — معرف دالّ على طرق المعرفة بتأصيل القوافي وبناء ما قبلها عليها
وبنائها على ما قبلها..... 278
- إضاءة 1..... 278
- تنوير 2 ، إضاءة 3..... 279
- تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6..... 280
- إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9..... 281
- المنهج الثالث في الإبانة عمّا يجب في تقدير الفصول وترتيبها ووصل بعضها
ببعض وتحسين هيئاتها ، وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من
حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها..... 287
- أ — معلم دالّ على طرق العلم بأحكام مباني الفصول وتحسين هيئاتها ووصل
بعضها ببعض..... 287
- إضاءة 1 ، تنوير 2..... 288
- إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6 ، إضاءة 7..... 289
- تنوير 8 ، إضاءة 9 ، تنوير 10 ، إضاءة 11..... 290
- تنوير 12 ، إضاءة 13 ، تنوير 14..... 291
- ب — معرف دالّ على طرق المعرفة بما يجب اعتماده في الفصول من جهة
اشتمالها على أوصاف الجهات التي هي مسانح اقتناص المعاني
ومعاودة التخييل فيها بالإقناع على الوضع الذي يليق بذلك ويحسن
به موقعه من النفوس..... 292
- إضاءة 1 ، تنوير 2..... 292
- إضاءة 3 ، تنوير 4..... 293

الصحيفة

294	إضاءة 5
295	تنوير 6 ، إضاءة 7
295	ج — مأمّ من مذاهب البلاغة المستبانة بهذا المنهج وهو مذهب التّسويم
297	إضاءة 1 . تنوير 2 . إضاءة 3
298	تنوير 4 . إضاءة 5 . تنوير 6
299	إضاءة 7 . تنوير 8
300	د — مأمّ من المذاهب المستشرفة ممّا تقدّم أيضا . وهو مذهب التّحجيل ...
300	إضاءة 1
301	تنوير 2 . إضاءة 3 . تنوير 4
303	المنهج الرابع في الإبانة عن كيفة العمل في إحكام مباني القصائد وتحسين هيئاتها وما تعتبر به أحوال النّظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائما للنّفوس أو منافرا لها
303	أ — معلم دالّ على طرق العلم بأحكام مباني القصائد وتحسين هيئاتها وما تجب العناية بالتأنق فيه من ذلك وما تتأكّد العناية به وما تتأكّد فيه عند قوم ولا تتأكّد عند آخرين
303	إضاءة 1
304	تنوير 2 . إضاءة 3 . تنوير 4
305	إضاءة 5 . تنوير 6 ، إضاءة 7
306	تنوير 8 ، إضاءة 9 ، تنوير 10 ، إضاءة 11 ، تنوير 12
309	ب — مأمّ من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعلم وهو مذهب الإبداع في الاستهلال
309	إضاءة 1
310	تنوير 2 ، إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5
311	إضاءة 6 ، تنوير 7

الصحيفة

- إضاءة 8..... 312
- تنوير 9..... 313
- ج - معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء التخلّصات من حيث إلى حيث وعطف أعتة الكلام من جهة إلى أخرى ومن غرض إلى غرض..... 314
- إضاءة 1 ، تنوير 2..... 315
- إضاءة 3..... 316
- تنوير 4..... 317
- إضاءة 5 ، تنوير 6..... 318
- د - مأمّ من مذاهب البلاغة المستشرقة بهذا المعرف وهو مذهب الإبداع في التخلّص والاستطراد..... 319
- إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3..... 320
- تنوير 4 ، إضاءة 5..... 321
- تنوير 6..... 322
- هـ - معلم دالّ على طرق العلم بالفرق بين المقصد والمقطع..... 323
- إضاءة 1..... 324
- الأسلوب 325
- القسم الرابع في الطرق الشعرية وما تنقسم إليه وما ينحى بها نحوه من الأساليب والتعريف بما أخذ الشعراء في جميع ذلك وما تعتبر به أحوال الكلام المخيل المقفى الموزون في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها من القوانين البلاغية..... 327
- المنهج الأول في الإبانة عن طرق الشعر من حيث ينقسم إلى جدّ وهزل وما تعتبر به أحوالهما في كلّ ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها..... 327

الصحيفة

- أ — معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في طريقة الجدّ 328
- إضاءة 1 ، تنوير 2 328
- إضاءة 3 ، تنوير 4 329
- ب — معرف دالّ على طرق المعرفة بما يجب أن يعتمد في طريقة الهزل .. 329
- إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3 331
- تنوير 4 332
- ج — معلم دالّ على طرق العلم بما تأخذه طريقة الجدّ من طريقة الهزل . 333
- إضاءة 1 ، تنوير 2 333
- إضاءة 3 334
- د — معرف دالّ على طرق المعرفة بما تأخذه طريقة الهزل من طريقة الجدّ 334
- إضاءة 1 ، تنوير 2 334
- إضاءة 3 ، تنوير 4 335
- المنهج الثاني في الإبانة عن طرق الشعر من حيث تنقسم إلى فنون الأغراض
وما تعتبر به أحوال الشعر في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس
أو منافرة لها 336
- أ — معلم دالّ على طرق العلم بما ينقسم إليه الشعر بحسب ما قصد به من
الأغراض 336
- إضاءة 1 337
- تنوير 2 ، إضاءة 3 338
- تنوير 4 ، إضاءة 5 339
- تنوير 6 ، إضاءة 7 340
- ب — معرف دالّ على طرق المعرفة بما يوجد لبعض الخواطر من قوّة على
التشبه فيما لا يجري على السجية من تلك الأغراض بما يجري
على السجية من ذلك 341

الصحيفة

341	إضاءة 1 ، تنوير 2.....
342	إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6.....
343	إضاءة 7 ، تنوير 8.....
344	إضاءة 9.....
344	ج - معلم دالّ على طرق العلم بما ينقسم إليه الشعر بحسب اختلافات أنحاء التخاطب.....
345	إضاءة 1 ، تنوير 2.....
346	د - معرف دالّ على طرق المعرفة بما ينقسم إليه الشعر بحسب إيقاع الحيل الشعرية فيه.....
346	إضاءة 1.....
347	تنوير 2 ، إضاءة 3 ، تنوير 4.....
348	إضاءة 5 ، تنوير 6.....
349	إضاءة 7.....
349	هـ - معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في كلّ غرض من أغراض الشعر المتقدم تقسيمه إليها.....
350	إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3.....
351	تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6.....
352	إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9 ، تنوير 10.....
354	المنهج الثالث في الإبانة عن الأساليب الشعرية وأنحاء الاعتمادات فيها وما يجب أن تعتبره أحوالها في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.....
354	أ - معلم دالّ على طرق العلم بالأساليب الشعرية وما تنوّع إليه وينحى بها نحوه.....
354	إضاءة 1.....

الصحيفة

- تنوير 2..... 355
- ب - معرف دالّ على طرق المعرفة بما ينحى بالأساليب نحوه من جهة ما
يقصد حسن موقعها من النفوس..... 356
- إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3..... 357
- تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6..... 358
- ج - مأمّ من المذاهب المستشرقة بهذا المعرف وهو مذهب تأنيس المعاني
بعضها ببعض..... 359
- إضاءة 1 ، تنوير 2..... 359
- إضاءة 3..... 360
- د - مأمّ من المذاهب المستشرقة بالمعلم المتقدم أيضا وهو مذهب المراوحة
بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية..... 361
- إضاءة 1..... 361
- تنوير 2 ، إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5..... 362
- هـ - معلم دالّ على طرق العلم بكيفية الاستمرار في الأساليب والاطراد
عليها وما يحسن اعتماده فيها..... 363
- إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3..... 364
- المنهج الرابع في الإبانة عن المنازع الشعرية وأنحائها وطرق المفاضلة بين
الشعراء في ذلك وغيره من أنحاء التصاريف في هذه الصناعة وما يعتبر
به أحوال الكلام وأحوال القائلين في جميع ذلك..... 365
- أ - معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في المنازع الشعرية التي
يكون للكلام بها حسن موقع من النفوس..... 365
- إضاءة 1..... 365
- تنوير 2 ، إضاءة 3..... 366

الصحيفة

367	تنوير 4 ، إضاءة 5
369	تنوير 6 ، إضاءة 7
371	ب - معرف دالّ على طرق المعرفة بالمآخذ اللطيفة في المنازع الي ربّما خفي الوجه الذي لأجله حسن الكلام فيها
371	إضاءة 1
372	تنوير 2
373	إضاءة 3
374	ج - معلم دالّ على طرق العلم بما يجب أن يعتقد ويقال في المفاضلة بين الشعراء بحسب اختلاف الأزمنة والأحوال المهيئة لقبول الشعر والباعثة عليه
374	إضاءة 1 ، تنوير 2
375	إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5
376	تنوير 6 ، إضاءة 7
378	تنوير 8
379	إضاءة 9
379	د - معرف دالّ على طرق المعرفة بمبلغ هذا الكتاب من أصول هذه الصناعة
381	ملحق
383	من كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي 1
384	2 ، 3 ، 4
385	5
386	6 ، 7 ، 8
387	ملاحظة 1 ، 2 ، 3

الصحيفة

388	من كتاب البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري
388	1
389	2 ، 3
390	4
391	5 ، 6 ، 7
392	8 ، 9
393	ملاحظة 10
395	معجم
421	الفهارس
423	فهرس الأعلام
431	» القوافي
442	» أنصاف الأبيات
445	» الآيات والأحاديث والأمثال
447	» الموضوعات



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

فصاحها الحبيب المنمى

شارع الصوراتى (المعمارى) - الحمراء - بناية الاسود

تلفون - 340131 - 340132 - م. ب. 113 - 5787 - بيروت - لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P. 113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 1981/8/3000/20

سحب جديد 1986/11/3000

التنسيق: المطبعة الرسمية : تونس

الطباعة: مؤسسة جواد للطباعة والتصوير